المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات
الإسلامية – قسم التفسير

فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الريب

للإمام الطِّيبي الحسين بن عبد الله، المتوفى سنة ٧٤٣هـ

دراسة وتحقيق من سورة الحجر إلى نهاية سورة طه

رسالة الدكتوراة

المجلد الأول

إعداد الطالب : محمد الأمين بن الحسين بن أحمد الشنقيطي

بإشراف : الدكتور عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

١٤١٥ –١٤١٦هـ

سورة الحجر، تسع وتسعون آية مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ((تلك[2] إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات))، وهو على منوال: هذا أخوك . قال المصنف : لا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ . قال ابن الحاجب[3]: [المشار إليه لا يشترط أن يكون موجوداً حاضراً، بل يكفي أن يكون موجوداً ذهناً]. قال أبو البقاء[4] : [تلك يجوز أن يكون مبتدأ، وآيات الكتاب خبره، وأن يكون خبر المر[5] وآيات الكتاب، بدل أو عطف بيان]، واختيار المصنف الأول لقوله : ((والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً))، فقوله : ((الكامل في كونه كتاباً)) مستفاد من التعريف الجنسي، وإيقاع آيات الكتاب خبراً من اسم الإشارة كما سبق في البقرة[6] .

وقوله : ((أيّ قرآن مستفاد من التنكير)) التفخيمي في قرآن.

وقوله : ((الجامع للكمال)) من توسيط العاطف بين الوصفين.

---

(١) في الكشاف إلا آية ٨٧، قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي .. ﴾الآية، فمدنية وكذا ذكر الفخر الرازي ١٥١/١٩، وفي الألوسي قال : وفي مجمع البيان عن الحسن أنها مكية إلا آية ٨٧.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ المر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾

(٣) ابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الدونيّ الأصل، الأنسائي المولد، المالكي المذهب، صاحب التصانيف القيمة نحواً وصرفاً وفقهاً، وأصولاً، وقراءةً.

ولد سنة ٥٧٠هـ ومات سنة ٦٤٦هـ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٤٨/٣، وطبقات القراء ٥١٦/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٦٤/٢٣.

(٤) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري، ولد سنة ٥٣٨هـ ومات سنة ٦١٦هـ . انظر ترجمته في : بغية الوعاه للسيوطي ٣٨/٢، وابن خلكان ٤٧٦/١، وذكر هذا في سورة الرعد ٦٠/٢.

(٥) ١٨/١ بناء على أن الحروف المقطعة أسماء للسورة.

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ الآية ٢.

وقوله : ((والغرابة في البيان)) من إيقاع ﴿ مبين﴾ وصفاً للقرآن بعد تعداد حروف التهجي، وأن المبين من أبان بمعنى بان للمبالغة . قال محي السنة[1] : [فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال : ﴿ وقرآن مبين ﴾، وكلاهما واحد ؟. قيل : ليفيد أن المراد بالكتاب ما يكتب، وبالقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض]، ذهب إلى معنى العطف[2] من الوصفين، فإن قلت : رجع المآل إلى أن ﴿ الكتاب وقرآن ﴾ وصفان لموصوف واحد أقيما مقامه، فما ذلك الموصوف ؟ وكيف تقديره ؟. فإن قدرته معرفة دَفَعَه ﴿ قرآن مبين ﴾، وإن ذهبت إلى أنه نكرة، أباه لفظ الكتاب، قلت : أقدره معرفة ﴿ وقرآن مبين ﴾ في تأويل المعرّف، لأن معناه البالغ في الغرابة إلى حد الإعجاز، فهو إذا محدود بل محصور، كأنه قيل : تلك آيات الكتاب الكامل المعجز، وإليه أشار بقوله : ((الكتاب الجامع بين الكمال والغرابة في البيان))، فقوله : ((الكتاب)) هو الموصوف المضمر، وأحد الوصفين ما دلّ عليه قوله : ((للكمال))، لأنه معنى الكتاب المذكور في التنزيل، ومعنى ((الكمال)) فيه، مستفاد من التعريف الجنسيّ، كما سبق، والآخر قوله : ((الغرابة في البيان)) وهو المعنيّ من قوله : ﴿وقرآن مبين﴾ على ما أسلفناه. فإن قلت : جعلت ﴿الكتاب وقرآن مبين﴾ (وصفين)[3] لموصوف، والمصنف جعلهما في قوله : والكتاب و القرآن المبيّن : السورة نفس السورة، قلت : لمّا قلت : أقيما مقام الموصوف، صحّ ذلك[4].

---

(1) محي السنة الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، الملقب بركن الدين، ولد سنة ٤٣٣هـ، ومات سنة ٥١٦هـ . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩، ووفيات الأعيان ١٣٦/٢. وذكره في تفسيره معالم التنزيل ٣٤٧/٤ بتحقيق عبد الله النمر، وعثمان جمعه، وسليمان مسلم، طبع دار الفكر.

(2) بين الوصفين في ب، م . والمراد بباء النسخة السورية، وبتاء النسخة التركية، وبألف النسخة المدنية، وبميم النسخة المغربية.

(3) (وصفان) في م ، ب.

(4) في ت ، ب ذلك (ولا منافاة لقوله : ((وأي قرآن مبين بالجرّ عطف على كتاب الكامل))

قوله : [قرأ ربما[١]] نافع[٢] وعاصم[٣] بتخفيف الباء، والباقون بالتشديد، والبواقي شواذّ[٤] .

قوله : ((وقد أبَوْا دخولها إلا على الماضي)) . قال ابن الحاجب[٥] : [لأنها لتقليل ما ثبت وتحقيقه] . وقيل : هي لتقليل المحقق وهو بالماضي أجدر، نصّ عليه المبرد.

قوله : ((وقيل : إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا أيضاً باب من الودادة)). يعني : تأويل هذه الآية بهذا المعنى من الودادة الباطلة، وتفسير لها بما يهوى ويحبّ، قال الأمام[٦] : [هذا قول أكثر المفسرين، كابن عباس، ومجاهد]، والعجب من هذا الرجل كيف يجتري على هذا الكلام، وقلت : بل فسرها من هبط

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾.

(٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي مولاهم، أبو رؤيم المقرئ المدني، أحد أعلام القراء، مات سنة ١٦٩هـ، انظر : معرفة القراء الكبار للذهبي ١٠٧/١، ووفيات الأعيان ٣٦٨/٥.

(٣) عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم، الكوفي القارئ، الإمام أبو بكر، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: وفيات الأعيان ٩/٣، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٨٨/١) . بيّن هذه القراءة : كتاب الكشف عن وجوه القراآت السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ٢٩/٢، وحجة القراآت لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة.

(٤) أما الشاذة : ﴿ رُبُما ﴾ بضم الباء وتخفيفه، فرويت هذه القراءة الشاذة عن محمد بن حبيب الشموني، ومحمد بن عبد الله القلاّ عن الأعشى عن أبي بكر. انظر : مختصر الشواذ ٧٠ لابن خالوية.

(٥) ابن الحاجب في الإيضاح في شرح المفصّل ١٥٣/٢.

(٦) المراد بالإمام : الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي، ولد سنة ٥٤٤هـ، ومات سنة ٦٠٦هـ . انظر ترجمته في : طبقات المفسرين للداودي ٢١٥/٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٨١/٣. وذكر هذا القول في تفسيره الكبير ١٥٤/١٩.

فائدة : لم تأت ﴿ رب ﴾ في القرآن مع كثرتها في اللغة العربية، غير هذه الآية. انظر الألوسي ٤/١٤.

إليه التنزيل على ما روينا عن الترمذي(١) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية قال : [إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة ودّ الذين كفروا لو كانو مسلمين] وعليه معنى التمني، لأن أمثال هذا التمني إنما يحسن موقعه إذا رأى الكافرون حسن عاقبة المسلمين، وشاهدوا سوء مغبة الكافرين، وأيقنوا اليأس التّام، والإقناط الكلّيّ، كما يقول الكافر : ﴿ ياليتني كنت ترابا ﴾(٢)، قال المصنف(٣) : [يحشر الحيوان غير المكلّف حتى يقتصّ للجماء من القرناء ثم تردّ

(١) أخرجه الترمذي ٥/٢٣-٢٥ كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألا إله إلا الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك، فيقولون لهم : ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، لما يريد الله أن يرى أهل الشرك من الحسرة، فما يبقى موحد إلا أخرجه الله، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ . رواه النسائي في تفسيره ٦٢٦/١ من طريق يزيد بن صهيب الفقير، قال : كنا عند جابر، فذكر الخوارج، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساقه، وهو حديث حسن بشواهده، وانظر تحفة الأشراف رقم ٣١٤٣.

ومثله في الطبري١٤/٢ من حديث أبي موسى الأشعري، وكذلك عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم . وأخرجه الحاكم ٣٥٣/٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه ووافقه الذهبي . فإذا ما ذكره الإمام أنه أكثر قول المفسرين كابن عباس هو الصواب، ولا محل للتعجب.

ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٧ : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ . وقوله في الأنعام الآية ٣١ : ﴿ حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ . وقوله تعالى في سورة الفرقان الآية ٢٧ : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾.

(٢) سورة النبأ الآية ٤٠ ، وذكره الزمخشري في الكشاف ٦٩٢/٤.

(٣) يشيرإلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قول الله عز وجلّ : ﴿ أمم أمثالكم ﴾ قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم، والدوابّ، والطير، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجمّاء من القرناء، ثم يقول : كوني تراباً، فذلك يقول الكافر : ﴿ ياليتني كنت تراباً ﴾ . أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١٦/٢ وسكت عليه الذهبي.

تراباً فيودّ الكافر حاله]. وقال الراغب(١) : [ومن المودّة التي تقتضي معنى التمني] قوله تعالى : ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾.

قوله : ((لو كان الندم مشكوكاً فيه)) يشير لقوله : ((لعلك ستندم))، وقوله(٢) : ((ربما ندم الإنسان على ما فعل)) أي : هذا الذي فعلت، ربما ندم الإنسان عليه، وخلاصة الجواب أن يقال : لا شكّ أنهم يكثرون الودادة، ولكن استعمل ربّ لتقليلها على الاستعارة، أي : تقلّ ودادتهم للإسلام حينئذ على إرادة أنهم يبالغون في الودادة، ويكثرون منها لاقتضاء مقام التوبيخ بهم، ثم تفيد هذه الاستعارة(٣) على طريقة الكناية(٤) الإيمائية، وهي أخذ الزبدة والخلاصة من المجموع، معنى توخّى : انتهاز فرصة الإسلام أي اغتنموا فرصة الإسلام، وسارعوا في تحصيله، فإنكم لو كنتم تودّونه مرّة واحدة فبالحريّ أن تسارعوا فيها، فكيف والحال ما ذكرناها؟. الانتصاف(٥) :[العرب تعبّر عن المعنى بضدّه، ومنه :

** قد أنزل الْقِرْنُ مصفرًا أنامله** (٦)

---

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، توفي سنة ٥٠٢هـ، صاحب التصانيف. انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٠/١٨، والأعلام لخير الدين الزركلي ٢٥٥/٢. وذكر هذا في كتابه المفردات في غريب القران ص٥١٧.

(٢) وقوله : ((أو كان قليلاً لقوله)) ربما ندم . في ب ، ت.

(٣) الاستعارة لغة : من قولهم : استعار المال طلبه عارية . واصطلاحاً : هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصراً، ولكنها أبلغ منه . انظر : جواهر البلاغة ٣٠٣.

(٤) الكناية لغة : ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره . واصطلاحاً : لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته. انظر : جواهر البلاغة ٣٤٦-٣٤٧، والإيضاح في علوم البلاغة ٤٥٦.

(٥) الإنتصاف للإمام أحمد بن المنيّر ، حاشية على الكشاف.

(٦) ~~لم أقف على قائله~~ وانظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ٥٦٩/٢.

وإنما يتمدّح بالإكثار من ذلك، وعبّر عنه بقد المفيدة للتقليل، ومنه: ﴿وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ﴾(١) ، فإن القصد توبيخهم على الأذى، مع توفّر علمهم برسالته ونصحه . قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السماء ﴾(٢) أي من حق اهتمامك بشأن القبلة مع كثرة تقلّب وجهك في السماء أن يكون أكثر مما وجد منك وشوهد من حالك، لأن أصل أمرك أن تستقبل قبلة آبائك، ولكونه أدعى للعرب إلى الإيمان، ولوجوب مخالفة اليهود.

قوله : ((فبالحريّ أن تسارعوا)) قيل : أن يسارعوا مبتدأ، وبالحريّ الخبر، وهو مصدر، والباء غير زائدة، أي : المسارعة ثابتة بالحريّ، وإذا حصل صفة مشبهة، فالباء زائدة، وبالحريّ مبتدأ، وأن يسارعوا الخبر، كقولك : بحسبك زيد، وقلت : جواب لو محذوب والفاء في فبالحريّ جواب لشرط محذوف، يعني : لو كانوا يودّون الإسلام مرّة واحدة لكان الواجب المسارعة إليه، وإذا كان كذلك فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه في كلّ ساعة؟ ، ويجوز أن يكون جواباً للو، لمعنى الشرطية فيها، وجاء في البقرة في قصّة المنافقين أن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق، وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر.

قوله : ((وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم)) .

قال صاحب الفرايد(٣) : [لابدّ لقوله : يودّ من مفعول، فَلَو مع ما بعده نزل منزلته، كأنه قيل : ربما يودّ الذين كفروا ما يلازم لو كانوا مسلمين، وهو الخلاص من النار ودخول الجنة، ولو قيل : لو كنّا مسلمين لكان التقدير، ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾ الإسلام قائلين: لو كنا مسلمين: لما ابتلينا بالنار وأدخلنا الجنة، فظهر من هذا أن الغيبة أولى بالذكر، لأنها أقلّ احْوجاجاً إلى التقدير،

---

(١) سورة الصف الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٤.

(٣) صاحب فرائد التفسير للمابرنبادي، توجد منه نسخة في متحف طوثبيو سراي، رقم ١٨١٩٢١.

وقلت : ولهذا قدّمه المصنف على الثاني، وقال : ولو قيل : لكان كذا لكان سديداً.

قوله : ((وقيل : تدهشهم)) جواب آخر للسؤال معطوف على قوله ((هو وارد)) ورب حينئذ للتقليل حقيقة.

قوله : ((من ارعوائهم))، النهاية[1] : [لا يرعوي : لا ينكفّ ولا ينزجر عن القبيح][2] .

قوله : ((وأن لا يلقوا)) عطف على سبيل البيان على قوله : ((لطول الأعمار واستقامة الأحوال))، أي : خلّهم يَشغَلُهم توقّعهم أن لا يلقوا في العاقبة إلا خيراً.

قوله : ((حين لا ينفعهم)) ظرف لقوله : ((معاينة)).

قوله : ((فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم)) مسبب عن قوله : ((والغرض)) أي : الغرض من إيراد قوله : ((ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)) الإعلام بأنهم من أهل الخذلان على سبيل الكناية، لا حقيقة الأمر، فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخلّيهم لذلك الغرض كما أن الأمر في قوله :

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢٣٦/٢ لابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي الشافعي، يكنى أبا السعادات، ويلقب مجد الدين، ويعرف بابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤هـ، ومات سنة ٦٠٦هـ، وكان كثير التصانيف الحسان، منها جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف. انظر ترجمته في : معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧١/١٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٨٩/٣.

(٢) وقوله : ((من ارعوائهم)) هذا تفسير قوله تعالى : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ يعني : اقطع طمعك عن ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه، والصدّ عنه بالتذكرة والنصيحة، وخلّهم ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بدنياهم وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار وسلامة الأحوال وألا يلقوا في العاقبة إلا خيراً، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ سوء صنيعهم، والغرض : الإيذان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وألا زاجر ولا واعظ إلا معاينتهم ما ينذرون به حين لا ينفع الوعظ ... الخ، فأمر رسوله بأن يخليهم، وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة، وفيه إلزام الحجة، ومبالغة في الإنذار، وإعذارهم فيهم، وفيه تنبيه على إيثار التلذذ والتنعم، وما يؤدي إليه طول الأمل، وهذه هجيّرى أكثر الناس، وليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم : التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين.

﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾(١) لطلب الكفر ظاهراً، والغرض منه التهديد والوعيد.

قوله : ((وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً)) فإن قلت: ليس في الآية أمر، فكيف قال : حتى يأمرهم ؟. قلت : قوله : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ﴾ كلمة موادعة ومتاركة، ولا يُذهب إليه إلا بعد الإياس التّام والإقناط الكلّي، كأنه قيل : (كلوا وتمتعوا) كما في قوله تعالى : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ﴾(٣)، وموقع قوله : ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ إلي قوله : ﴿ وما يستاخرون ﴾ موقع الإعتراض(٤) بين قوله : ﴿ المر تلك آيات الكتار وقرآن مبين ﴾ وبين قوله : ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ كقوله ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم. أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾(٥) فإنه تعالى لما بالغ في وصف الكتاب على ما سبق حتى بلغ القصيا(٦) في كماله، وبالغوا في التكذيب حتى بالغوه بقولة : ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ سُلّى صلوات ا لله عليه بقوله: ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ أي : هوّن على نفسك فإنك بالغت في الإرشاد والإنذار، وهم أيضاً أفرطوا في التكذيب، فهم قوم جهلة قليلوا الدراية، لو كانوا يودّون الإسلام مرة فبالحريّ أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه كلّ ساعة، وإذا كان كذلك فاقطع طمعك في ارعوائهم، ودعهم عن النهي عما هم عليه، والصّد عنه بالتذكرة، بل مُرهم بالأكل كالأنعام والتمتع فيها أيّاماً قلائل، فسوف يعلمون سوء صنيعهم . وا لله أعلم.

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم الآية ١٤.

(٣) سورة المرسلات الآية ٧٧.

(٤) الإعتراض : هو أن يأتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معنى بجملة أو أكثر معترضاً بين المعنيين أو نسق الكلام المتصل المعنى . التعريفات للجرجاني مع زيادة من غيره ٤٧.

(٥) سورة يونس الأية ١.

(٦) القصيا بالياء هي القياس، لأنها فعلى واوية اللام، فقياسها أن تبدل ياء، وإبقاؤها على الأصل نادر كما قال ابن مالك : ** وكون قصوى نادراً لا يخفى **
وهي لغة القرآن، كما قال تعالى : ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾.

قوله : ((وفيه إلزام)) أي : في قوله : ﴿ ذرهم ﴾، وقلت : في الأمر بالتمتع والاشتغال بالتّلذّذ : إدماج[١] لهذا المعنى، لأن هذا القول لا يصدر عن الرسول إلا بعد الإنذار البالغ حدّه واليأس من الإيمان، أي : أبلغت في الإنذار وألزمت الحجة عليهم، فلله الحجة البالغة.

قوله : ((وفيه تنبيه)) أي في تخصيص الأكل والتمتع بالمشتَهيات واتّلهّي بالأمل إدماج أيضاً بأن هذه الأشياء ليست من أخلاق المؤمنين[٢] ، فقوله : ((وهذه هجّيري أكثر الناس)) جملة معترضة، قال بعض المشايخ[٣] : التزين بالدنيا من أخلاق المنافقين، والتمتع بها من أخلاق الكافرين، والتمرّغ فيها من أخلاق الهالكين.

قوله : ((وإعذار فيه))، الجوهري[٤] : [أعذر أى بالغ في الإنذار، وقيل : يجوز أن تكون الهمزة للسلب.

قوله : ((وهذه هجّيري أكثر الناس)) الراغب[٥]: [الهجر : الكلام المهجور لقبحه، وهجر فلان إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد، يقال : رماه بهاجرات فمه،

---

(١) الإدماج : هو أن يتضمن كلام سيق لمعنى مدحاً كان أو غيره معنى آخر، وهو أعمّ من الاستتباع لشموله المدح وغيره، واختصاص الاستتباع بالمدح. انظر التعريفات للجرجاني ٣٠.

(٢) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الطور الآية ٤٤ : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾، وقوله في سورة إبراهيم الآية ٣٠ : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾، وقوله في سورة المعارج الآية ٤٢ : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾.

(٣) ذمّ الدنيا على الإطلاق ليس بالصواب، وإنما تذم إذا لم تسخر للآخر، وكان صاحبها عبداً لها، كما قال صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار) الحديث. أما من سخرها لآخرته فتكون محمودة، قال تعالى في سورة القصص الآية ٧٧ : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾

(٤) الجوهري : إمام اللغة أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، مصنف كتاب الصحاح، وأحق من يضرب به المثل في اللغة. انظر معجم الأدباء ٦/١٥١-١٦٥ لياقوت الحموي، وسير أعلام النبلاء ١٧/٨٠-٨٢ للحافظ الذهبي . ذكر هذا في كتابه الصحاح ٢/٧٤٠ مادة (هجر).

(٥) ذكره في كتابه المفردات ٥٧٣ مادة (هجر).

أي : بفضائح كلامه، وقولهم : فلان هيّجراه كذا، إذا أولع بذكره، وهذى به هذيان المريض المُهْجِر، ولا يكاد يستعمل الهجّيري إلا في العادة الذميمة].

قوله : ((التمرّغ في الدنيا))، الجوهري(١) : [مرّغته في التراب فتمرّغ، أي : معّكته(٢)] وفي تخصيص التّمرغ إشارة إلى دأب الحيوان.

قوله : ((أن لا يتوسط الواو))(٣) يعني : ((القياس أن لا تتوسط بين الصفة والموصوف العاطف لشدّة اتّصالها به، كما في قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾(٤) ، لكن لما افترق الحكم (بينهما)(٥) اختصت هذه بها، فإن لصوق الصفة فيما نحن فيه أشدّ من لصوقها في قوله : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ فإن إهلاك قرية من القرى لكون أجلها مقدّراً لا ينفكّ عن قضائه وقدره، بخلاف إهلاكها عن إنذار منذر، فإنه قد ينفكّ عنه، قال تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾(٦).

قوله : ((كما يقال في الحال))، يعني(٧) : هذه الواو الداخلة بين الصفة والموصوف كالواو الداخلة بين الحال وصاحبها، فكما أن معنى الحالية لا يتغيّر إذا قلت : جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب، كذلك ههنا. وأيضاً كما

---

(١) الجوهري ١٣٢٥/٤ مادة (مرغ).

(٢) معكته (فتمعك) في ت.

(٣) تفسيرقوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ يقول (ز) ﴿ ولها كتاب ﴾ جملة واقعة صفة (لقرية).

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٠٨.

(٥) الحكم (بينهما) اختصت ما بين القوسين في ت ، م.

(٦) سورة الإسراء الآية ١٧.

(٧) لفظ (يعني) س من م.

أن الواو هناك لمجرّد الربط، فكذلك هـهنا، وذلـك أن الأصـل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا تدخلها الواو لفوات المغايرة، لأن حكم الحـال مـع صاحبها حكـم الخبر مع المخبر عنه، والخبر ليس موضعاً لدخول الواو، وإنما تدخـل لمجرّد الربـط، لا سيما إذا كانت جملة إسمية فإنها أشـدّ افتقاراً إلى الربـط، فحكـم الصفـة كذلـك، ويؤيده قول أبي البقاء[1] : [وساغ دخـول الـواو، ولّما كـانت صـورة الجملـة هـهنا كصورتها إذا كانت حالاً]، وقال صـاحب التقريـب[2] : في قـول المصنـف نظـر، لأن توسيط العاطف بين الصفات معهود لا بين الصفة والموصـوف، والحـال ليـس وزانها وزان الصفة، إذ حقّها الواو، وقد تحذف، وإنما لم يجعله حالاً لتنكير ذي الحـال، وهـو (قرية)، وجاز أن يقال : عمومها يصحّح كونها ذا الحال، كما في المبتدأ، نحو ما أحـد خير منك، وهو تبع صاحب المفتاح[3] ، حيث قال : [فالوجـه عنـدي هـو أن ﴿ ولها كتاب معلـوم ﴾ حـال (لقريـة) لكونها في حكـم الموصوفـة أي قريـة مـن القـرى، لا وصف، وحمله على الوصف سهو لا خطأ، ولا عيب في السهو]، وقد أطال المـالكي[4] في شرح التسهيل في الردّ قياساً ونقلاً، وجعل مصحّح وقوع النكرة ذا الحـال كونها منفية، وقال : والمنفي صالح لأن يجعل صاحب حال بما هـو صـالح لأن يجعـل مبتدأً،

---

(1) أبو البقاء ٩٢/١.

(2) صاحب التقريب يعني به السيرافي المتوفي سنة ٧١٢هـ ، توجد نسخة من تفسيره في تركيا ، مدينة أياصوفيا رقم ٨٨.

(3) صاحب المفتاح : محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيف دمشق، من كتبه : المفتاح في شرح التلخيص . ولد سنة ٦٦٦هـ ومات سنة ٧٣٩هـ. انظر : الأعلام للزركلي ١٩٢/٦، وبغية الوعاة للسيوطي ١٥٦/١.

(4) المالكي : بدر الدين محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي الأسكندري المـالكي النحوي، المعروف بالدماميني، المولود بالإسكندرية سنة ٧٦٣هـ، المتوفي بالهند سنة ٨٣٧هـ . انظـر : الأعـلام لـلزركلي ٥٧/٦، وحسن المحاضرة للسيوطي ٢٥٨/١.

ومن أمثلة أبي علي(١) في التذكرة : ما مررت بأحد إلا قائماً إلا أخاك، فجعل الحال من أحد، لاعتماده على النفي. وسنذكر الجواب إن شاء الله في سورة الكهف.

قوله : ((وأنّث الأمّة أولاً)) يعني : في قوله : ﴿ ما تسبق ﴾ ثم ذكّرها آخراً، أي: في قوله : ﴿ وما يستأخرون ﴾.

قوله : ((المعنيين))(٢) أي : على سبيل البدل، إما الامتناع أو التحضيض، فإن قوله: لولا علي لهلك عمر، ليس فيه سوى التحضيض.

قوله : ((لوما الحياء ... البيت))(٣) ، عوري أي : خللي ونقصي، ويروى عودي أي : أصلي، والبيت يستشهد به (للوما) التي لامتناع الشيء لوجود غيره.

قوله : ((وقرأ ﴿ تَنزل ﴾))(٤) كلهم إلا عاصماً وحمزة(٥) والكسائي(٦) ، وتنزل أبوبكر(٧) ، وننزل حفص(٨) وحمزة والكسائي.

---

(١) أبو علي الفارسي : إمام النحو، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، صاحب التصانيف، من مشايخة الزجاج، وأبو بكر السراج، ومن تلاميذه ابن جني، وعلي بن عيسى الربعي، وكان فيه اعتزال، ومصنفاته كثيرة، مات ببغداد في ربيع الأول سنة ٣٩٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٧٩/١٦، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ٢٣٢.

(٢) قوله : (المعنيين) يشير (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ﴾ الآية ٧، قال : (لو) ركبت مع (لا) و (ما) ((للمعنيين)) معنى امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى التحضيض، وأما (هل) فلم تركب إلا مع لا، وحدها للتحضيض. قال ابن مقبل : لوما الحياء ... البيت.

(٣) البيت لابن مقبل، وتمامه :

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ** ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

انظر الانتصاف على شواهد الكشاف ٥٧١/٢.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف (ما نُنَزِّلُ) بالنون والتشديد، (الملائكةَ) بالنصب، وقرأ عاصم في رواية ابي بكر (ما تُنَزَّلُ) بضم التاء وفتح الزاي (الملائكةُ) بالرفع، وقرأ الباقون (تَنَزَّلُ) بفتح التاء (الملائكة) بالرفع، انظر المبسوط في القرآات العشر لابن مهران ص٢٢٠، وحجة القرآات لابن زنجلة ٣٨١.

قوله : ((وقيل : الحق : الوحي أو العذاب))(١) عطف على قوله : ((بالحكمة والمصلحة)).

قوله : ((لأنه جواب لهم، وجزاء الشرط مقدر)) أما كونه جواباً لهم فظاهر، وأما كونه جزاء لشرط مقدر، فإنهم لمّا قالوا : هلاّ تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك؟ أجيبوا بما ينبئ عن قولنا ((إن جاءتكم الملائكة وشهدوا بصدقي فلم تؤمنوا ((ما

---

(٥) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠، ومات ١٥٦، انظر معرفة القراء الكبار ١/١١١، وسير أعلام النبلاء ٧/٩٠.

(٦) الكسائي : علي بن حمزة الإمام أبو الحسن الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، ولد سنة ١٢٠هـ ومات سنة ١٨١هـ، وقيل : غير ذلك، انظر معرفة القراء للذهبي ١/١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٩/١٣١.

(٧) أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الإمام، أحد الأعلام، مولى واصل الأحدب، واختلف في اسمه على عشرة أقوال، أصحها كنيته، قرأ القرآن على عاصم ثلاث مرات، ولما حضرته الوفاة بكت أمه، فقال لها: مايبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية قد ختمت فيها ثماني عشرة ألف ختمة. مات سنة ١٧٣هـ، انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١/١٣٤، وسير أعلام النبلاء ٨/٤٣٥.

(٨) حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزّار، ولد سنة ٩٠هـ ومات سنة ١٩٠هـ، أعلم أصحاب عاصم بقراءته، أقرأ ببغداد، ومكة، والكوفة، قال يحي بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان. وروايته متروكة في الحديث، انظر تقريب التهذيب ٧٧، وحجة القراء لابن زنجلة ٥٩.

(١) قوله : ((وقيل الحق الوحي او العذاب)) يعني (ز) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ﴾ الأية ٨ من سورة الحجر. قوله : ﴿ إلا بالحق ﴾ إلا تنزّلا متلبّسا بالحكمة والمصلحة، ولا حكمة في أن تأتيكم الملائكة عياناً تشاهدونهم، ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم حينئذ مصدقون عن اضطرار، ومثله قوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ وقيل : ((الحق الوحي أو العذاب)) (إذاً) جواب وجزاء ((لأنه جواب لهم)) وجزاء لشرط مقدر، تقديره ((لونزّلنا الملائكة ما كانوا منظرين، وما أخّرعذابهم)).

أخّر عذابكم)) كما قدّر الزجاج[1] معنى قوله ((إذن أكرمك، جواباً لمن قال : أنا آتيك إن كان الأمر كما ذكرت فإني أكرمك، أو إن جاءتكم ملائكة العذاب ((ما أُخّرتم)) فقوله : ((ولو نزلنا الملائكة ما كنا منتظرين وما أخر عذابهم)) يحمل على الوجهين المذكورين لكون قوله تعالى : ﴿ ما تنزل الملائكة ﴾ الآية جواباً عن قولهم : ﴿ لوما تأتينا بالملائكة ﴾ الآية، فسّره فيما سبق بالوجهين.

قوله : ((على القطع))[2] حال من الضمير في فأكّد، أو مفعول مطلق من المنزل، أي إنزالاً علىالقطع، وإفادة القطع من تصدر الجملة (بأن) وتوكيده (بنحن) والتعظيم بضمير الجمع.

قوله : ((بعث به جبريل)) أي : بعث بالقرآن جبريل، فالباء بمعنى مع، ويجوز أن تكون سببية.

قوله : ((قد جعل ذلك دليلا توجيه الجواب أن الكفرة حين قالوا مستهزئين : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ بمعنى يا أيها المفتري إن الله لم ينزل عليك الذكر، وهذا الذي تزعمه أنه من عند الله ليس منه، بل هو من الجنّ، وإنك لمجنون، ردّ عليهم بقوله : ﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، يعني : ان الله تعالى هو المنزّل على القطع والبتّ، وأنه هو الذي بعث جبريل إلى محمد صلوات الله عليهما، وبين يديه ومن خلفه رَصَدٌ من الملائكة حتى نزل وبلّغ محفوظاً من الشياطين والجن، فما كان من الله ومحفوظاً من الجن، كيف يكون من الجن؟

---

(١) الزجاج الإمام النحوي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرّى الزجاج البغدادي، مؤلف كتاب معاني القرآن، وله تآليف جمّة، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي، مات سنة ٣١١هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٣٦٠، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١/١٣٠.

(٢) قول (ز) : ((على القطع)) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الآية ٩ من سورة الحجر، ردّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر ﴾ ولذلك قال : ﴿ إنا نحن﴾ ، فأكدّ عليهم أنه هو المنزل ((على القطع والبتّ)).

قوله : ((منزل من عند الله آية آية)) حال من ضمير منزل، أي دلالة وعلامة على كونه معجزة، يعني قوله: ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ كالدليل لإثبات المدعى بأنه تعالى لما ردّ بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾ قولهم : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ بمعنى أن المنزّل ليس من قبل الجن كما تزعمون، بل من قبل المليك المعظم شأنه، القاهر سلطانه، عقّبه بقوله ليكون دليلاً على ذلك المدعى، وإليه الإشارة بقوله : ((لو كان من عند البشر أو يكون غير آية معجزة لتطرّق عليه الزيادة والنقصان)). وقال الإمام(١) : [إن الله حفظه بأن جعله معجزاً مبايناً لكلام البشر، لأنه يعجز الخلق عن الزيادة والنقصان فيه، لأنهم لو راموا ذلك لتغير نظمه، وظهر للخلق أنه من كلام البشر، وليس من خالق القوى والقدر].

قوله : ((الشيعة(٢) : الفرقة إذا اتفقوا على مذهب))، الراغب(٣) : [الشياع الانتشار والتقوية، تقول : شاع الحديث إذا كثر وانتشر، وشاع القوم انتشروا وكثروا، وشيعْت النار قوّيتها، والشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه].

قوله : ((أرسلناه فيهم : نبّأناه فيهم وجعلناه رسولاً فيما بينهم)) يعني : أن أرسلنا استعمل بفي، والأصل أرسلنا إليهم للإعلام بمزيد التمكن فيهم، فدلّ قوله : (نبّأناه فيهم) على معنى أعطيناه المعجزة، وقوله : ((جعلناه رسولاً فيما بينهم)) على معنى صيّرناه صاحب كتاب وشريعة لأن النبي كما تقرر صاحب المعجزة، والرسول صاحب الكتاب(٤) ، فالآيات تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من استهزاء القوم.

---

(١) ذكره في كتابه التفسير الكبير ١٩/١٦٠.

(٢) تفسير قوله : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ الآية ١٠ من سورة الحجر. يقول (ز) : ﴿في شيع الأولين﴾ في فرقهم وطوائفهم، ((والشيعة : الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة)).

(٣) الراغب في مفردات القرآن ص ٢٧٠.

(٤) الصحيح أنه ما من نبي ولا رسول إلا كان صاحب معجزة، للحديث الصحيح : (ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) البخاري مع الفتح ٩/٣ كتاب فضائل القرآن، باب الوحي . ومسلم كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم.

قوله : ((ونحوه نسلك ا لذكر))[١] يريد أن المشار إليـه بقولـه : ((ذلـك)) في ((كذلك)) خلاصة معنى قوله : ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴾، ووجه التشبيه : التكذيب والاستهزاء، يعني ((مثل ذلك السلك)) مكذّبـاً مسـتهزءاً به نسلكه في قلب من هو مجرم مكذّب مستهزئ، فقوله : (مكذّبا بـه مستهزءاً) حـال مقدرة، لأن الذكر ما كان مكذّبا حال إلقائه في قلوبهم، بـل بعـده بزمـان، والـلام في ﴿المجرمين﴾ للجنس، بدليل قوله : ((كذلك أنزلها باللئام))، قـال في الإنتصـاف[٢]: [المـراد إقامـة الحجـة على المكذبـين بـأن ا لله سـلك القـرآن في قلوبهـم وأدخلـه في سُوَيدَاوَاتِها، كما سلكه في قلوب المؤمنين، فكذب به هؤلاء، وصدّق به هـؤلاء، كـلٌ على علم وفهم ﴿ ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيّ عن بينه ﴾[٣] ولتقع الحجّة على الكفار بعلمهم بوجه الإعجاز، كما فهمها المؤمنون، ولذلك عقبه بقوله : ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ... الآية ﴾ أي : لو أظهر لهم أيَّ دليل ظهر مـن إعجـاز أو صعود إلى السماء، وفي قوله ﴿فظلّوا﴾ التي لا تكون إلا في النهار إشـعار بوضـوح ذلك، وقال القاضي[٤] : [الضمـير في قولـه : ﴿كذلـك نسـلكه ﴾ للاستهزاء، وفيـه دليل على أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهـم، وقيـل : للذكـر فـإن الضمـير الآخـر في قوله : ﴿لايؤمنون به﴾ وهو حال من هذا الضمير، والمعنى مثل ذلك السلك نسـلك الذكر في قلوب المجرمين، مكّذباً غير مؤمن بـه، أو بيـان للجملـة المتضمنـة لـه، وهـذا الاحتجاج ضعيف، إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في الرجوع إليه، ولا يتعـين

---

(١) تفسير قوله : ﴿ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به وقد خلت سـنة الأولـين ﴾ الآيـة ١٢ و ١٣ من سورة الحجر. قال (ز) : ((أي مثل ذلك السلك))(ونحـوه نسـلك الذكـر في (قلـوب المجرمـين) على معنى أنه يلقيه في قلوبهم، مكذّباً مُسْتهزءاً به، غير مقبول كما لو أُنزلت بلئيم حاجـة، فلـم يجبـك إليهـا، فقلتَ: ((كذلك أنزلها باللئام)) تعني مثل هذا الإنزال أزلها بهم مردودة غير مقضية.

(٢) ٥٧٣/٢ حاشية الزمخشري.

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٢.

(٤) القاضي البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦٦/٣.

أن تكون الجملة حالاً من الضمير لجواز أن تكـون حـالاً مـن ﴿المجرمـين﴾، ولا ينـافي كونها مفسرة للمعنى الأول].

قولـه : ((طريقتهـم الـتي سـنّها ا لله في إهلاكهـم))[1] روى الإمـام[2] عـن الزجاج[3] أنه قال : [قـد خلـت سـنة ا لله في الأولـين أن يسـلك الكفـر والضـلال في قلوبهم]. وقـال الإمـام[4] : [هـذا أليـق بظاهر اللفـظ مـن ذلـك]، وقلـت : بيانـه أن التعريف في ﴿المجرمين﴾ للعهد، والمراد به المكذبون من قوم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، لأنهم المذكورون بعد قوله : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين. وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴾ أي : مثل ذلك السلك الذي سـلكناه في قلوب أولئك المستهزئين المكذبين للرسل الماضية، نسلكه في قلـوب هـؤلاء المكذبـين، ثم قرّر ذلك وبيّنه بقوله : ﴿لا يؤمنون﴾، وذيّله بقوله : ﴿وقد خلت سنة الأولـين﴾، والمقام يقتضي التقرير والتأكيد، لأنه تعالى لما وصـف الكتـاب بقولـه : ﴿تلـك آيـات الكتاب وقرآن مبين﴾ وبالغ في بيان كماله وإعجازه الدرجة القصيا، ثم حكى عنهـم أنهم طعنوا فيه واستهزءوا بمن نزل عليه بقوله : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكـر إنـك لمجنون﴾، وما عدّوه من المعجزة حيث قـالوا : ﴿ لومـا تأينـا بالملائكـة إن كـانت مـن الصادقين ﴾ وسلاّه بقولـه : ﴿ إنـا نحـن نزلنـا الذكـر وإنـا لـه لحـافظون ﴾، وقولـه : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾، قال كذلك نسلكه في قلوب (هؤلاء)[5] المجرمين، فلك أسوة بالرسل الماضية مـع أممهـم المكذّبـة، ولسـت بـأوحَدِيّ فيـه، وقـد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ﴾ الأية ١٣. قـال (ز) : ((طريقتهـم التي سنها ا لله في إهلاكهم)) حين كذبوا برسلهم، وبالذكر المنزل عليهم، وهو وعيد.

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٦٦/١٩.

(٣) الزجاج ١٧٤/٣

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٦٦/١٩

(٥) ما بين القوسين س من م.

خلت سنة الأولين، فيكون على هذا مزيد تسلية للرسول صلى ا لله عليه وسلم، والوعيد(١) بعيد لأنه لم يسبق لإهلاك الأمم ذكر، وإنما آثر المصنف ذكر الوجه، لأنه أقرب إلى مذهبه.

قوله : ((يعرجون))(٢) بالضم السبعة ، وبالكسر شاذ(٣) ، ﴿وسكرت﴾(٤) بالتخفيف ابن كثير(٥) .

قوله : ((من السكر أو السكر فيه)) فسّر الجوهري(٦) : [السكران خلاف الصاحي، وقد سَكِر يَسْكَر سَكَراً، والاسم السُّكْرُ بالضم، والسِّكر بالكسر : العزم، والسكر مصدر سَكرت النهر أسكره سكرا إذا سددته]، قيل : إن جعل من السُّكر بالضم فالتثقيل للتعدية، وإن جعل من السكر

---

(١) فالزمخشري، قال : إنه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم، والطيبي استبعد ذلك كما ترى، وقال : إنه أقرب لمذهبه الإعتزالي، ولم يتضح لي الاعتزال في هذه المسألة.

(٢) تفسير قوله تعالي : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ الآيتان ١٤،١٥ من سورة الحجر.

(٣) قرأ ﴿يَعْرِجون﴾ بكسر الراء شذوذاً، ابن أبي الزناد، والأعمش، وعيسى، وأبو حيوة. انظر شواذ القرآن ص٧٠، والبحر المحيط ٤٤٨/٥ وهي لغة هذيل.

(٤) ﴿ سُكِرَت ﴾ بالتخفيف ابن كثير، والباقون ﴿سُكِّرَت﴾ بالتشديد. انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٣٦٦، والمبسوط في القراآت العشر لابن مهران أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة ٣٨١، ص٢٢٠.

(٥) ابن كثير عبد ا لله أبو معبد العطار، الداري، الفارسي الأصل، إمام اهل مكة في القراءة، ولد سنة ٤٥هـ، ومات ١٢٠هـ، روى عن عدد من الصحابة، منهم عبد ا لله بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وهو قارئ مكة، أخذ عن مجاهد بن جبر، وعبد ا لله بن السائب، وغيرهم، انظر حجة القراآت لابن زنجلة ٥٢، والمبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٩.

(٦) الجوهري في الصحاح ٦٨٧/٢ مادة (سكر).

فالتثقيل للإسناد إلى الجماعة، وقال ابن جني[1] : [كما أن السكر يعترض على الماء ويسدّ عليه مذهبه، كذلك حال السكران في وقوف فكره، والاعتراض عليه بما ينقصه ويحيّره، فلا يجد مذهباً، وينكفي مضطرباً]، الراغب[2] : [السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعتري من الغضب والعشق، ولذلك قال الشاعر :

** ....سُكْرانِ ** سُكْرُ هَوَى وسُكْرُ مُدَامَةٍ**[3]

ومنه سكرات الموت ، والسكر حبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السّد بين المرء وعقله، والسكر الموضع المسدود، وليلة ساكرة أي : ساكنة، اعتباراً بالسكون العارض من السكر] . قوله : وقال : ((إنما ليدلّ على أنهم يبتّون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار))، قال الإمام[4] : [إنما للحصر، والحصر ههنا في الأبصار لا في التسكير، فكأنهم قالوا : ما سكرت إلا أبصارنا لا عقولنا، فنحن وإن نتخايل في أبصارنا هذه الأشياء، لكن نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه،ثم أضربوا عن الحصر في الأبصار، وقالوا: بل جاوز ذلك عقولنا بسحره.

---

(١) ابن جني عثمان بن جني الأزدي بالولاء، إذ كان أبوه جني مملوكاً رومياً يونانياً لسليمان بن فهد الأزدي، صاحب الموصل، و(جني) بإسكان الياء وليس منسوباً، معرب كنّى، ومعناه بالعربية فاضل كريم نبيل، وكنيته أبو الفتح، كان مولده سنة ٣٢٢هـ مع اختلاف في ذلك. انظر المحتسب لابن جني ٥/١، والكامل لابن الأثير حوداث سنة ٤١١.

ذكره في كتابه المحتسب ٣/٢.

(٢) الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦ مادة (سكر).

(٣) البيت للخليع الدمشقي في أبيات له في يتيمة الدهر ٣٣٣/١، وعجز البيت :

** أنّي يفيق فتى به سُكران ** سكر هوى وسكر مدامة **

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٦٧/١٩. ذكره ضمناً.

قوله : ((من استرق)(١) في محل نصب على الاستثناء))، قال أبو البقاء(٢) : [هو استثناء منقطع، ويجوز أن يكون مجروراً على البدل، أي : إلا من استرق، والمبدل ﴿لكل شيطان رجيم﴾، والتقدير : لا يدخلها شيطان إلا من استرق لدلالة ﴿حفظنا﴾ عليه، وقيل : فيه نظر، لأنه في كلام موجب(٣) ، وأجيب أن قوله ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ في معنى النفي، كقوله تعالى : ﴿ فشربوا منه إلا قليل منهم ﴾(٤)

قوله : ((أو على محلّ لكم))(٥) وهو النصب لأنه مفعول به، كأنه قيل : جعلنا لكم معائش ولمن لستم(٦)، قال صاحب التقريب : وفيه نظر إذا العطف على محل

---

(١) تفسير قوله تعالى :﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم . إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ الآيتان ١٦، ١٧ من سورة الحجر، يقول (ز) : ﴿من استرق السمع﴾ (في محل نصب على الإستثناء).

(٢) قال أبو البقاء : ﴿ إلا من استرق السمع ﴾ في موضعه ثلاثة أوجه، : نصب على الاستثناء المنقطع، الثاني : جرّ على البدل، إي : إلا من استرق، والثالث : رفع على الإبتداء . ٧٢/٢-٧٣.

(٣) قاله ابن الأنباري، أبو البركات في كتابه البيان في غريب إعراب القران، قال : (من) في موضع نصب على الاستثناء، ولا يجوز أن تكون بدلا من ﴿كل شيطان لأنه استثناء موجب . ٦٦/٢.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ الآية ٢٠ من سورة الحجر، قال (ز) : ﴿ومن لستم له برازقين﴾ عطف على ﴿معايش﴾ ((أو على محلّ (لكم) كأنه قيل : (وجعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا من لستم له برازقين، أو وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين.

(٦) قال ابن الأنباري ٦٦/٢ : يجوز في إعراب ﴿من﴾ من قوله : ﴿ومن لستم له برازقين﴾ النصب بالعطف على قوله ﴿ معايش ﴾، أي : جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد. والثاني : أنه منصوب بتقدير فعل، وتقديره (جعلنا لكم فيها معايش) وأعشنا (من لستم له برازقين) فأضمر (أعشنا) لدلالة الكلام عليه . والثالث: أن يكون منصوباً بالعطف على موضع (لكم) وموضعه النصب (بجعلنا)، ولا يجوز فيه الجرّ بالعطف على الكاف والميم في (لكم) لأنه ضمير المجرور، والضمير المجرور لا يجوز العطف عليه إلا بإعادة الجار، وقد أجازه الكوفيون.

(لكم) لا يقتضي إعادة اللام، بل كون ﴿من لستم﴾ منصوباً، فلعله على تقدير الجار تصحيحاً للمعنى، ثم نزعه، وقال صاحب التخمير(١) : [قول النحويين المفعول هو المجرور مع الجار سهو، ألا ترى أن الباء في خرجت بزيد، بمنزلة الهمزة، وتثقيل الحشو في أخرجت وخرجت، فكما أنهما ليسا جزءاً من المفعول(٢) كذلك ههنا، ولأن هذا الفعل المتعدي بحرف الجرّ، يجعل مبنياً للمفعول، ولو لم يكن الجار جزءاً من الفعل لما جاز بناؤه للمفعول لأن الفعل اللازم لا يجعل مبنياً للمفعول، ولأن الجار ههنا قد يعدى به الفعل، فصار معه بمنزلة الفعل المتعدي، وشيء من الفعل المتعدي لا يكون جزءاً من المفعول].

قوله : ((ويخطون)) جملة معترضة، أو حال بحذف المبتدإ.

قوله : ((فضرب الخزائن مثلاً لا قتداره على كل مقدور))(٣) يعني : أن أصل الكلام ما من شيء تنتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه فشبّه اقتداره على كل شيء، وإيجاده بالخزائن المودعة فيها الأشياء المهيأة المعدّة، ليؤذن أن مقدوره كأنه حاصل موجود فهو أقوى مما لو قيل : نحن قادرون على إيجاده وتكوينه، فيكون موقع قوله : ﴿وإن من شيء﴾ الآية كالتذييل(٤) للكلام السابق، إذا فسر قوله: ﴿موزون﴾ بأن كل شيء وُزن بميزان الحكمة، وقدّر بمقدار يقتضيه. وكالتكميل إذا فسّر بغير ذلك، قال القاضي(٥) : [وقد أكّد الآية الاستدلال بجعل

---

(١) صاحب التخمير : هو صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي، وكتابه التخمير شرح المفصل في صناعة الإعراب . طبع في دار الغرب، أربع مجلدات. ٣/٦٩٦

(٢) المفعول (وإنما هو جزء من الفعل) كذلك ما بين القوسين في ت ، م .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ الآية ٢١ من سورة الحجر، قال (ز) : ذكر الخزائن تمثيل، والمعنى : وما من شيء ... الخ.

(٤) التذييل : هو جعل شيء عُقيب شيء لمناسبة بينهما من غير احتياج، ومثله التذنيب . التعريفات ٧٧.

(٥) القاضي البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل ١٦٧/٣.

الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خِلقة وطبيعة، مع جواز أن لا يكون كذلك، على كمال قدرته وتناهي حكمته، والتّفرد في ألوهيته، والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك] ثم ضرب الخزائن مثلاً لاقتداره.

قوله : ((إن الريح لا قح إذا جاءت بخير))(١) ، الجوهري(٢) : [الأصل فيه ملقحة، ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لا قح، كأن الرياح لقحت بخير، فإذا أنشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك إليه]، وقال ابن جني : قالوا : ألقحت الريح السحاب وهي لاقح، هذا على حذف همزة أفعل، وإنما قياسه ملقح، كأنه خرج بحذف الزيادة تقديراً، وإن لم يخرج إلى اللفظ استعمالاً، كما قالوا : أبقل المكان فهو باقل، وقال أيضاً : [هو من باب الاكتفاء بذكر السبب عن المسبب، فإنها إذا لقحت ألقحت غيرها] . وقلت : لا يبعد أن يكون مجازاً باعتبار ما كان، فيكون الريح أولا لاقحة ثم تصير ملقحة، فقيل : لا قحة وأريد ملقحة، كقوله : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾(٣) . قال أبو البقاء(٤) : [لقحت الريح إذا حملت الماء، ألقحت الريح السحاب إذا حملتها الماء، كما تقول : ألقح الأنثى فلقحت، وانتصابه على الحال المقدرة].

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءاً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ الآية ٢٢ من سورة الحجر، قال (ز) : لواقح فيه قولان : أحدهما ((أن الريح لاقح إذا جاءت بخير)) من إنشاء سحاب ماطر، كما قيل : للتي لا تأتي بخير : ريح عقيم. والثاني : أن اللواقح بمعنى الملاقح . ثم قال :

** ومُختبط مما تُطيح الطوائح **

(٢) الجوهري في صحاحه ٤٠١/١ مادة (لقح).

(٣) سورة النساء الآية ٢، يعني : باعتبار ما كان من اليتم.

(٤) قاله أبو البقاء في كتابه / إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراآت ، ٧٣/٢.

قوله : ((إن اللواقح بمعنى الملاقح))، الجوهري[1] : [الملاقح الفحول الواحد ملقح، والملاقح أيضاً الإناث في بطونها أولادها الواحدة مُلقَحة، بفتح القاف]، وقال أبو البقاء[2] : [أصلها ملاقح، لأنه يقال : ألقح الريح السحاب، كما يقال : ألقح الفحل الأنثى، أي : أحبلها، وحذفت الميم لظهور المعنى، ومثله الطوائح، الأصل المطاوح، لأنه من أطاح الشيء]، الجوهري[3] : [طاح يطوح ويطيح : هلك وسقط] وطوّحه : حيّره وذهب به ههنا وههنا، وطوّحته الطوائح : قذفته القواذف.

قوله : ((ومُختَبطٌ مما تطيح الطوائح، صدره : القائل الحارث[4] النهشلي

** ليبك يزيد ضارع لخصومه **

يرثي أخاه يزيد ليبك بُنى مجهولاً، كأنه قيل من يبكيه، فقال: ضارع، أي : ليبكه ضارع.

قوله : ((نفي عنهم [5] ما أثبته لنفسه في قوله : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾)) هذا يؤذن أن قوله : ﴿ وأرسلنا الريح لواقح ﴾ عطف على قوله : ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ عطف جبريل وميكائيل على ملائكته.

---

(1) الجوهري في صحاحه ٤٠١/١ مادة (لقح).

(2) أبو البقاء في كتابه إملاء ما منّ به الرحمن ٧٣/٢.

(3) الجوهري في صحاحه ٣٨٩/١.

(4) الحارث بن نهيك النهشلي، قاله : القيسيّ في إيضاح شواهد الإيضاح ١٦، انظر معجم شواهد النحو الشعرية ٣٢٢، وذكر خلافاً كثيراً في قائل البيت، فقيل إنه لضرار بن نهشل، يرثي أخاه يزيد بن نهشل، كما في الحاشية لمحمد بن عليان المرزوقي.

(5) قوله : ﴿ وما أنتم له بخازنين ﴾ . قال (ز) : ((نفى عنهم ...)) الخ يعني : من عطف البعض على الكل)).

قوله : ((واجعله الوارث منا))[1] عن الترمذي عن ابن عمر أنه قال :(ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلسه حتى يدعو بهذه الدعوات لأصحابه) : اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا ... الحديث[2] مختصر، وله ابتداء وانتهاء، النهاية[3] : [أراد بقاءها وقوتها عند الكبر وانحلال القوى النفسانية، فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقين بعدها، والهاء في واجعله للإمتاع، ولذلك وحده].

قوله : ((من الأولين والآخرين))[4] بيان على النشر، أي : لقد علمنا من استقدم منكم ولادةً وموتاً ومن تأخر منكم ولادةً وموتاً.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون . ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين . وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ﴾.

(٢) أخرجه الترمذي ٤٩٣/٥ كتاب الدعوات، باب ٨٠ رقم الحديث ٣٥٠٢، ثم قال : هذا حديث حسن غريب . والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣١٠ باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه رقم الحديث ٤٠١ . والحاكم في المستدرك، وأقره الذهبي ٥٢٨/١ . وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٤٤٨.

وأول الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) هذا لفظ الترمذي.

(٣) النهاية ١٧٢/٥ مادة (ورث).

(٤) قوله تعالى : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين ﴾ قال (ز) : (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر ((من الأولين والآخرين)) أو من خرج من أصلاب الرجال.

قوله : ((وروى أن امرأة حسناء ... الحديث))[1] رواه الإمام أحمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه والنسائي عن ابن عباس.

قوله : ((أي : هو وحده القادر على حشرهم، والعالم بحصرهم، مع إفراط كثرتهم)) فيه إشعار بأنه اختار الوجه الأول في تفسير قوله : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ﴾ لأن الكثرة التي تفوت الحصر ولا يحصيها إلا الله، إنما يحسن إذا قلنا : المراد من قوله : ولقد علمنا المستقدمين ... الآية ﴾ مَن استقدم ولادةً وموتاً ومن تأخر من الأولين والآخرين، ويؤيّده السياق، وهو قوله : ﴿ وإنا لنحن نحي ونميت ﴾، والسياق، وهو قوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال ﴾ ودلّ على الحصر توسيط ضمير الفصل بين اسم إن وخبرها[2] .

قوله : ((إذا توهمت في صوته مدّا فهو صليل))[3] لما في صليل من حرف مدّ، ((وإن توهمت فيه ترجيعاً، أي : ترديداً فهو صلصلة، لما في الصلصلة من ترديد وتكرير)) رعاية لوجه المناسبة بين الإسم والمسمى.

---

(١) وهو، أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها، وتأخر بعض ليبصرها، فنزلت.

أخرجه الترمذي ٢٧٦/٥ رقم ٣١٢٢ كتاب التفسير، باب ١٦ ومن سورة الحجر ، والنسائي ١٠١/١ كتاب الصلاة ، باب المنفرد خلف الصف. وابن ماجه ٣٣٢/١ كتاب الصلاة، باب الخشوع في الصلاة برقم ١٠٤٦ . وابن حبان برقم ١٧٤٩.

والمستدرك كتاب التفسير ٣٥٣/٢، قال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: رورى عن أبي الجوزاء مرسلاً بدون ذكر ابن عباس، وهو أشبه ٢٧٦/٥ . والمسند ٣٠٥/١ رقم ٢٧٨٤. والواحدي في أسباب النزول ٣١٨ -٣١٩

ورواه ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ ، وقال : هذا حديث فيه نكارة شديدة . وقال عبد الرزاق : إنه من كلام ابن الجوزاء فقط، وليس فيه لابن عباس ذكر

(٢) هذا بناء على أن الحديث لم يثبت.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ الآية ٢٦-٢٧، يقول (ز) : الصلصال الطين اليابس، الذي يصلصل وهو غير مطبوخ،

قوله : ((المصوّر من سنة الوجه))[1] ، الجوهري[2] : [سنة الوجه : صورته، قال ذو الرمة :

**تريك سُنّة وجْهِ غير مُقرِفَةٍ **[3] مَلْساء ليس بها خالٌ ولا نَدَب **

والمسنون : المصور.

قوله : ((وحق مسنون بمعنى مصوّر)) أي : يكون صفة لصلصال، لأن الحمأ هو الطين، والطين هو الذي يقبل الصورة فيفرغ الحمأ ليصور منها التمثال ثم ييبس، فيصير صلصالاً مصورا كأنه قيل من حمإٍ، ويعلم منه ان المسنون إذا كان بمعنى المنصوب، حقه أن يكون صفة لحمإ، لأن الحمأ هو المفرغ المنصوب لا الصلصال. قال أبو البقاء[4] : [من حمإ في موضع جرّ صفة لصلصال] أي صلصال كائن من حمإ، ويجوز أن يكون بدلاً من صلصال بإعادة الجار].

قوله : ((من نار السموم)) من نار الحرّ الشديد النافذ في المسامّ))، قال القاضي[5] : [في قوله تعالى : ﴿ والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ لا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجرّدة فضلاً عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري، فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها

وإذا طبخ فهو فخّار، قالوا : ((إذا توهمت في صوته مدًا فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة)). وقيل : هو تضعيف (صل) إذا أنتن

(1) قوله تعالى : ﴿ من حمإ مسنون ﴾ قال (ز) : والحمأ الطين الأسود المتغير (والمسنون) ((المصور من سنة الوجه))

(2) الجوهرين في صحاحه ٢١٣٩/٥ مادة (سنن).

وقوله تعالى ﴿من حمإ ﴾ قال (ز) : هنة لصلصال، أي خلقه من صلصلال كائن من حمآ ((وحق (مسنون) بمعنى مصور)).

(3) اللسان ٢٨١/٩ مقرف غير حسن، والبيت في ديوانه ص ٤ . ومقرفة أي : غير هجينة عفيفة كريمة.

(4) أبو البقاء العكبري في كتابه الإملاء ٧٣/٢.

(5) القاضي البيضاوي في تفسيره الأنوار ١٦٨/٣.

الجزء الأرضي] وقوله : ((من نار باعتبار الغالب كقوله : ﴿ خلقكم من تراب ﴾(١)))

قوله : ((ما يحي به فيه))(٢) المستتر في يحي والمجرور في (فيه) للبشر وفي (به) لما أي : معنى نفخ الروح، تحصيل شيء في قالب البشر يحي بذلك الشيء البشر. قال القاضي (٣) : [﴿ونفخت فيه من روحي﴾ ومعناه جَرْيُ آثاره في تجاويف أعضائه فحي، وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث في القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلّقه بالبدن نفخاً وإضافة الروح إلى نفسه] للتشريف كقوله : ﴿ ناقة الله ﴾(٤) و﴿ بيت الله ﴾ . وقال الواحدي(٥) : [النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم رقيق يحي به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح، كأنه قد نفخ الروح فيه]، وقلت : رجع أقوالهم إلى أن قوله : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ على منوال قوله تعالى : ﴿ كن فيكون ﴾(٦) في أن لا قول، ثَمّ بل هو تصوير إيجاد الشيء وتحصيله من غير امتناع

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ الآية ٢٨-٢٩ من سورة الحجر . قال (ز) : ومعنى ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وأحييته.

(٣) القاضي البيضاوي في تفسير الأنوار ١٦٩/٣.

(٤) سورة الشمس الآية ١٣.

(٥) الواحدي ٤٥/٣ تفسير أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى ٤٦٨هـ.

(٦) سورة النمل الآية ٤٠. ولا داعي لهذه الجراءة، فالله أعلم بالكيفية التي حصلت في النفخ.

قوله : ((وقيل : معناه ولكن إبليس أبى))[1] أي : عطف على قوله : ((واستثنى إبليس من الملائكة))، وأبى حينئذ خبر لكن، وعلى الأول جملة مستأنفة كالتعليل عن امتناعه عن السجود.

قوله : ((لأن اللعن هو الطرد))[2] يريد أن الرجيم كناية تلويحية عن كونه ملعوناً لأن الرجيم هو المطرود، لأن من طرد يرجم، والمطرود هو الملعون، لأن من لعن طرد.

قوله : ((في معنى واحد))[3] أي : عبرت بها عن معنى انتهاء المدة.

قوله : ((وقيل : إنما سأل الإنظار)) هذا وجه آخر، وفيه بيان اختلاف العبارات، فإن قوله : ((لئلا يموت)) يدّل على أن ضرب هذه المدة إلى عند الحشر، وقوله ((إلى آخر أيام التكليف)) يدل على أن المدة قبل الحشر، وقوله أولاً ((إلى يوم الدين من غير أن يعذب)) يدل على أن المدة عند الحساب والجزاء، وهو بعد الحشر.

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ الآية ٣١ من سورة الحجر. قال (ز) : و﴿أبى﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول : هلا سجد؟ فقيل : أبى ذلك واستكبر عنه، ((وقيل معناه : ولكن إبليس أبى)).

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم ﴾ الآية ٢٤ من سورة الحجر. قال (ز) في قوله ﴿رجيم﴾ شيطان من الذين يرجمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله، لأن من يطرد يرجم بالحجارة، ومعناه ملعون، ((لأن اللعن هو الطرد)) من الرحمة والإبعاد عنها.

(3) تفسير قوله : ﴿ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ الآية ٢٥ من سورة الحجر. قال (ز) : و﴿يوم الدين﴾ و﴿يوم يبعثون﴾ و﴿يوم الوقت المعلوم﴾ ((في معنى واحد)) ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة ((وقيل :((إنما سأل الانتظار)) إلى اليوم الذي فيه يبعثون ((لئلا يموت)) لأنه لا يموت يوم البعث أحدٌ، فلم يجب إلى ذلك وانظر ((إلى آخر أيام التكليف)).

قوله :((بريءٌ من غيّه ومن إرادته والرضا به))[1] . قوله : ((من إرادته)) مذهبه[2] ، والرضا به مذهب أهل السنة.

قوله : ((وقد فرق الفقهاء بينهما))[3] أي : بين الإقسام بصفة الله تعالى، وبين الإقسام بفعله، فقوله : ((﴿بعزتك﴾ إقسام بالصفة، و﴿بما أغويتني﴾ إقسام بالفعل)) . وفي شرح الوافي : [قال العراقيون : الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين[4] ، وبصفات الفعل كالرحمة والسخط والغضب والرضا ليس بيمين[5] ، وصفة الذات ما لا يجوز أن يوصف بضده، وصفة الفعل ما يجوز أن يوصف بضدّه، فإنه تعالى يرضى بالإيمان، ولا يرضى بالكفر، ثم قال الشارح : والمذهب عندنا أن صفات الله لا هو ولا غيره، وكلّها قديمة، فلا يستقيم الفرق، والأصحّ ما قلنا، لأن الأيمان مَبْنية على العرف، لأن اليمين إنما ينعقد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم اجمعين ﴾ الآية ٣٩ . قول (ز) : ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، والله تعالى ((بريء من غيّه ومن إرادته والرضى به)).

هذا على مذهب المعتزلة، أن الله لا يريد الشر، ولا يخلقه.

ومذهب أهل السنة والجماعة : أن كل كائن فهو بخلق الله تعالى هو وإرادته، خيراً كان أو شراً، وإن كان لا يرضى الشر من عبده، كما قال تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر . وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ الزمر الآية ٧، وقوله تعالى في سورة الصافات الآية ٩٦ : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وهذه أدلة واضحة لأهل السنة.

(٢) مذهبه يعني مذهب الزمخشري الإعتزالي.

(٣) تفسير قوله تعالى :﴿ بما أغويتني ﴾ قال (ز) : الباء للقسم، و (ما) مصدرية، وجواب القسم : ﴿لأزينن﴾ المعنى أقسم بإغوائك إياي ﴿لأزينن لهم﴾ ... الخ، ونحوه قوله ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ سورة ص الآية ٣٨ في أنه إقسام، إلا أن أحدهما ((إقسام بصفته، والثاني إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما)).

(٤) لأنها صفات لا يشاركه غيره فيها، ولا تؤول.

(٥) لأنها صفات قد تطلق على غيره جل وعلا، فقد يوصف بها المخلوق، فلا بدّ من القصد والنية، فإن قصد الحالف بذلك اسمه أو صفته، فذلك يمين، وإن قصد المخلوق فليس بيمين، والله أعلم.

للحمل أو المنع، وهذا إنما يكون بما يعتقد الحالف تعظيمه، وكل مؤمن يعتقد تعظيم الله وصفاته معظم فصارت حرمة ذاته وصفاته حاملا[1] . وقال حجة الإسلام[2] : [اليمين[3]: عبارة عن تحقيق ما يحتمل المخالفة بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته . ثم اليمين تنقسم إلى صريح وكناية، بالإضافة إلى أسماء الله تعالى، وهو على أربع مراتب : الأولى أن يذكر اسماً لا يطلق إلا على الله تعالى في معرض التعظيم، كقوله : بالله والرحمن والخالق والرازق ... فهذا صريح . والثانية : أن يذكر اسماً مشتركاً يطلق على الله وعلى غيره كالعليم والحليم والرحيم والجبار والحق...، فهو كناية، إنما يصير يميناً بالقصد. والثالثة : أن يذكر ما يقبل التورية، وهو على وجهين: أحدهما : أن يكون من قبيل حق الله وحرمة الله وقدرته وعلمه، إذ قد يراد بها حقوقه من العبادات وحرماته ومقدوره ومعلومه، وثانيهما : أن يكون من قبيل جلال الله وعظمته وكبريائه، ففيه طريقان : أحدهما : كالحلف بالله، وثانيهما : أنه كالحلف بالقدرة، إذ قد يقال : رأيت جلال الله، أي : آثار صنعته . والرابعة : ما لا يصير يميناً وإن نوى، وهو ما لا تعظيم فيه، نحو الشيء والموجود والمربّي . وإن أريد به الله. هذا خلاصة كلامه في الوسيط[4] . وفيه أن نحو ((بإغوائك ليس بيمين)).

---

(1) للحالف على ذلك . والحق أن اليمين تنعقد إذا حلف الحالف بأحد أسماء الله أو صفاته مطلقاً، ولا فرق في ذلك بين أي اسم، أو أيّ صفة، لأن الكل معظّم عند الحالف، إذا كان قاصداً الحلف باسمه أو صفته جلّ وعلا.

(2) حجة الإسلام الغزالي، بالتخفيف والتشديد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، له نحو مائتي مصنف، في كل الفنون إلا ما شاء الله، وهو معروف . ولد سنة ٤٥٠هـ، ومات سنة ٥٠٥هـ، انظر الأعلام للزركلي ٢٢/٧، ووفيات الأعيان ٤٦٣/١، وطبقات الشافعية ١٠١/٤، ومن كتبه الوجيز في الفقه وإحياء علوم الدين.

(3) انظر كتاب الوجيز لحجة الإسلام الغزالي ٢٢٣/٢، والمجموع للنووي ٢٢/١٨، وروح المعاني للألوسي ٥٠/١٤.

(4) انظر في كتابه الوجيز ٢٢٣/٢-٢٢٤، وذكر هذا المبحث مختصراً.

قوله : ((أو أراد لأجعلن مكان التزيين))[١] يريد أن تعدية ﴿لأزينن﴾ بـ(في) إما لإرادة الجهة السفالة بالأرض، وهي الدنيا، أو الأرض نفسها، فقاس[٢] تزيين أولاد آدم، وهم في الأرض على تزيين أبيهم، وهو في السماء، وقطع بحصوله، فحلف بقوله : ﴿لأزينن﴾ و﴿لأغوينهم﴾ ومن ثم قال المصنف : ((فأنا على تزيين أولاده في الأرض أقدر)) . وإما لإرادة حقيقتها والتجوز في استعمال (في) بجعل الأرض مكاناً للتزيين، وظرفاً له على التوسع، فلا يخرج منها شيء منه، كقوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾[٣] وإليه الإشارة بقوله : ((ولأحَدِّثَنَّهُم بأن الزينة في الدنيا وحدها)) لا في الآخرة.

قوله : ** يجرح في عراقيبها نَصْلى ** وصدره :[٤]

وإن تعتذر بالمحل من ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلى .

الضمير في تعتذر للناقة، والباء في بالمحل للتشبية، يقال : اعتذر به، والمراد بذي ضروعها اللبن : يجرح متعدّ بنفسه، وقد عدى بفي لإجرائه مجرى اللازم، نحو : فلان يعطي ويمنع، ثم عومل، معاملة (في) تعديته بالجار للمبالغة، اي : ما وقع الجرح في عراقيبها ،وأُجِده فيها، وبنحوه قوله: ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾[٥] أي : اجعل الصلاح مظروفاً لذريتي.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ في الأرض ﴾ من قوله : ﴿ لأزينن لهم في الأرض ﴾ . قال (ز) : أي : في الدنيا التي هي دار الغرور، كقوله تعالى ﴿ أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ سورة الأعراف الآية ١٧٦، أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له للأكل من الشجرة، وهو في السماء، فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر ((أو أراد : لأجعلن مكان التزيين)) عندهم الأرض، ولأوقعنّ تزييني فيها، أي لأزيننها في أعينهم ((ولأحدّثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها)) حتى يستحبّوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دون الآخرة.

(٢) فقاس (إبليس تزين) ما بين القوسين س من ت ، ب .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٩.

(٤) هذا البيت لذي الرمّة يمدح نفسه. انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ٥٧٨/٢.

(٥) سورة الحقاف الآية ١٥.

قوله : ((أي هذا طريق حقّ (عليّ) أن أراعيَه))[1] بناء على وجوب رعاية الأصلح[2] ، قال الإمام[3] :[إن الإخلاص طريق عليّ وإليّ،أي : أنه يؤدي إلى كرامتي وثوابي]، ومعناه : هذا صراطٌ من مرّ عليه، فكأنه مرّ على رضواني وكرامتي، كما يقال : طريقك عليّ. وقيل : هذا صراط على تقديره، وهو مستقيم حقّ وصدق . وروى ابن جني[4] عن أبي الحسن [أنه قال : هو كقولك : الدلالة اليوم عليّ]، وقال صاحب الفرائد : أي دين الإسلام حق عليّ بيانه، فمن اختاره من عبادي ليس لك عليهم سلطان، ومن لم يختر فلك عليهم سلطان . وقال القاضي[5] : [والإشارة بقوله ﴿هذا﴾ إلى ما تضمّنه الاستثناء، وهوتخلّص المخلصين من إغوائه، أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إليّ من غير اعوجاج وضلال] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال هذا صراط علي مستقيم ﴾ الآية ٤١ من سورة الحجر . قول (ز) : ﴿قال هذا﴾ أي ((طريق حق ﴿علي﴾ أن أراعيه)).

(٢) مذهب المعتزلة أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، ونفوا أن يكون خالقاً لأفعال العباد لما فيها من القبح.

والجواب عن هذا : أن الله لا يفعل القبيح، فهذا لا خلاف فيه، بل أفعاله كلها حسنة. قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا نزّه نفسه عن الظلم، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فهو تعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كلّه، والشرّ وضع الشيء في غير موضعه، فإذا وضع في محلّه لم يكن شرّاً، فعلم أن الشرّ ليس إليه) انظر شفاء العليل ١٧٩.قال تعالى في سورة طه الآية ١٢٠ ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ وقال في سورة ق الآية ٢٩ ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾.

وأما قولهم : إن العباد هم الخالقون لأفعالهم، لأن منها القبيح، فلو كان الله خالقها لكان فاعلاً للقبيح، فهذا باطل، لأن الله تعالى خالق كل شيء . قال تعالى في سورة الرعد الآية ١٦ : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ وقال في الصافات الآية ٩٦ ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾. وقال في الأنعام الآية ١٠٢ ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾.

(٣) الإمام الفخر الرازي ١٨٩/١٩.

(٤) ابن جني في المحتسب ٣/٢.

(٥) القاضي البيضاوي في كتابه : أسرار التنزيل ١٧٠/٣.

قال الزجاج (١) : [﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾ أي : على إرادتي وأمري] أي: شأني. وقلت : هذا الذي يقتضيه النظم والعلم عند الله تعالى ، فإن الإشارة بقوله ((هذا)) إلى قول إبليس ﴿ ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ أي: هذا هو الذي حكمت به، وقدّرت على عبادي، وهو حق وصدق. كقوله تعالى : ﴿ولكن حقّ القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾(٢) وقوله صلوات الله عليه، على ماروواه الترمذي(٣) عن عمرو بن العاص أنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يديه كتابان... الحديث، ولهذا قرر قوله : بقوله : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ على طريقة القول بالموجب، وجعل ما جعله مستثنى منه مستثنى ليؤذن بالمقصود الأولى نجاة المخلصين، كما أن مقصود اللعين أوّلا الإغواء، وفيه أن اللعين استقلّ عباد الله المخلصين عدداً، حيث جعلهم مستثنى، وأن الله سبحانه وتعالى استكثرهم، اعتباراً وعداً ، حيث قلب القضية، ثم فرق ما لكل واحد من الفريقين بقوله : ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾

---

(١) الزجاج ١٧٨/٣.

(٢) سورة السجدة الآية ١٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٧/٢. والطبري في تفسيره ٧/٢٥. والترمذي ٣٩١/٤ كتاب القدر، باب ماجاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، الحديث رقم ٣٢٢٧. والبغوي في تفسيره ١١٧٦. والدر المنثور ٣٣٧/٧. والنسائي في تفسره ٢٦٥/٢. والحديث صحيح . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨٤٨.

وتمام الحديث : وفي يده كتابان، فقال : أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا : لا ، يارسول الله ، إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار، واسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، فقال أصحابه : فيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟. فقال : سدّدوا وقاربوا، فإن صاحب أهل الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أيّ عمل، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما، ثم قال : فرغ ربكم من العباد، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقوله: ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ ثم أمر حبيبه بالإنباء عن صفتي رحمته وغضبه بقوله : ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾، وفيه أن جانب الرحمة سابق، حيث ما وصف الثواب بالعظم، كما وصف العذاب بالألم، بل وصف ذاته الأقدس على سبيل التوكيد، وتكرير الضمير وتعريف الخبر وإرداف الغفور بالرحيم، وكذا في قوله : ﴿ وإن جهنم لموعدهم ﴾، وإن لم يقل : وإنهم لفي جهنم كما قال : ﴿إن المتقين في جنات ﴾ إشارة إلى المعنى، كل هذا يدلّ على أن المشار إليه ما قررناه، وأن سياق الآيات لبيان جريان المشبّه، واستبداد الحكم، لا رعاية المصالح ووجوبها، لأن الكلام في بُدُوّ إنشاء الإنسان.

قوله : ((وقرئ ﴿جزء﴾ بالتخفيف والتثقيل))(١) (٢) قال القاضي(٣) : [قرأ أبوبكر(٤) ﴿جزّ﴾ بالتثقيل](٥) .

قوله : ((المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه))(٦) قال الإمام(٧) : [قال جمهور المعتزلة : المتقون هم الذين اتقوا جميع المعاصي، لأنه اسم مدح، فلا يتناول إلا من يكون كذلك، وقال جمهور الصحابة

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء معلوم ﴾ الآية ٤٤ من سورة الحجر.

(٢) قرأ الجمهور ﴿جزء﴾ بالهمز، وقرأ ابن شهاب الزهري أبو بكر محمد بن شهاب (جزٌ) بتخفيف الزاي، وقرأ ابن القعقاع (جزّ) بتشديد الزاي دون همز، وتوجيه ذلك : أنه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الزاي،ثم الوقف عليه بالتشديد، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف . انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣١٧/٨، والمحتسب لابن جني ٤/٢، والإتحاف ٢٧٥.

(٣) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٠/٣.

(٤) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه ، مات سنة ١٢٥هـ تقريب التهذيب ٣١٨.

(٥) والصواب بالتخفيف، كما هو مبين في الحاشية رقم (٢).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ الآية ٤٥ من سورة الحجر. قال (ز) : ((المتقي على الإطلاق ... الخ))

(٧) الإمام الفخر الرازي ١٩١/١٩ وذكره بتمامه، بما في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والتابعين : وهو المنقول عن ابن عباس، المتقون هم الذين اتقوا الشرك با لله، والكفر به، وهذا هوا لحق الصحيح، لأن المتقي هو الذي أتى بالتقوى مرة واحدة، كما أن الضارب هو الذي أتى بالضرب مرّة] وكما أنه ليس من شرطه صدق الوصف بكونه آتياً بجميع أنواع الضرب، فكذا هنا، ومن ثم ذهب المحققون إلى أن ظاهر الأمر لا يفيد التكرار، فظاهر الآية يقتضي حصول الجنات لكل من اتقى عن شيء واحد، إلا أن الأمّة مجتمعة على أن التقوى عن الكفر شرطٌ في حصول هذا الحكم، ولأن الآية وردت عقيب قوله : ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾، فوجب أن يعتبر الإيمان فيه، ولا يزاد قيد آخر،لأن التخصيص خلاف الظاهر، فكلما كان التخصيص أقل كان أوفق(١) ، وقلت : قد سبق ان الناس فرقتان : المخلصون والغاوون، وأن جهنّم مقسومة سبعة أقسام، كما جاء عن المفسرين أن الدركة الأولى للموحدين(٢) يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، فإذا لا بدّ من تفسير المتقين في هذا المقام بما يتميزون عن الغاوين، لئلا يختلّ النظم، وهو تفسير المصنف، وإن لم يقصد به ذلك لقوله : ((المتقى على الإطلاق)) ولأن المتقين هم المخلصون المخصوصون في قوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ وإنما إخارج العاصين من النار، فيعلم من نصوص أُخر، لا من هذه الآية(٣) .

---

(١) ذكر هذا المبحث الجميل الفخر الرازي في تفسيره ١٩/١٩١-١٩٢

(٢) قال الضحاك : الطبقة الأولى فيها أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون . المرجع السابق.

(٣) منها قوله تعالى في سورة النساء الآية ٤٨ : ﴿ إن ا لله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾.

وقوله : ((وتغلغل))[1] ، الجوهري[2] : [تغلغل الماء في الشجر إذا تخللها]، الراغب[3] : [الغلل الماء الجاري بين الشجر، وانغلّ بين الشجر ودخل فيها وتخللها].

قوله : ((الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان))[4] يعني : لما جرى بينهما يوم الجمل، وهي قصة مشهورة.

قوله : ((﴿وإخواناً﴾ نصب على الحال)) قال أبو البقاء[5] : [هو حال من الضمير في قوله ﴿جنات﴾ أو من الفاعل في ﴿ادخلوا﴾ مقدرة، أو من الضمير في ﴿آمنين﴾]، وقال القاضي [6] : [ويجوز أن يكون حالاً من الضمير المضاف إليه، والعامل فيها معنى الإضافة، وكذا في قوله ﴿على سرر متقابلين﴾ ويجوز أن يكونا صفتين لـ﴿إخواناً﴾ أو حالين من ضميره، لأنه بمعنى متصافين، وأن يكون ﴿متقابلين﴾ حالاً من المستقرّ في على سرر[7] .

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين ﴾ الآية ٤٧ من سورة الحجر. قال (ز) : الغلّ الحقد الكامن في القلب، من (انغلّ) في جوفه ((وتغلغل)).

(2) الجوهري في صحاحه ١٧٨٢/٥ مادة (غلل)

(3) الراغب ٣٦٣ مادة (غلّ).

(4) يشير إلى ما أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١٤-٢٦ عن علي رضي الله عنه من طريق الحارث الأعور وغيره، (قال) : كنت جالساً عند علي رضي الله عنه إذ جاء ابن طلحة، فقال له علي رضي الله عنه : مرحباً بك يابن أخي، أما والله أني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾ فقال له قائل : ((الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان)) واحد فقال لمن هذه الآية لا أم لك، انظر الدر المنثور ٨٥/٥. قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الطبراني في الأوسط، والعقيلي، وابن سعد من طريق الحارث الأعور، وله طريقة أخرى أخرجها الحاكم، من طريق ربعي بن خراش.

(5) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٨٥/٢ وهكذا قال ابن الأنباري ٧٠/٢.

(6) القاضي البيضاوي في كتابه الأنوار ١٧١/٣.

(7) ذكر هذا الإعاريب كلها القاضي أبو السعود في تفسير ٨٠/٥.

قوله : ((وعطف ﴿ نبئهم ﴾ على ﴿ نبئ عبادي ﴾ ليتخذوا ما أحلّ من العذاب بقوم لوط عبرة))(١) يعني : لما اشتملت الآيتان على ذكر العذاب، عطف هذه القصة ليضمّنها معنى العذاب على سبيل الإستطراد، ويمكن أن يقال : إن الآيات السابقة لما اشتملت على الوعد والعيد، وعقّبت بقوله : ﴿ إني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو اعذاب الأليم ﴾ على الجمع ليكون تقريراً لما ذكر وتمكيناً له في النفوس، كما ذكرت وفصّلت بقصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، ليكون حكاية سلام الملائكة وبشارتهم بإسحاق وذكر الرحمة تفصيلاً لقوله : ﴿ أنا الغفور الرحيم﴾، وقصة لوط ودمار قومه واستئصال شأفتهم تفصيلاً لقوله : ﴿ وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾.

قوله : ((وكان خوفه لامتناعهم من الأكل))(٢) ، قال في هود(٣) : [قيل كانت عادتهم أنه إذا مسّ من يطرقُهم طعامهم أمنوه، وإلا خافوه، ويقدّر في هذا المقام بعد قولهم : ﴿ سلاماً ﴾ قال سلام ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ﴾(٤) وقال ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ إلى آخره، وقد سبق(٥) في هود تحقيقه.

قوله : ((وقرئ نبشِرك)) حمزة(٦) .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴾ الآية ٥١ من سورة الحجر.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون ﴾. قال (ز) : ﴿وجلون﴾ خائفون ((وكان خوفه ...)) الخ.

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وأوجس منهم خيفة، قالوا لا تخف ﴾ الآية ٧٠ ، جـ٢/٤١٠.

(٤) سورة هود الآية ٦٩.

(٥) الآية ٦٩-٧٠.

(٦) قرأ حمزة ﴿نَبْشِرُكَ﴾ بفتح النون، وتخفيف الباء، والباقون ﴿نُبَشِّرُكَ﴾ بالتشديد . انظر إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي للقلانس ٣٩٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٧٥.

قوله : ((أو أراد أنكم تبشّروني))[1] ، قيل : على الأول الاستفهام للتفخيم، وعلى هذا للتحقير، وقلت : الظاهر أنه عليه السلام لما أدخل همزة الانكار في قوله : ﴿ أبشرتموني على أن مسني الكبر ﴾ جاء باستفهام آخر، إما لبيان خرق العادة، وأنه أمر عجيب، أو لتقرير ذلك الإنكار، وأن تلك البشارة ليست ببشارة، وإليه الإشارة بقوله : ((لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء)).

قوله : ((وقرئ تبشرون))[2] قرأ نافع ﴿فبم تبشرونِ﴾ بكسر النون مخففة، وابن كثير بكسرها مشددّة، والباقون بفتحها. قال أبو علي في الحجة[3] : [أراد فبم تبشروني، فعدّ الفعل إلى المضمر المنصوب، لأن المعنى عليه، فأثبت ما حذفه غيره من الكسرة التي تدل على الياء المفعولية، وحذف النون الثانية، لأن التكرير بها وقع، ولم تحذف الأولى التي هي علامة الرفع]، والمصنف ذهب إلى أن المحذوف نون الجمع، وقال الإمام[4] : [أما الكسر والتشديد فتقديره (تبشرونِن) أدغمت نون الجمع في نون الإضافة، وأما الكسر والتخفيف فعلى حذف نون الجمع استثقالاً لاجتماع المثلين]، وقال [أبو حاتم : حذف نافع الياء مع النون، وإسقاط الحرفين لا يجوز،

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون ﴾ الآية ٥٤ من سورة الحجر. قول (ز) : عند ﴿فبم تبشرون﴾ هي ما الاستفهامية، دخلها معنى التعجب، كأنه قال : فبأي أعجوبة تبشّروني، ((أو أراد أنكم تبشروني)) بما هو غير متصور في العادة، فبأي شيء تبشرون، يعني : لا تبشروني في الحقيقة بشيء، ((لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء)) الخ.

(٢) انظر السبعة لابن مجاهد ٣٦٧، وحجة القرآآت لابن زنجلة ٣٨٢-٣٨٣، وتوجيه قراءة ابن كثير ﴿فبم تبشرون﴾ بتشديد النون مكسورة، لأن الأصل (تبشّرونني) النون الأولى علامة الرفع، والثانية مع الياء في موضع نصب مفعول ﴿تبشرون﴾، وإنما دخلت لتقي الفعل من الكسر، ثم أدغمت النون في النون، وحذفت الياء ، واستغنى بكسرتها، لأنها نابت عنها.

أما قراءة نافع ﴿تبشّون﴾ بكسر النون مع التخفيف، وأصلها (تبشرونن) كما ذكرنا، فاستثقلت النونان معاً، فحذفت إحداهما وهي الثانية، لأن التكرير بها وقع، ولم تحذف الأولى وهي نون الرفع.

(٣) الحجة ٥/٤٥.

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٩/١٩٧.

وأجيب : بأن المحذوف حرف واحد، وهي النون التي هي علامة الرفع، على أن حذف الحرفين سائغ، قال تعالى :﴿ولا تك﴾ وأما فتح النون فعلى غير الإضافة، والنون علامة الرفع، وهي مفتوحة أبداً.

قوله : ((﴿ومن يقنط﴾(١) بالحركات الثلاث في النون))(٢) أبو عمرو والكسائي ويعقوب بالكسر، والباقون بالفتح والضم شاذ، قال ابن جني : وهي قراءة الأشهب(٣) .

قوله : ((وقرئ ﴿من القنطين﴾)) قال ابن جني (٤) : [قرأها الأعمش ويحيى وطلحة، وهو من قنِط يقنِط بكسر النون، والقانطين من قَنط بفتحها].

قوله : ((استثناء من الضمير في مجرمين، فيكون متصلاً))(٥)، قال في الإنتصاف : [جعله منقطعاً على الأول أولى وأمكن، لأن الاستثناء : إخراج ما لولاه

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلأا الضالون ﴾ الآية ٥٦ من سورة الحجر.

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف واليزيدي والحسن والأعمش ﴿ يقنط ﴾ بكسر النون، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة ﴿ يقنط ﴾ بفتح النون في كل القرآن ، وكلهم قرءوا ﴿من بعد ما قنطوا﴾ بفتح النون. انظر ابن زنجلة ٣٦٧ وإتحاف فضلاء البشر ٢٧٥.

(٣) الأشهب بن رميلة، ذكره المحتسب ١٨٥/١، والشواذ لابن خالوية ٥.

قوله تعالى : ﴿ يقنط ﴾ بضم النون قرأه يحيى بن يعمر، والأشهب العقيلي، وأبو عمرو وعيسى، انظر متخصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوين ٧ والمحتسب لابن جني ٢/٥ في شواذ القراآت

(٤) ذكرها في كتابه المحتسب في تبيين وجه شواذ القراآت والإيضاح عنها ٢/٥.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا إرسلنا إلى قوم مجرمين . إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين ﴾ الآيات ٥٧-٥٩من سورة الحجر. قال (ز) : فإن قلت : قوله تعالى : ﴿ إلا آل لوط﴾ استثناء متصل أو منقطع . قلت : لا يخلو من أن يكون استثناء من ﴿قوم﴾ فيكون منقطعاً، لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، وأن يكون ((استثناء من الضمير في ﴿مجرمين﴾ فيكون متصلاً)) كأنه قيل : إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم ، وبذلك قال : أبوحيان في البحر ٤٦٠/٥ : إلا أنه رجح الإنقطاع لأن آل لوط لم يندرجوا في قوله : ﴿ قوم مجرمين ﴾ لأن وصف الإجرام منتف عنهم، فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه. وانظر الفخر الرازي ١٩٩/١٩ ذكر القولين أيضاً

لدخل في حكم الأول ، و﴿قوم﴾ نكرة، فعوده إلى الضمير المعرفة متعذر، ولذلك قلّ أن يستثنى من النكرة إلا في سياق النفي، لأنها تعمّ فيتحقّق الدخول لولا الإستثناء، فلا يحسن : رأيت قوما إلا زيداً وحسن ما رأيت أحداً إلا زيداً] وقلت : ليس ما نحن بصدده من قبيل رأيت قوماً إلا زيداً، بل من قبيل رأيت قوماً أساءوا إلا زيداً على أن قوماً في الآية قوم معروفون محصورون، وإن كان منكوراً بدليل قوله تعالى في العنكبوت : ﴿ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظلمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله ﴾(١) فلو لم يكن آل لوط داخلين فيما سبق، لم يحسن منه أن يقول : ﴿إن فيها لوطاً﴾، ولو لم يكونوا محصورين لم يقولوا: ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ وههنا لما سأل الخليل عليه السلام عن الرسل ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أجابوا : ﴿إنا إرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أي قوم معروفين، تعرفهم أنت، ونحن لا يخفى علينا ولا عليك شيء من أحوالهم.

قوله : ((وعلى أنهم أرسلوا)) عطف على محذوف عطف تفسير كأنه قيل : إن آل لوط مخرجون من حكم الإرسال، بناء على ما عُلم، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة(٢) ، وكذلك تقدير قوله : ((وعلى أن الملائكة)) أي فهم داخلون في الإرسال،بناء على ما عرف، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً.

قوله : ((قد اختلف الحكمان، لأن ﴿ إلا آل لوط ﴾(٣) متعلق بأرسلنا ﴿ إلا امرأته ﴾ قد تعلق بـ﴿منجُوهُم﴾))، قال صاحب التقريب : وقد يتوهم أن الإرسال

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٣٢.

(٢) وعلى هذا يكون الطيبي مرجحاً كون الاستثناء متصلاً، حيث جعل قوله ﴿قوم﴾ كأنها معرفة وليست نكرة، وأن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وهم قوم لوط، وينجوا آل لوط، على أن الاستثناء منفصل، فإرسال الملائكة لقوم لوط لأجل إهلاكهم . انظر الفخر الرازي ١٩٩/١٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلا امرأته قدّرنا إنها لمن الغابرين ﴾ الآية ٦٠ من سورة الحجر . قال (ز) : ﴿إلا امرأته ﴾ مم استثني، وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت : استثنى من الضمير المجرور من قوله ﴿لمنجوهم﴾ الخ. ثم قال : فأما في الآية، فقد اختلف الحكمان، لأن ﴿إلا آل لوط﴾ متعلق ب﴿أرسلنا﴾، أو بـ﴿مجرمين﴾ و ﴿إلا امرأته﴾ تعلق بـ﴿منجوهم﴾ . انظر النسفي ٢٧٥/٢.

إذا كان بمعنى الإهلاك، فلا اختلاف إذا لتقدير إلا آل لوط لم نهلكهم، فهو بمعنى ﴿منجّوهم﴾ . وجوابه : أن الإستثناء من الاستثناء شرطه أيضاً أن لا يتخلل لفظ بين الاستثناءين متعدّد يصلح مستثنى منه، وههنا تخلّل ﴿إنا لمنجوهم﴾، فلو قال : إلا آل لوط إلا امرأته، لجاز ذلك وقلت : لا سيما إن قوله ﴿إنا لمنجوهم﴾ على تقدير أن يكون الإستثناء متصلاً جملة مقتطعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل، فيبعد من البليغ أن يجعل ما في حيزه متعلقاً بما قبله . وقال أبو البقاء[1] : [والإستثناء إذا جاء بعد الاستثناء كان الإستثناء الثاني مضافاً إلى المبتدأ، كقولك : له عندي عشرة إلا أربعة إلا درهما، فإن الدرهم مستثنى من الأربعة، فهو مضاف إلى العشرة[2] ، فكأنك قلت : أحد عشر إلا أربعة أو عشرة إلا ثلاثة].

قوله : ((وقرئ ﴿لمنجوهم﴾ بالتخفيف والتثقيل[3] ، بالتخفيف حمزة والكسائي وأبوبكر[4] .

---

(١) أبو البقاء العكبري ٧٦/٢.

(٢) وكذا قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ١٩٩/٢ وبه قال القاسم بن سلام، وتقدير ذلك : ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾ فاستثناهم من المجرمين، ﴿ إلا امرأته﴾ فاستثناها من قوم لوط، فصارت مع المجرمين.

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمر، وابن عامر بالتشديد ﴿ إنا لمنجّوهم ﴾.

(٤) أبوبكر بن عياش الأسدي النهشلي الكوفي الحافظ، ولد سنة ٩٥ ومات سنة ١٩٣هـ، راوي عاصم، وأخذ عنه جماعة منهم الكسائي وخلاد، وكان من أئمة السنة، وذكر عنه النخعي ويحيى بن معين : أنه لم يفرش له فراش خمسين سنة لزهده وكثرة عبادته. انظر الحجة لابن زنجلة ٥٨ وإرشاد المبتدئ للقلانسي ٣٩٨.

إلا أنه لم يقرأ بالتخفيف هنا، وإنما قرأ به في الأنعام هو وابن كثير ﴿ منجوك ﴾ وكذلك قرأ بالتخفيف خلف ويعقوب، مثل حمزة والكسائي، فالطيبي ذكر أبابكر هنا، وهو خطأ، وترك خلف ويعقوب، وهو سهو. انظر القلانسيّ ٣٩٨ والمبسوط في القراآت العشر ٢٢١ والإتحاف ٢٧٥.

قوله : ((ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم))[1] أي : المعتزلة يقولون : إن معنى قوله : إن الله قدر على العباد، عَلِمَ بدليل قوله تعالى ﴿حقّت كلمة العذاب على الكافرين﴾[2] ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ، وتلك كناية معلوم، لا كناية مقدّر ومراد، تعالى الله عن ذلك . والأصل ﴿ قدّرناها من الغابرين ﴾ فعلّقه عن العمل باللام، ثم جاء بـ﴿إن﴾ . قال القاضي[3] : [ويجوز أن يكون ﴿قدّرنا﴾ مجري مجرى قلنا، لأن التقدير بمعنى القضاء قول، وأصله جعل الشيء على مقدار غيره]، وقال صاحب الانتصاف : [هذا من دفائن الزمخشري في الإعتزال في جحد القضاء والقدر، إذ المعتزلة يمنعون تعلق القدرة بالمعاصي، فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة، ثم استدلّ على أن التقدير بمعنى العلم، بتعليق فعله . وفي كلامه شاهد على ردّه، لأن التضمين من شأنه أن يبقي المعنى الأصلي مضافاً إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعاً، فالتقدير : كما أفاد العلم الطارئ أفاد الإرادة إيضاً، على أن من الناس من جعل قوله تعالى ﴿ قدرنا إنها لمن الغابرين ﴾ من كلامه تعالى غير مَحْكِي عن الملائكة[4] ، وهو الظاهر لأن القائل بالأول يحتاج إلى التأويل، كما قال الزمخشري أي ((إنه من باب قول خواص الملك))، لأنا إذا جعلنا ﴿قدّرنا﴾

---

(١) تفسير قوله ﴿قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ قال (ز) : فإن قلت : لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله : ﴿ قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟ قلت : لتضمّن فعل التقدير معنى العلم ((وكذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم)) وقد ردّ أحمد بن المنيّر بما فيه كفاية على مذهبه الإعتزالي، فأغنى عن التعليق.

(٢) سورة الزمر الآية ٧١.

(٣) القاضي البيضاوي في الأسرار ١٧٢/٣.

(٤) يقول (ز) : فإن قلت : فلم أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده، ولم يقولوا : قدر الله، قلت : لما لهم من القرب والإختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة الملِك : دبرنا كذا ... الخ. فإسناده للملائكة يحتاج إلى دليل كما قال الإمام أحمد بن المنير. وانظر حاشية محي الدين زاده على البيضاوي ١٥٩/٣

بمعنى علمنا ﴿إنها من الغابرين﴾ فلا غَرْوَ في علم الملائكة ذلك بإخبار الله إيّاهم به، إنما يحتاج إلى التأويل من جعل ﴿قدّرنا﴾ بمعنى قضينا، وجعله من قول الملائكة. الإنتصاف(١): [القول بأن التضمين يقتضي إرادة الفعلين المضمن والمضمن فيه معاً مردودٌ، فإنه يجوز أن يؤتى فيه بما يقتضيه أحدهما دون الآخر، فكأنه معمول أحدهما خاصة، ألا ترى إلى قوله: قد قتل الله زياداً، عنى ضمّن قتله، وأي يعني التي هي معمول صرفه لا معمول قتله]، وقلت: [هذا خطأ لأن التقدير: قد صرّف الله زياداً، عن أنكم قتلاً أو قتل مستعار للصرف على سبيل التبعية والقرينة الجار. الراغب(٢): [الغابر الماكث بعد مضيّ ما معه قال تعالى ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ يعني: قد طال أعمارهم. وقيل: فيمن بقي ولم يَسْرِ مع لوط. وقيل: فيمن بقي في العذاب، ومنه الغُبْرَةُ: البقية من اللبن في الضرع].

قوله: ((بدليل قوله: ﴿بل جئناك﴾))(٣) يريد أن قوله: ﴿إنكم قوم منكرون﴾ كناية عن أنكم قوم يخاف منكم الشّر، لأن قوله: ﴿بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ كناية عن الفرح والتشفي، لأنه أضرب به عن الخوف، وذلك أن من ينكر شيئاً ينفر منه، وإنما ينفر منه إذا توهّمه شرّاً مخوفاً، وكذا قوله: ﴿بما كانوا فيه يمترون﴾ كناية عن العذاب، لأنهم كانو يشكّون نزوله، ونزوله عليهم سببٌ لتشفّي لوط عن غيظه، لأنه كان يكابد منهم المشاقّ، كأنه قال: إنكم قوم يخاف منكم الشرّ، فقالوا: مجاوبين: بل نحن ممن يرجى منّا الخير والفرح.

قوله: ((صاحب إلا قليد))(٤).

---

(١) لأحمد بن المنيّر.

(٢) المفردات للراغب ٣٥٧ مادة(غبر).

(٣) تفسيرقوله تعالى: ﴿ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾ الآية ٦٣ من سورة الحجر. فقوله: ﴿منكرون﴾ أي: تنكركم نفسي وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشرّ، بدليل قوله: ((﴿بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾)).

(٤) قيل: هو تفسير لأبي الفتح الهمْداني، بإسكان الميم، منسوب إلى قبيلة من اليمن.

قوله : ((افتحي الباب)) البيت(١) ، كأنه طال عليه الليل، يخاطب ضجيعته بذلك، أو كان يحب طول الليل للوصال.

قوله : ((شيء صالح من الليل)) أي قطعة طويلة منه، العرب تقول : مضى من عمري شيء، أي : مدة طويلة .

قوله : ((ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الإلتفات)) يعني : كان يكفي في الهجرة أن يقال : ﴿فأسر بأهلك﴾ فما معنى التتميم بهذين القيدين؟، وخلاصة الجواب أن تلك النجاة كانت نعمة من الله مطلوبة تستحق الإقامة بواجب الشكر لها، وذلك الشكر لا يتمّ إلا بفراغ من البال من كل وجه، فأمر باتّباع أدبارهم لئلا يشتغل عن إدامة الشكر، بسبب تعلّق قلبه بمن خلفه، ونُهُوا عن الإلتفات، لئلا ترقّ قلوبهم إذا نظروا إلى ما ينزل على قومهم، فيشتغل قلبه عن إدامة الشكر. الإنتصاف(٢) : [اشتملت الآية مع وجازتها على آداب المسافرين في دين ودنياً من أمير ومأمور وتابع ومتبوع].

قوله : ((يقدم سربه))(٣) ، النهاية(٤) : [السرب بالكسر، والسربة القطيع من الظباء والقطا والخيل ونحوها، ومن النساء على التشبيه بالظباء].

قوله : ((ويفوت به)) فاتني بكذا : سبقني به، وذهب به عني في الأساس(٥) ، والضمير في ((به)) راجع إلى السرب.

قوله : ((ويمضوا قُدُماً)) بضمتين، يقال : ومضى قُدُماً : لم ينثن، ولم يعرج.

---

(١) تمامه :

** افتحي الباب وانظري في النجوم ** كم علينا من قطع ليل بهيم **.

(٢) الإنتصاف للإمام احمد بن المنير حاشية للزمخشري ٥٨٤/٢.

(٣) تفسير قوله : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣٥٦/٢ مادة (سرب).

(٥) أساس البلاغة للزمخشري ٤٨٣ مادة (فوت).

قوله : ((تلفت نحو الحي)) البيت[1] ، قال المرزوقي[2] : يقول : أخذت بسيري لما أبصرت حال نفسي، وتأثير الصبابة فيها، ملتفتاً إلى ما خلفته من الحيّ، حتى وجدتني وجع الليت، أي صفحة العنق، والأخدع، وهو عرق فيها لطول إصغائي ودوام التفاتي، كل ذلك تحسّرا في أثر الفائت من أحبابي وديارهم، وتذكر أطيب أوقاتي معهم فيها.

قوله : ((وعدّى ﴿وامضوا﴾ إلى ﴿حيث﴾ تعدية إلى الظرف المبهم))[3] يعني : ﴿حيث﴾ على تقدير النصب على الظرف لا يحتاج إلى (في) ، لأنه مبهم، والظرف المبهم منصوب، والمؤقت حكمه كحكم ما ليس بظرف، فيحتاج إلى (في)، وكذلك الضمير في ﴿تؤمرونه﴾ مبهم، نظر إلى تقديره، وهو راجع إلى حيث، ولو كان مؤقتاً لقيل : تؤمرون فيه.

قوله : ((يعني يستأصلون عن آخرهم))، الراغب[4] : [قطع دابرة الإنسان : إفناء نوعه. قال تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دابِرُ القوم الذين ظلموا ﴾[5] .

---

(1) تمامه :

** تلفّت نحو الحيّ حتى وجدتني ** وجعْتُ من الإصغاء ليتاً وأخدعاً **

انظر مشاهد الإنتصاف على شواهد الكشاف ٢/٥٨٤.

(2) المرزوقي : أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي،عالم بالأدب من أهل أصبهان، له شرح على ديوان الحماسة لأبي تمام. انظر الأعلام ١/٢١٢، ومعجم الأدباء ٥/٣٤. والبيت المذكور للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحارث.

(3) انظر حاشية محي الدين شيخ زادة على البيضاوي، فذكر هذا الوجه ٣/١٦٠ يشير إلى أنه عدّى فعل ﴿وامضوا﴾ إلي ﴿حيث﴾ بدون (في)، وكذلك عدّى ﴿تؤمرون﴾ إلى ضميره المحذوف، أي : (تؤمرونه) على الاتساع، لأن ﴿حيث﴾ من الظروف غير الملازمة للظرفية، ولذا جاءت مفعولاً في قوله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ الأنعام الآية ١٢٤.

(4) الراغب ١٦٤ مادة (دبر).

(5) سورة الأنعام الآية ٤٥.

قوله : ((أهل سدوم))[1] في تهذيب الأزهري : [سذوم بالذال المعجمة] وفي الصحاح[2] : [بفتح السين والدال غير معجمة، قرية قوم لوط عليه السلام].

قوله : ((أولا تشوّرُوا بي))، الجوهري[3] : [شورت الرجل فتشور، أي : خجّلته فتخجّل].

قوله : ((وبين المعترض له)) الضمير في (له) عائد إلى اللام لأنها موصولة.

قوله : ((إن كنتم تريدون قضاء الشهوة)) عن المصنف الأوجه، أن يكون ذلك بناءً على طريقتهم وحالهم في ركوب ما لا يحلّ لهم، كأنه قيل : إن كنتم لا بدّ راكبين ما لا يحلّ لكم، فعليكم بمحالّ المباشرة التي تعارفها الناس دون المنكر الذي لم تسبقوا إليه.

قوله : ((وقيل : الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم))[4] ، قال صاحب الفرائد : لما أمكن الحمل على ما هو المفهوم من ظاهر الكلام وجب الحمل عليه، إذ التقدير بغير ضرورة لا يجوز، وإلا لم يبق للنقل اعتبار أصلاً، لأنه ما من نقل إلا وأمكن التقدير فيه، فوجب الحمل على أنه تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه

---

(1) سدوم : مدينة من مدائن قوم لوط، كان قاضيها يقال له سدوم، وقيل : سذوم بالذال، معجم البلدان ٣/٢٠٠.

(2) الجوهري في صحاحه ٥/١٩٤٩ مادة (سدم).

(3) الجوهري ٢/٧٠٥ مادة (شور).

ملخص كلام الزمخشري : لا تخزون ولا تذلون بإذلال ضيفي، من الخزي وهو الإذلال والهوان. وقيل : ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء، وفي الصحاح : الشوار : فرج المرأة والرجل، ومنه قيل : شوربه، أي : كأنه أبدى عورته،وكأن لوطا عليه السلام ينهى عن المنكر، ويحجز بينهم وبين الناس، ولا يقبل التعرض للمنكر، فأوعروه، وقالوا : ﴿لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾.

(4) وأنه أقسم بحياته، وما أقسم بحياة أحد قطّ كرامة له، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وهو أكرمها، ولا يجوز لمخلوق أن يقسم بمخلوق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت).

وسلم. وقلت : أراد أن قوله تعالى : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ جملة معترضة للنّعْي عليهم، وتماديهم في ارتكاب تلك الفاحشة، لأن في عرض نبي الله لوط أفلاذ كبده على القوم، دليلاً على بلوغ الغاية في الأمر، وأنه بلغ السيل الزبى[1]، وجاوز الحزام الطُّبْيَيْن[2] ، كأنه قيل : يا محمد، بحياتك اقسم إنهم لفي سكرتهم يعمهون، مستمرون، فاستحضر تلك الحالة في مشاهدتك، وتعجب لها، يدلّك عليه صيغة المضارع، وقال محي السنة : [لعمرك يا محمد وحياتك] عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلوات الله عليه، وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته][3] وكذا عن الإمام.

قوله : ((المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء))[4] كأنه حدّ المتفرسين، وهو قول مجاهد[5] ، قال السجاوندي[6] : المتوسّم الذي يعلم باطن الشيء

---

(1) مثل يضرب لما جاوز الحدّ، انظر مجمع الأمثال للميداني ص١٥٨ رقم المثل ٤٣٦. والزبا : العالي من الأرض.

(2) (جاوز الحزام الطُّبْيين) مثل يضرب عند بلوغ الشدة منتهاها . المرجع السابق ٢٩٥/١.

(3) أخرجه الطبري ٤٤/١٤، والمطالب العالية ٣٤٧/٣، وسكت عليه البصيري.

(4) قول الزمخشري ((المتثبتون ...)) تفسير لقوله : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾، أي : المتفرّسين المتأملين، وحقيقة المتوسّمين : النُّظار المتثبّتون في نظرهم، حتى يقفوا على حقيقة سمة الشيء، يقال : توسمت في فلان كذا، أي : عرفت وسمه فيه.

(5) مجاهد بن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، أخذ عن ابن عباس التفسير وغيره، مات سنة ١٠٤هـ، وعمره ٨٣ سنة، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤، وتذكرة الحفاظ ٨٤/١.

(6) السجاوندي : محمد بن طيفور الغزنوي، مفسّر مقرئ، من تآليفه عيون المعاني في التفسير وعلل القرآت، انظر طبقات المفسرين للداودي ١٥٥/٢، وهو مقرئ نحوي، مات في وسط المائة السادسة، وانظر أيضاً طبقات القراء لابن الجزي ١٥٧/٢.

بسِمَة ظاهره، وروى الترمذي(١) عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾).

قوله : ((ومطمر البناء))، الجوهري(٢) : المطمر الزيج الذي يكون مع البنّائين.

قوله : ((والحجر واديهم))، الراغب(٣) : [سمي ما أحيط به الحجارة حجراً، وبه سمي حجر الكعبة وديار ثمود وعاد].

قوله : ((لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً))(٤) يعني : التعريف في المرسلين للإستغراق، فهو هنا كناية، لأن الرسول من أتى بكتاب بعد إظهار المعجزة(٥) ، وكل من لم يصدّق هذا المعنى وردّه فقد أعمّ التكذيب والردّ.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٨/٥رقم الحديث ٣١٢٧ كتاب التفسير، باب ١٦، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال أبو عيسى الترمذي : حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم. وانظر كشف الخفاء ٤٢/١.

(٢) الجوهري ٧٢٦/٢. قال : والمِطمَرُ : الزيج الخيط الذي يكون مع البنائين، مادة (طمر).

تفسير قوله تعالى : ﴿لبإمام مبين﴾ لبطريق واضح، والإمام : اسم لما يؤتم به، فسمي به الطريق، ومطمر البناء، واللوح الذي يكتب فيه، لأنها مما يؤتمّ به.

(٣) الراغب، مادة (حجر) ١٠٨.

والحِجر هو الوادي الذي يسكن فيه ثمود، بين المدينة والشام.

(٤) (المرسلين) يعني صالحاً عليه السلام، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب الرسل جميعاً، أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين، كما قيل : الخُبَيْبيون في ابن الزبير وأصحابه.

(٥) في التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني : الرسول : هو من أوحى إليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب من الله ص٢٣٩.

قوله : ((الخُبَيّبُون في ابن الزبير)) قال ابن عبد البر[١] : كنيته أبو بكر[٢] وله كنية أخرى أبو خبيب. الجوهري[٣] : [الخبخبة : رخاوة الشيء واضطرابه، وخبيب اسم رجل وهو : خبيب بن عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله يكنى بأبي خبيب، والخُبَيْبانِ : عبد الله بن الزبير وابنه، وقيل : هو وأخوه مصعب، فمن روى الخُبَيْبُون على الجمع يريد ثلاثتهم، قال ابن السكيت[٤] : يريد أبا خبيب ومن كان على رأيه].

قوله : عن جابر [٥] ... الحديث، رويناه عن البخاري ومسلم عن ابن عمر مع تغيير يسير.

قوله : ((فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلاّ لذلك))، أي[٦] : للانتقام من الأعداء، وإعطاء الجزاء للأولياء، بيان الحصر هو أن الله سبحانه وتعالى

---

(١) ابن عبد البر الإمام حافظ المغرب شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الحسان، ولد سنة ٣٦٨، ومات ٤٦٣هـ، من تصانيفه : التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب . انظر سير أعلام النبلاء ١٥٤/١٨، وترتيب المدارك لعياض ٨٠٨/٤.

(٢) ذكر ابن عبد البر أنه يكنى أبابكر، ويكنى أيضاً أباخبيب، انظر الاستيعاب مع الإصابة ٣٠٠/٢-٣٠١ لابن عبد البر، والإصابة لابن حجر.

(٣) الصحاح مادة (خبب) ١١٨/١.

(٤) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، والسكيت لقب أبيه إسحاق، مات سنة ٢٤٣ من أئمة اللغة والنحو والأدب، ولا حظّ له في علم السنن، من كتبه إصلاح المنطق. انظر سير أعلام النبلاء ١٦/١٢.

(٥) لم أجده من حديث جابر، وهو في صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحاب الحجر : (لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم) . أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين، رقم ٢٩٨٠. والنسائي في تفسير سورة الحجر ٦٣٣/١. والبخاري مع فتح الباري ٣٨١/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ رقم ٤٧٠٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿وإن الساعة لآتية﴾ قال : وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيآتهم، ((فإنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا لذلك)).

قال : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ...﴾ والحق : هو العدل والإنصاف، وهما إنما يَسْتَتمان بوجود جزاء المحسن والمسيء، وإن الدنيا ليست بدار جزاء، بل هي دار البلاء والتكليف، فلا بدّ من يوم الدين ليصل إلى كل ذي حقّ حقّه، كقوله تعالى : ﴿ إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم ﴾(١) ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى،والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾(٢).

قوله : ((أو أن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم))(٣) عطف على قوله : ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ الذي خلقك وخلقهم، والوجهان مبنيان على تفسير ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ لأنه كالتعليل له، فالوجه الأول مبني على أن الآية من باب المخالفة، وهي غير منسوخة. والثاني : على أنه من باب المداراة والاصطبار، هذا هو الظاهر، لأنه تعالى لما أتمّ الاقتصاص تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإرشاداً له إلى اللاكتساء بلباس الصبراقتفاءً بهم(٤) ، أتى بخاتمة جامعة للتّسلي، وهي الإنتقام في العاقبة من أعدائه، وإيصال الجزاء إليه لحسناته، وللأمر بالمداراة والصبر على المكابرة، وجعلها تخلّصاً إلى مشرع آخر، وهو قوله : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ الآيات، وفيه حديث الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا، وهو من أعظم أنواع الصبر.

---

(١) سورة يونس الآية ٤.

(٢) سورة الأحقاف الآية ١.

(٣) ذكر (ز) عند تفسير قوله ﴿ الخلاق العليم ﴾ : إي : العليم بحالك وحالهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم، وهو يحكم بينكم، ((أو أن ربك هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم)) وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح.

(٤) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الزخرف الآية ٨٩ : ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾، وقوله في سورة البقرة الآية ١٠٩ ﴿فعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾.

قوله : ((كقولك : قطع الثياب))[1] ، قيل : فيه نظر، لأن باب التفعيل لا يختصّ بهذه، وشاهده الصيغة الموضوعة، كالنساج والقطاع، لأجل الحِرَفِ، وجوابه : أنه قد علم أن باب التفعيل إذا كان مما نقل من أصل إليه أفاد بحسب المقام، إما المبالغة، وإما التكثير، كما سبق في قوله تعالى ﴿ ليس بظلام للعبيد ﴾[2] إذا كان موضوعاً كذلك، نحو ﴿ كلم الله موسى تكليما ﴾[3] لم يقدر ذلك ﴿ والخلّاق ﴾ من قبيل الأول .

وقوله : ((وقيل : هي آل حم))[4] عطف على قوله ((وهي الطّوَلُ)) أي : السور المختصة بذكر حم في أوائلها، قال جماعة سور اجتمعن اجتماع القرابات، ولأن الآل إنما يستعمل في قرابات من له شأن ورفعة، كما يقال : آل محمد وآل إبراهيم، وقال تعالى : ﴿ مما ترك آل موسى وآل هرون ﴾ أي : موسى وهرون.

قوله : ((مثنّاة)) وروى : مثناة عن نسخة المصنف أو مثنية، أي : المثاني، واحدها إمّا مثناة أو مثنية، اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية، فإن الآية إما أن تُثْنَّى مكررة، أو هي مثنية، كأنها تُثنى على الله بصفاته الحسنى على الإسناد المجازي، أو الإستعارة[5] المكنية.

---

(١) يشير إلى قول (ز) : يعني لما في مصحف عثمان وأبيّ ﴿ إن ربك هو الخالق ﴾ وهذه الصيغة تصلح للمبالغة وعدمها، أما صيغة ﴿الخلّاق﴾ فهي للمبالغة فقط، ((كقولك : قطع الثياب، وقطع الثوب والثياب)) هـ . وهذه القراءة قرأ بها زيد بن علي، والجحدري، والأعمش، ومالك بن دينار، وهي التي في مصحف أبيّ وعثمان رضي الله عنهما، انظر البحر المحيط ٤٦٥/٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٥١.

(٣) سورة النساء الآية ١٦٤.

(٤) قول (ز) ((وقيل هي آل حم)) لأنهم اختلفوا في قوله ﴿سبعاً﴾ من المثاني، قيل : سبع آيات وهي الفاتحة،أو سبع سور، وهي الطوال، واختلف في السابعة، فقيل : الأنفال وبراءة، لأنهما في حكم سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بيهما بالبسملة، وقيل : سورة يونس، ((وقيل : هي آل حم)) . والطوال : البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف.

(٥) الإستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حُذف أحد طرفيه، فعلامتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به . ومكنية : وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه . جواهر البلاغة ٣١٣ والبلاغة الواضحة ٧٥-٧٦.

قوله : ((وأما السور))(١) عطف من حيث المعنى على قوله : ((لأن الفاتحة)) [مما يكرر، والتقدير(٢) : أما الفاتحة] فكذا ((وأما السور)) فكذا كقوله تعالى ﴿والراسخون في العلم يقولون﴾(٣) بعد قوله ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ كما سبق في موضعه.

قوله : ((وللبيان إذا أردت الأسباع)) فلا يجوز على هذا البعضية كما جازت في الصورتين، لأن القرآن في نفسه أسباع، قال الزجاج(٤) : [دخلت (من) للتبعيض، أي : ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات، يثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن العظيم، ويجوز أن تكون السبع هي المثاني، وأن تكون (من) للصفة، كقوله تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾(٥) أي : فاجتنبوا الأوثان].

قوله : ((ولقد آتيناك ما يقال له : السبع المثاني والقرآن العظيم)) وهو قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء ﴾(٦) أي كتابا جامعاً بين هذين الوصفين.

قوله : ((أصنافا من الكفار)) تفسير لقوله : ﴿ أزواجاً منهم ﴾، الراغب(٧) : [الزوج يقال لكل من القرينين، من الذكر والأنثى كالحيوانات المتزاوجة، وفي غيرها

---

(١) قوله تعالى : ﴿ من المثاني ﴾ يعني (ز) : أنها من التثنية، وهي التكرير، لأن الفاتحة مما تكرّر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة ((مثناة، أو مثنية)) ((وأما السورة أو الأسباع)) فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك.

(٢) الفاتحة [مما يتكرر، والتقدير أما الفاتحة] فكذا ما بين القوسين س من ا ، م.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) ذكره في كتابه معاني القرآن ١٨٤/٣.

(٥) سورة الحج الآية ٣٠.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٤٨.

(٧) الراغب في المفردات ص ٢١٥-٢١٦ مادة (زوج).

كالخُفّ والنعل، ولكل ما يقرن بآخر مماثلاً له أو مضاداً، قال تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾(١)، أي : أقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم، قال تعالى : ﴿لا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾(٢) أي أشباهاً وأقراناً].

قوله : ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) قلت : هذا لا يصلح للاستشهاد، لما رويناه عن أبي داود عن أبي لبابة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ليس منّا من لم يتغن بالقران)(٣) ، قال : فقلت لابن أبي مليكة(٤) : يا أبا محمد : أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال : يحسّنه ما استطاع. النهاية(٥) : [ويشهد له الحديث الآخر (زينوا القرآن بأصواتكم)(٦) وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند

---

(١) سورة الصافات الآية ٢٢.

(٢) سورة طه الآية ١٣١.

(٣) ذكر (ز) : هذا الحديث : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ أي فعليك أن تستغني بالقرآن عن غيره.

أخرجه البخاري مع فتح الباري ٥٠١/١٣ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ وأسروا قولكم أو اجهرو به ﴾ الآية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن – وزاد غيره – يجهر به) . وابو داود في سننه كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة برقم ١٤٦٨ من حديث أبي مليكة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . وأحمد في مسنده ١٧٢/١ ، ١٧٥، ١٧٩ . والدارمي في سننه ٥٦٣/٢ . والحاكم في المستدرك ٥٦٩/١، ٥٧٠.

واستدلال الزمخشري بهذا الحديث على الآية المذكورة استدلال في غير محله كما قال الطيبي، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري الآنف الذكر (ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به) فلفظ يجهر به دال على تحسين الصوت دلالة واضحة والله أعلم.

(٤) ابن أبي مليكة : عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة بالتصغير بن عبد الله بن جدعان، يقال : اسم أبي مليكة : زهير التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه من الثالثة، مات ١١٧، التقريب ١٨١، والتهذيب ٣٠٦/٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٣٩١/٣ مادة (غنى).

(٦) قوله صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل برقم ١٤٦٥ من حديث البراء بن عازب. والنسائي كتاب افتتاح الصلاة، باب تزيين القران بالصوت ١٧٩/٢–١٨٠، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت

العرب غناءاً]، قال في الانتصاف(١) : [حمل كثير من العلماء، الحديث، على الغناء وقالوا : التغني من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور، وأن فعله استغنى خاصة، وقد وجدت بناء تغنّى من الغنى المقصور، ففي الحديث الصحيح: (وأما التي له ستر فرجل ربطها تغنيّاً)(٢) وتعففا، وإنما هو من الغنى المقصور، وهو مصدر تغنّى، فدّل على جواز استعماله في البناءين جميعاً]. قال الجوهري(٣) : [الغناء بالكسر من السماع والمقصور اليسار، أي: استغنى وأغناه ا لله.

قوله : ((وعَضَوْه))(٤) بفتح الضاد، أي : جعلوا القرآن أجزاء قيل : أمر ا لله أن يكونوا لرسول ا لله مُعِزِّين فكانوا عليه عزين، وأن يجعلوا القرآن عظات، فجعلوه عضين.

قوله : ((وقيل : كانوا يستهزؤن به)) عطف على قوله ((قالوا بعنادهم وعداوتهم)).

بالقرآن رقم ١٣٤٢، ٤٢٦/١. وأحمد في مسنده ٢٨٣/٤-٢٨٥-٢٩٦-٣٠٤. والدارمي ٥٦٥/٢، والحاكم في المستدرك ٥٧١/١،٥٧٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٩٤/٣.

(١) ٥٨٨/٢ مع الزمخشري للإمام أحمد. ابن المنير

(٢) يشير إلى حديث أبي هرير رضي ا لله عنه قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم الخيل لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر ... إلى أن قال : ورجل ربطها تغنياً وتعففا ... الخ، أخرجه البخاري مع الفتح ٧٢٦/٨، كتاب التفسير، باب قوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ رقم ٤٩٦٢ ، وكذلك في المناقب رقم ٣٦٤٤، ٣٦٤٦، والاعتصام برقم ٧٣٥٦، والجهاد والسير رقم ٢٨٦٠، والمساقاة برقم ٢٣٧١. ومسلم كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة حديث ٢٤. والموطأ ٤٤٤/٢ كتاب الجهاد، رقم ٣.

(٣) الجوهري ٢٤٤٩/٦ - ٢٤٥٠ مادة (غنى).

(٤) تفسير قوله ﴿ الذين جعلوا القران عضين ﴾ حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم، بعضه حق موافق للتوارة والإنجيل، وبعضه باطل، مخالف لهما فاقتسموه إلى حقّ وباطل . ((وعَضَوْه)) أي : فرقوه.

قوله : ((وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم)) أجاب عن السؤال بوجهين[1] أحدهما أن يتعلق (كما أنزلنا) بقوله ﴿ولقد آتينا﴾ والمقتسمون اليهود والنصاري، وهم إما اقتسموا القرآن اجزاء استهزاء واقتسموا كتبهم تحريفاً فأقرّوا ببعض، وكذبوا ببعض، ومكان التسلية هذا الثاني، وذلك أن قريشاً لما جزءوا القرآن إلى سحر وشعر وأساطير، قيل له صلى الله عليه وسلم : لا تحزن، ولا يكن في صدرك حرج، للقرآن أسوة بالتوراة والإنجيل، وإليه الإشارة بقوله : ((وهذه تسلية)) بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم بالقرآن بعنادهم وعداوتهم.

قوله : ((ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين))[2] منصوباً بـ(نذير) عطف على قوله : ((وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين)) لأنه على ذلك التقدير مجرور صفة للمقتسمين، وعلى الأول النذير مطلق في المنذر والمنذَر به ، وعلى هذا المنذَر الذين جعلوا القرآن عضين والمنذر به ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾، وإليه الإشارة بقوله : ((أنذر المعضِين)) وهو بفتح العين جمع مُعَض اسم فاعل من عضى الشاة إذا جزأها.

قوله : ((على أن بيتوا صالحاً، وذلك في قوله تعالى : [قالوا تقاسموا با لله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ﴾[3] والقصة مذكورة في تفسير هذه الآية.

---

(1) في م (بجوابين).

(2) فيكون منصوبا بالنّذير أن أنذر المعضين الذين جعلوا القرآن إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير، مثل ما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، لينفّروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم . أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيّتوا صالحاً عليه السلام، كما قصّ الله عنهم في قوله : ﴿ قالوا تقاسموا با لله لنبيتنه وأهله ﴾ الآية ٤٩ من سورة النمل.

(3) سورة النمل ٤٩.

قوله : ((لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم)) أي : لما كان تشبيه إنزال السبع المثاني بإنزال الكتابين على المقتسمين من اليهود والنصارى على ما سبق تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن قوله : ﴿ ولا تمدنّ ﴾ الآية تسلية مثلها، فلم يكن اعتراضاً تاماً؟ قال : اعتراض ما هو مددٌ لمعنى التسلية، لأن الجملة المعترضة مؤكدة لمضمون المعترض فيه، وهذا موكّد للازمِه، وذلك أن التسلية إنما يصار إليها إذا وجد الحزن والنكاية من الشخص مما لا يلائمه، فكما يحصل ذلك من جهة المستزئين الذين يجعلون القرآن عضين، كذلك يحصل من جهة الالتفات إلى ما متّع به الكفار من زهرة الحياة الدنيا، وكما يشغله الأول من أن يُقبل بمجامعه على المؤمنين كذلك الثاني، وإليه أشار بقوله : ((ومن الأمر بأن يُقبل بمجامعه على المؤمنين، ويمكن أن يدخل ذلك في حيّز التشبيه، وأن يقال : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرأن العظيم ﴾ ونهيناك عن أن تمدّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم، كذلك أنزلنا على أهل الكتاب الكتابين المعظمين، وقلنا لهم : ﴿ لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ فلا تكن مثلهم حيث أخلدوا إلى الأرض، ومالوا إلى حطام الدنيا وزخرفها وحرّفوهما فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وهذا الوجه أحسن[1] ، لأن التشبيه تمثيلي، وكلما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل في الحسن، وعلى هذا لا يكون تسلية، بل يكون من باب الإلهاب والتهيج، كقوله تعالى : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾[2] ومن المشركين، أو أن يخاطب صلوات الله وسلامه عليه، والمراد أمته. والله أعلم.

قوله : ((عضين أجزاء)) قال الواحدي[3] : [عضين جمع عضة مثل عزة وعزين، من عضيت الشيء إذا فرّقته، وكل فرقةٍ عضة].

---

(١) ويدلّ له قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٨٥ ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ وقوله في سورة النساء الآية ١٥٠ ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٤.

(٣) الواحدي في تفسير الوسيط ٥٢/٣.

قوله : ((هي فعلة من عضهته)) قال السجاوندي : أو هو عضهته كأصل صفة شفهه أي الكذب أو البهت أو السحر مشتق من العضاة، لأنه يؤذي ويجرح كالشوك، وجمع سلامته عوض نقصان الواو والهاء، نحو عزين وثبين.

قوله : ((وقيل : سألهم سؤال تقريع))(١) وعلى الأول، لم يرد به السؤال وإنما هو كناية عن مجرد الوعيد،كما تقول لمن تهدده:إنما تُسأل عما تفعل، أي:نجازيك به.

قوله : ((والصدع في الزجاجة))(٢) الراغب(٣) : [الصدع : الشق في الأجسام، كالزجاجة والحديد، يقال : صدعته فانصدع، وصدّعته فتصدّع، قال تعالى: ﴿ يومئذ يصّدعون ﴾(٤) ، ومنه استعير صَدَعَ الأمر، قال تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر﴾(٥) وكذا استعير منه الصداع، وهو شبه الإنشقاق في الرأس من الوجع، قال تعالى: ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾(٦) ، ومنه الصديع للفجر، وصدعت الفلاة : قطعتها، وتصدّع القوم : تفرقوا].

قوله : ((مصدر))(٧) من المبني للمفعول، أي بمأمرك، ومثله : ﴿ لأنتم أشد رهبة﴾(٨) أي : مرهوبية. وقوله : ﴿ ومن بعد غلبهم ﴾(٩) أي : مغلوبيتهم .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما يؤمر وأعرض عن المشركين ﴾.

(٣) الراغب ٢٧٦ مادة (صدع).

(٤) سورة الروم الآية ٤٣.

(٥) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٦) سورة الواقعة الآية ١٩.

(٧) يعني (ز) قوله : ﴿بما تؤمر﴾ قال : يجوز أن تكون (ما) مصدرية، أي : بأمرك.

(٨) سورة الحشر الآية ١٣.

(٩) سورة الروم الآية ١.

قوله : ((﴿فسبح﴾(١) فافزع فيما نابك إلى ا لله)) يريد أن قوله ﴿فسبّح﴾ أمر بإزالة ما كان يلحقه من ضيق الصدر، وفي الحقيقة المزيل هو الفزع إلى ا لله، فوضع التسبيح موضع اللجاء، واللجاء إلى الخلق بالدخول في كنفه، واللحوق إلى خفارته، وإلى ا لله بالتضرع إليه بالذكر الدائم والخضوع بين يديه بالسجود المتوالي.

قوله : ((يكفيك ويكشف عنك الغم)) جواب الأمر، وهو ﴿فسبح﴾.

قوله : ((﴿حتى يأتيك اليقين﴾ أي ما دامت حيًا فلا تُخِلَّ بالعبادة))، قال محي السنة(٢) : [هذا معنى قوله : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا ﴾(٣) ، وقال الإمام(٤) : [سمي الموت يقيناً، لأنه أمر متيقّن، وقال الراغب(٥) : [اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال : علْم يقين، ولا يقال : معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الحكم، يقال : استيقن وأيقن]. أما دلالة النظم عليه، فإن في عطف ﴿واعبد﴾ على ﴿فسبح﴾ وترتيبه بالفاء، على قوله : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ بعد الأمر بالإعراض عن المشركين إشعارا بمتاركة القوم والإقناط من إيمانهم، أي : بذلت جهدك واستفرغت ما في وسعك في الإنذار والتبليغ، فأعرض عنهم، وفوّض أمرهم إلى مقتضى قولنا ﴿ فسوف يعلمون ﴾ كما قال في حم : ﴿وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . فاصفح عنهم وقل سلام

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾.

(٢) محي السنة البغوي في تفسيره ٣٩٧/٤.

(٣) سورة مريم الآية ٣١.

(٤) الفخر الرازي ٢١٦/١٩.

(٥) الراغب ٥٥٢، مادة (يقن).

ويدل على أن اليقين هو الموت : قوله تعالى في سورة المدثر الآية ٤٣-٤٧ ﴿ قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين ﴾ وهو الموت.

فسوف يعلمون﴾(١) واشتغل بما هو مختص بك من العبادة حتى تختار جوار الرفيق الأعلى، وأما ما رواه السلمي(٢) عن الواسطي(٣) : [واعبد ربك لا تُلاحِظ غيره في الأوقات حتى يأتيك اليقين، فيتحقق عندك أنك لا تحسّ بغير الحق، ولا ترى إلا الحق، ولا يجاذبك إلا الحق] فهو إشارة إلى الإرشاد إلى العروج في درجات العبودية والترقي إلى مقام رفع الحول والقوة إلا با لله كما ورد في الحديث القدسي(٤) : (ما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرّبُ إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذني أعذته ...

---

(١) سورة الزخرف الآية ٨٩.

(٢) السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري أبو عبد الرحمن، من علماء المتصوفة . قال الذهبي : شيخ الصوفية، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل : كان يضع الأحاديث للصوفيه، له تآليف كثيرة : منها حقائق التفسير على طريقة أهل التصوف، ويوجد في مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ٥٢ . انظر الأعلام ٩٩/٦ وميزان الاعتدال ٤٦/٣ . ولد سنة ٣٢٥هـ، ومات سنة ٤١٢هـ.

(٣) الواسطي لعله خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي أبو محمد، عالم بالحديث من أهل واسط، له تصانيف، استقرّ بغداد. مات سنة ٤٠١ . انظر الأعلام ٣١١/١، والبداية والنهاية ٣٤٤/١١.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٤٠/١١ برقم ٦٥٠٢، كتاب الرقائق، باب التواضع، من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه، قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (إن ا لله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبُ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته) .

وصحيح ابن حبان ٥٩/٢ وفي سند هذا الحديث خالد بن مخلد، قال فيه أحمد بن حنبل : له مناكير، وقال أبو حاتم : لا يحتج به، قال الذهبي : هذا حديث غريب جداً، لولا هيبة الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد، فإن هذا المتن لم يروَ إلا بهذا الإسناد، ولا خرّجه من عدا البخاري، انظر فتح الباري ٣٤١/١١.

الحديث) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، ويمكن أن يقال : إن قوله: ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ لما كان حكماً مرتباً على قوله : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ وفيه إرشاد إلى إزالة ذلك الضيق الذي هو نتيجة القلق والإضراب لأجل النظر إلى الغير في ضيق عالم الشهادة بالأخذ بالتسبيح والعبادة المؤدي إلى حصول ثلج اليقين، وانشراح الصدر بسبب النظر إلى فسحة عالم الغيب، وأن الكائنات تابعة لمراد ا لله ومقتضى مشيئته وحكمته استقام إجراء اليقين على حقيقته، إي : اعبد ربك لكي يتحقق لك ذلك، فيزول عنك ذلك[1] ، وإلى هذا المعنى ينظر قوله : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾[2] ، وما روينا عن أبي داود عن حذيفة: (كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)[3]، وروى السلمي عن بعضهم : [﴿ واعبد ربك ﴾ انقطاعاً إليه واعتماداً عليه حتى يأتيك اليقين بأن الأمر كله إلى ا لله، وهو متولي إضلال من ضلّ وهداية من هدى]، وعن الواسطي : ﴿ حتى يأتيك اليقين ﴾ [أنه لا إله يسوق إليك المكاره ويصرفها عنك إلا ا لله، ولا يسوق إليك المحابّ ويصرفها عنك إلا هو، وبهذا انكشف أنّ عبادة ا لله هي العمدة العظمى، والمقصد الأقصى، وبها تنال الدرجات العليا، ولو أن أحداً استغنى عنها لكان أفضل الخلق أولى وأحرى، وكيف لا وما شرف بما شرف به في أشرف مقاماته إلا بتشريف : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾[4] ، وروى

---

(١) قد كرر تعالى في كتابه الأمر بالتسبيح، والصبر على أذى الكفار، فقال في سورة طه الآية ١٣٠ ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ . وقال تعالى في سورة غافر الآية ٥٥ : ﴿فاصبر إن وعد ا لله حق واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٥.

(٣) أخرجه ابو داود ٧٨/٢ كتاب الصلاة،باب وقت قيام النبي صلى ا لله عليه وسلم من الليل الحديث رقم ١٣١٨. ومسند أحمد ٢٠٦/١ ، ٣٦٨، ٢٨٠، ٣٨٨/٥. والطبري ٩/١ عند قوله : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ الآية ٤٥.

(٤) سورة سبحان الآية ١.

السلمى عن ابن عطاء ، لم يرض الله من نبيه صلى الله عليه وسلم لمحة عين إلا في عبادته. والله أعلم بأسرار كلامه.

سورة النحل مكية، غير ثلاث آيات في آخرها[1]، وهي ١٢٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ﴿ أتى أمر الله ﴾[2] أي : ((هو بمنزلة الآتي الواقع))، الراغب[3] : [الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه : أتيٌّ وأتاويٌّ، وبه شبّه الغريب، فقيل : أتاوِيٌّ، والإتيان : قد يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير والشر، وفي الأعيان والأعراض قال تعالى : ﴿ إن أتاكم عذاب الله ﴾ أي بالأمر والتدبير، وقال : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾، وقال أيضاً[4] : والعجلة : [طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه، وهي من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة التنزيل، حتى قيل : العجلة من الشيطان، وقوله تعالى: ﴿ وعجلت إليك ربي لترضى ﴾[5] ، فذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود، وهو طلب رضى الله، وقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل﴾[6] قال بعضهم : من حمأ ليس بشيء، بل ذلك تنبيه على أنه لا يَتَعرّى من ذلك، وإن كان ذلك إحدى القوى

---

(١) ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا ... ﴾ الآيات الثلاث من آية ١٢٦ إلى آخر السورة فمكية. انظر البغوي ٥/٧.

(٢) تفسير قوله : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ الآية ١، من سورة النحل.

(٣) الراغب في المفردات ٨ مادة (أتى).

(٤) يعني الراغب في مادة (عجل) ٣٢٣.

ويوضح معنى هذه الآية المتضمن قرب الساعة قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية ١: ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ وقوله في سورة القمر الآية ١ : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾، وقوله في سورة الأحزاب الآية ٦٣ : ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ وقوله في سورة النجم الآية ٢٧-٢٨ : ﴿ أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة ﴾.

(٥) سورة طه الآية ٨٤.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٣٧.

التي ركّب عليها، وعلى ذلك قال : ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾(١) والعجالة ما يُعَجَّلُ أكله] كاللُّهْنَة(٢) : وهي السُّفْلَة، وهي ما يتعلّل به الإنسان قبل إدراك الطعام.

قوله : ((قرئ ﴿ينستعجلوه﴾ بالتاء والياء، بالتاء الفوقانية، وهي المشهورة، وبالياء شاذة(٣) .

قوله : ((عن أن يكون له شريك))(٤) هذا على أن يكون (ما) موصولة، وقوله: ((وأن تكون آلهتهم شركاء)) عطف على سبيل البيان، وقوله : ((عن إشراكهم)) على أن (ما) مصدرية.

قوله : ((لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب، وذلك من الشرك))، فـ((من)) إما ابتدائية، فالمعنى ذلك من أجل الشرك،أوبسببه أو تبعيض، أي : وذلك بعض الشرك، والمعنى على الوجهين(٥) ، أن من استهزأ بوعد الله ووعيده، وكذّبه فيما أثبت له العجز والقصور والإحتياج إلى الغير، وأن أحداً عجزه من إنجاز وعده وإمضاء وعيده، قال الإمام(٦) : [قال الكفار : هب أنا سلمنا لك ما تقول من أنه تعالى حكم بإنزال العذاب علينا إلا أنا نعبد هذه الأصنام فإنها شفعاؤنا عند الله، فتشفع لنا فنتخلّص من العذاب، فأجاب الله تعالى بقوله : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾،

---

(١) سورة الإسراء الآية ١١.

(٢) الصحاح للجوهري ٦/٢١٩٧ مادة (لهن).

(٣) ﴿فلا يستعجلوه﴾ بالياء، قرأ بها سعيد بن جبير، وهي شاذة. مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوية ٧٢.

أما قرآة التاء فهي قرآءة العامة.

(٤) تفسير قوله : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾، قال (ز) : تبرأ عزّ وجلّ ((عن أن يكون له شريك)) وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم، على أن (ما) موصولة، أو مصدرية، فإن قلت : كيف اتصل هذا باستعجالهم؟. قلت : ((لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب، وذلك من الشرك)).

(٥) في م على الوجهين (هو) أن من استهزأ.

(٦) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٩/٢١٨.

وكذا لخّص القاضي[1] ، وقلت : ويمكن أن يقال : إن الخطاب في قوله : ﴿فلا تستعجلوه﴾ عام يدلّ عليه ما رواه لما نزلت ﴿ اقتربت الساعة ﴾[2] إلى قوله : فنزلت ﴿ اتى أمر ا لله ﴾ فوثب النبي صلى ا لله عليه وسلم ورفع الناس رءوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقية، فنزلت ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ فاطمأنّوا، ورواه محي السنة[3] بتمامه عن ابن عباس كأنه قيل : قرب وأتى أمر ا لله فلا تستعجلوه لأن ما هو آت، آت، كما يقال لمن يطلب الإغاثة، وقد قرب حصولها : جاءك الغوث، ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة في قوله ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ نعياً على المشركين خاصة إلى غيرهم واستبعاداً لسوء صنيعهم، يعني : ماذا يستعجل منه أولئك البعداء مع هذه العظيمة التي ارتكبوها، كقوله تعالى : ﴿ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾[4] فما أبعدهم من قوم، وما أجهلهم من جيل في إشراكهم با لله مع تعاضد الأدلة السمعية والعقلية في قلعة واستعجالهم فيما يُرْديهم. وإلى السمعية[5] الإشارة بقوله ﴿ينزل الملائكة﴾[6] الآية، أي : ينزل ا لله تعالى ملائكته المقربين ملتبسين بوحيه وكلامه الذي هو بمنزلة الروح للجسد وبمثابة الحياة للقلوب الميتة، ويختار لرسالته والإنذار به الخيرة من عباده، والمصطفَيْن من خلقة ليقيموا بالدعوة إلى التوحيد وبالأمر بالتقوى الذي

(١) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١٧٥/٣.

(٢) سورة القمر الآية ١.

(٣) أخرجه الواحدي ٣٢١ والبغوي في تفسيره، يعني محي السنة ٨/٥ وبمعناه أخرجه الطبري ٧٥/١٤ . وانظر الدر المنثور ١٠٨/٥ والقرطبي ٦٦/١٠. والحديث موقوف على ابن عباس.

(٤) سورة يونس الآية ٥٠.

(٥) يعني الأدلة السمعية.

(٦) جزء من آية ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ من الآية ٢.

ويدل لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الشورى الآية ٥٢ ﴿ وكذلك اوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾، وقوله في سورة غافر الآية ١٥ : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾.

هو ملاك الدين. وإلى العقلية الإشارة بقوله : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق ﴾[1] و ﴿خلق الإنسان من نطفة ﴾ وهما من كِلا نَوعي الدليل الإماني والأنفسي، وضُم إلى الأول ما ابتدئ به من قوله : ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ تقديراً، وإلى الثاني قوله : ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ تعريفاً[2] ، أي خصيم لربه منكر على خالقه، وصفاً له بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة، ثم شرع في بيان النعم السابغة والآلاء المتابعة إلى آخر السورة، ولذلك سميت بسورة النّعم، وفي كل ذلك إشارة للمؤمنين إلى ترك الاستعجال والتأني في الأمور، والاشتغال بالأهمّ، والأخذ في الاستعداد، وتأهّباً لزاد يوم المعاد، بإلزام التوحيد، والذكر الدائم، والاكتساء بلباس التقوى، وتقرير الدلائل للإرشاد، والتذكير بآلاء الله، شاكرين مستعصمين بحبله مستمسكين بالعروة الوثقى. فإن قلت : ما موقع قوله : ﴿ ينزل الملائكة ﴾؟. قلت : إما حال من واو ﴿يشركون﴾ مقرّرة لجهة الإشكال، وإما استئناف لبيان الاستبعاد، وكذا قوله : ﴿ خلق السموات ﴾. فإن قلت : فلم خولف بين العبارتين مستقبلاً وماضياً مع اتحاد المغزى؟. قلت : للإيذان بالاستمرار في الأول إنزالاً غبّ إنزال وإرسالاً بعد إرسال. والتحقيق في الثاني، والله أعلم.

قوله : ((وقرئ تشركون بالياء والتاء)) حمزة والكسائي بالتاء الفوقانية والباقون بالياء في الموضعين[3]. قال القاضي[4] : [الياء التحتانية على تلوُّن الخطاب أو على الخطاب للمؤمنين، أو لهم ولغيرهم].

---

(1) قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ الآيتان من سورة النحل ٣، ٤.

(2) تفريعاً في ت.

(3) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿تشركون﴾ بالتاء في الموضعين في قوله : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما (تشركون) ﴾ وفي قوله : ﴿ خلق السموات والأرض بغير الحق سبحانه وتعالى عما (تشركون) ﴾ . وقرأ الباقون بالياء ﴿يشركون﴾ . انظر الحجة لابن زنجلة ٣٨٤-٣٨٥، وإتحاف الفضلاء ٢٧٧.

(4) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٥/٣.

قوله : ((﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، بالتخفيف ابن كثير(١) وأبو عمرو)).

قوله : ((بما يحي القلوب الميتة بالجهل من وحيه)) من بيان تلخيصه ينزل الملائكة بالوحي، شبّه الوحي تارة بالروح لما فيه من حياة الروح الميتة بالجهل، وأخرى بها لما يتزيّن به الدين كما تتزيّن الروح بالجسد، ثم أقيم المشبه(٢) فصار استعارة تحقيقية مصرّحة، والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة إبدال ﴿أن أنذروا﴾ من الروح، قيل : من أمره مخرج الإستعارة إلى التشبيه، كما في قوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾(٣) ، قلت : بينهما بون بعيد، لأن نفس الفجر عين المشبه الذي شبه بالخيطين، وليس مطلق الأمر ههنا مشبها بالروح حتى يكون بياناً له، لأنه أمر عام بمعنى الشأن والحال، ولهذا يصحّ أن يفسر الروح الحيوانيّ به، كقوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾(٤) أي: من شأنه، ومما استأثر الله بعلمه، وأن يفسر الروح المراد منه الوحي به أي : من شأنه ومما أنزل على أنبيائه نعم، هو مجاز أيضاً لأن الأمر العام إذا أطلق على فرد من أفراده كان مجازاً، ومن ثمّ قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾(٥) ، [الروح من أمره الذي هو سبب الحياة من أمره، يريد الوحي الذي هو أمر بالخير، وبعث إليه فاستعار له الروح] انتهى كلامه،

(١) قرأ ابن كثير وأبوعمرو ﴿ينزل الملائكة﴾)) بسكون النون وتخفيف الزاي، وقرأها روح بالتاء مفتوحة، وفتح الزاي المشددة، مثل قوله ﴿تَنَزَّلَ الملائكة والروح﴾ في سورة القدر، ورفع ﴿الملائكة﴾ ووافقه الحسن، والباقون ﴿يُنَزِّل الملائكة﴾ بالياء مضمومة وكسر الزاي مشددة ونصب ﴿الملائكة﴾ . انظر الإتحاف ٢٧٧.

وقرأ أبوبكر في رواية الكسائي ﴿تُنَزَّلُ الملائكةُ﴾ بضم التاء وفتح الزاي ورفع ﴿الملائكة﴾ . انظر الحجة لابن زنجلة ٣٨٥.

(٢) (المشبه به) مقام المشبّه في : ت ، ب.

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٧

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٥) سورة غافر الآية ١٥. انظر تفسير الزمخشري عند هذه الآية ﴿يلقي الروح﴾ في غافر جـ٣/٣٦٤ وذكره بتمامه.

فيكون البيان والمبين كلاهما مجازين مترادفين، ولما كان البيان والمبين كشيء واحد جمعهما في قوله : (الروح من أمره) الذي هو سبب الحياة، وأيضاً لو كان تشبيهاً لفهم التشبيه على تقدير الوقف على أمره، والله أعلم.

قوله : ((بأن الشأن أقول لكم))(١) عن بعضهم إنما زاد في التفسير أقول لأن الأمر لا يقع خبراً للمبتدإ، وهو الشأن. وقلت : يعني أن ضمير الشأن مبتدأ، و ﴿أنذروا﴾ خبره، وهو إنشاء فلا بدّ من تقدير القول ليصحّ حمل الإنشائي على المبتدأ، وأما تقديره في الوجه الثاني أي يقول لهم الله : أعلموا الناس، فهو معنى ينزل الملائكة، لأنه حينئذ في تقدير القول، قال القاضي(٢) : [الآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة، وأن حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو كمال القوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العلمية، وأن النبوة عطائية، والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته، من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالَم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة، ولو كان له شريك لقدر على ذلك، فيلزم التمانع].

قوله : ((من خلق البهائم))(٣) بيان ما يصلحه، وخلق فيه مقحم للتأكيد.

قوله : ((وقرأ ﴿يشركون﴾ بالياء التحتاني حمزة والكسائي))(٤) .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أن أنذروا ﴾ قال (ز) بدل من الروح، أي : يُنَزّلهم بأن أنذروا، وتقديره : بأنه أنذروا، أي : ((بأن الشأن أقول لكم أنذروا)) .

(٢) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٥/٣.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾، قال (ز) : ثم دل على وحدانيته، وأنه لا إلاه إلا هو بما ذكر مما، لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لا بدّ له منه ((من خلق البهائم)).

(٤) تقدم الكلام على القراءة في قوله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة . وحمزة والكسائي يقرآنها بالتاء خلافاً لما قال الطيبي رحمه الله.

قوله : ((﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ فيه معنيان))، يعني : في ترتب ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ على كونه نطفة معنيان أحدهما الإيذان بانتهاء حالتي حقارته[1] وعظمته، وإفراطه وتفريطه، وثانيهما : الإشعار بتعكيس أمره حيث إنه تعالى نقله من أخسّ أحواله إلى أشرفها ليشكر فكفر، كقوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾[2] ، وقلت : ﴿ هذا المعنى مؤكّد لما فسرنا به قوله ﴿ أتى أمر ا لله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ من قولنا : ما أجهلهم من جيل في إشراكهم با لله، مع تعاضد الأدلة السمعية والعقلية في قلعه.

قوله : ((دلالة على قدرته))[3] مفعول له لمقدر، أي : ذَكر ا لله تعالى خَلْق الإنسان من نطفة وجعله خصيماً مبيناً دلالة على قدرته، وكذا قوله : ((وصفاً للإنسان))، والفرق أن القصد الأولى في سوق الآية على الأول بيان قدرة ا لله الكاملة، وأنه تعالى لما خلق من الشيء الحقير هذا الخلق الخصيم كقوله تعالى : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ... إلى قوله : فقدرنا فنعم القادرون ﴾[4] ، وعلى الثاني : القصد إلى بيان وقاحة الإنسان وتعدّيه طوره كقوله تعالى : ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي

---

(١) ويدلّ لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الطارق الآية ٥-٧ : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ﴾، وذلك تنبيه على حقارة ما خلق منه، ومثله قوله تعالى في سورة المرسلات ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ... ﴾ الآية ٢٠، وقوله في سورة المعارج الآية ٢٩ ﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم . كلا إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾.

(٢) سورة الواقعة الآية ٨٢.

(٣) تفسير قوله : ﴿ فإذا هو خصيم مبين ﴾، قال (ز) : فيه معنيان : أحدهما : فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من منيّ جماد لا حسّ به ولا حركة ((دلالة على قدرته)) . والثاني : فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل : ﴿ من يحي العظام وهي رميم ﴾ ((وصفا للإنسان)) بالإفراط في الوقاحة والجهل ... الخ.

(٤) سورة المرسلات الآية ٢٠-٢٣.

العظام وهي رميم ﴾(١) ، ويؤيد(٢) الأول قوله : ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ وقوله: ﴿والأنعام خلقها لكم ﴾، والثاني قوله : ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ تعالى ا لله عما يشركون، وكذا قوله : ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ والثاني أوفق لتأليف النظم.

قوله : ((وأكثر ما تقع على الإبل))(٣) (ما) مصدرية، أي : الأنعام أكثر وقوعها على الإبل.

قوله : ((ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم))(٤) دلّ على الحصر لام الاختصاص في (لـ)ـكم، وفحوى الخطاب، ولذلك قال : ((يا جنس الإنسان))، ويمكن أن لا يعلق لكم بخَلَقَها، بل يكون خبر (دفء) لتطابق قرينتها وهي ﴿لكم فيها جمال﴾، فيحصل الإختصاص من تقديم الخبر، وأما تخصيص ذكر جنس الإنسان فلافادة الإلتفات،

---

(١) سورة يس الآية ٧٧-٧٨.

(٢) وهذا أبلغ زجر عن التكبر والتعاظم، لأن الإنسان خلق للعبادة كما قال ا لله تعالى في سورة الذاريات الآية ٥٦ : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ثم فاجأ ربه بالخصومة والتكذيب، كما دلت عليه ﴿إذا﴾ الفجائية، ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ... الآية ﴾، وقوله تعالى في سورة مريم الآية ٦٦ : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما متّ لسوف أخرج حياً . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾، وقوله في سورة الفرقان الآية ٥٤-٥٥ : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً . ويعبدون من دون ا لله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ الآية ٥ من سورة النحل، قال (ز) : الأنعام الأزواج ((وأكثر ما تقع على الإبل)).

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿خلقها لكم﴾، أي : ((ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان))، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى في هذه السورة الآية ٨٠-٨١ : ﴿ وا لله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾. وقوله في سورة النحل الآية ٦٦ : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾، وقوله تعالى في سورة غافر الآية ٧٩ : ﴿ وا لله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾، وقوله تعالى في سورة يس الآية ٧١-٧٣ : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾.

وهو الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب، وفائدة المكافحة تتميم معنى الإنكار على كفران النعمة الذي يعطيه قوله : ﴿ فإذا هو خصيم مبين ﴾.

قوله : ((من صوفٍ أو وَبَر أو شعر))(١) أي : من الغنم أو الإبل أو المعز، والدفء آلة الدّفء.

قوله : ((ويحتمل أن طعمتكم منها))(٢) فهو من إطلاق السبب على المسبب، ويجوز أن يقال : ومنها ينتفعون، فيكون المجاز في تأكلون، لأن الكلام مع أرباب المواشي، وعلى الأول المجاز في الأنعام من إطلاق معظم الشيء على كلّه، وكل ذلك متعسف، لأن التقديم لمراعاة الفواصل، ويكون من عطف الخاص على العام، لأن الأكل أصل الإنتفاع.

قوله : ((التفكه))(٣) ، الأساس(٤) : [ومن المجاز تفكّه بكذا تلذّذ به، وفاكهت القوم مفاكهة طايبتهم].

قوله : ((مَنّ الله تعالى بالتجمل بها))(٥) ، الراغب(٦) : [الجمال الحسن الكثير، وذلك ضربان . أحدهما : جمال يختصّ به الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني : ما يصل به منه إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما روى (إن الله جميل يحب

---

(١) تفسير ﴿دفء﴾ قال (ز) : والدفء : اسم ما يدّفأ به، كما أن الملء اسم ما يملأ به، وهو الدفاء من لباس معمول ((من صوف أو وبر أو شعر)).

(٢) يعني هذه الأنعام من أسباب طعامكم، لأنكم تحرثون بالبقر، فالحبّ والثمار التي تأكلونها منها، وتكتسبون بإكراء الإبل.

(٣) يعني أن الأنعام هي الأكل في أكل لحومها، أما الأكل من غيرها : يعني : من الدجاج والبطّ وصيد البحر والبر، فكغير المعتد به، وكالجاري مجرى ((التفكّه)).

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ٤٨٠ مادة (فكه).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ الآية ٦ من سورة النحل، قال (ز): ((منّ الله بالتجمل بها)) كما منّ بالانتفاع بها.

(٦) الراغب الأصبهاني في مفردات القرآن ص ٩٧ مادة (جمل) بتصرف.

الجمال)[1] تنبيها أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة، فيجِبُ من يختص بذلك، يقال : جاملت فلاناً وأجملت في كذا، والجمل يقال : للبعير إذ أبزل[2] ، والجامل قطعة من الإبل معها راعيها]، وتسمية الجمل بذلك، يجوز أن يكون لما قد أشار إليه بقوله : ﴿ ولكم فيها جمال ﴾، لأنهم كانوا يعدون ذلك جمالاً لهم.

قوله : ((وسرحوها بالغداه))[3] ، الراغب[4] : [السرح : شجر له ثمرة، الواحدة سرحة، وسُرِّحت الإبل إذا أرسلت أن ترعاه السرح، ثم جعل لكل إرسال في الرعي، قال تعالى : ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ والسارح الراعي، والتسريح الإبل كالطلاق مستعار من تسريح الإبل كالطلاق في كونه مستعار من إطلاق الإبل].

قوله : ((الرّغاء والثغاء))، الجوهري[5] : [الرغاء : صوت ذوات الخفّ، وقد رغا البعير يرغو رغاء إذا ضجّ] [والثغاء[6] : صوت الشاة والمعز وما شاكلهما]، وفي قوله : ((وتجاوب فيه الثغاء والرغاء)) معنى قول أبي العلاء :

** معان من أحبنا مَغان ** يجيب الصّاهلات بها القيان **

قوله : ((وهو من باب التكميل)) ولهذا قال ((وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، ومنه قوله: ﴿ لتركبوها وزينة ﴾ جمع بين الإنتفاع والزينة، كما جمع بين ستر

---

(١) جزء من حديث طويل في مسلم ٩٣/١ كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم ٩١، والمستدرك ١٨١/٤، ٢٦/١.

(٢) بزل البعير يبزُل فطر نابه أي : انشق.

(٣) تفسير قوله : ﴿ وحين تسرحون ﴾، يقول (ز) : لأن الرعيان إذا روّحوها بالعشيّ ((وسرّحوها بالغداة)) فزيّنت بإراحتها وتسريحها الأفنية ((وتجاوب فيها الثغاء والرغاء)).

(٤) الراغب في المفردات ٢٢٩-٢٣٠ مع اختلاف وتقديم، وتأخير مادة (سرح).

(٥) الصحاح للجوهري ٢٣٥٩/٦ مادة (رغا).

(٦) المرجع السابق ٢٢٩٣/٦ مادة (ثغا).

العورة والزينة في قوله تعالى : ﴿ يواري سوآتكم وريشاً ﴾(١) ، لأن الريش الجمال والزينة.

قوله : ((ملآء البطون))(٢) ، الجوهري(٣) : [والملأ بالفتح مصدر قولك : ملأت الإناء، فهو مملوء، والملء بالكسر اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ، فيقال : أعطى ملأه وملأيه، [وضرع حافل أي : ممتلئ لبناً](٤) .

قوله : ((لم تكونوا بالغيه بها))(٥) أي : بالأثقال، والباء فيه ظرف لغو للتعدية، وفي بشق الأنفس مستقر، قال أبو البقاء(٦) : [بشق في موضع الحال من الضمير المرفوع في ﴿بالغيه﴾]، أي : مشقوقاً عليكم، وأما توجيه السؤال كيف ناسب قوله : ﴿لم تكونوا بالغيه﴾ قَوْلَه : ﴿وتحمل أثقالكم﴾ لأن المناسب أن يقال : لم تكونوا حامليه، لأن الحمل شيء والبلوغ شيء آخر، وأجاب أن المناسبة بحسب المعنى، وهو على وجوه ثلاثة . أحدها : أن تجعل التنكير في بلدٍ للتفخيم والتنكير، أي : بلد بعيد شاسع، ليناسبه البلوغ ويلزم منه الحديث في نفي الحمل بالطريق الأولى(٧)، كما قال : فضلاً أن تحملوا على ظهوركم.وثانيها : أن يقدّر في ﴿بالغيه﴾ ما يعود إلى الأثقال.وثالثها : أن يحمل على الأَجْرام. قال في

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦.

(٢) قول (ز) في قوله : ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾، فإن قلت : لم قدمت الإراحة على التسريح؟. قلت : لأن الجمال في الإراحة أظهر ((إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع)).

(٣) الجوهري في صحاحه ٧٢/١ مادة (ملأ).

(٤) الجوهري في صحاحه ١٦٧١/٤ مادة (حفل).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ﴾ الآية ٧ من سورة النحل. قول (ز) : وتحمل إلى بلد بعيد، قد علمتم أنكم لا تبلغوه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة، فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم، ويجوز أن يكون المعنى ((لم تكونوا بالغيه بها إلا بشقّ الأنفس)).

(٦) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٧٨/٢.

(٧) انظر حاشية البيضاوي لمحي الدين شيخ زاده، فذكر هذا التوجيه ١٦٨/٣.

الإنتصاف[1] : [ويمكن أن يقال إنه استغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها، لأن ذلك معلوم من العادة لأن المسافر لا يستغني عن أثقال يستصحبها، والأول أولى].

قوله : ((﴿والخيل والبغال والحمير﴾ عطف على الأنعام))[2] الراغب[3] : [الخيال أصله الصورة المجرّدة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرآة، وفي القلب بعد غيبوبة المرئيّ. ثم يستعمل في صورة كلّ أمر متصوّر، وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال، والتخيل تصوير خيال الشيء في النفس، والتخيّل تصوير ذلك وخِلْت بمعنى ظننت، يقال : اعتباراً بتصوّر خيال المظنون، يقال : خُيّلت السماء أبدت خيالاً للمطر، وفلان مخيّل بكذا أي خَلِيق، وحقيقته أنه مظهر خيال ذلك، والخُيلاء التكبر على تخيل فضلية تراءت للإنسان في نفسه، ومنه الخيل لما قيل : إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة.

قوله : ((وقد احتجّ على حُرْمة أكل لحومهنّ)) قال الإمام[4] : [واحتجّ القائلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية قالوا : منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب، ولو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكر، علمنا تحريمه، ولأنه تعالى قال في صفة الأنعام ﴿ ومنها تأكلون ﴾ والتقديم يفيد الحصر، ثم قرن بعده الخيل مع البغال والحمير، وذكر أنها مخلوقة للركوب والزينة، ولأن قوله ﴿لتركبوها﴾ يقتضي أن يكون تمام المقصود من خلق هذه الأشياء هو الركوب والزينة، ولو حلّ أكلها، لم يكن تمام المقصود من خلقها الركوب والزينة]، وقال : أجاب الواحدي بجواب حسن قال: لو دلتّ الآية على تحريم أكل هذه الحيوانات،

---

(١) الإنتصاف للشيخ أحمد بن المنير المحشي للزمخشري.٢/٥٩٥.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ الآية ٨ من سورة النحل، قال (ز) : قوله تعالى : ﴿ والخيل والبغال والحمير ﴾ عطفٌ على الأنعام و ﴿الأنعام﴾ منصوب على الاشتغال، لأن عامله وهو ﴿خلق﴾ اشتغل عنه بالضمير، فنصب بفعل مقدر وجوباً يفسره ﴿خلق﴾ المذكور، على حد قول ابن مالك في الخلاصة :

** فالسابق انصبه بفعل أضمرا ** حتماً موافق لما قد أظهرا **

(٣) المفردات للراغب ١٦٢ مادة (خيل).

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٩/٢٢٩.

لكان هذا التحريم معلوماً في مكّة، لأن السورة مكية، ولو كان كذلك، لكان قول عامة المفسرين والمحدّثين أن لحوم الحمر الأهلية حرّم عام خيبر غير صحيح، لأن التحريم لما كان حاصلاً قبل يوم خيبر، لم يبق لتخصيصه بذلك اليوم فائدة، ويعضّده ما روينا عن الترمذي وأبي داود وابن ماجه عن المقداد قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته[1] يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهليّ ولا أكل ذي ناب من السباع[2] ، والحديث صرّح أن الحمار ما حرّم بالكتاب، بل بالسنة. وقال محي السنة[3] : [واحتج بهذه الآية من حرّم لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس، وتلا هذه الآية فقال : هذه للركوب، وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة، وذهب جماعة إلى إباحتها، وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، ومن أباحها قال : ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منه تعريف ا لله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، واحتجوا بما روى جابر أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل[4]] أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والدارمي وابن ماجه،

---

(١) (الأريكة) السرير في الحجلة من دونه سِتْر، ولا يسمّى منفرداً أريكة، النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٠ مادة (أراك).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده بهذا اللفظ من حديث المقداد بن معد يكرب الكندي ٤/١٣٠، ١٣١. وأبوداود برقم ٤٦٠٤ كتاب السنة، باب في لزوم السنة. والترمذي برقم ٢٦٦٤. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه ١/٦ برقم ١٢ في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم والتغليظ على من عارضة، كلهم من طريق المقداد بن معد يكرب، ومن طريق عبيد ا لله بن أبي رافع يحدث به عن أبيه اسمه أسلم مولى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم. أخرجه الشافعي في الرسالة ٢٩٥ وإسناده صحيح.

(٣) محي السنة البغوي في تفسيره ٧/ ١٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصيد والذبائح، باب لحوم الخيل ٩/٦٤٨. ومسلم كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل برقم ١٩٤١. وأبو داود في سننه ٣/٣٥١ كتاب الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل برقم ٣٧٨٨، ٣٧٨٩. والنسائي في المجتبى من السنن ٧/ ٢٠٢ كتاب الصيد والذبائح، باب

والتحقيق هذا، وبيانه أنه سبحانه وتعالى لما نهى المشركين عن استعجال نزول العذاب استهزاء بقوله ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ كأنه ما التفت إلى استهزائهم واخرج الكلام على الأسلوب الحكيم أي : لم تستعجلون بنزول ما يُرْديكم ويستأصلكم ؟، فهلا تنتفعون بنزول ما ينجيكم، وينجيكم منه، وهو هذا القرآن الذي بمثابة الروح لحياة القلوب الميتة، وهذا الرسول الكريم وبالمؤمنين رءوف رحيم يدعوكم إلى التوحيد والتقوى، ويبصّركم الدلائل الدالة على وحدانيته لئلا تشركوا به شيئاً، وينبّهكم على النعم السابقة التي توجب أن تشكروه وتعبدوه من دلائل الآفاق والأنفس وما خلق لكم من الأنعام وغيرها لانتفاعكم بها بالأكل والركوب وجرّ الأثقال والزينة على ما أِلفتم واتّخذتم شعاراً لأنفسكم وافْتخرتم بها، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ وأما الجواب عن قولهم: لو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر ؟، فقد أشار إليه القاضي(1) بأن قال : [لا دليل فيه، إذا لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد به غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً]، وأما الجواب عن الحصر بتقديم معمول ﴿يأكلون﴾، فهو النظر إلى رعاية الفواصل لا غير، كما سبق هذا، ولو فهم الصحابة رضوان الله عليهم من هذه الآيات غير ما هي عليه من بيان الإمتنان، لم يكن فعلهم يوم خيبر رشداً، على ما روينا في صحيح البخاري عن البراء بن عازب وعبد الله بن أبي أوفى: (أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فأصابوا حمراً فطبخوها فنادى منادي رسول الله صلى عليه وسلم، اكفؤا القدور)(2) . فإن قلت : لم لا يجوز أن يستنبط التحريم على

تحريم أكل لحوم الخيل برقم ٣٠. وابن ماجه ١٠٦٦/٢ كتاب الذبائح، باب لحوم الخيل والبغال برقم ٣١٩٨. والدارمي ١١٩/٢ باب في أكل لحوم الخيل برقم ١٩٩٣ . والترمذي في سننه ٢٢٣/٤ كتاب الأطعمة، باب في أكل لحوم البغال برقم ١٧٩٣ . والدارقطني ٢٨٧/٤ كتاب الصيد والذبائح والأطعمة ٦٠، ٦١ . وأحمد في مسنده ٨٩/٤. وشرح السنة للبغوي ٢٥٤/١١ كلهم من حديث جابر رضي الله عنه.

(1) القاضي البيضاوي ١٧٦/٣.

(2) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٨١/٧ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، الحديث رقم ٤٢٢١، ٤٢٢٢ من حديث البراء بن عازب وعبد الله بن أبي أوفى. وكذلك الحديث رقم ٤٢٢٣، ٤٢٢٤ وفي الذبائح ٥٥٢٥ باب تحريم أكل لحم الحمر الأهلية . ومسلم برقم ١٩٣٨ كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم

طريقة إشارة النص؟. قلت : إشارة النص من الدلائل الدقيقة اللطيفة المستخرجة من الأحكام، والكلام مسوق للامتنان، كما سبق. نعم فيه إشارة إلى جل الغرض فيها، ومعظم الإنتفاع منها ما ذكر من الركوب والزينة، وأما التحريم فلا، ولا بدّ من دليل منفصل للتحريم والتحليل، والدليل من جانبنا ولولا أن ورود الآية للامتنان بحسب ما ألفوا واعتادوا لم يذكر الزينة أصلاً، وكيف ذلك وقد ورد النهي عنها على ما روينا عن البخاري ومسلم ومالك وأبي داود والنساء عن أبي هريرة في حديث طويل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخيل ثلاثة : هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله)، وساق الحديث إلى قوله : (ورجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي لذلك الرجل ستر، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء على أهل الإسلام، فهي على ذلك وزر الحديث[1] .

قوله : ((ما ذكره في الأنعام)) أي : في شأن الأنعام وهو قوله تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾.

قوله : ((وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق))[2] يعني : يكفي في شرط حذف اللام أن يكون مصدراً وفعلاً لفاعل الفعل المعلل، وفيه دليل على أن المقارنة ليست بشرط قال صاحب التحبير: المقارنة ليست بشرط، بدليل قوله : وزينة قرينة منصوب بمعنى اللام، ولم تكن موجودة وقت الخلق، فالمعنى بالمقارنة أن لا يكون

أكل لحم الحمر الإنسية. والنسائي ٧/ ٢٣٠ كتاب الصيد، باب أكل لحم الحمر الأهلية. وصحيح ابن حبان ٨٢/٢ . وابن ماجه برقم ٣١٩٤ كتاب الذبائح، باب لحوم الحمر الوحشية. وأحمد في مسنده ٢٩١/٤ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١) تقدم تخريجه في سورة الحجر عند قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ... الآية﴾.

(٢) قول (ز) عند قوله ﴿وزينة﴾ فإن قلت : لم انتصب ﴿وزينة﴾ قلت : لأنه مفعول له، وهو معطوف على محل ﴿لتركبوها﴾، فإن قلت : فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد، قلت : لأن الركوب فعل المخاطبين ((وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق)) يعني بسنن واحد، بأن يقول : لتركبوها ولتتزينوا بها، والجواب قوله : لأن الركوب فعل المخاطبين ... الخ. انظر رغائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري لعالم الدين الحسن بن محمد ابن الحسين ألقمي النيسابوري ٤٨/١٤.

متقدّماً، ولا بأس بالتأخر، نحو شربت الدواء إصلاحاً للبدن والصلاح متأخر غير واقع عند الشرب وقال السجاوندي في شرح المفصل ولا بدّ من أن يكون المصدر واقعاً بعد الفعل . وقال صاحب الإنتصاف(١) : [والجواب القوى أن الركوب هو المقصود الأصلي من هذه الأشياء والتزيين تابع، فاقترن المقصود باللام الصريحة لأنه أهمّ الغرضين، وحذفت من الزينة لأنها تبع]، وكذا عن القاضي(٢) .

قوله : ((وخلقها زينة لتركبوها)) أي : خلق بمعنى جعل وزينة ثاني مفعوليه.

قوله : ((ولذلك أضاف)) يعني : دلّت الإضافة.

وقوله : ((ومنها جائر))(٣) على أن المراد بالسبيل الجنسي، وهو من إضافة الخاص إلى العام، ونحوه خاتم الفضة، سحق الثوب، لأن السبيل إما مستقيم وهو المارد من القصد، وإما معوجّ وهو الجائر. وقال أبو البقاء(٤) : [وقصد مصدر، بمعنى إقامة السبيل أو تعديل السبيل، وليس مصدر قصدته بمعنى أتيته].

قوله : ((كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك)) وهو من باب طريق سائر ونهرٍ جارٍ.

---

(١) الإمام أحمد بن المنير، حاشية الكشاف ٣٢٣/٢.

(٢) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٦/٣ والفخر الرازي ٢٣٠/١٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ الآية ٩ من سورة النحل . قال (ز) : المراد بالسبيل الجنس، ولذا أضاف إليه القصد، وقال ((ومنها جائر)) والقصد مصدر بمعنى الفاعل، وهو القاصد، يقال : سبيل قصد وقاصد اي مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه. ومن هذا المعنى قول امرئ القيس :

** ومن الطريق جائر وهدى ** قصد السبيل ومنه ذو دخل **

(٤) أبو البقاء ٧٨/٢.

قوله : ((ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة(١) لقيل وعليه جائرها)) قال الإمام(٢) : [أجاب أصحابنا عنه بأن المراد على الله بحسب الفضل والكرم بيان الدين الحق، والمذهب الصحيح، فأما بيان كيفية الإغواء والإضلال فذاك غير واجب] وقلت : ويجوز أن يكون التقدير على الله بيان استقامة الطريق بالآيات والبراهين على سبيل التّفضّل والكرم، وبيان اعوجاج الطريق، فمنها مستقيم كطريق الإسلام ليهتدوا بها، ومنها جائر كطريق سائر الأمم الضالة ليتجنّبوا منها(٣) ، فاختصر على تقدير اللف(٤) والنشر التقديري، وإضافة طريق الحق دون الجائر إلى الله تعالى على أسلوب قوله تعالى : ﴿ أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾(٦) ويعضّد ما ذكرنا من أن على الله تمييز الطريقين وبيان السبيلين تفضلا قول محي السنة(٧) : [وعلى الله قصد السبيل

---

(١) الجبرية : طائفة تقول : إن العبد مجبور على الأفعال، ولا دخل للعبد فيها بتاتاً وهم الجهمية، والأشعرية تثبت للعبد كسباً . انظر التعريفات للجرجاني ٨٤ . ومذهب المعتزلة : وجوب الطريق الموصل إلى الحق على الله تعالى، ولا وجوب على الله تعالى عند أهل السنة، بل ذلك فضل منه تعالى، لكن الكريم ينجز الوعد بالخير في صورة الواجب، وهو لا يجب عليه.

(٢) الإمام الفخر الرازي ٢٣٢/١٩.

(٣) ويشهد لهذا المعنى وأنه تعالى بين طريق الحق على ألسنة رسله في قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٦٥ ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقوله في سورة الإسراء الآية ١٥ ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقوله تعالى في سورة المائدة الآية ٢٢ : ﴿إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقوله تعالى في سورة الإنسان الآية ٣ : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ وقوله تعالى في سورة البلد الآية ٨-١٠ : ﴿ ألم نجعل له عينين . ولساناً وشفتين . وهديناه النجدين ﴾ وهناك معنى آخر، وهو أن معنى قوله : ﴿ وعلى الله قصد السبيل﴾ أن طريق الحق التي قصد السبيل إلى الله، أي موصلة إليه، ليست حائدة، ولا جائرة عن الوصول إليه، وإلى مرضاته، ﴿ ومنها جائر ﴾ إي : ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله، بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٣: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وقوله في سورة يس الآية ٦١ ﴿ وأن اعبدون هذا صراط مستقيم ﴾.

(٤) في م (على طريقة) اللف، وهو الصواب.

(٥) سورة الفاتحة الآية ٦.

(٦) سورة الشعراء الآية ٨٠.

(٧) محي السنة البغوي في تفسيره ١١/٥.

يعني بيان طريق الهدى من الضلالة، فالقصد من السبيل دين الإسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر، قال في الإنتصاف(١) : [أين يذهب الزمخشري عن تتمتها ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾، ولو كان بزعم القدرية : لقال فقد هديناكم أجمعين : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾(٢) ففسروها بالقسر والإلجاء وحرفوا الكلم عن مواضعه وأما المخالفة بين الأسلوبين، فلإقامة حجة الله على الخلق، وأنه بيّن السبيل القاصد والجائر، وهدى قوماً اختاروا الهدى، وأضلّ قوماً اختاروا الضلال، وقد علم أن للفعل اعتبارين، فإضافته إلى الله تعالى باعتبار خلقه له وإضافته إلى العبد باعتبار اختياره له(٣).

قوله : ((جائر جار عن القصد))، الراغب(٤) : [الجار : من يقرب سكنه منك من الأسماء المتضايفة، ولما استعظم حقّ الجار شرعاً وعقلاً عبّر عن كل من يعظم حقه او يستعظم حق غيره بالجار . قال تعالى : ﴿ والجار ذي القربى ﴾(٥) ويقال : استجرت فلاناً فأجارني، ﴿ وقال إني جار لكم ﴾(٦) وقال : ﴿ وهو يجير ولا يجار عليه ﴾(٧) ، وباعتبار القرب، قيل : جار عن الطريق، ثم جعل ذلك أصلاً في العدول عن كل حق، فبنى منه الجور. قال تعالى : ﴿ ومنها جائر ﴾ أي : عادل عن المحجّة].

---

(١) لابن المنير، حاشية الزمخشري ٥٩٦/٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٣) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويشهد لذلك قوله : ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾.

(٤) الراغب في المفردات ١٠٣.

(٥) سورة النساء الآية ٣٦.

(٦) سورة الأنفال الآية ٤٨.

(٧) سورة المؤمنون الآية ٨٨.

قوله : ((والشراب ما يشرب))[١] عن بعضهم[٢] : [الشرب تناول كل مـائعٍ، ماءً كان أو غيره والشَّرِيبُ المشَارِبُ والشَّراب].

قوله : [وفي حديث عكرمة : لا تأكلوا ثمنَ الشجر][٣] يعني : الكلأ، النهايـة[٤] : وفي الحديث (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ)[٥] النبـات، والعشـب سـواء رطبـة أو يابسة، ومعناه : أن البئر تكون في البادية ويكـون قريباً منـه الكـلأ، فإذا ورد عليهـا وارد، فغلب على مائها، ومنع من يأتي بعده من الإستقاء منها فهـو يمنعـه المـاء، مـانع من الكلأ، لأنه متى ورد عليه رجـل بإبلـه فأرعاهـا ذلـك الكـلأ، ثـم لم يسـقها قتلهـا العطش، فالذي يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منـه، وقـال الزجـاج[٦] : [كـل مـا نبت من الأرض فهو شجر، قال الراجز [٧] :

** نعلفها اللحم إذا عزّ الشجر ** والخيل في إطعامها اللحم ضرر **]

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شـجر فيـه تسـيمون ﴾ الآية ١٠ من سورة النحل . وقول (ز) : ((والشراب ما يشرب)).

(٢) ذكر ذلك الراغب في مفرداته ٢٥٧ مادة (شرب).

(٣) أخرجه أبو عبيد في الأحوال عنه موقوفاً، وزاد نحوه، وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن منبّه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا السحت، قالوا : وما السحت؟ . قال : بيـع الشـجر وثمـن الخمر وإجارة الأمة المساحقة. تخريج أحاديث الكشاف لابـن حجر ٥٩٧ المسـمى الكـافي الشـاف في تخريـج أحاديث الكشاف.

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٩٤/٤.

(٥) أخرجه البخاري برقم ٢٣٥٣ كتاب الأشربة، باب من قال : إن صـاحب المـاء أحـق بالمـاء حتـى يروى. وأيضاً برقم ٦٩٦٢ كتاب الحيل، باب ما يكره من الإحتيال. ومسلم برقـم ١٥٦٦ كتـاب المسـاقاة، باب تحريم فضل بيع الماء الذي يكون بالفلاة . وأحمد في المسند ٢٤٤/٢، ٢٧٣ ، ٣٠٩ ، ٤٨٢ . والبيهقـي ١٥١/٦ . والبغوي برقم ١٦٦٨. وابن ماجه برقم ٢٤٧٨ كتاب الرهون، باب النهـي عـن بيـع فضـل المـاء ليمنع به الكلأ . والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٣٣٠/١١ . والترمذي برقم ١٢٧٢ كتاب البيـوع، باب ما جاء في بيع فضل الماء.

(٦) الزجاج ١٩٢/٣ في كتابه معاني القران.

(٧) الراجز نمر بن تولب العكلي، أحد بني عدي بن عوف بـن عبـد منـات بـن أدّ، وهـو عُكْـل، كـان جواداً شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وعمّر طويلاً . انظر طبقات الشعراء للجمحي محمد بـن سـلام ٦٨- ٦٩. وقبل البيت :

** إنا أتيناك وقد طال السفر ** نقود خيلاً ضمرا فيها صعر **

قوله : ((ينبت : بالياء والنون)) وبالنون أبوبكر[١] .

قوله : ((لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة))[٢] أي : إنما قيل ﴿من كل﴾ بزيادة (من) التبعيضية، يدلّ على أن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وإنما أنبت في الأرض بعضٌ من كلها.

قوله : ((بعضٌ من كلّها للتذكرة)) أي : إذا رأوا ما في الجنة من الثمرات ذكروا ما في الدنيا ليعلموا التّفاوت، كما ذكر في أول البقرة في قوله تعالى : ﴿ وأتوا به متشابها ﴾[٣] ، [٤] .

قوله : ((على، وجعل النجوم مسخرات))[٥] أي : يجعل ناصب النجوم مضمراً وهو جعل، ومسخرات ثاني مفعولَيه، والجملة معطوفة على جملة قوله : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ﴾، ولا يجوز على هذا أن يعطف على المنصوبات بـ﴿سخّر﴾، وهي ﴿الليل﴾ ﴿والنهار﴾ ﴿والشمس﴾ و ﴿القمر﴾، لأن

---

(١) قرأ (ينبت) بالنون أبو بكر، والباقون بياء الغيبة (ينبت) . انظر حجة القراآت لابن زنجلة ٣٨٦ والإتحاف ٢٧٧.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن كل الثمرات ﴾ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥.

(٤) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة الآية ٢٧ : ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾، وقوله في سورة ق الآية ٩ : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحبَّ الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد ... الآية﴾، وقوله في سورة النبأ الآية ١٤ : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً . لنخرج به حبّا ونباتاً . وجنات ألفافاً ﴾، وقوله في سورة البقرة الآية ٢٢ : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الآية ١٢ من سورة النحل. قال (ز) : قرئت كلها بالنصب عطف ((على : ﴿وجعل النجوم مسخرات﴾)).

﴿مسخرات بأمره﴾ حينئذ حال من المذكورات[1] ، وقيل : للفعل، فكان المعنى : سخر هذه الأشياء في حال كونها مسخرات بأمره، فهو خلق نعم، يجوز أن يستعار سخر لكم لقوله : نفعكم، لأن الغرض من تسخيرها النفع، فكأنه قيل : ونفعكم بها في حال كونها مسخّرات لما خلقت له.

قوله : ((إنه سخرها أنواعاً من التسخير))، أي : جعل مسخرات مفعولاً مطلقاً على تأويل مسخّر بمعنى التسخير، وإنما جمع لإرادة الأنواع.

قوله : ((وقري[2] ﴿والنجوم مسخراتٌ﴾ بالرفع (بالرفع وما قبله بالنصب ابن عامر ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ بالرفع في الأربعة، وحفص موقع ﴿والنجوم مسخرات﴾ فقط)[3] والباقون بالنصب، القاضي[4] : [هذا على الإبتداء والخبر، فيكون تعميماً للحكم بعد تخصيص].

قوله : ((لأن الآثار العلوية أظهر دلالة))[5] من السفلية، يعني : حين ذكر الآثار السفلية أفرد الآية، وذكر التفكر[6] ، وحين ذكر العلوية جَمَعها، وذَكر العقل، وذلك أن الآثار السفلية مخفية، فتحتاج إلى إمعان النظر، ودقة الفكر، والآثار العلوية تدلّ في بدو العقل، وهي مع ذلك متشعّبة، وفيها أنواع من الدلالات.

---

(١) على قراءة النصب أنها حال مؤكدة لعاملها، والعامل ما في سخر من معنى (نفع) أي : نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء. انظر أبو السعود ١٠٢/٣.

(٢) قرأ ابن عامر : ﴿ والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ ﴾ كله بالرفع، وقرأ حفص عن عاصم : ﴿والشمسَ والقمرَ﴾ بالنصب، ﴿والنجومُ مسخراتٌ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب في الجميع. انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٣، والسبعة لابن مجاهد ٣٧٠.

(٣) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٤) القاضي البيضاوي ١٧٧/٣ يعني أن حفصاً قرأ : ﴿ والنجوم مسخراتٌ ﴾ على الإبتداء والخبر ... الخ.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ قال (ز) : جمع الآية وذكر العقل ((لأن الآثار العلوية أظهر دلالة)) على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

(٦) يعني قوله تعالى : ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾.

قوله : ((ووصفه بالطراءة، لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله))[1]، الراغب[2] : [طرياً غضّاً من الطراء والطراوة، يقال : طَرَّيت كذا فطَرى، ومنه : المُطَرَّاةُ من الثياب، والإطراء مدح يجَدِّدُ ذكره : وطرأ بالهمزة طلع]، الإنتصاف[3] : [وفيه إرشاد إلى أنه لا ينبغي أن يتناول إلا طرياً، فقد قال الأطباء : أكله بعد ذهاب طراوته من أضرّ ما يكون].

قوله : ((ما بال))[4] قيل ((ما)) مبتدأ و ((بال)) خبره، و((قالوا)) حال من الفقهاء، لإنه في المعنى فاعل، لأن قولك : ما بالك ما تصنع نحو ما شأنك.

قوله : ((لأنهن إنما يتزيّن بها من أجلهم، فكأنها زينتهم ولباسهم))[5] ، الانتصاف : [لله در مالك حين جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له من مالها، وهو مقدار الثلث فحقه فيه بالتّجمل][6] ، وفي هذه الآية جعل حظ المرأة من زينتها للزوج، فجعل لباسها لباسه إذا ركب السفينة.

قوله : ((بحيزومها))[7] أي : السفينة، [والحيزوم : وسط الصدر، وما يضم عليه الحزام][8] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا ن فضله ولعلكم تشكرون ﴾ الآية ١٤ من سورة النحل . وقال (ز) في قوله: ﴿لحماً طرياً﴾ : هو السمك ((ووصفه بالطراءة ... الخ)).

(٢) الراغب في مفرداته ٣٠٣.

(٣) الانتصاف لابن المنير أحمد، حاشية الكشاف ٥٩٨/٢.

(٤) إعراب لكلام (ز) حيث قال : ((فإن قيل : ما بال الفقهاء؟ قالوا)) : إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً، فأكل سمكاً لم يحنث، والله تعالى سماه (لحماً).

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿حليه﴾ قال (ز) : هي اللؤلؤ والمرجان، والمراد بلبسهم : لبس نسائهم، لأنهن من جملتهم ((ولأنهن إنما يتزين بها ... الخ)).

(٦) قال خليل بن إسحاق المالكي في باب الحجر : (وعلى الزوجة لزوجها ولو عبداً في تبرع زاد على ثلثها) قال شارحه : ويحجر على الزوجة الحرة الرشيدة لزوجها البالغ الرشيد لحقه في التجمل بمالها الخ.

(٧) تفسير قوله : ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ قال (ز) : ﴿المخر﴾ شق الماء ((بحيزومها)).

(٨) الصحاح للجوهري ١٨٩٩/٥ مادة (حزم).

قوله : ((المائد الذي يدار به))(١) أي الشخص الذي يدور رأسه، الأساس : [والدهر بالإنسان دوّاريّ يَدُورُ بأحواله المختلفة](٢)، قال القاضي(٣) : [قبل(٤) أن تَخلق فيها الجبال كانت كالكرة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب، فلما خلق عليها الجبال تفاوتت جوانبها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز، فصارت كالأوتاد التي تمنعها من الحركة].

قوله : ((لأن ألقى فيه معنى جعل))(٥) يعني : لا يقال : ألقى فيها أنهاراً لكن لما تضمن ﴿ألقى﴾ معنى جعل، صحّ عطف ﴿أنهارا﴾ على ﴿رواسي﴾، قلت : ويجوز ﴿أنهار﴾أن يكون من باب قوله : علّفْتُها تبناً وماءً بارداً(٦) ، أي : وأجرى فيها أنهاراً.

قوله : ((والمراد بالنجم الجنس))(٧) ، الراغب(٨) : [أصل النجم الكوكب الطالع، وجمعه نجوم ونجم طلع نجماً ونجوماً، فصار النجم مرة اسماً ومرة مصدرا، ومنه شُبِّه به طلوع النبات والرّأيُ، فقيل : نجم النبت والقرن، ونجم لي رأيٌ نجماً ونجوماً، ونجم فلان على السلطان صار عاصياً، ونجّمت المال عليه إذا وزّعته، كأنك فرضت أن يَدْفع عند طلوع كل نجم نصيباً، ثم صار متعارفا في تقدير دفعه بأي شيء قدرت ذلك].

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ﴾ الآية ١٥ من سورة النحل . قال (ز) في قوله : ﴿ أن تميد بكم ﴾ : كراهة أن تميل بكم وتضطرب ((والمائد الذي يدار به)) إذا ركب البحر.

(٢) الأساس : والفلك دوار، والدهر بالإنسان ... الخ ١٩٨ مادة (دور).

(٣) القاضي البيضاوي في الأسرار، قال : إن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال ... الخ ١٧٨/٣.

(٤) في م (إن الأرض) قبل، وهو الصواب.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وألقى ﴾ قال (ز) : ((لأن ألقى فيه معنى جعل)).

(٦) وعجزه :

** حتى شتت همّالة عيناها ** لم يعرف قائله. وذكره اللسان. مادة (علف).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ الآية ١٦ من سورة النحل. قال (ز) : ﴿وعلامات﴾ هي معالم الطريق، وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك، ((والمراد بالنجوم الجنس)).

(٨) الراغب في مفرداته ٤٨٣ مادة (نجم).

قوله : ((هو الثريا والفرقدان وبنات نعش . الثريا : هي أنجم ستة منتظمة تشبه عنقود الكرم. والفرقدان : نجمان متوقدان من نجوم البنات. والجدي : نجم عند القطب تعرف به القبلة، المغرب[1] : [يقال : كوكب القبلة : جَدْي الفَرْقَد، بفتح الجيم وسكون الدال، ومنه قول ابن المبارك[2] في تحرّي القبلة : أهل الكوفة يجعلون الجَدْيَ خلف القفا. والمنجّمون يسمونه الجُدَيّ، على التصغير، فَرْقاً بينه وبين البُرُج].

قوله : ((وقرأ الحسن بضمتين، قال ابن جني[3] : [قرأ الحسن وبالنُّجُم، وقرأ يحي وبالنُّجْم بضم النون وسكون الجيم، النجم : جمع نجم ومثله مما كُسِّرَ من فَعْل على فُعُلٍ سَقْفٍ وسُقُفٍ ورَهْنٍ ورُهُنٍ، وإن شئت أراد النجوم فقصر الكلمة فحذف واوها، ومثله من المقصور من فُعُول قول أبي بكر في أسُدٍ إنه مقصور من أسُودٍ فصار أسُداً ثم أسكن].

قوله : ((﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ مخرّج عن سنن الخطاب)) يعني: أن هذا التركيب مشتمل على خواص فنّ المعانى بالمسند إليه، أحدها : أن الآيات السابقة من لدن فاتحة السورة إلى ههنا واردة على سنن الخطاب، فما بال هذه أخرجت عن الخطاب إلى الغيبة، وثانيها : فيه تقديم المجرور وهو ﴿وبالنجم﴾ على عامله، وهو ﴿يهتدون﴾، وثالثها : توكيد التركيب بقوله : ﴿هم﴾ فدلّ تلون الخطاب على امتياز هؤلاء عن السابق ذكرهم. ودلّ تقديم ﴿بالنجم﴾ على اختصاص هولاء بالإهتداء بالنجم دون غيرها مما يهتدى به، ودلّ التوكيد بإقحام ﴿هم﴾ على اختصاصهم بهذه

---

(١) المغرب ١/١٣٥ مادة (جدي).

(٢) ابن المبارك عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة الأعلام، روى عن حميد الطويل وغيره، وعنه معمر وسفيان، قال ابن مهدي : الأئمة أربعة : مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وابن المبارك. انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ١١٧، وتاريخ بغداد ١٥٢/١٠.

(٣) قاله ابن جني في كتابه المحتسب في شواذ القراآت، قال : قرأ الحسن ﴿وبالنُجُم﴾ ٨/٢، ومختصر شواذ القرآن لابن خالوية ٧٢ فقال ذلك أيضاً. وانظر البحر المحيط ٤٨٠/٥). وقرأ النخعي ومجاهد ﴿النجوم﴾ المرجع السابق، وقرأ يحي بن وثاب (النُجْم﴾ بضم النون وسكون الجيم . انظر المحتسب٨/٢.

الهداية، دون غيرهم. وأجاب عن تلوين الخطاب بقوله : ((كأنه أراد قريشاً)) وعن التوكيد بقوله : ((كأن لهم اهتداء وبالنجوم في مسايرهم)) وعن التخصيص بقوله : ((وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم)) وقلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ ألقى في الأرض سبلاً ﴾ عام في أهل القرى والمدن والبوادي ﴿ لعلكم تهتدون﴾ إما أن يتعلق بأول الآية أو بقوله ﴿سبلاً﴾ ويكون ﴿لعل﴾ للتحقيق، وأما الاهتداء بالنجم فمختص بمن هو حاذق في سلوك البحر، والمَهَامِهُ[1] البيد التي لا منار لها ولا سبيل، وتقديم ﴿وبالنجم﴾ لأن معناه وبالنجم خصوصاً لا بغيره يهتدون، أو لمراعاة الفواصل وإقحام ﴿هم﴾ لتقوِّي الحكم، والعدول إلى الغيبة للالتفات، والإيذان بأن هذا الإهتداء أغرب من الأول، والمعرض عنه أدخل في الكفران، والفاء في فكان الشكر للسببية وكذا في قوله : ((فخصصوا)).

قوله : ((المشاكلة بينه وبين من يخلق))[2] يعني جيء بمن الذي هو مختص بأولي العلم للجماد الذي هو أصنام، لأنها مصحوبة مع ذكر من يخلق، كقوله تعالى : ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾[3] .

قوله : ((لا أنها لو صحّت لهم هذه الأعضاء لصحّ أن يعبدوا)) يريد أن الآيتين من باب المبالغة والإلزام بالطريق الأولى لا لتصحيح العبودية للأصنام بحصول

---

(١) المهامة : جمع (مهمهة) والبيد : جمع بيداء.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ الآية ١٧ من سورة النحل. قال (ز) : فإن قلت : ﴿من لا يخلق﴾ أريد به الأصنام، فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم، قلت : فيه أوجه، أحدها: أنهم سموهم آلهة وعبدوها، فأجروها مجرى أولي العلم. والثاني : ((المشاكلة بينه وبين من يخلق)) . والثالث: أن يكون المعنى : أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بمن لا علم له. كقوله ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾ يعني : أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجلٌ وأيدٍ وآذان وقلوب، لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصحّ لهم العبادة ((لا أنها لو صحّت لهم هذه الأعضاء لصحّ أن يعبدوا)).

(٣) سور الشورى الآية ٤٠.

ماهو مفقود عنها موجود في الناس. الإنتصاف(١) : [الزمخشري يجزم على أن العباد يخلقون أفعالهم، فالمراد ظهور التفاوت بين من يخلق ومن لا يخلق منهم كالعاجزين والزمني حتى يثبت أن التفاوت بين ما لا يخلق كالأصنام أولى].

قوله : ((هو إلزام للذين عبدوا الأوثان)) وجه السؤال(٢): أن المشركين ما شبهوا الخالق بالأصنام حتى ينكر عليهم بقوله : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾، وإنما شبّهوا الأصنام بالخالق، فكان حقّ الإلزام أن يقال : أفمن لا يخلق كمن يخلق. ووجه الجواب : أن وجه التشبيه إذا قرن بين الطرفين أعني المشبه والمشبه به، ويرجع التشبيه إلى التشابه، فيقال : وجه الخليفة كالقمر، والقمر كوجه الخليفة، والمشركون لما تعاملوا مع الأصنام بما ينبغي أن يعامل به الإله الحقّ من تسميتها بالآلهة، والتوجه بالعبادة إليها، فلم يبق عندهم فرق بينها وبينه، تعالى عما يفعل الظالمون علواً كبيراً، حصل التشابه، فقيل ما قيل، أو ذهب إلى التعكيس، لأن من حق المشبه أن يكون أحط من المشبه به فيما وقع فيه الشبه، فإذا قلب انعكس مزيداً للتقريع والتجهيل.

قوله : ((أتبع ذلك))(٣) أي اتبع قوله : ﴿ وإن تعدّوا نعمة ا لله لا تحصوها ﴾ ما عدّد أي جميع ما عدّد من أول السورة إلى ههنا من النعم، فقوله : ﴿ذلك﴾ مفعول أول، وقوله : ((ما عدّد)) مفعول ثاني، يعني لما عدّد النعم المتكاثرة، وأريد استيفاء جميع أقسامها وأنواعها، وكانت مما لا تنحصر بحسْب العادّ، ختم بجامع يحتويها كلّها تنبيهاً على أن وراء المذكورة مما لا يعدّ، كقوله تعالى : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾.

---

(١) الانتصاف ٥٩٩/٢ .

(٢) انظر البيضاوي وحاشيته ١٧٢/٣ فقد بين كلام الطيبي، وكذلك غرائب القرآن، ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ٥٦/١٤.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة ا لله لا تحصوها إن ا لله لغفور رحيم ﴾ الآية ١٨ من سورة النحل، قال (ز) : في قوله : ﴿ لا تحصوها ﴾ : لا تضبطوها عدّاً، ولا تبلغه طاقتكم، فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر ((أتبع ذلك)) ما عدّد من نعمه، تنبيهاً على أن وراءها ما لا ينحصر.

قوله : ((﴿ إن الله لغفور رحيم ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم إلى آخره[1] ، فيه إشارة إلى أن التعليل بقوله : ﴿ إن الله لغفور رحيم ﴾ للتذييل، وفي قوله : ﴿وا لله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ إشعار بوجود تقصير في أداء شكر ما أولاهم من النعم، وذلك من مفهوم قوله : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ يعني : أن إنعام الله لا نهاية لها، فإذاً لا يقدر أحد أن يقوم بحقها، كما هو حقها، وهو يقتضي سلب تلك النعمة، وإنزال النقمة بدلها، ﴿ وا لله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عن التقصير عاجلاً، رحيم لا يقطع النعمة لكن لا بدّ أن يجازيكم آجلا على أعمالكم، لأنه يعلم ﴿ما تسرون وما تعلنون﴾، وفيه إشعار بأن تكليف ما لا يطاق جائز، لكن غير واقع من الله تعالى تكرّماً وتفضّلا.

قوله : ((ومعنى : ﴿ أموات غير أحياء ﴾ أنهم لو كانوا آلهة))[2] يعني : كان يكفي أن يقال : هم أموات، فقرن بقوله : ﴿غير أحياء﴾ ليكون تعريضاً بالإله الحق في أنه حيّ لا يموت، فمن كان بعكسه لا يكون إلـهاً.

قوله : ((وفيه دلالة)) أي في قوله : ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ إدماج[3] لمعنى أنه لا بد من البعث وأن البعث من لوازم التكليف، يعنى من شأن المعبود أن يجازي عابده الذي كلفه على عبادته، وهو في الدنيا مفقود كما نشاهد في ظاهر الحال، فلا بدّ من دار الجزاء وبعث الخلق للثواب والعقاب، ثم إذا كان كذلك، لا بدّ للإله من العلم بالكائن الواجب، فنفى عنهم ذلك العلم لتنتفي إلـهيتهم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون . إليه مرجعكم جميعاً وعد الله

---

(1) وآخره يعني حيث تجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ الآية ٢٠، ٢١ من سورة النحل. وقال (ز) : ((ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة)) على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات.

(3) الإدماج في اللغة : اللف، وإدخال الشيء بالشيء، وفي الإصطلاح : أن يضمن كلام سيق لمعنى مدحاً كان أو معنى آخر، وهو أعمّ من الإستتباع لشموله المدح وغيره، واختصاص الاستتباع بالمدح. التعريفات للجرجاني ٣٠.

حقا إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم ... ﴾[1]

قوله : ((ووجه آخر، هو : أن يكون المعنى)) عطف على قوله[2] : ((نفى عنهم خصايص الإلهية)).

قوله : ((وأنهم أموات)) أي : لا بدّ لهم من الموت غير أحياء غير باقية على حياتهم، اعلم أن المؤلف حين أثبت الموت للأصنام، كانت جمادات أول توكيده بقوله تعالى : ﴿ غير أحياء ﴾ بقوله : ((أنه غير جايز عليها الحياة))، تنبيهاً على أنها أقل من الحيوان دون النامي، لجواز إثبات الحياة لها حقيقة ومجازاً، وحين أثبته للملائكة وجعله مجازاً باعتبار ما يؤول، أكّده بما يناسبه من قوله : ((غير باقية على حياتهم))، كقوله تعالى : ﴿ إنك ميّت وإنهم ميتون ﴾[3] .

كقوله : ((يعني أنه قد ثبت بما تقدم))[4] فاعل (ثبت) ضمير يرجع إلى قوله تعالى: ﴿ إلهكم إله واحد ﴾[5] فذلكة[6] لما سبق وإعادة للمدعي مجملاً بعد إقامة الحجة عليها مفصلاً، المعنى قد ثبت بالدلائل الدالة على أن الإلهية مختصة با لله، وأنه منفرد بالألوهية، وهو المعبود الحق، وإذا كان كذلك، فمن حقه أن

---

(١) سورة يونس الآية ٤.

(٢) يعني قول (ز) : في قوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ وقرئ بالتاء ﴿تدعون﴾ وقرئ بالياء ﴿يدعون﴾ على البناء للمفعول ((نفى عنهم خصائص الإلهية)) بنفي كونهم خالقين، وأحياء لا يموتون.

(٣) سورة الزمر الآية ٣٠.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ الآية ٢٢، ٢٣ من سورة النحل. فقول (ز) في قوله : ﴿إلهكم إله واحد﴾ : ((يعني أنه قد ثبت بما تقدم)) من إبطال أن تكون الإلهية لغيره، وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوحدانية، ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم، وأن قلوبهم منكرة للوحدانية، وهم مستكبرون عنها ((وعن الإقرار بها)).

(٥) واحد (يريد أن قوله ﴿إلهكم إله واحد﴾) ما بن القوسين س من أ ، م.

(٦) الفذلكة : مجمل ما فصّل وخلاصته. وهي محدثة . المعجم الوسيط ٦٧٨/٢.

يختصّ بالعبادة، وأن لا تنكر إلـهيته، وهـؤلاء عكسـوا واستمروا على شركهم وقلوبهم منكرة للوحدانية، فقوله : ((قد ثبت بما تقدم)) إلى أخر قوله : ((وعن الإقرار بها)) تفسير لقوله تعالى : ﴿ إلـهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بـالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ فالفـاء[1] في قولـه : ((فكـان مـن نتيجـة)) هـي الفـاء في قولـه : ﴿ فالذين لا يؤمنون ﴾، ومجاز هذه الفاء، كمجاز اللام في قولـه : ﴿ فالتقطـه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾[2] .

قوله : ((وهم مستكبرون عنهـا وعـن الإقـرار بهـا)) الراغـب[3] : [الكِبْرُ والتَّكبُّر والاستكبار والكبرياء متقارب، فالكبر الحالة التي يتخصـص بهـا الإنسـان من إعجابه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظـم التكـبر التكـبر علـى الله بالامتناع من قبول الحق والإذعـان لـه بالعبـادة. ويقـال : التكـبر علـى وجهـين : أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقـة وزائـدة علـى محاسـن غـيره، وعلى هذا وُصِف الله بالمتكبّر، فهو محمود، يؤيده قوله تعـالى : ﴿ سـأصرف عـن آياتي الذين يتكـبرون في الأرض بغـير الحـق ﴾[4] . وثانيهمـا : أن يكـون متكلفـاً لذلـك متشـبّعاً، وذلـك في وصـف عامـة النـاس، في قولـه تعالى : ﴿ فبئـس مثـوى

---

(١) قال الألوسي : إن الفاء في قوله : ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ للسببيه، كما في قولك : أحسنت إلى زيـد فإنه أحسـن إليّ، لأن إصرارهـم على الإنكـار واستمرارهم على الإستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين القطعية على اختصاص الإلهية بـه سبحانه وتعالى، فكان من نتيجة ذلك إصرارهم على الإنكار، فإن الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجـزاء يـؤدي إلى قصـر النظـر إلى العـاجل وعـدم الالتفـات إلى الدلائـل الموجـب لإنكـارهم والإستكبار عـن اتبـاع الرسـل . انظـره ١٤/١٢١.

(٢) سورة القصص الآية ٨.

(٣) الراغب ٤٢١ مادة (كبر).

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٦.

المتكبرين ﴾[1] . والاستكبار يقال على وجهين : أحدهما : أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي مكان يجب وفي زمان يجب فمحمود، والثاني : أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهو مذموم، وعليه قوله تعالى : ﴿ أبى واستكبر ﴾[2] وقال : ﴿ الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ إلى فرعون وملائة بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾[4] ، نبّه بقوله : ﴿ فاستكبروا ﴾ على إعجابهم بأنفسهم وتعظّمِهِمْ عن الإصغاء إليه، ونبّه بقوله : ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ أن الذي حملهم عليه هو ما قدموا من جرمهم، وأن ذلك كان دأبهم، والكبرياء الترفع عن الانقياد، وذلك لا يستحقه غير ا لله، قال تعالى : ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾[5]].

قوله : ((ويجوز أن يعمّ كل مستكبر)) يعني : أن قوله : ﴿المستكبرين﴾ إما من وضع المظهر موضع ضمير المشركين، ويراد بالاستكبار : الإستكبار عن التوحيد فقط، لقرائن المقام، والمراد منه من عرف الحق أيّاً كان واستكبر، وتعرف بالنّعمة فغمط وكفر، فيكون ﴿المستكبرين﴾ مطلقاً، على منوال : فلا يعطي ولا يمنع، ويدخل في هذا العامّ من سيق له الكلام دخولاً أولياً.

قوله : ((﴿ماذا﴾ منصوب[6] بـ﴿أنزل﴾ بمعنى : أي شيء أنزل)) قال صاحب الفرائد : الوجه أن يكون مرفوعاً بالإبتداء[7] بدليل قوله : ﴿ أساطير الأولين ﴾

---

(1) سورة النحل الآية ٢٩.

(2) سورة البقرة الآية ٣٤.

(3) سورة الأعراف الآية ٤٦.

(4) سورة الأعراف الآية ١٣٣.

(5) سورة الجاثية الآية ٣٧.

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين . ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ الآية ٢٤،٢٥ من سورة النحل. قال (ز): ﴿ماذا﴾ منصوب بـ﴿أنزل﴾.

(7) وعلى هذا فتكون (ذا) موصولة، و(ما) مبتدأ، وجملة (أنزل) صلة الموصول، والموصول وصلته خبر المبتدأ، ويحتمل أن يكون مجموعهما اسماً واحداً في محل نصب على أنه مفعول ﴿أنزل﴾ كما أشار له في الخلاصة بقوله :

** ومثل ماذا بعد ما استفهام ** أو من إذا لم تلغ في الكلام **

بالرفع، لأن جواب المرفوع مرفوع، وجواب المنصوب منصوب، ولم يقرأ أحد : ﴿أساطير الأولين﴾ بالنصب، وقال صاحب التقريب : [في كلام المصنف[1] نظر، إذ لا مقتضى للتقدير في أحدهما بما فيه صورة فعل، وهو ما ﴿يدعون﴾ وفي الآخر ﴿بالمنزل﴾، وأيضاً لم خالف بين لفظي الدعوى والإنزال في التقديرين مع أنه حمل الإنزال على السخرية؟. ويمكن أن يجاب عن الأول بأن الرفع أدلّ على ثبات الإنزال من النصب لأنه جملة اسميه، فقال فيه المنزل ﴿أساطير﴾، وفي النصب ما يدعون ﴿أساطير﴾، أو أن أنزل في النصب باق على فعليته فيقتضي في الجواب فعْلاً، ولم يمكن مطابقة الجواب السؤال مطلقاً، لأن ﴿أساطير﴾ مرفوع، فأتى بما فيه صورة فعل على الجملة، وهو ما يدعون و﴿أنزل﴾ في الرفع مقدر بمفرد، لأنه خبر أي شيء المنزل، فأتى في الجواب بما يجانسه، فقال : المنزل أساطير الأولين. تمّ كلامه]. وقلت : مدار المطابقة بين السؤال والجواب على موافقة السائل المجيب ومخالفته كما ذكره المصنف بعيد هذا في قوله : ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾، إنما نصب هذا ورفع الأول للفصل بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، فالمجيب بقوله : أساطير الأولين ههنا المشركون قطعاً، وأما السائل فيحتمل أن يكون أيضاً منهم، كما قال : ((وهو كلام بعضهم)) وأن يكون من المسلمين أو الوافدين كما صرح بهما، والمجيب في تلك الآية ليس إلا المسلمون، فلذلك طابقوا في الجواب، فههنا على الأول، وهو أن يكون كلام بعضهم لبعض المطابقة اللازمة، فالوجه الرفع، وأن يجاب بقوله : المنزل أساطير، فيرد عليه السؤال الذي ذكره، وأجاب أنه من باب السخرية، وعلى الثاني والثالث

---

(1) يعني بالمصنف الزمخشري قال : إذا نصبت فمعنى ﴿أساطير الأولين﴾ ما تدعون نزوله أساطيرالأولين، وإذا رفعته فالمعنى : المنزل أساطير الأولين.

وعلى التقديرين، فقوله : ﴿أساطير الأولين﴾ بالرفع، ليس بجواب الكفار، وإلا لكان المعنى : الذي أنزل ربنا ﴿أساطير الأولين﴾ والكفار لا يقرون بالإنزال، فهو إذا كلام مستأنف، وذكر في دفع التناقض أنه على السخرية، كقوله : ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾.

قال ابن عطية : ﴿أساطير الأولين﴾ ليس بجواب عن السؤال، لأنهم لم يريدوا أنه نزل شيء، ولا أن ثم منزلا، ولكنهم ابتدءوا الخبر، بأن هذه أساطير الأولين، وإنما الجواب عن السؤال قول المؤمنين في الآية المستقلة : ﴿خيرا﴾، وقولهم : ﴿أساطير الأولين﴾ إنما هو جواب بالمعنى، فأما على السؤال وبحسبه فلا. ٣٩٨/٨

الموافقة بين السائل والمجيب مفقودة، فيجب الإختلاف، وهو ما قدره، ما تدّعون نزوله أساطير الأولين، فلا يرد عليه السؤال، ولهذا قال القاضي(١) : [وإنما سموه منزلاً على التهكم أو على الفرض، أي : على تقدير أنه منزل، فهو أساطير الأولين، لا بتحقيق فيه]، وتمام التحقيق في المسئلة ما ذكره ابن الحاجب(٢) ، قال : [وذكر، أي : الزمخشري (فيماذا صنعت) وجهين، وقال : جواب أحدهما بالرفع والآخر بالنصب على ما ذكر، وهذا على سبيل الاختيار، وإلا فالوجهان جائزان في الوجهين، لأنه لو صرح بما يفسر به كل واحد منهما لجاز الوجهان، ثم المناسب في النصب أن يقدر الفعل المذكور فينصب به، وفي الرفع أن يقدر مبتدأ على حسب المعنى، ليطابق الجواب السؤال، وهذا كلّه إذا كان المجيب موافقاً للسائل في أحد جزئيه فيحذفه ويستغنى بدلالة كلام السائل عليه، مثل قوله : ما كتبت، وهو قد كتب. فيقول : مصحفاً أو شبهه، فأما إذا لم يكن موافقاً له في الفعل تعذر تقديره لإخلاله بالمعنى، إذ يفهم منه الإثبات، وهو غير مريد له، كما إذا قال له، وقد سمع صوتاً ظنّه ضرباً منه، فيقول : من ضربت؟. فيقول له القائل : هو صوت مناد، فالنصب ههنا لا يستقيم لأنه قاصد نفيه في المعنى مثبت لغيره، فهو يفسد المعنى، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾، فلو نصب ههنا لم يستقم، لأنهم ليسوا مقرّين بإنزال من الله، متعلّق بأساطير الأولين، بل منكرين الإنزال من الله مطلقاً، وقولهم : ﴿أساطير الأولين﴾ : نفي الإنزال، أي : هذا الذي يقول : إنه إنزال هو أساطير الأولين، فيفسد تقدير الفعل على هذا]، وقلت : ولهذا الأمر لما جعله من كلام بعضهم لبعض وطابق الجواب السؤال قال : هو على السخرية، ويجوز أن يقال : هو من أسلوب القول بالموجب على التهكم، كأنهم لما سألوا : ﴿ماذا أنزل ربكم؟﴾ أجابوا : المنزل أساطير الأولين، أي : هو منزل، لكن أساطير كما قال تعالى: ﴿ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾(٣) .

---

(١) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ٣/١٧٩.

(٢) ذكره في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ١/٤٩٥.

(٣) سورة التوبة الآية ٦١.

قوله : ((لأن المضلّ والضّالّ شريكان))(١) تعليل لحمل المضل بعض أوزار الضّال، الذي هو سبب فيه، كأن ما يعمله الضالّ مشترك بينه وبين المضلّ، وهما متحاملان الوزر، وإليه ينظر قوله تعالى : ﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾(٢) فإن استمتاع الناس بالجن دلالتهم إياهم على استيفاء اللذات والتمتع بالشهوات، واستمتاع الجن بالإنس اعترافهم بكونهم رؤساء متبوعين، وإليه أشار بقوله : ((هذا يضله وهذا يطاوعه))، وأما قوله ((بعض أوزار من ضلّ بضلالهم)) فمبنيّ على أن (من) في قوله : ﴿من أوزار الذين يضلونهم﴾ تبعيض(٣) ، وأن المضلّ غير حامل كلّ أوزار الضال، وهذا غير مخالف لما روينا عن مسلم ومالك وأبي داود والترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)(٤) ، لأن المراد ببعض أوزار من ضل الذي بسبب المضلّ فيه، وكذلك الآثام في

---

(١) تفسير قوله : ﴿ ليحملوا أوزارهم ﴾ أي : قالوا ذلك إضلالاً للناس، وصداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحملوا أوزار ضلالهم ﴿كاملة﴾ ((وبعض أوزار من ضلّ بضلالهم)) وهو وزر الإضلال ((لأن المضلّ والضالّ شريكان)) ((هذا يضله وهذا يطاوعه)).

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٨.

(٣) قال القرطبي : ﴿من﴾ لبيان الجنس، فهم يحملون مثل أوزار من أضلوهم كاملة، وأوضح تعالى هذا المعنى في سورة العنكبوت الآية ١٣ : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾. واللام في قوله ﴿ليحملوا﴾ تعلق بمحذوف دلّ المقام عليه،أي : قدرنا عليهم أن يقولوا في القرآن :﴿ أساطير الأولين ﴾ ليحملوا أوزارهم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٧٤ كتاب العلم، باب لزوم السنة، عن يحي بن أيوب بهذا الإسناد. وأبوداود ٢٠١/٤ كتاب السنة، باب لزوم السنة برقم ٤٦٠٩. والترمذي ٤٢/٥ كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى برقم ٢٦٧٤ وقال : حديث حسن. والموطأ ٢١٨/١ كتاب القرآن، باب العمل في الدعاء برقم ٤١ مع اختلاف. وابن ماجه ٧٥/١ المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة. وأحمد في المسند ٣٩٧/٢. والبغوي في شرح السنة ٢٣٢/١ برقم ١٠٩. والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣١٨/١ باب ذكر الحكم فيمن دعا إلى هدى . والبغوي في معالم التنزيل ١٥/٥، وذكر الحديث المذكور.

الحديث، وذهب أبو البقاء(١) إلى أن (من) زايدة على مذهب الأخفش(٢) .

قوله : ((خرجت من البلد مخافة الشر))(٣) ويجوز أن يكون اللام للصيرورة، قال القاضي(٤) : [قالوا ذلك إضلالاً للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة، فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال، فعلى هذا اللام للصيرورة كقوله : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ﴾(٥) ، ويجوز أن يكون لام الأمر الذي هو الغيبة.

قوله : ((وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلّوه)) أي : إنما نسب البالغ إلى الضلال في قوله : ﴿ الذين يضلونهم ﴾، وأضيف الأوزار إليهم في قوله : ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم ﴾ أي : من أوزار الضالين، والحال أنهم غير عالمين بذلك لتقصيرهم، والواحدي جعل بغير علم حالاً من الفاعل(٦) ، حيث قال : إنهم يفعلون ذلك جهلاً منهم بما كانوا يكسبون، ومثل أوزار من تبعهم، ثم ذمّ صنيعهم فقال : ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾، ويمكن أن يجعل حالاً منهما كما قال ابن جني في قوله تعالى : ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾(٧) تحمله : يجوز أن يكون حالاً من كل واحد منهما، ومنهما معا، وهذا أنسب لاقتضاء المقام، ثم قول الواحدي : أنسب منهما، لأن التذييل بقوله : ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾ لا يحسن إلا على ذلك التقدير، وكذلك

---

(١) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٢/٧٩ قال : ﴿ومن أوزار الذين﴾ أي : وأوزارا من أوزار الذين، وقال الأخفش : ﴿من﴾ زائدة.

(٢) الأخفش لعله الأخفش الأكبر، عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة، أبو الخطاب من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر تحت كلّ بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وأخذ عنه سيبويه والكسائي ويونس وأبوعبيدة، مات سنة ١٧٧هـ. انظر طبقات اللغويين بغية الوعاة، ٢/٧٤.

(٣) متعلق بتفسير قوله : ﴿ ليحملوا أوزارهم ﴾ قال (ز) : ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضاً، كقولك : ((خرجت من البلد مخافة الشرّ)).

(٤) القاضي البيضاوي ٣/١٧٩.

(٥) سورة القصص الآية ٨.

(٦) انظر تفسير أبي السعود ٣/١٠٧ أي : يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال، أو حال من المفعول، أي : يضلون من لا يعلم أنهم ضلال.

(٧) سورة مريم الآية ٣٧.

قوله : ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ وتعقيبه بقوله : ﴿ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ ولأن الكلام وارد في ذمّ المشركين الذين اقتسموا مداخل مكة يضلّون الوافدين والمسلمين[1] ، فنجب المبالغة في ذمهم وتجهيلهم.

قوله : ((منصوبات))[2] قال المصنف : المنصوبة الحيلة، يقال : سوى فلان منصوبه، وفي الأصل صفة للشبكة أو الحبالة، فجرت مجرى الأسماء كالدابة والعجوز، وفي الكلام حذف، أي : هذا تمثيل حالهم في أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا، فجعل ا لله هلاكهم فيها، كحال قوم بنوا إلى آخره، وهو استعارة تمثيلية[3] ، لأن التشبيه إنما وقع في الحال والأمور المنتزعة، وعلى هذا كان من الواجب فيه مراعاة مفردات المعاني من الجانبين، وعلى ما قرره أخل في المشبه به معنى في المشبه، لأن من بنى بنياناً وعمده بالأساطين، لا يعمد فيه المكر كمن يسوي المنصوبات . نعم لو قدّر بأن بنى بناياناً ويسوي فيه شبه المنصوبات بلطائف الحيل، ويتخذ مادته ليكيد بها عدوه فينقلب عليه من حيث لا يشعر، ويسلم العدو، ونحو بناء نمرود الصرح، كما ذكر

---

(١) قال مقاتل والفراء : هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجاجها، يقولون لمن سلكها : لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعى النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا : ساحر، وربما قالوا : شاعر، وربما قالوا : كاهن، وسُمُّوا المقتسمين، لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم ا لله شرّ ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم، قال : صدق أولئك . انظر القرطبي ٥٨/١٠، والنكت والعيون تفسير الماوردي ١٧٢/٣، والدر المنثور ٥٨/٥.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قد مكر الذين من قبلهم فأتى ا لله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ الآية ٢٦ من سورة النحل. قال (ز) : القواعد : أساطين البناء التي تعتمده، وقيل : الأساس، وهذا تمثيل، يعني : أنهم سوّوا ((منصوبات)) ليمكروا بها ا لله ورسوله، فجعل ا لله هلاكهم في تللك المنصوبات.

(٣) وهذه استعارة، لأن الإتيان هنا : لإيراد به الحضور من غيبة، ولا القرب من بعد، وإنما ذلك، كقول القائل : أتيت من جهة فلان، أي جاءني المكروه من قبله، وأُتي فلان من مأمنه، أي : ورد عليه الخوف من طريق الأمن، والضرّ من مكان النفع . انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ١٢٣.

والإستعارة التمثيليه تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

لصحّ، ولعله قصد ذلك، ولذلك استشهد بها، وفي ذكر لفظة فوق مع الإستغناء عنه ظاهراً، لأن خرور السقف لا يكون إلا من فوق، مزيد لتقرير التهويل.

قوله : ((فأتى البنيان)) أي خرب، الأساس(١) : [أتى عليهم الدهر أفناهم].

قوله : ((بنى الصرح)) الجوهري(٢) : [الصرح القصر وكل بناء عال].

قوله : ((﴿من القواعد﴾ من جهة القواعد)) يشير إلى أن ﴿من﴾ ابتدائية، أي: نشأ تخريب بنيانهم من القواعد مبالغة(٣) في الهدم، لأن المتعارف في التخريب الأخذ من السقف إلى أن ينتهي إلى القواعد، وكان أمرهم على العكس، وإليه الإشارة بقوله : ((بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف))(٤) ، الجوهري(٥) : [ضعضعه: أي: هدمه حتى الأرض، وتضعضعت أركانه : أي : اتّضعت].

قوله : ((هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة))(٦) ، أي : العذاب الكامل، وهو الخزي والهوان، لدلالة (ثم) على التفاوت بين العذابين، وفيه أيضاً معنى التراخي في الزمان، كما هو موضوع (ثم)، فيجب أن يعتبر فيها معنى الكناية، وهو مطلق للعبد لا المجاز، لئلا يجتمع إرادة الحقيقة والمجاز معاً.

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ص١١ مادة (أتى).

(٢) الصحاح للجوهري ٣٨١/١ مادة (صرح).

(٣) وهذا الذي فعل بهؤلاء الكفار الذين هم نمرود وقومه، فعل مثله أيضاً بغيرهم من الكفار، فأبطل ما كانوا يفعلون ويدبرون، كما في سورة الأعراف الآية ١٣٧ : ﴿ ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ وقوله في سورة الحشر الآية ٢ : ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾.

(٤) تفسير قوله : ﴿ فأتي الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم ... الآية ﴾ قال (ز): كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين ((بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف.

(٥) الجوهري في صحاحه ١٢٥٠/٣ مادة (ضعضع).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ الآية ٢٧ من سورة النحل. كما في قوله تعالى في سورة آل عمران الآية ١٩٢ : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ... الآية ﴾، وقوله في سورة التوبة الآية ٦٣: ﴿ فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ وقوله في سورة فصلت الآية ١٦ : ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ .

قوله : ((حكاية لإضافتهم))[1] بالرفع خبر ﴿شركائي﴾ على الحكاية، هو الصحيح، والنسخة الشائعة بالنصب، والمعنى على الأول : هذا القول حكاية لإضافتهم، يعني كانوا يقولون : هؤلاء شركاء الله، فحكى الله الإضافة على ما كانوا يضيفونه. وعلى الثاني : قال الله تعالى شركائي على الإضافة، حكاية، فهو إما حال أو مفعول له.

قوله : ((تشاقون فيهم تعادون)) الراغب[2] : [الشقاق المخالفة، وكونك في شقّ غير شقّ صاحبك أو من شَقّ العصا بينك وبينه، قال تعالى : ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾[3] أي : صار في شق غير شق أوليائه، نحو : ﴿ ومن يحادد الله ﴾[4] ، ويقال : المال بينهما شق الشعرة وشق الأبْلَة[5] ، أي : مقسوم كقسمتهما.

قوله : ((وقرئ ﴿تشاقون﴾ بكسر النون))[6] قرأها نافع، يقولون ذلك أي : ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ الآية ٢٧ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿شركائي﴾ : على الإضافة إلى نفسه ((حكاية لإضافتهم)) ليوبخهم بها على طريق الإستهزاء بهم.

ومثل هذه الآية كثير في القران كقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٢ : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ وقوله في سورة الشعراء الآية ٩٣ : ﴿ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴾ وقوله في سورة غافر الآية ٧٤ : ﴿ ثم قيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا ... الآية ﴾.

(٢) الراغب في مفرداته ٢٦٤ مادة (شقّ).

(٣) سورة الأنفال الآية ١٣.

(٤) سورة التوبة الآية ٦٣.

(٥) الأبلمة : الخوصة إذا أخذت فشقت طولاً انقسمت بنصفين، وهي مثلثة الهمزة واللام . النهاية ١٧/١ واللسان مادة (بلم).

(٦) قرأ نافع وحده ﴿تشاقون﴾ مكسورة النون خفيفة، والباقون بفتح النون . كتاب السبعة لابن مجاهد ٣٧١-٣٧٢، والحجة لابن زنجلة ٣٨٨.

قوله : ((من أممهم))[1] (من) ابتدائية، اي : من جهة أممهم، كما في ﴿من القواعد﴾، أي قال الأنبياء : من جهة أممهم المكذبة : ﴿ إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ شماتة بهم.

قوله : ((وقرئ يتوفاهم))[2] قرأ حمزة في الموضعين بالياء التحتاني والباقون بالتاء.

قوله : ((وقرئ ﴿الذين تتوفاهم﴾ بإدغام التاء في التاء))[3] قرأها البزي[4] .

قوله : ((وأخبتوا))[5] الجوهري[6] : [الإخبات الخشوع، يقال : أخبت لله، أي: تواضع]، وأصل الإلقاء في الأجسام فاستعمل في إظهارهم الانقياد إشعاراً بغاية خضوعهم استكانتهم، وأنها كالشيء الملقى بين يدي الغالب القاهر.

---

(١) تفسير قوله : ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ أي : هم الأنبياء والعلماء ((من أممهم)) الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ... الخ.

(٢) قرأ حمزة وخلف : ﴿ الذين يتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ والذي بعده : ﴿ الذين يتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ بالياء في الحرفين، وقرأ الباقون : ﴿ الذين يتوفاهم الملائكة ﴾ بالتاء في الحرفين. المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤ . واتحاف فضلاء البشر ٢٧٨.

(٣) قرأها بإدغام تاء المضارعة في التاء بعدها، وفي مصحف عبد الله بن مسعود بتاء واحدة في الموضعين . البحر المحيط ٤٨٦/٥.

(٤) البزي : هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزّة المؤذن المكي، يكنى أبا الحسن . توفي بمكة سنة ١٥٠هـ. انظر البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ٨. وسير أعلام النبلاء ٥٠/١٢.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فألقوا السلم ﴾ قال (ز) : فسالموا ((وأخبتوا)) وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكفر.

(٦) الجوهري في صحاحه ٢٤٧/١ مادة (خبت).

قوله : ((وهذا أيضاً من الشماتة، وكذلك : ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾))(١) فالشماتة الأولى قولهم : ﴿ إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين . الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ ، أي : الذين يموتون على الشرك لقوله : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾(٢) فلما ألقوا السلم أي : ذلُّوا وخضعوا قائلين : ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ ردّ عليهم أولوا العلم : بل كنتم تعملون السوء ﴿ إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ تحقيقاً لذلك الرد وتعليلاً له على وجه استتبع إيجاب العقاب وشماتة الأعداء، وإليه الإشارة بقوله : ((فهو يجازيكم عليه)) فلما ألزموهم بذلك عقبوه بقوله : ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ تتميماً للشماتة، وقال محي السنة (٣) : [قوله : ﴿ إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ من قول الملائكة]، وقال : صاحب المرشد : إن جعلت ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ في موضع جر صفة للكافرين، لم يكن الوقف على الكافرين حسناً ولا كافياً، وإن جعلته في موضع رفع خبر مبتدإ محذوف كان الوقف على الكافرين تاماً(٤) ، والوقف على ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ في هذا الوجه أصلح، وعلى ذلك الوجه صالح ليس بكاف ولا حسن.

قوله : ((لم نصب هذا، أي : ﴿خيراً﴾ ورفع الأول))(٥) أي : ﴿أساطير الأولين﴾ في قوله : ﴿ ماذا أنزل ربكم ﴾.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ قال :(ز) : فهو يجازيكم عليه ((وهذا أيضاً من الشماتة ... الخ.

(٢) سورة لقمان الآية ١٣.

(٣) البغوي في معالم التنزيل ١٧/٥.

(٤) ذكر ذلك الأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم في كتابه منار الهدى في الوقف والإبتداء ٢١٤ قال : الوقف على ﴿الكافرين﴾ تام، إن جعل ﴿الذين﴾ مبتدأ خبره ﴿فالقوا السم﴾ وزيدت الفاء في الخبر، أو جعل خبر مبتدإ محذوف، وكاف إن نصب على الذم، وليس بوقف إن جعل صفة لـ﴿الكافرين﴾ أو بدل مما قبله، أو بياناً له، و ﴿ظالمي أنفسهم﴾ جائز إن جعل ما بعده مستأنفاً، وليس بوقف إن جعل خبر ﴿الذين﴾ أو عطف على ﴿الذين تتوفاهم﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ الآية ٣٠ من سورة النحل. قال (ز) : ﴿خيراً﴾ أنزل خيرا ((فإن

قوله : ((لم يتلعثموا))أبو زيد[1] : [تلعثم الرجل في الأمر إذا تَمَكّث فيه][2] .

قوله : ((بَيّناً)) صفة مصدر محذوف أي : طباقاً بيّناً.

قوله : ((مفعولاً)) حال مترادف، أي : مفعول له أي : نصب هذا فصلاً بين الجوابين مفعولا للإنزال.

قوله : ((بدل من ﴿خيراً﴾ حكاية خبر إن لقوله، وقوله : ﴿للذين أحسنوا﴾.

قوله : ((أي : قالوا : هذا القول، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه يريد أن جواب المتقين عن قولهم : ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ كأن أنزل ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ إلىآخره، فقدّم تعالى عليه ﴿خيراً﴾ وجعله توطئة لقولهم، ثم حكى قولهم : ﴿للذين أحسنوا﴾ إلى آخره. قال القاضي[3] : [فعلى هذا قوله : ﴿ خيراً ﴾ مفعول قالوا].

قوله : ((ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ)) عطف على قوله : ((بدل))، فعلى هذا هو من كلام الله تعالى يمدح القائلين ويعدهم علىٰ ما أحسنوا فيه من القول، وجاء به تامّاً في جميع ما أحسنوا ليدخل هذا القول فيه أيضاً للذين أحسنوا مظهر وُضِع مَوْضع المضمر للإشعار بأنهم مستأهلون بأن يحسن إليهم دنياً وعقبى.

قوله : ((لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم))[4] يعني يجب تفسير طيبين بطاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي للتقابل، أما الكفر فإن قوله : ﴿ الذين تتوفاهم﴾ إما

قلت : لم نصب هذا ورفع الأول)) يعني : ﴿أساطير الأولين﴾. قلت : فصلاً بين جواب المقر، وجواب الجاحد، يعني : أن هؤلاء لما سئلوا ((لم يتلعثموا)) وأطبقوا الجواب على السؤال ((بيناً)) مكشوفاً ((مفعولاً)) للإنزال.

(1) أبوزيد : لعله أحمد بن سهل البلخي أبو زيد، قال ياقوت الحموي : كان فاضلاً قيماً بجميع العلوم القديمة والحديثة يسلك في مصنفاته طريق الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه، له كثير من المصنفات في شتى العلوم، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٣١١/١.

(2) انظر الصحاح للجوهري ٢٠٣٠/٥ مادة (لعثم) ذكره بلفظه.

(3) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٨٠/٣.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿طيبين﴾، قال (ز) : طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي ((لأنه في مقابلة ﴿ظالمي أنفسهم﴾)).

مجرور صفة للكافرين أو مرفوع خبر مبتدإ محذوف، والجملة بيان للكافرين، كما سبق، وأما المعاصي فإن قوله : ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ مجاب بقولهم : ﴿ ما كنا نعمل من سوء﴾، فظهر من هذا أن قوله : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ﴾ عطف على قوله : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ﴾ على التقابل، فينبغي أن يراعي مضامين القصتين (يعني يطابق)(١) ولذلك ختمت الأولى بقوله : ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾، والثانية : بقوله : ﴿ ادخلوا الجنة ﴾، ولما كان دأب(٢) المؤمنين وارداً على سبيل الإستطراد للتقابل، وفرغ منه، عاد إلى نوع آخر من حديث الكفار، أعنى قوله: ﴿ينظرون﴾ وا لله علم.

قوله : ((أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب))(٣) يعني المشار إليه بقوله ذلك في ﴿كذلك﴾ ما دلّ عليه الآيات السابقة من الشرك والتكذيب، فعلى هذا لا يحسن ترتّب قوله ﴿ فأصابهم سيئات ما علموا ﴾ على قوله : ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ حسنة لوكان المشار إليه ما دل عليه قوله : ﴿هل ينظرون﴾ لأنه نوعٌ آخر من قبائحهم كما سبق، أي : ما لهم استمروا على الكفر والإستهزاء، ولم يؤمنوا مع هذه البيانات الشافية والدلالات الواضحة هل ينظرون إلا مجيء الآيات الملجئة حين ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾(٤) ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ فيكون قوله : ﴿وما ظلمهم ا لله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ معترضاً بين السبب والمسبب قوله : ((أو هو كقوله : ﴿ وجزاء سيئة سيئة ﴾(٥) يعني قوله : ﴿ فأصابهم سيئات ما

(١) ما بين القوسين س من م ، ت.

(٢) (ذكر) المؤمنين في ب ، ت بدل (دأب) . والصواب (ذكر).

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم ا لله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ الآية ٣٣ من سورة النحل . قال (ز) : في تفسير قوله ﴿كذلك﴾ ((أي : مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب)).

(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٨.

(٥) سورة الشورى الآية ٤٠.

عملوا﴾ دلّ على أن ما أصابهم سيئة، وليس به، فيجب أن يقدّر مضاف أو يجعل من باب المشاكلة(١) .

قوله : ((هذا من جملة ما عدّد))(٢) يعني قوله : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ معطوف من حيث المعنى على ما سبق من أول السورة من أصناف كفرهم وعنادهم وشركهم با لله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم، أما إنكار البعث واستعجاله فيفهم من قوله : ﴿ أتى أمر ا لله فلا تستعجلوه ﴾. وأما شركهم : فهو ما يلزم من استعجالهم العذاب على ما سبق، وأما إنكار وحدانيته : فهو ما دلّ عليه ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾، وأما الحجج السابقة، على هذا الإنكار، فهي من قوله : ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ ومن قوله : ﴿ خلق السموات ﴾ وخلق الإنسان والأنعام والخيل والبغال، ومن قوله : ﴿أنزل من السماء ماء﴾ وقوله : ﴿وسخر لكم الليل والنهار وسخر لكم البحر﴾ ومن قوله : ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ وأما تكذيبهم الرسول، فمن قوله : ﴿قالوا أساطير الأولين﴾، وأما استكبارهم عن قبول الحق، فمن قوله : ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾، وفيه إنكار البعث، وخلاصته أن هذه السورة من مفتتحها إلى هذا المقام، واردة في بيان تعداد أصناف قبائح المشركين، وما قد تخلّل بينها من ذكر أجنبي، فللتأكيد لإلزام الحجّة وبيان العناد والاستكبار،

---

(١) المشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، ومن ذلك ما حكى عن أبي الرقمع: أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في يوم بارد، وقالوا له : ماذا تريد أن نصنع لك من الطعام، وكان فقيراً ليس له كسوة تقية البرد، فكتب إليهم يقول :

** أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة ** وأتى رسولهم إليّ خصّيصاً **

** قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ** قلت اطبخوا لي جبة وقيمصاً **

أي خيطوا لي جبة وقميصاً، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام . انظر جواهر البلاغة ٣٧٥.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء ا لله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ الآية ٣٥ من سورة النحل. قول (ز) : ((هذا من جملة ما عدّد)) من أصناف كفرهم وعنادهم ... الخ.

هذا كلام عال وبيان شاف لكن قوله : ((وهذا مذهب المجبرة بعينة))(١) جاء عقيبه خارجاً عن سنن الحق ومحض فيه التعصب، فحرم ذلك النظم السري، وذلك أنه تعالى لما عدّد كفرهم وشركهم وتكذيبهم إلى غير ذلك على ما سبق، أتى بقوله : ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ ولما ذكر ما يدلّ على إفحامهم، وأن الحجة قد لزمتهم، ولم يبق لهم متشبث إلا التعليل بالمشيئة، وهو قلوهم : ﴿ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴾، كما استقصينا القول فيه في الأنعام(٢) ، أعاد قوله : ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ ليريك أن أحوال هؤلاء المشركين وأقوالهم لم تتجاوز عن أفعال الأمم الخالية، ولا عن أقوالهم حذو القذة بالقذة(٣) ، ثم بين أن الرسل سلفاً وخلفاً ما قصّروا في الإنذار والتبليغ بقوله : ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ ثم عقب المجمل بالتفصيل بقوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمه رسولاً ﴾(٤) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتحريضاً للقوم على الاعتبار، وأن ينظروا إلى وخامة(٥) عاقبة المكذبين

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا﴾ الآية ٣٥ من سورة النحل. قال أحمد بن المنير في الانتصاف ما نصه : [وقالوا لو شاء الله لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينة) يعني : أهل السنة، وليس كما قال، بل قاله المشركون استهزاء، وأهل السنة اعتقاداً، كما أفاده النسفي ٢٨٦/٣ وكل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، شراً كان أو خيراً، وكل أمر بقضائه تعالى وقدره، شراً كان أو خيراً، وهو الخالق لأفعال العباد، وإن كانت بكسبهم واختيارهم، خلافاً للمعتزلة في جميع ذلك كما أطال به فيما سيأتي هنا انتصاراً للمعتزلة] ٦٠٤/٣.

(٢) لعله عند قوله تعالى في الأنعام الآية ٣٥ : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ... الآية ﴾.

(٣) (القذة بالقذة) القذة بالضم : ريش السهم. القاموس ٣٥٧/١ مادة (القذّة). والنهاية في غريب الحديث ٢٨/٤ قال : [القذة : ريش السهم، واحدتها قذّة، يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان].

(٤) ومعنى هذه الآية ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ هو معنى لا إله إلا الله، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية ٢٥ : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ هذا على سبيل العموم. وأما على سبيل الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٥٩ : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ وهكذا قال هود لقومه : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ وصالح لقومه : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾، وشعيباً لقومه : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ كلهم قالها.

(٥) الوخامة : الشي الذي لا فائدة فيه، يقال : أرض وخيمة وموخمة لا ينجع كلأها . القاموس ١٨٥/٤ مادة (الوخم)

وسوء خاتمتهم، وأن لا تذهب نفسه عليهم حسرات، ومن ثم خاطبه صلوات الله عليه بقوله : ﴿ إن تحرص على هداهم ﴾ فأين يدخل في الكلام حديث إني لا أقدّر الشر ولا أنشاؤه.

قوله : ((ورّكوه)) الجوهري(١) : [ورّك فلان ذنبه على غيره، أي : قرفه(٢) به].

قوله : ((ولقد امدّ إبطال قدر السوء)) يعني أبطل الله تعالى في قوله : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا ﴾ إلى آخره، نسبة أفعال السوء إلى قدر الله تعالى، ثم أمدّ ذلك الإبطال بقوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ﴾ ، الأنتصاف(٣) : [وجه استدلاله بها أن الله قسّم العباد قسمين، والأمر والنهي يرجعان إلى المشيئة، بناء على زعمهم في إنكار كلام النفس]. فعنده أن الله شاء أن تعبدوه وشاء أن يجتنبوا الطاغوت، ولم يشأ إشراكهم(٤) ، ومبنى استدلاله على إنكار كلام النفس، والعجب غفلته عن قوله : ﴿ ومنهم من حقّت عليه الضلالة ﴾، كما قال في الأنعام : ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾(٥) وتقدم هناك ما فيه كفاية.

---

(١) الجوهري في صحاحه ٤/١٦١٤ مادة (ورك).

(٢) (قرفه) يقال : قرفت الرجل أي : عبته، ويقال : هو يقرف بكذا أي يرمي به ويتّهم فهو مقروف. الجوهري ٤/١٤١٥ مادة (قرف).

(٣) الانتصاف ٣/٦٠٤. وقد أجاد وأفاد في الرد على المعتزلة، مما أغنى عن الرد عليهم.

(٤) يوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٤٨ : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ... الآية ﴾ فذكر في هذه الآية أنهم سيقولون، وذكر في سورة النحل هذه، أنهم قالوا ذلك بالفعل، قال تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ... الآية ﴾ وقال في الزخرف الآية ٢٠ : ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ... الآية ﴾ ومرادهم أن الله لما كان قادراً على منعهم من الإشراك ولم يمنعهم منه، أن ذلك دليل على رضاه بشركهم، ولذلك كذبهم في سورة الأنعام بقوله : ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن ﴾ وكذبهم في الزخرف بقوله : ﴿ ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ وقال في الزمر الآية ٧ : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ انظر أضواء البيان ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٤٩.

قوله : ((في أني لا أقدّر الشر ولا أشاؤه، حيث أفعل ما أفعل بالأشرار))(١) يريد أن النظر في أحوال الأشرار من الهلاك والدمار، يدل على أني ما قدّرت الشرّ فيهم ولا قضيته عليهم لأني لو فعلت ذلك، ثم عاقبتهم به لم أكن عادلاً لكنهم إنما استحقوا ذلك لأنهم هم الذين فعلوا ما استحقوا به الهلاك، وعلم من قبل أن ما ذكره خارج عن مقتضى المقام.

قوله : ((وقرئ ﴿لا يهدي﴾))(٢) على ما لم يسم فاعله، الكوفيون(٣) : ﴿لا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال. والباقون بضم الياء وفتح الدال، قال أبو البقاء (٤) : [في قراءة الضم وجهان : أحدهما : أن ﴿من يضل﴾ مبتدأ و﴿لا يهدي﴾ خبره. والثاني : أن ﴿لا يهدي من يضل﴾ بأسره خبر ﴿إنّ﴾، كقولك :إن زيداً لا يضرب أبوه] يعني : أن التركيب سببي، ومعناه : أن زيداً بمكان من الشرف والكرامة بحيث استحق أن يكرم أبوه ولا يهان بالضرب، ونظيره في المعنى خولان(٥) فانكح ثم ما في التنزيل مع ذلك التقدير واقع جزاء للشرط ولم يكن يصلح جزاء إلا بتأويل الإعلام والإخبار، وقد تقرر أن مثل هذا الأسلوب إنما يَرِدُ للتقريع، أو التنبيه على أمر خطير خفي على السامع، ولا سيما في جعل اسم إن الاسم الجامع للأسماء الحسنى، كأنه قيل : ﴿إن تحرص﴾ أنت وكل مخلوق على هداية من أراد ا لله إضلاله، فاعلم وتنبه أنك قد حاولت مُزَاوَلَة أمر لا يرام، ومحالٌ لا يستطاع، هذا معنى قوله : ((لا تقدر

---

(١) تفسير قوله : ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ قال (ز) : يعني فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا تبقى لكم شبهة ((في أني لا أقدّر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار)).

قلت : هذا على مذهب المعتزلة، ومذهب أهل السنة هو ما قدمنا من أن ا لله يفعل ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، وكل ما شاء ا لله كان وما لم يشأ لم يكن شراً كان أو خيراً، وكل شيء بقضائه وقدره.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن ا لله لا يهدي من يضلّ ﴾ الآية ٣٧ من سورة النحل.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر : ﴿ فإن ا لله لا يُهْدي من يضل ﴾ بضم الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ فإن ا لله لا يَهْدِي ﴾ بفتح الياء وكسر الدال. انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤ ، وحجة القراآت لابن زنجلة ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) في كتابه الإملاء ٢/٨١

(٥) يشير إلى البيت، وقد تقدم.

أنت ولا أحد على هدايته)) ووجدت لبعض الفضلاء على الحاشية هذه كلمة حقّ، وقد أخرجها الله تعالى من فمه بلا اختيار منه.

قوله :((﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان)) كأنه قيل : ﴿ إن تحرص على هداهم ﴾ فاعلم أن الله لا يهدي من يخذله، وما له من ناصر ينصره، وقلت : ليس تأويل ﴿ من يضل ﴾ بالخذلان أولى من تأويل ﴿ من ناصرين ﴾ بالهادين، أي : ﴿إن تحرص على هداهم ﴾ فاعلم أن الله لا يهدي من يضلّه وما له من هاد قطّ، لا أنت ولا غيرك[1] ، وهذا أولى، لأن أول الكلام في الهداية لا في النصرة والخذلان، وأما الختم بعد النصرة فللمبالغة في عدم توخي الهداية والخيبة فيه وعدم الاهتداء.

قوله : ((ويجوز أن يكون ﴿لا يهدي﴾ بمعنى لا يهتدي))، الجوهري[2] : [هدى واهتدى بمعنىً] قوله : ﴿ فإن الله لا يهدي من يضل ﴾، قال الفراء[3] : [يريد لا يهدي من يضله، قوله : ((هداه الله فهدى)) أي هدى مطاوع هداه، كما أن اهتدى مطاوعه، وهي معاضدة لمن قرأ ﴿لاتَهدِي﴾، أي : لا هادي موجود لمن يضله فإذا لم يكن هاديه موجوداً فلا يُهدى أبداً.

---

(1) وهذا المعنى جاء في القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى في سورة القصص الآية ٥٦ : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ وقوله في سورة المائدة الآية ٤١ : ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وقوله في سورة الأعراف الآية ١٨٦ : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وقوله في سورة الأنعام الآية ١٢٥ : ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾.

(2) الصحاح للجوهري ٢٥٣٣/٦ مادة (هدى).

(3) انظر كتابه معاني القرآن ٩٩/٢.

والفراء يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، أبو زكرياء، صاحب الكسائي، كان ثقة وكان إماماً في النحو، أميراً فيه وفي اللغة، ووكل به المأمون ولديه يعلمهما النحو . انظر سير اعلام النبلاء ١١٨/١٠ وتاريخ بغداد ١٤٦/١٤.

قوله : ((وهي معاضدة للأولى)) أي : قراءة من قرأ ﴿ لا يهِدِّي ﴾[1] بمعنى لا يهتدي.

قوله : ((كفَرَتَان)) الجوهري[2] : [الكَفْرُ : بالفتح التغطية، قال ابن السكيت: [ومنه سمى الكافر، لأنه يستر نعم الله تعالى عليه، وفي التخصيص فائدة، وهي أن الكفار يحاولون تغطية ما هو في غاية الظهور والجلاء، والأولى أن يعطف الجملة كما هي على جملة الشرط والجزاء، كأنه تعالى يخبر عن مبالغة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هدايتهم، وعن تناهي ضلالهم مفوضاً ترتب إحدى الجملتين على الأخرى إلى فهم السامع.

قوله : ((أو أنه وعدٌ واجب))[3] أي : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنه وعد واجب على الله، لأنهم يقولون : لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا غيره)) وفيه تعريض بأهل السنة[4] ، قال صاحب الفرائد : [لا دلالة في الآية على ما قال، لكن المعنى : لا يعلمون كمال قدرته، وبالغ حكمته في بعثه بعد إماتته . وقلت: الذي دلّ عليه السياق أن معناه : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك الوعد الحق والقول الصدق لقوله : ﴿ وعداً عليه حقاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(1) ﴿لا يهِدِي﴾ قرأه فرقة منهم عبد الله بفتح الياء وكسر الهاء والدال مشددة، قاله ابن عطية، وأصله (يهتدي) فأدغم التاء في الدال مثل (يختصم) (يخصّم) . انظر البحر المحيط ٤٩٠/٥ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤١٤/٨ . وتشهد له القراءة المتواترة ﴿أمن لا يهدي﴾ في سورة يونس.

(2) الجوهري ٨٠٧/٢ مادة (كفر)

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأقسموا با لله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ الآية ٣٨ من سورة النحل . قال (ز) : في تفسير ﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفى، أي : بلى يبعثهم، ووعد الله مصدر مؤكد لما دل عليه ﴿بلى﴾ لأن يثبت موعد من الله.

(4) أهل السنة لا يوجبون على الله شيئاً، وهو متعصب للمعتزلة الذين يوجبون الصلاح والأصلح على الله، تعالى الله عن ذلك، وأهل السنة يقولون إن الله إذا وعد لا يخلف فضلاً منه، ولكن لا يوجب عليه خلقه شيئاً تعالى الله عن ذلك.

بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم ﴾[1] فالمقدّر الوعد الواجب بحسب إنه تعالى لا يخلف الميعاد، لا أن العبد يوجب عليه بسبب[2] عمله . وإما جزاء من الثواب والعقاب، فهو تابع[3] للبعث أو ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أنه تعالى يبعثهم، أي : بمسئلة البعث، التي مبناها على كونه تعالى عالم بكل المعلومات، قادر على كل المقدورات، كالفلاسفة وأضرابهم[4] خذلهم ا لله، ويؤيد أن الكلام في البعث قوله : ﴿ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ﴾ أي : في البعث ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ أي : في قولهم : ﴿ لا يبعث ا لله من يموت ﴾، وكذا قوله : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ لأن فيه إثبات القدرة الكاملة والإرادة الشاملة، وإليه الإشارة بقوله : ((والمعنى أن إيجاد كل مقدور على ا لله بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شِقِّ المقدورات؟))[5] .

قوله : ((لأن مرادا))[6] نكرة واللام متصل بمثل أيْ أيَّ مراد يكون.

وقوله : ((وأن وجوده عند إرادته غير متوقف)) عطف تفسيري، على أن مراداً لا يمتنع عليه.

---

(1) سورة يونس الآية ٤.

(2) في م (بحيث) وهو الصواب.

(3) فهو (مانع) للبعث في ت.

(4) متعلق بقوله : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلون ﴾ كالفلاسفة وأضرابهم. وا لله أعلم.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ الآية ٤٠ من سورة النحل. أي : ((والمعنى أن إيجاد ... الخ))

(6) تفسير (ز) لقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ من (كان) التامة التي بمعنى الحدوث والوجود، أي : إذا أردنا وجود شيء، فليس إلا أن نقول له : أحدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثلٌ (لأن مرادا) لا يمتنع عليه ((وأن وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف)).

ومثل هذه الآية في الرد على الكفار المنكري البعث، الذين قالوا : ﴿ من يحي العظام وهي رميم ﴾ وقوله: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ يس الآية ٨٢ ، ولا يحتاج لتكرير الأمر، فتكفي منه جل وعلى (كن) مرة واحدة (كما قال تعالى في سورة القمر الآية ٥٠ : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾.

قوله : ((في شِقِّ المقدورات)) فيه توهين لأمر البعث، الأساس[1] : [قعد في شق من الدار في ناحية منها، وخذ من شق الثياب من عُرْضها ولا تَخْتَر].

قوله : ((وقرئ ﴿فيكون﴾)) ابن عامر والكسائي بالنصب والباقون بالرفع[2]، قال الزجاج[3] : [فالرفع على، فهو يكون أي ما أراد الله فهو يكون، والنصب إما على أن تقول : أي يقول، فتكون، أو على أنه جواب ﴿كن﴾. و﴿قولنا﴾ رفع بالإبتداء، وخبره أن يقول معناه : ماذا أراد الله فهو كائن على كل حال، ولو أراد خلق الدنيا والسموات والأرض في قدر لمح البصر لقدر، لكن العباد خوطبوا بما يعقلون، فأعلمهم الله بسهولة خلق الأشياء، فعلم أنه متى أراد الشيء كان، وليس أن الشيء قبل أن يخلق موجود] وقال أبو علي : ﴿كن﴾ وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد هنا الأمر وإنما هو والله أعلم : الإخبار عن كون الشيء وحدوثه، وإلى هذا ذهب أبو العباس[4] ، ويجيء تمام بحثه في يس.

قوله : ((فكيف))[5] متعلقه محذوف، تقديره : لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه، فكيف وقد خلق، أي : لا يطيعُ الله لخوف النار فيكون طاعته لأغراض وعلل، والعارف من يطيع الله لله، ومعنى (لو) في الحديث ليس لامتناع الشيء لامتناع غيره، بل لمجرد الفرض والتقدير.

---

(1) أساس البلاغة للزمخشري ٣٣٤.

(2) ذكره المبسوط في القرآت العشر لابن مهران ٢٢٤ والحجة لابن زنجلة ٣٨٨.

(3) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/١٩٨.

(4) أبو العباس المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، إمام العربية في بغداد، أحد أئمة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٦هـ ببغداد . انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/٢٦٩ وتاريخ بغداد ٣/٣٨٠.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوِّئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ الآية ٤١ من سورة النحل. وقول (ز) : ((فكيف في الله وحقه)) جاء في معرض هجرة صهيب رضي الله عنه في تفسير قوله : ﴿ والذين هاجروا في الله ﴾ لأن صهيباً قال للمشركين لما منعوه من الهجرة، أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، فافتدى منهم بماله، وهاجر، فقال له عمر رضي الله عنه : (نعم الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه) وهو ثناء عظيم، يريد : لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه، ((فكيف)) أي : فكيف لا يطيعه وقد خلقها لمن عصى.

قوله : ((في الله : في حقه)) أي : الذين هاجروا مخلصين لوجه الله لا لأمر آخر دنيويّ، كقوله صلوات الله عليه : (فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) رواه الشيخان(١) وغيرهما.

قوله : ((لتنزلهم في الدنيا منزلة حسنة))(٢) يريد أن التَّبْوِئة في المكان بمعنى إعطاء المنزلة، فيجوز أن يستعمل في التمكين في الأرض، نحو : ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾(٣) ولذلك قال : وهي ((الغلبة على أهل مكة – إلى قوله – وعلى أهل المشرق والمغرب)) ولا يبعد أن يقال : إن هذا هو الوعد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾(٤) والله أعلم.

قوله : ((والذين صبروا)) واردٌ على ((هم الذين صبروا)) أي الذين صبروا واردٌ على (هم الذين صبروا) أو أعنى كلاهما لإرادة المدح.

قوله : ((قالت قريش : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً))(٥) هذا التقرير يقتضيه قوله : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً ﴾ من جهة ما وإلا، لأنهما إنما يتلقى بهما المخطئ المصرّ على خطابه المبالغ في إنكاره.

قوله : ((لأن أصله ضربت زيداً بالسوط))(٦) يعني إلا من حيث اللفظ لغو، والإستثناء على خلاف المشهور، عن بعضهم، التقدير لم يوجد منه ضرب أصلاً لا

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان والنذور، باب النية في الأيمان وأيضاً بدء الوحي ١/١ رقم ١. ومسلم كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنية ... الخ ١٥١٥/٣، كتاب الإمارة برقم ١٩٠٧.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لنبوئنهم في الدنيا حسنة ﴾ قال (ز) : لنبوئنهم في الدنيا منزلة حسنة ... الخ. وقيل: ((لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة)) وهي الغلبة على أهل مكة ... الخ.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٠.

(٤) سورة النور الآية ٥٥.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ الآية ٤٣ من سورة النحل.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ الآية ٤٤ من سورة النحل. قول (ز) : فإن قلت : بمَ تعلق قوله ﴿بالبينات﴾؟ قلت : له متعلقات

بالسوط ولا غيره. وقال أبو البقاء(١) : [في تعلق ﴿بالبينات﴾ بـ﴿أرسلنا﴾ بمعنى : أرسلناهم بالبينات ضعف، لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إذا تم الكلام على ﴿إلا﴾ وما يليها، إلا أنه جاء في قول الشاعر :

** نُبِّئتُهُمْ عَذَّبُوا بالنار جارَتَهُم ** ولا يُعَذِّب إلا الله بالنار **(٢)

وقال صاحب المفتاح(٣) : [لك أن تقول : ما ضرب إلا عمراً زيدٌ، وما ضرب إلا زيدٌ عمراً، فتقدم وتؤخر، إلا أن هذا التقديم والتأخير لما استلزم قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف، قلّ دوره في الاستعمال].

قوله : ((والأول))(٤) قال : في الأولين والأول نظراً إلى أنه لا إضمار فيه.

قوله : ((وأما بـ ﴿لا تعلمون﴾)) على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام، لأن ﴿إن﴾ استعملت في أمر مقطوع معلوم، وذلك أن الكلام مع قريش كما قال : ((قالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً)) فقيل : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . بالبينات والزبر ﴾، وقد علم وحقق أن قريشاً لم يكونوا عالمين بالبينات والزبر، فتعليقه بالسؤال يفيد التبكيت والإلزام، يعني لا ارتياب في أنكم غير عالمين بها، ولستم أيضاً مما تسألون عنهم، لأنكم تعلمون أنهم لا يجيبونكم إلا بما ذكرنا، من أنّا ما أرسلنا من قبله إلا رجالاً يوحى إليهم، فلم يبق لكم طريق سوى التسليم والإذعان، وعليه قوله : ((إن كنتُ

شتى، فإما أن يتعلق بـ ﴿ما أرسلنا﴾ داخلاً تحت حكم الاستثناء مع ﴿رجالاً﴾ اي : وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات، كقولك، ما ضربت إلا زيداً بالسوط ((لأن أصله ضربت زيداً بالسوط)) . انظر البحر المحيط ٤٩٤/٥ والكشاف ٦٠٧/٢، ٦٠٨.

(١) في كتابه الإملاء ٨١/٢.

(٢) لم أقف على قائل البيت، وذكره الفراء في معاني القرآن ١٠١/٢، وأبو البقاء ٨١/٢.

(٣) صاحب المفتاح : محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، شارح التلخيص تقدم.

(٤) يعني أن قوله : ﴿بالبينات﴾ متعلق بما أرسلنا داخلاً تحت حكم الإستثناء مع رجالاً، أي : وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات، اي : والأول على كلام واحد.

عملت ذلك فأعطني حقي))(١) ، وصاحب المفتاح، أخرج هذا المثال في معرض النفي، حيث قال : [ومنه ما قد يقول العامل عند القاضي بالعمالة إذا امتدّ التسويف وأخذ يترجم عن الحرمان : إن كنت لم أعمل فقولوا : اقطع الطمع، نزّلَهُم أن يحرموه منزلة من لا يعتقد أنه عمل مُجهّلاً.

قوله : ((فسألوا أهل الذكر)) اعتراض على الوجوه المتقدمة، يعني في هذا الوجه،ليس باعتراض وليس بجواب للشرط لتقدمه عليه لكنه دالّ عليه.

قوله : ((وهم أهل مكة وما مكروا به))(٢) أي : الضمير في (مكروا) لأهل مكة، والمراد بالمكر : ما مكروا به في دار الندوة، الراغب(٣) : [المكر : صرف الغير عما يقصده بحيلة].

قوله : ((وهو خلاف قوله : ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ ومن حيث يشعرونه.

قوله : ((من قولك : تخوّفته وتخوّنته))(٤) الرغب(٥) : [تخوّفناهم : تنقّصناهم تنقّصاً اقتضاه الخوف منه، والتخوف ظهور الخوف من الإنسان، قال الله عز وجل :

---

(١) هذا على أن قوله تعالى : ﴿ بالبينات ﴾ متعلق بقوله : ﴿ لا تعلمون ﴾ على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام، كقول الأجير : ((إن كنت عملت لك فأعطني حقي))، ويوضح استغراب وإنكار الكفار إرسال الرسل من البشر، وقالوا : الله أعظم من أن يرسل بشراً لأنه لو كان مرسلاً أحداً حقاً لأرسل ملائكة، كما بينه تعالى في آيات كثيرة، قال تعالى في سورة يونس الآية ٢ : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾، وقوله في سورة ق الآية ٢ : ﴿ بل عجبوا أن جاءهم نذكر منهم ﴾ الآية ، وقوله في سورة المؤمنون الآية ٢٤ : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ الآية ٤٥ من سورة النحل. قول (ز) : في تفسير ﴿ مكروا السيئات ﴾ أي : المكرات السيئات، ((وهم أهل مكة وما مكروا به)) أعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) الراغب في مفرداته ٤٧١ مادة (مكر).

(٤) تفسير قوله : ﴿ على تخوّف ﴾ قال (ز) : أي متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم، فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله : من حيث لا يشعرون. وقيل : هو من قولك : تخوفته، وتخونته إذا تنقصته، قال الفراء : تخوفته بالخاء : تنقصته ١٠١/٢.

(٥) الراغب في مفرداته ١٦٢ مادة (خوف).

﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾، قوله : ** تخوف الرحل منها .. ** البيت(١) ، تامكـاً : أي سناماً مشرفاً، الأساس(٢) : [صُوفٌ قَرِدٌ مُلْتَصِقٌ مُتَلَبِّدٌ]، الجوهري(٣) : [سحاب قَرِدٌ يركب بعضه بعضاً]، والنبع شجر يتخذ منه القسيّ، والسَّفَن : بالتحريك المِبْرَد، يصف ناقة أثَّر الرحل في سنامها، وتنقص، كما ينقص المِبْرَدُ من العود.

قوله : ((بديوانكم))(٤) المغرب(٥) : [الديوان : الجريدة، من دَوَّنَ الكتب إذا جمعها، لأنها قطع من القراطيس مجموعة. ويروى أن عمر رضي الله عنه أول من دوّن الدواوين، أي : رتّب الجرائد للولاة والقضاة].

قوله : ((لا يضل)) مجزوم، لأنه جواب لقوله عليكم، وهو بمعنى الأمر، وفي اللباب(٦) : [عليكم بديوانكم لا تضلوا].

قوله : ((قرئ : ﴿ أولم تروا ﴾ و ﴿ تتفيؤا ﴾ بالتاء))(٧) الفوقاني حمزة والكسائي، والباقون بالياء. أبو عمرو و ﴿ تتفيؤا ﴾ بالتاء الفوقاني، والباقون بالياء.

---

(١) تمامه :

** تخوف الرحل منها تامكاً قَرِداً ** كما تخوّفَ عودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ **

وهو لأبي كبير الهذلي، وقيل : لزهير، وقيل : لابن مقبل كما في اللسان، وقيل : لذي الرمة .

(٢) الأساس للزمخشري ٥٠٠ مادة (قرد).

(٣) الجوهري في صحاحه ٥٢٣/٢ مادة (قرد).

(٤) يشير إلى كلام عمر رضي الله حين سأل عن معنى التخوف في قوله : ﴿ أو يأخذهم على تخوف﴾ فقام شيخ من هذيل، فقال له : التخوف، التنقص. فقال له عمر : وهل تعرف العرب ذلك؟ فأنشده البيت السابق، فقال عمر رضي الله عنه عليكم ((بديوانكم لا يضل))؟

(٥) المغرب ٢٩٩/١ مادة (دون).

(٦) اللباب في شرح الكتاب للميداني.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون ﴾ الآية ٤٨ من سورة النحل.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ أولم تروا إلى ما خلق الله من شيء ﴾ بالتاء وكذلك في العنكبوت الآية ١٩ : ﴿ أولم تروا كيف يبدئ الله الخلق ﴾ والباقون بالياء ﴿ أولم يروا ﴾ في الموضعين.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿ تتفيؤا ظلاله ﴾ بالتاء، والباقون بالياء . انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤. والحجة لابن زنجلة ٣٩٠، ٣٩١.

قوله : ((﴿ وسُجّداً ﴾ حال من الظلال)) ﴿ وهم داخرون ﴾ حال من الضمير في ﴿ ظلاله ﴾، والمعنى : ظلالهم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتفق الباطن مع الظاهر، فإن قلت : لم جعل الحال الثانية حالاً من الضمير في ﴿ ظلاله ﴾ ولم يجعل من الضمير المرفوع المحذوف العائد إلى الموصول؟ قلت : لأنه حال مؤكدةٌ، فإذا جعلت الظلال ساجدة، يلزم منه المبالغة في سجود الأجرام بالطريق الأولى، وهو معنى الدخور، فيقع الحال تأكيداً كما في قوله : ﴿ ثم وليتم مدبرين﴾(١) ولا يفيد الأول هذا المعنى، وفيه إدماج لمعنى تسخير الأجرام العلوية، لأن الظل إنما يحصل من حركات الكواكب والشمس، ولما بين ذلك، وأراد أن يبين الاختصاص بأنها تسجد لله لا لغيره، قال : ﴿ ولله يسجد ﴾ قال القاضي(٢) : [قوله : ﴿ سجّداً لله وهم داخرون ﴾ هما حالان من الضمير في ﴿ ظلاله ﴾، والمراد من السجود الإستسلام سواء كان بالطبع والاختيار، يقال : سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليُركب، والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها منقادة كما قُدّر لها من التفيئ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد، والأجرام في أنفسها أيضاً صاغرة منقادة لأفعال الله فيها]. قال أبو البقاء(٣): [﴿ سجّداً ﴾ حال من الظلال ﴿ وهم داخرون ﴾ حال من الضمير في ﴿سجّداً﴾، ويجوز أن يكون حالاً ثانية معطوفة].

قوله : ((وجمع بالواو، لأن الدخور من أوصاف العقلاء))(٤) وذلك أن من لا يعقل إذا وصف بصفة العقلاء أجرى مجرى العقلاء في الاستعمال، وإذا حكم على العقلاء ، وغير العقلاء (تغلب العقلاء)(٥) على غيرهم.

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٥.

(٢) القاضي البيضاوي ١٨٣/٣.

(٣) أبو البقاء ٨٢/٢.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهم داخرون ﴾.

(٥) ما بين القوسين س من أ ، ب والصواب إثباته.

قوله : ((استعارة)) خبر مبتدأ محذوف أيمان الظلال وشمائل الظلال في قوله تعالى : ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء.

قوله : ((من التفيؤ)) بيان ما سخرها له تتفيأ تتفعّل من الفيء، يقال : فاء يفيء فيئاً، إذا رجع.

قوله : ((الخلق الذي يقال له الروح))(١) فعلى هذا الروح غير الملائكة، وقال فيه الروح جبريل أو أفرد عنهم لشرفه لقوله تعالى : ﴿ تتنزل الملائكة والروح ﴾(٢) وقيل : خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة.

قوله : ((والملائكة خصوصاً من بين الساجدين)) يريد أنه تعالى لما عم من يتأتى منه السجود في قوله : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض ﴾، ثم خص من بينهم هذا الجنس من المكلفين في قوله : ﴿ والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ دلّ على أنهم أولى وأقدم في هذا النوع من العبادة، ثم تمّمه بقوله : ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾.

قوله : ((وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا))(٣) الانتصاف : [استدل بالآية من أجاز استعمال المشترك في معنييه وفي حقيقته ومجازه شمولا، والزمخشري ينكره في مواضع من كتابه فحمله على القدر المشترك وجعله متواطئا ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز، ويبطله أن الآية آية سجدة، وفيه دليل على أن المراد من السجود المذكور على ما هو منسوب إلى المكلّف من الفعل المتعارف شرعاً فيبطل القول بالقدر المشترك، قلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ يسجد ﴾ واردٌ على عموم المجاز الذي يكون كل من الحقيقة والمجاز فرداً من أفراده، والمكلف إنما

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾. قال (ز) : ويراد بما في السماوات ((الخلق الذي يقال له الروح)).

(٢) سورة القدر الآية ٤.

(٣) قال (ز) : المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم، انقياده لإرادة الله، وأنها غير ممتنعة عليها ((وكلا السجودين يجمعما معنى الانقياد، فلم يختلفا)) ولذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد، وهو قوله : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ﴾.

يسجد لمقتضى ما يناسبه، الراغب[١] : [السجود أصله التّطامن والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان (وغيره وذلك ضربان : اختياري: وليس ذلك إلا للإنسان وبه)[٢] يستحق الثواب، قال الله تعالى : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾[٣] . وتسخيريّ : وهو للإنسان وغيره، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ و لله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ... الآية ﴾[٤] وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبّهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وهو قوله تعالى : ﴿ و لله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ ينطوى على النوعين[٥] .

قوله : ((﴿ يخافون ﴾ يجوز أن يكون حالاً))[٦] وأن يكون بياناً لنفي الإستكبار وتأكيداً له، الأنتصاف[٧] : [الثاني أصح، لأن الحال تعطي انتقالاً وتوهم تقييداً، والواقع عدم استكبارهم مطلقاً غير مقيد بحال].

قوله : ((إن علقته بـ ﴿ يخافون ﴾))[٨] أي : جعلته متصلاً به وتتمة لمعناه، ولم ترد به تعلق المعمول بالعامل، فعلى هذا ﴿ من فوقهم ﴾ متعلق بمتعلق ﴿ يخافون ﴾ يدل عليه جعل المصنف ((أن يرسل)) بدلاً من الضمير في يخافونه، ويمكن أن يقدر : ويخافون عذاب ربهم كائنا من فوقهم.

---

(١) الراغب في مفرداته ٢٢٣ مادة (سجد).

(٢) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٣) سورة النجم الآية ٦٢.

(٤) سورة الرعد الآية ١٥.

(٥) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الحج الآية ١٨ : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ... الآية ﴾.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ الآية ٥٠ من سورة النحل.

(٧) ٢/٤١٠ مع الكشاف . والدر المصون للسمين ٤/٢٣٤.

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ من فوقهم ﴾. قال (ز) : ((إن علقته بـ ﴿ يخافون ﴾)) فمعناه يخافونه.

قوله : ((دال على شيئين، على الجنسية والعدد))(١) ، وفيه أن العدد عار عن الدلالة على ماهية المعدود، فيجوز أن يكون بياناً لأحد مفهوميه.

قوله : ((والذي يساق إليه الحديث هو العدد)) خبر ﴿إن﴾ والذي يساق إليه الحديث تفسير لقوله : ((المعنيُّ به وشُفِّعَ جواب إذا)).

قوله : ((لو قلت : إنما هو إله، ولم تؤكده بواحد، لم يحسن، وخيِّل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية)) قال صاحب التقريب : [فيه نظر، إذْ إله يطلق على الجنس مجرداً عن العدد، فجاء فيه التخييل. وأما ﴿ إلـهين ﴾ فلا يتخيل فيه غير التثنية، مع أنه المبحث، وفي حاشية التقريب : [وفي الأصل نظر، لأن نحو إله وضع للجنسية والوحدة لا يجئ التخيل أيضاً إذا جرد عن الواحد، وإن وضع للجنسية المطلقة لم يكن شفّع بالواحد تأكيداً، إذ التأكيد تقوّية ما فهم من الأول، والمقدر عدم دلالته على الوحدة، وقلت : إن المصنف لما بين دلالة الوضع أولاً، وأن مثل رجل ورجلين معدودان فيهما دلالة على العدد، بني عليه معنى التأكيد، واستدل باستواء مؤدى اللفظين، أعني ثلاثة رجال ورجلان فيما يقصد منهما من إرادة المعدود مع العدد، فلو لم يحمل شفعه بالواحد على التأكيد وبيان الغرض، لكان زائداً، فوجب المصير إلى التأكيد تقوية ما فهم، لأن التأكيد إنما يصار إليه لاحتمال ما عسى أن يتوهّم السامع خلاف المقصود، وكل لفظ أُخلي عن التأكيد لا يمنع الاحتمال، وقد نص الزجاج(٢): [أن ﴿ اثنين ﴾ توكيد لقوله ﴿ إلـهين ﴾ كما أن الواحد في قوله ﴿ إنما هو إله واحد﴾]، وقال الإمام(٣) : [إن ﴿ إلـهين ﴾ لفظ واحد يدلّ على أمرين : ثبوت الإله، وثبوت التعدد، فإذا قيل : ﴿ لا تتخذوا إلـهين ﴾ لم يعرف منه أن النهي وقع

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلـهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ الآية ٥١ من سورة النحل، قال (ز) : الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية ((دال على شيئين، على الجنسية والعدد)) المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنيّ به منهما ((والذي يساق إليه الحديث، هو العدد)) شفّع بما يؤكده، فدلّ على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت : ﴿ إنما هو إله ﴾ ولم تؤكده بـ ﴿ واحد ﴾ لم يحسن، وخُيِّل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية.

(٢) في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٠٤.

(٣) الإمام الفخر الرازي ٢٠/٤٨.

عن إثبات الإله أو عن إثبات التعدد أو عن مجموعهما] فلما شفع بقوله : ﴿ اثنين ﴾ ثبت النهي عن إثبات التعدد فقط، وكذا عن صاحب المفتاح، وأما بيان النظم فإن قوله : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلـهين اثنين ... الآية ﴾ معطوف على قوله : ﴿ ما خلق الله من شيء﴾ على منوار قوله : ** متقلداً سيفاً أو رمحاً ** أي : أولم ينظروا إلى ما خلق الله من الدلائل المنصوبة الشاهدة على وحدانية الله تعالى، وأنه لا معبود سواه، أولم يسمعوا إلى ما قال وأوحاه الله في الكتب المنزلة، من بيان التوحيد، ونفي الشركاء.

قوله : ((شفع بما يؤكده)) لا ينافي قول صاحب المفتاح، ففسر ﴿ إلـهين ﴾ باثنين، و ﴿ إله ﴾ بواحد، بياناً لما هو الأصل في الغرض، فإن التأكيد أيضاً بيان وجه، ألا ترى إلى قول المصنف : قبيل هذا في قوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ هو بيان لقوله : ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ وتأكيد له، لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته.

قوله : ((وجاز لأن الغائب))(١) أي : وجاز النقل، لأن الغائب في قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ هو بعينه المتكلم في قوله : ﴿ فإياي فارهبون ﴾ لأن شريطة الالتفات هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث إلى الأخرى، لمفهوم واحد.

قوله : ((وهو أبلغ في الترهيب من قوله : فإياه فارهبون)) لما أنك تجد في الإنتقال من الغيبة إلى المواجهة فاراً من نفس المخاطب ما لا تجد إذا استمرت على لفظ الغيبة.

قوله : ((ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم)) أي : هذا الانتقال والاختلاف أبلغ من أن يجاء على سنن واحد، وهو أن يجيء على لفظ الغيبة كما يقال : إنما هو إله واحد فإياه فارهبوه، وأن يجيء ما قبله على لفظ التكلم، كما يقال : إنما أنا إله واحد فإياي فارهبون. قال صاحب الفرائد : [فائدة الإلتفات أن يعلم أن ذلك الواحد هو المتكلم، لا غيره، لأنه لما أفاد قوله : ﴿ لا تتخذوا إلـهين

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإياي فارهبون ﴾ . قال (ز) : نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم ((وجاز، لأن الغائب)) هو المتكلم، وهو من طريق الالتفات ((وهو أبلغ في الترهيب من قوله : (وإياي فارهبون))).

اثنين ﴾ وأفاد قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ الأمر باتخاذ الواحد، وجب أن يبين أن ذلك الواحد هو المتكلم فعبّر عن ذلك بقوله : ﴿ فإياي فارهبون ﴾]. وقلت : وتحريره أن قوله تعالى: ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ إلى آخر الآيات، مفرغ في قالب واحد لأن أصل الكلام : لا تشركوا بي شيئاً في العبادة، لأن المعبود واحد، فانظروا بنظر الانصاف أنه من هو؟ فإذا أدّاكم النظر إلى ذلك المعبود أنا، فخصّوني بالرهبة، مثله في الانتقال والتخصيص قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[1] بعد قوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ وإجراء الصفات عليه تعالى. ثم عطف قوله : ﴿ وله ما في السموات والأرض ﴾ على قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ بعد ما رتّب عليه التقوى ليؤذن بأن عظمة الإلهية ، كما تقتضي الخوف كذلك المالكية، فعلق به قوله : ﴿ أفغير الله تتقون ﴾، ثم وبّخهم وأنكر عليهم بعد الشرك كفرانهم نعم الله تعالى بقوله : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ ثم استبعده بقوله : ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾، قال ابن الحاجب : الآية جيء بها لإخبار قوم استقرت بهم نعم جهلوا معطيها أو شكّوا فيه أو فعلوا ما يؤدي إلى أن يكونوا شاكّين فاستقرارها مجهولة أو مشكوكة سبّب للإخبار بكونها من الله تعالى.

قوله : ((أو وله الجزاء دائماً))[2] عطف على قوله ((الدين)) الطاعة) والواصب: الواجب الثابت، والدين إذا فسّر بالطاعة، والواصب يجوز أن يكون بمعنى الواجب، فيكون المعنى : الطاعة واجبة لله تعالى، لأن كل نعمة منه، وأن يكون بمعنى الكلفة والمشقة، ويكون المعنى : وله الطاعة التي فيها كلفة ومشقة، ابتلاء للعباد ليتميز المخلص من غيره، وإذا فسر بالجزاء كقوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾[3] فالواجب بمعنى الثابت فقط، والمعنى : وله الجزاء دائماً ثابتاً، والضمير في قوله :

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ﴾ الآية ٥٢ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير ﴿ واصباً ﴾ : الواصب : الواجب الثابت ، ويجوز أن يكون من (الوَصَب) أي : وله الدين ذا كلفة ومشقة، أو ((وهل الجزاء ثابتاً دائما)) سرمداً لا يزول، يعني الثواب والعقاب.

(٣) سورة الفاتحة الآية ٣.

((ولذلك سمّى)) ﴿ الدين ﴾ المفسر بالطاعة . الراغب(١) : [الوصب : السقم الدائم، وقد وَصِب فهو وصِبٌ، وأوصبته كذا فهو يتوصّب، نحو : يتوجّع، قال تعالى : ﴿وهم عذاب واصب ﴾(٢) وقوله ﴿ وله الدين واصباً ﴾ متوعّدٌ لمن اتّخذ إلـهين، وتنبيه أن جزاء من فعل ذلك لازم شديد، ومعنى الواصب : الدائم، أي : حق الإنسان أن يطيعه دائماً في جميع أحواله].

قوله : ((يراوح من صلوات))(٣) البيت، يصف راهباً المراوحة في العملين أن يعمل هذا مرة وهذا مرة.

قوله : ((فما معنى قوله : ﴿ إذا فريق منكم ﴾))(٤) أتى في السؤال بالفاء للإيذان بالإنكار على الكلام السابق، يعني مقتضى قوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ الإخبار عن قوم استقرت بهم نِعم جهلوا معطيها، وقد ذكرت أن قوله : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً ﴾ ردّ لطعن قريش في رسالته صلوات الله عليه. وقولهم : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، وذكرت ثانياً أن قوله : ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ نازلة فيهم، وهي متصلة بتلك الآية بمعنى : أفأمن مُنكروا الرسالة الباذلون جهدهم في المكر بإبطالها أن يخسف بهم وكَيت وكَيت، وقوله : ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله ﴾ عطف على قوله : ﴿ أفأمن الذين مكروا ﴾ وقوله : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلـهين اثنين ﴾ عطف على ﴿ أولم يروا ﴾ على منوال قوله :

---

(١) الراغب في مفرداته ٥٢٤ مادة (وصب).

(٢) سورة الصافات الآية ٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ الآية ٥٣ من سورة النحل. قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿ تجأرون ﴾ أي : فما تتضرعون إلا إليه، والجؤار رفع الصوت والاستغاثة. قال الأعشى يصف راهباً :

** يراوح من صلوات المليْك طَوْراً سجوداً وطوراً جؤاراً **

انظر مشاهد الإنتصاف ٦١١/٢.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾ الآية ٥٤ من سورة النحل. قال (ز) : ((ما معنى قوله : ﴿ إذا فريق منكم ﴾ ؟)). قلت : يجوز أن يكون الخطاب في قوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ عاماً، ويريد بالفريق الكفرة ... الخ.

** متقلداً سـيفا ورمحـاً **(١) أي : أولم يـروا إلى دلائلـه الدالـة علـى القـدرة القـاهرة المسخّرة لكل شيء، وأولم يسمعوا بآياتـه الشـافية في إثبـات التوحيـد، وأن لـه الملـك الواسع، والدين الواصب، ليعرفوا أن لا بدّ من رسول ليقرر لهم تلك الدلائل، ويبلـغ إليهـم ذلـك القـول البليـغ، ويمهّـد لهـم ذلـك الديـن الواصـب، وأن يضـع الشـريعة المستقيمة ليوضح منهاج الطريقة القويمة، وخصوصاً توبيخ هؤلاء أوّلاً على ما هم فيه من الإشراك بقوله : ﴿ أفغير ا لله تتقون ﴾، وثانيـا علـى كفرانهـم نعمـة ا لله بقولـه : ﴿وما بكم مـن نعمـة فمـن ا لله ﴾، وثالثـاً علـى تعكيسـهم الأمـر بقولـه : ﴿ ثـم إذا مسّكم الضـر فإليـه تجأرون . ثـم إذا كشـف الضـر عنكـم إذا فريـق منكـم بربهـم يشركون ﴾، وإذا كان كذلك فكيف يدخل في المعنـى ذكـر فريـق وكـأن بعضـاً مـن أولئك الموبّخين ما أشركوا، وأجـاب بأنـه يجوز أن يكـون الخطـاب ﴿ بكـم ﴾ عامـاً ويـراد بـالفريق أولئـك المشـركون، علـى أن النـاس كُلّهـم فعلـوا مـا يـؤدي إلى أن يُستجهلوا أو يُنسبوا إلى الكفـران خصوصـاً هـؤلاء المشـركين ضمّـوا مـع الجهـل والكفران ما هـو أعظـم منهـا، مـن أنهـم إذا مسّـهم الضـرّ تضرّعـوا إلى ا لله، ثـم إذا كشف ا لله عنهم ذلك الضرّ ليوحدوه بدّلوا بالاشراك، وأن يكون الخطـاب خاصـاً في إولئك المشركين، ثم ﴿ من ﴾(٢) إما بيان، والمعنـى علـى التجريـد(٣) ، وإليـه الإشـارة بقوله : ((وهـم أنتم))(٤) أو تبعيض على أن المراد لم يصدر منه ذلك الإشراك الخاص فهو المقتصد(٥) المتوسط الذي خفض من غُلْوانه في الكفـر، فظهـر مـن هـذا البيـان أن

(١) يشير إلى قول الشاعر :

** ياليت زوجك قد غدا ** متقلّداً سيفاً ورمحاً **

أي وحاملاً رمحاً. انظر اللسان ٣٦٦/٣ مادة (قلد).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ من نعمة ﴾.

(٣) التجريد : أن ينتزع من أمر موصوف بصفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة للمبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الأمر المنتزع منه . انظر التعريفات للجرجاني ٧٣.

(٤) وهذه عادة الكفار، إذا مسهم الضر تضرعوا لله، وإذا كشف الضر عنهم رجعوا لكفرهم، كما قال تعالى في سورة الإسراء الآية ٦٧ : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ وقوله في الأنعام الآية ٦٤ : ﴿ قل ا لله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴾.

(٥) على حد قوله تعالى في سورة لقمان الآية ٣٢ : ﴿ فلما نجاهم إلا البر فمنهم مقتصد ﴾.

﴿ ثم ﴾ في قوله : ﴿ ثم إذا مسكم الضر ﴾ للتراخي في المرتبة. والثانية : على حقيقتها. وأما قطع قوله : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ فلأنه جملة طلبية[1] واردة، كالطبع على جملة الكلام، وكالتخلص إلى نوع آخر من قبائح المشركين، ولذلك عدل من الخطاب إلى الغيبة إيذاناً بالإياس عن إيمانهم، ونعياً عليهم بسوء الخاتمة، وبأن يقال لهم : دوموا على كفركم فسوف تعلمون وخامة عاقبة أمركم، و لله در فاء فائقة، جلبت هذه المعاني الرائقة، رحم ا لله واضعها في هذا المقام، وا لله أعلم.

قوله : ((تخلية ووعيدٌ))[2] بِشَرّ لقوله : ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ يعني : خليناكم وأمهلناكم وتُمتعكم بالدنيا ولذّاتها، وعن قريب يظهر لكم سوء مغبّته ووخامة عاقبته . قال أبو البقاء[3] : [الجمهور : ﴿ فتمتعوا ﴾ على أنه أمر، ويقرأ بالياء، وهو معطوف على ﴿ ليكفروا ﴾ ثم رجع إلى الخطاب فقال : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ وقرئ بالياء أيضاً]

قوله : ((من الأمر الوارد في معنى الخذلان)) والتخلية، وهو كقوله تعالى : ﴿قل تمتع بكفرك قليلا ﴾[4] .

قوله : ((وقيل الضمير في : ﴿ لا تعلمون ﴾ للآلهة))[5] يعنى لما نفوا عنها ما يصحّ أن ينفى عن ذوي العلم أجْروها مجرى أولى العلم، وعلى الأول: الضمير[6] للمشركين، ومفعول ﴿ لا يعلمون ﴾ ضمير ((ما)) المعبّر عن الأصنام، وعلى الثاني

---

(١) الجملة الطلبية : هي الجملة الدالة على الأمر أو النهي أو الدعاء أو النداء أو التمني أو الإستفهام.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ النحل الآية ٥٥. قال (ز) : تخلية ووعيد)).

(٣) في كتابه إملاء ما منّ به الرحمن ٢/٨٢.

(٤) سورة الزمر الآية ٨ . وقوله : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ وقوله : ﴿ ذرهم يخوضوا ويلعبوا ﴾ الآية

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تا لله لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ الآية ٥٦ من سورة النحل. قول (ز) : ((وقيل الضمير في ﴿ لا يعلمون ﴾ للآلهة)) أي : لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر .

(٦) يعني قوله تعالى : ﴿ لما لا يعلمون ﴾ أي : المشركون لا يعلمون آلهتهم ويعتقدون نفعها وضرها، وليس كذلك، وحقيقتها أنها جماد لا ينفع ولا يضر، فهم اذا جاهلون بها.

مفعول ﴿ لا يعلمون ﴾ غير منوي، ولذلك قال : ((لأشياء غير موصوفة بالعلم)) وقوله : ((لا تشعر، أجعلوا لها نصيباً))(١) صفة أخرى لأشياء، وعلى هذا الراجع إلى الموصول ضمير الفاعل في ﴿ لا يعلمون﴾.

قوله : ((الرفع على الإبتداء، والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات، أي : وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور))(٢) نقل الإمام عن الفراء(٣) أنه قال : [المختار الرفع لأنه لو كان نصباً لقال : لأنفسهم ما يشتهون، لأنك تقول : جعلت لنفسك كذا وكذا](٤) ، وقال الزجاج(٥) : [لا يجوز النصب لأن العرب تقول: جعل لنفسه ما يشتهي، ولا تقول : جعل له ما يشتهي، وهو يعني نفسه]، وقال أبو البقاء(٦): [وضعّف قوم هذا الوجه، وقالوا : لو كان كذلك لقال : ولأنفسهم، وفيه

---

(١) أي جعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا ؟ كما قال تعالى في سورة الأنعام ١٣٦ : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ الآية ٥٧ من سورة النحل. وقول (ز) : في قوله ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ : يعني البنين، ويجوز في ﴿ ما يشتهون ﴾ ((الرفع على الآبتداء ... الخ)).

(٣) الفراء : يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أو بني منقر، أبو زكرياء، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب : لولا الفراء ما كانت اللغة، وعهد إليه المأمون بتربية ولديه. ولد سنة ١٤٤ ومات ٢٠٧ في طريقه إلى مكة، كان كثير العلوم . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٢٨/٢، وغاية النهاية ٣٧١/٢، وتهذيب التهذيب ٢١٢/١١.

(٤) انظر كتابه معاني القرآن ١٠٥/٢-١٠٦.

(٥) انظر كتابه معاني القرآن وإعرابه ٢٠٦/٣.

(٦) انظر كتابه الإملاء ٨٢/٢ . يعني أنهم ضعفوا كون (ما) في موضع نصب، عطفاً على نصيباً، أي : ويجعلون ما يشتهون لهم.

نظر. وقال القاضي(١) : [يجوز النصب عطفاً على البنات، على أن الجعل لمعنى الإختيار، وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لِشَيْءٍ واحد، لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف].

قوله : ((ويجوز أن يجيء ﴿ ظَلَّ ﴾)) بمعناه(٢) ، الجوهري(٣) : [ظَلِلْتُ أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملته بالنهار دون الليل]، قال صاحب الإنتصاف : [وكذا الإحتمال في قوله : ﴿ فظلوا فيه يعرجون ﴾(٤) إمّا صاروا وإما أن يراد نهاراً لقصد المبالغة في الوضوح].

قوله : ((فيظلّ نهاره، نهاره بالنصب والرفع، بالنصب ظرف، وبالرفع على الإسناد المجازي ، نحو نهاره صائم.

قوله : ((مُرْبدّ الوجه)) الجوهري(٥) : [تَرَبَّدَ وجه فلان، أي : تغير من الغضب، وتَرَبَّدَ أيضاً : تعبّس].

قوله : ((من الكآبة)) سوء الحال والانكسار من الحزن.

قوله : ((وهو الغني عن العالمين))(٦) مقابل لقوله : ((وهي الحاجة إلى الأولاد))(٧) ، وقوله : ((والنزاهة عن صفات المخلوقين)) في مقابل: ((ووأدِهنَّ

---

(١) القاضي البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل ١٨٤/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ النحل الآية ٥٨. قال (ز) في تفسير ﴿ظل﴾ بمعنى صار، كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ((يوجوز أن يجيء ﴿ظل﴾)) بمعناه لأن أكثر المواضع يتفق بالليل، فيظل نهاره مغتمّاً ((مُربد الوجه)) من الكآبة والحياء من الناس.

(٣) الجوهري في صحاحه ١٧٥٦/٥ مادة (الظل).

(٤) سورة الحجر الآية ١٤.

(٥) الجوهري في صحاحه ٤٧٢/٢ مادة (ربد).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾ النحل الآية ٦٠ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ : ((وهو الغني عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين)).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ مثل السوء ﴾ ((وهي الحاجة إلى الأولاد)).

خشية الإملاق))، وقوله : ((وهو الجواد الكريم)) في مقابل : ((وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ)) وكل ذلك نتيجة قوله : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾، وقوله : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ... – إلى قوله – ساء ما يحكمون ﴾.

قوله : ((فقال : بلى وا لله حتى إن الحبارى لتموت في وَكْرها))(١) النهاية(٢) : [وفي حديث أنس : إن الحبارى تموت هَزْلاً بذنب بني آدم . يعني أن ا لله تعالى يحبس القطر بشؤم ذنوبهم، إنما خصَّها بالذكر لأنها أبعد الطير نجعة، فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء، وبين البصرة وبين منابتها أيام]، وقلت : بلى : إيجاب لما بعد النفي، والنفي هنا مستفاد من دليل الحصر، كأنه قيل : يضرّ نفسه، ولا يتعدى الضرر إلى غيره، فأجاب : بلى وا لله يتعدى الضرر إلى غيره حتى الحبارى، فظهر أن حتى غاية تتعدى المقدر.

قوله : ((أومن دابة ظالمة)) عطف على قوله : ((من دابة قط))(٣) فعلى الأول التنكير فيها للجنس، وعلى هذا للنوع.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ ا لله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ﴾ الآية ٦١ من سورة النحل. قول (ز) : ((بلى وا لله)) أول الكلام : وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: ((بلى وا لله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم)).

(٢) النهاية ٣٢٨/١، والطبري ١٢٦/١٤، وابن كثير في تفسيره ٤٩٧/٤ من حديث أبي هريرة وأنس رضي ا لله عنهما والبيهقي في شعب الإيمان التاسع والأربعين، وفيه محمد بن جابر التمامي، وهو متروك. انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦١٣/٢.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في سورة فاطر الآية ٤٥ : ﴿ ولو يؤاخذ ا لله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ... الآية ﴾ ، وقوله في سورة الكهف الآية ٥٨ : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ... الآية ﴾، وقوله هنا : ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾، لأنه جلّ وعلا يمهل ولا يهمل، كما قال تعالى في سورة إبراهيم الآية ٤٢ : ﴿ ولا تحسبن ا لله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾، وقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٥٣ : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ... الآية ﴾.

(٣) يعني ﴿ ما ترك عليها ﴾ أي : على الأرض ﴿ من دابة ﴾ قط، ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين.

قوله : ((إذا قال الله : هاتوا))(1) أي : قال للحفظة : هاتوا.

قوله : ((ومن الاستخفاف برسلهم)) أي : برسل المشركين الذين كانوا يرسلونهم.

قوله : ((﴿ مفرطون ﴾ قرئ مفتوح الراء))(2) نافع ﴿ مفرِطون ﴾ بكسر الراء. والباقون بفتحها مخففاً، والمشدد شاذّ، والمفتوح بمعنى : مُقَدّمُون(3) ، يريد مخففاً ومشدداً.

قوله : ((أو بجعل : ﴿ فهو وليّهم اليوم ﴾))(4) عطف على قوله : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ حكاية الحال الماضية، بناء على أن هذا الكلام إما أن يقال : في الآخرة أو في الدنيا. أما الأول : فعلى وجهين : أحدهما : أن يراد باليوم : يوم الآخرة استحضاراً لما جرى على الكفرة في الدنيا من مُتولّي أموزهم، الذي هو الشيطان، وما زيّن لهم من(5) سوء أعمالهم، وسوّل لهم من(6) المعاصي والكفر، كأن السامع حينئذ يستحضر يوم الدنيا، وتلك الحالة فيتعجب منها. وثانيهما : أن يراد باليوم حينئذ

---

(1) تفسير قوله : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفركون ﴾ النحل الآية ٦٣. قال (ز) عند تفسير قوله : ﴿ أن لهم الحسنى ﴾ : وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار، كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى : ((هاتوا ما دفع للسلاطين وأعوانهم، فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة، وإذا قيل : هاتوا ما دفع إليّ، فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له، أما تستحي من ذلك الموقف ؟.

(2) ﴿ وأنهم مُفْرِطُون ﴾ قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي ساكنة الفاء، خفيفة الراء مكسورة. وقرأ الباقون : ﴿مُفْرَطُون﴾ مفتوحة الراء، خفيفة. وروى عن الأعرج : ﴿ مُفْرَّطون ﴾ بفتح الراء وتشديده، شاذة. المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤، وحجة القراآت ٣٩١ .

وقرأ بالشاذ أيضاً أبو جعفر المدني . شواذ القراآت لابن خالويه ٧٣، والبحر المحيط ٥/٥٠٦.

(3) يعني مقدّمون إلى النار والعياذ بالله، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم ولهم عذاب أليم ﴾.

(5) لهم (من) سوء أعمالهم . ما بين القوسين في م.

(6) لهم (من) المعاصي . ما بين القوسين في م.

الزمان الممتدّ في الدنيا، فالتعريف في اليوم للعهد، والمعنيّ بالوليّ : القرين، أي : فهو قرينهم في الدنيا، وليس في هذا الوجه ذلك الاستحضار، بل مجرّد الإخبار . وأما الثاني : فعلى أن إخبار ا لله عن الكائن بمنزلة الواقع الثابت، فيستحضر الآن ما يجري عليهم في القيامة، وهذا على عكس الوجه الأول. والوليّ حينئذ بمعنى الناصر، وإثبات النصرة على سبيل التّهكم، وإليه أشار بقوله : ((نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه))[1] ، ومثله قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾[2] والغرض استحضار صورة الظالمين موقوفون عند ربهم متقاولين تلك المقالة.

قوله : ((ويجوز أن يرجع الضمير)) يعني في قوله : ﴿ وليهم ﴾، وهو عطف على قوله : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ حكاية الحالة الماضية، لأن الضمير على الأول، لكل من والاه الشيطان، المعني الشيطان قبل قريش، زَيَّن للأمم الماضية من الكفار أعمالهم فهو الآن وليّ هؤلاء الخلف، لأنهم متّصلون بهم في الدين، كقوله تعالى : ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾[3] وقلت : هذا هو الوجه، وعليه النظم الفائق، لأن في تصدّر القَسَمِيَة بقول : تا لله بعد إنكارهم الرسالة، وتعداد قبائحهم الإشعار بأنها كالتسلية لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، فإن الأمم الخالية مع الرسل السالفة لم تزل على هذه الوتيرة، تلك أسوة بتلك الأنبياء، وقومك خَلَفٌ لتلك الأمم، فلا تَهْتَمَّ بذلك، فإن ربك ينتقم لك منهم بالقتل والدمار في الدنيا، وبعذاب النار في العقبى، واشتغل أنت عنهم بتبليغ ما أنزل عليك من الكتاب الفيصل بين الحق والباطل، الهادي إلى الصراك المستقيم، والرحمة للمؤمنين، وبتقرير أنواع الدلائل المنصوبة على الوحدانية، وبالتنبية على إقامته الشكر على نعم ا لله المتظاهرة، وهذا التقرير يؤاخي التقرير في فاتحة هذه السورة الكريمة، وا لله أعلم.

---

(١) تفسير لقوله تعالى : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ قال (ز) : حكاية للحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في النار، أي : فهو ناصرهم اليوم، لا ناصر لهم غيره، ((نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه)).

(٢) سورة سبأ الآية ٣١.

(٣) سورة التوبة الآية ٦٧.

قوله : ((وإنما ينتصب مفعولا له))(١) .

قوله : ((مفعولاً له)) تمييز، والفاعل ((ما)) في ((ما كان)).

قوله : ((وأشياء من التحريم))(٢) عطف على قوله : ((البعث)).

قوله : ((ثوب أكياش))(٣) وفي الحاشية : الأكياش(٤) ضرب من الثياب تغزل مرتين.

قوله : ((في كل عام نعم...البيت))(٥) وبعده ** هيهات هيهات لما يرجونه **

** أربابه نوكي، فلا يحمونه ** ولا يلاقون طعاناً دونه **

يروى أفي كل عام ذكّر الضمير في يحمونه. الراجع إلى نعم، لأنه اسم مفرد بمعنى الجمع، يخاطب لصوصاً، يقول لهم : يحوون كل عام نعماً لقوم ألقحوه، وأنتم منتجونه في حيكم.

قوله : ((﴿ نسقيكم ﴾ بالفتح والضم))(٦) بالضم كلهم إلا نافعاً وابن عامر وأبابكر، قال الزجاج(٧) : [سقيته وأسقيته بمعنى. وقال سيبويه والخليل : سقيته

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ الآية ٦٤ من سورة النحل. قول (ز) في تعليل دخول لام (لتبين) قال : لأنه فِعْلُ المخاطب، لا فعل المنزّل، ((وإنما ينتصب مفعولا له، ما كان فِعْلَ فاعل الفعل المعلّل.))

(٢) تفسير لقوله تعالى : ﴿ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ﴾ قال (ز) : والذي اختلفوا فيه البعث، لأنه كان فيهم من يؤمن به، ومنهم عبد المطلب ((وأشياء من التحريم)) والتحليل والإنكار والإقرار.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نُسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ الآية ٦٦ النحل. قال (ز) : ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم : ((ثوب أكياش)) ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً، يعني قوله : ﴿ في بطونه ﴾ .

(٤) القاموس ٢٨٧/٢ : الثوب الأكياش الذي أعيد غزله، مثل الخز والصوف، أو هو الرديء.

(٥) البيت لصبيّ من بني أسد، اسمه : قيس بن الحصين الحارثي . وتمامه :

** أكل عام نعم تحوونه ** يلقحه قوم وتنتجونه **

** أربابه نوكى فلا يحمونه ** ولا يلاقون طعانا دونه **

** أنعم الأبناء تحسبونه ** هيهات هيهات لما ترجونه **

انظر الإنصاف لابن المنير، حاشية الزمخشري ٦١٥/٢.

(٦) قرأ نافع وابن عامر وأبوبكر عن عاصم ويعقوب ﴿ نَسْقيكُم ﴾ بفتح النون، والباقون بالضم. المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٥.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٢٠٨/٣-٢٠٩.

كقولك: ناولته فشرب، وأسقيته : جعلت له سقياً، وكذلك قول لبيد[1] يحتمل المذهبين:

** سقى قومي بني مجد وأسقى ** نميراً والقبائل من هلال **

وهذا البيت وضعه النحويون على أن سقى وأسقى بمعنى، وهو يحتمل التفسير الثاني]، وقيل : لا يريد الشاعر يسقى قومه : أن يروي عطاشهم، يريد رزقهم ا لله سقياً لبلادهم يخصبون منها، وبعيد أن يسأل لقومه ما يروي العطاش ولغيرهم ما يخصبون، ومعنى ﴿ نُسقيكم ﴾ بالضم : جعلناه في كثرته وإدامته كالسقيا، فهو كقوله : أسقيته نهرا، الجوهري[2] : [سقيته لشفته، وأسقيته لماشيته وأرضه، والاسم السِّقْي بالكسر ، والجمع الأسقية].

قوله : ((قيل : إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها)) ... إلى آخره. وقيل : الأطباء يزعمون على خلافه، قال الأمام[3] : [المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولّد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولّد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهي من الأشياء الموكولة الحاصلة في الكرش، وهذا اللبن متولّد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولاً ثم مما كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً، فصفّاه ا لله تعالى عن تلك الأجزاء الكثيفة الغليظة فإذا تناول الحيوان الغذاء ووصل إلى معدته أو إلى كرشه فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه، فما كان صافياً انجبذ إلى الكبد، وما كان كثيفاً نزل الى الأمعاء، والحاصل في الكبد ينهضم ثانياً ويصير دماً، ثم الدم يدخل في الأوردة، وهي العروق الثابتة من الكبد، وهناك يحصل الهضم الثالث، وبين الكبد والضروع عروق فينصب الدم منها إلى الضرع، وفيه لحم غدديّ رخوٌ أبيض،

(١) لبيد بن ربيعة العامري، والبيت في ديوانه ١٢٨/١. ورواه أبوعبيدة في مجازه ٣٥٠/١.

(٢) الجوهري ٢٣٧٩/٦ مادة (سقى).

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٦٥/٢٠.

فينقلب الدم فيه إلى اللبن، وذلك تقدير العزيز العليم]. قال القاضي[1] بعد ما ذكر نحوا من هذا : ومن تدبر صنع الله في إحداث الأخلاط والألبان وإعداد مقارّها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها، كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته، وعلى هذا الأقرب أن يكون ﴿ من بين فرث ودم ﴾ حالاً من ﴿ لبناً خالصاً ﴾ ولا يكون ظرفاً لغواً.

قوله : ((لأن بين الفرث والدم مكانَ الاسقاء)) روي : مكانُ بالرفع. وقيل : (بين) اسم لا ظرف وانتصابه على الحكاية، وليس أن يعامل هذا النصب، وإنما هو عامل نصب آخر مقدر، والتقدير : لأن محل الفرث والدم مكان الإسقاء أو أن التوسط والمتخلل بين الفرث والدم مكان الإسقاء، وفيه نظر، لأنه حينئذ ظرف لا اسم، والظاهر أن التقدير : أن وسط الفرث والدم مكان الإسقاء كقراءة من قرأ : ﴿ لقد تقطع بينُكم ﴾[2] بالرفع[3] .

قوله : ((أو تعلق بتتخذون))[4] أي : قوله : ﴿ ومن ثمرات النخيل ﴾ وقلت : البيان والكشف أولى لمقابلته قوله : ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾ وهو بيان لقوله : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾ ولذلك جعل ﴿ من ثمرات ﴾ متعلقاً بالمحذوف لا بهذا الظاهر، لكونه غير صالح للبيان . قال أبو البقاء[5] : [وقيل : التقدير :

(1) القاضي البيضاوي ١٨٥/٣.

(2) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(3) ففي هذه الآية الكريمة أن الأنعام عبرة دالة على تفرد من خلقها وأخلص لبنها من بين فرث ودم، بأنه هو وحده المستحق لأن يعبد ويطاع ولا يعصى، وأوضحه في آيات أخرى كقوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ٢١ : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾ وقوله في سورة يس الآية ٧١ : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ الآية ٦٧ النحل. قول (ز) في تفسير قوله : ﴿ تتخذون منه سكراً ﴾ بيان وكشف عن كنه الإسقاء ((أو يتعلق بتتخذون)) .

(5) في كتابه إملاء ما من به الرحمن ٨٣/٢.

وتتخذون من ثمرات النخيل سكراً، وأعاد ﴿ من ﴾ لمّا قدّم وأخّر وذكّر الضمير، لأنه عاد على شيء المحذوف، أو على معنى الثمرات، وهو الثّمر أو على النخل، أي : من ثمر النخل، أو على الجنس أو على البعض أو على المذكور.

قوله : ((زيد في الدار فيها))(١) قال في الأنبياء أورد سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً : عليك زيد حريص عليك وغير ذلك. قوله :

** ((بِكَفّي كان من أرمي البشر(٢) ** وقبله :

** مالك مِنّي غيرُ سهم وحَجَر ** وغيرُ كَبْدَاء شديدة الوتر **

** جادت بكفّي كان من أرمى البشر **

كبد القوس : مقبضها، والضمير في جادت راجع إلى كبداء، صارت جيدة قوله: بكفي كان، أي : بكفّي رجل كان من أرمى البشر.

قوله : ((فإلى م يرجع الضمير في منه؟))(٣) في السؤال إنكار بشهادة الفاء، يعني : إذا جعلت ﴿ من ثمرات ﴾ من باب : زيدٌ في الدار فيها، كان الضمير في منه لغير مدخول ﴿ من ﴾ والثمرات مؤنثة، وأجاب بأنها في تأويل العصير.

قوله : ((إلى الأهل المحذوف)) أي : في قوله تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون)) أي : ومن عصير ثمرات النخيل.

قوله : ((وجاءونا بهم سكر ...)) البيت(٤) ، الضمير في جاؤنا للجنس، سكر غضب وسفه، أراد بصحوهم : علمهم بعجزهم عن مقاومتنا، (سكر) مبتدأ، و (بهم) خبر مقدم عليه، و(علينا) متعلق بـ(سكر)، والجملة حال، فأجلى بمعنى جلّى أي : انكشف، قيل : استشهد بالبيت على أن السكر مصدر في الأصل.

---

(١) يعني أن قوله : ﴿ ومن ثمرات النخيل ... الآية ﴾ يتعلق بـ ﴿ تتخذون ﴾، وكرر لفظ (من) للتأكيد، كقولك : (زيد في الدار، فيها). فكرر الظرف للتوكيد، أي : كائن في الدار، فيها كائن، أو مستقر . والله أعلم.

(٢) يشير إلى قول الراجز ولم أقف عليه. انظر مشاهد الإنصاف ٦١٦/٢

(٣) يشير إلى كلام (ز) : فإن قلت : ((فإلى م يرجع الضمير في (منه))) إذا جعلته ظرفاً متكرراً ؟. قلت : إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، كما رجع في قوله : ﴿ أو هم قائلون ﴾ الأعراف الآية ٤.

(٤) يشير إلى قول الشاعر الذي استشهد به الزمخشري ٣٩٥/٢ وأيضاً ٦١٧/٢ :

** وجاؤنا بهم سَكَرٌ علينا ** فأجلى اليوم والسكران صاحي **

قوله : ((وفيه وجهان))(1) أي : في الجمع بين السكر والرزق الحسن، مَنّ عليهم قبل النسخ بتمكينهم على أن يتخذوا منه السكر والرزق الحسن كسائر ما عدّد عليهم من النعم لقوله : ((لأنهم كانوا يأكلون بعضها ويتّخذون من بعضها السكر)) ثم نسخ السكر.

قوله : ((أن يجمع بين العتاب والمنّة)) يعني : خلقنا لكم ثمرات النخيل والأعناب، بأن تجعلوها ذريعة إلى الطاعات، فجعلتم بعضا منها مادة المعاصي، ولهذا قيد إحدى القرينتين بقوله : ﴿ حسناً ﴾.

قوله : ((وهو حلال عند أبي حنيفة))(2) رضي الله عنه إلى حد السكر، ويحتج بهذه الآية، وعن محي السنة(3) : [وأولى الأقاويل قول من قال : إنها منسوخة] لأنها نازلة قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد، وقلت : في الآية نفسها دلالة على قبح تناولها تعريضاً، وذلك من عطف قوله : ﴿ ورزقاً حسناً ﴾ عليه، وقد فسر بالخلّ والربّ.

قوله : ((الخمر حرام لعينها فيحرم قليلها وكثيرها(4)

قوله : ((والسّكر من كل شراب)) أي : السكر أيضاً حرام من كل شراب فلا يحرم شربه إلا إذا انتهى إلى حدّ السكر فيحرم.

قوله : ((تناولته الدعارة))(5) الأساس(6) : [رجل داعر : خبيث فاجر وفيه دعارة] فهو على حذف المضاف، أي : طَعَمه أصحاب الدعارة، فقبح في المروءة التشبه بهم.

---

(1) ((وفيه وجهان)) أحدهما : أن تكون منسوخة.

(2) قال (ز) : وقيل : السكر النبيذ، وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد، ((وهو حلال عند أبي حنيفة)).

(3) محي السنة يعني : أبا محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره ٥/٢٨-٢٩.

(4) حديث أخرجه النسائي ٨/٣٢١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : (حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها، والسكر من كل شراب) وذكره ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف، وقال أيضاً : رواه العقيلي من وجه آخر عن علي مرفوعاً، وفيه محمد بن الفرات الكوفي، وهو منكر الحديث ٢/٦١٧.

(5) يشير إلى ما قاله شيخ الزمخشري الجبّائي، وقد ألف في تحليل النبيذ كتباً، ولما كبرت سنه، قيل له : لو شربت منه، يعني النبيذ ما تقوى به، فقال : ((تناولته الدعارة فسَمَجَ في المروءة)).

(6) الأساس البلاغة للزمخشري ص١٨٨ مادة (سمج).

قوله : ((أي تنقّلت (١) أي : جعلت أعراضهم نُقْلاً. وقيل : هو أي سكراً في البيت.

قوله : ((إذا أبترك))(٢) قيل : ابترك فلان في عرض فلان إذا اعتمد في ذمّه. الأساس(٣) : [وابترك الفرس في عدوه اعتمد فيه واجتهد].

قوله : ((ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً))(٤) عطف على قوله : ((أن يجمع بين العتاب والمنة))، فعلى هذا العطف من باب البيان والتفسير.

قوله : ((والإ فنيقتها))(٥) أي : حسن صنعها، وعن بعضهم أي : إن لم يقل يعلمها وإدراكها، لم يصح، لأن نيقتها دليل ظاهر على علمها، فأقام سبب الجواب مقام الجواب، أو يقال (إن) شرطية، ولذلك دخلت الفاء في الجزاء، أي : وإن لم تصدقني على ما ذكرت فنيقتها ولطفها وإصابتها دلائل بيّنة على أن ا لله تعالى أودعها علماً، أما نيقتها في صنعتها فهي ما ترى في بنائها البيوت المسدسة من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض، فإنها لو كانت مربعة بقيت فرج ضائعة عند دخولها فيها، ولو كانت مستديرة بقيت الفرج بين البيوت ضائعة، وأما فطنتها كما

---

(١) يشير إلى قول الشاعر ، ولم أقف عليه . وانظر الكشاف ٦١٧/٢ :

** جعلت أعراض الكرام سَكَارا **

((أي تنقلت)) بأعراضهم ((أي جعلت أعراضم نُقْلاً)) والنُقل بالضم ما يتنقل به على الشراب. انظر الصحاح للجوهري ١٨٣٤/٥.

(٢) يقول (ز) : قيل السكر من الخمر ((وأنه إذا ابترك)) في أعراض الناس فكأنه تخمّر بها.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ٣٧ مادة (برك).

(٤) كأنه قيل : تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ النحل الآية ٦٨. قال (ز) عند قوله : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ... ﴾ الآية : الإيحاء إلى النحل إلهامها، والقذف في قلوبها، وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل إلى الوقوف عليه ((والإفيقتها)) في صنعها ولطفها في تدبير أمرها ... الخ. ومعنى الإ فنيقتها : أي : أناقته وحسنه.

أعطى أولى العلم، فهي ما ذكره الإمام(١) : ﴿ إن لها مقدّما كالرئيس يكون أعظم جُثّة منها، نافذ الحكم بينها، وأنها إذا نفرت عن أوكارها، ذهبت بأجمعها، ثم إذا أريد عودها ضربوا لها آلات الملاهي والموسيقى، وبواسطة تلك الألحان ترد إلى أوكارها].

قوله : ((﴿ من كل الثمرات ﴾ إحاطة بالثمرات))(٢) مبتدأ أو خبر، أي : هذا اللفظ مفيد للإحاطة العرفية، كقوله تعالى : ﴿ أوتيت من كل شيء ﴾(٣) .

قوله : ((تجرسها النحل))(٤) الجوهري(٥) : [الجرس : الصوت الخفي، ويقال : سمعت جرس الطير، إذا سمعتَ صوت مناقيرها على شيء تأكله].

قوله : ((من أجوافك ومنافذ مآكلك))(٦) فيه إشارة إلى الخلاف أن العسل هل يخرج من بطونها أو من منافذ مآكلها كالأفواه، قال القاضي(٧) : [واحتج بالآية من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلاً ثم تقيء ادّخاراً للشتاء، ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادّخاراً، فإذا اجتمع في بيوتها شيئ كثير منها كان العسل، فسّر البطون بالأفواه]، وكذا عن الإمام(٨) : [وقال يسمى كل تجويف داخل البدن بطناً، ألا تراهم يقولون : بطون الدماغ]، والذي يدل على أنها تحاول بما تفعل الادخار، أن صاحبها بعد ما يشتال(٩) منه يترك لغذائها بقية في بيوتها.

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢٠/٧٠.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ النحل الآية ٦٩.

(٣) سورة النمل الآية ٢٣.

(٤) تفسير قوله : ﴿ من كل الثمرات ﴾ إحاطة بالثمرات التي ((تجرسها النحل)).

(٥) الجوهري في صحاحه ٣/٩١١-٩١٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿ فاسلكي سبل ربك ﴾ أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي : في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النَّوْر المُرّ عَسَلاً ((من أجوافك...الخ

(٧) القاضي البيضاوي في تفسيره الأنوار ٣/١٨٦.

(٨) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٠/٧٢-٧٣

(٩) اللسان : اشتال بمعنى شال، وأشال الحجر وشاله : رفعه. ١١/٣٧٦ مادة (شول).

قوله : ((أو أراد بقوله : ﴿ ثم كلي ﴾ (ثم اقصدي)[1] عطف على قوله : ((كلي من كل ثمرة تشتهينها)) وهو على أسلوب قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾[2] وعلى الأول : أي على غير هذا الأسلوب، الفاء جواب شرط محذوف. وعلى الثاني : سلوك السبيل على الحقيقة قطعاً، وعلى الأول تحتمل المجاز أيضاً، وهو على وجهين : أحدهما المراد استعمال الصنعة الغريبة في العمل، ومنه سلوك العارف، ومن ثم قال : الطرق التي ألهمك، وثانيهما : استعمال المأكول في أجوافها ومسالكها التي تحيل فيها النَّوْر المرَّ عسلاً. ومنه سلكت الخيط في الإبرة . واما الحقيقة : فهو قوله : فاسلكي إلى بيوتك راجعة ﴿ سُبُل ربك ﴾ . والفرق بين هذا الوجه وبين قوله : ثم اقصدي، أن السلوك على هذا من مراعيها إلى البيوت راجعة، وعلى ذلك : من بيوتها إلى مراعيها قاصدة. الإنتصاف[3] وُكّل الأكل إلى شهوتها فلم يحجر عليها، كما حجر في البيوت، لأن مصلحة الأكل حاملة على الإطلاق . وأما البيوت، فلا يحصل مصلحتها في كل موضع، ولذلك دخلت (ثم) لتفاوت الأمر في الحجر في البيوت، والإطلاق في الأكل، كما تقول : راعِ الحلال فيما تأكله، ثم كل مما شئت. وقلت : إنما عدل من خطابها إلى الغيبة في قوله : ﴿ يخرج من بطونها ﴾ للتخلص إلى امتنان الناس، لأن المقصود من خلق النحل وإلهامه : انتفاعهم به .

قوله : ((وأنثَ ﴿ ذُلُلاً ﴾)) جمع الخبر، والمبتدأ مفرد، لأن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فاسلكي سبل ربك ﴾ لجنس النحل بدليل قوله : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ وقوله : ((وتأنيثه على المعنى)) . الجوهري[4] : [النحل والنحلة الدَّبْر يقع على الذكر والأنثى]، ونظيره قوله تعالى : ﴿ يـأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه . فأما من أوتي كتابه ... الآية ﴾[5] ، ويجوز أن يكون الخطاب لكل

---

(١) ما بين القوسين س من م.

(٢) سورة النحل الآية ٩٨.

(٣) هكذا في كل النسخ، وليس بواضح، ولعلها : الانصراف.

(٤) الجوهري في صحاحه ١٨٢٦/٥ مادة (نحل).

(٥) سورة الانشقاق الآية ٦.

واحدة واحدة منها فجمع الخبر (للمبالغة في الذّلة كما)[1] جمع الوصف في قوله تعالى : ﴿ شهاباً رصداً ﴾[2] وقوله : ((معاً جياعاً)) والأول أوجه.

قوله : ((إن رجلاً جاء إليه فقال : إن أُخي ... الحديث ، رواه البخاري[3] ومسلم والترمذي عن أبي سعيد، مع تغيير فيه، وليس في آخره كما أنشط من عقال. النهاية[4] : [أنشط، أي : حلَّ] يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها وأنشطها وأنشطتها إذا أحللتها، وكثير ما يجيء كأنما نشط من عقال، وليس بصحيح لما ذكرنا قوله : ((وكذب بطن أخيك)) النهاية[5] : [الكذب ههنا مجاز حيث هو ضد الصدق، والكذب يختص بالأقوال، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كذباً، لأن الله تعالى قال : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ يريد أنه من المقابلة والمشاكلة، فلما قال : صدق الله، حسُن أن يقول : كذب بطن أخيك.

قوله : ((وعن عبد الله بن مسعود : العسل شفاء [6] . الحديث رواه ابن ماجه عن عبد الله مرفوعاً، ورواه رزين أيضاً.

---

(1) ما بين القوسين س من ت ، ب.

(2) سورة الجن الآية ٩.

(3) أخرجه البخاري مع الفتح ١٣٩/١٠ كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ . ومسلم ١٧٣٦/٤ كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه : قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : إن أخي استطلق بطنه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقه عسلاً، فسقاه، ثم جاءه فقال : إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات. ثم جاء الرابعة فقال : اسقه عسلاً، فقال : لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرأ.

والترمذي ٣٥٦/٤ كتاب الطب، باب ما جاء في التدواي بالعسل.

(4) النهاية في غريب الحديث ٥٧/٥ مادة (نشط).

(5) النهاية ١٥٩/٤ مادة (كذب).

(6) يشير إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : عليكم بالشفاءين، العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور. أخرجه ابن ماجه برقم ٣٤٥٢ . والحاكم في المستدرك ٣٠٠/٤ من حديث أبي إسحاق عن الأحوصي وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف وفي فتح الباري ١٧٠/١٠ بلفظ : عليكم بالشفاءين العسل والقرآن. وذكر وقفه ورفعه، ورجاله رجال الصحيح. والكامل لابن عدي ١٠٦٥/٣.

قوله : ((أنه قال عند المهدي[1] : هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور، ثالث خلفاء بني العباس، كان أبو جعفر المنصور خليفة وعمه أبو العباس السفاح خليفة، وأخوه موسى الهادي، وابنه هارون الرشيد وإخوته وأولاده كلهم خلفاء[2] .

قوله : ((ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة))[3] يعني قوله : ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ كناية عن النسيان، لأن الناسي يعلم الشيء ثم ينساه، فلا يعلمه بعد ما علمه، وهذه صفة الأطفال. قال تعالى : ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق ﴾[4] والعلم بمعنى الإدراك والتعقّل، المعنى : لا يترقى في إدراك عقله الأول، لأن الشاب في الترقي، والشيخ في التوقف والنقصان، وعلى هذا إذا أجرى العلم على معناه، كما في الوجه الأخير، وإنما خص الزيادة به، لأن العلم يزداد بالترداد. قال الشيخ الشاطبي[6]:

** وخير جليس لا يمل حديثه ** وترداده يزداد فيه تجملاً **

---

(١) يشير إلى ما ذكره (ز) هنا : قال : ومن بدع تأويلات الرافضة، أن المراد بالنحل عليّ بن (أبي طالب) وقومه، وعن بعضهم ((أنه قال عند المهدي)) إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل : جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي، وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣١٧ -٣٤٢.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ الآية ٧٠ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ : ((ليصير إلى حالة ... الخ))

(٤) سورة يس الآية ٦٨.

(٦) الشاطبي : القاسم بن فيرُّة بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، إمام القراء، كان ضريراً، ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر، وهو صاحب حرز الأماني، القصيدة المشهورة في القراآت، تعرف بالشاطبية، وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة، والرعيني نسبة إلى ذي رعين أحد أقيال اليمن . ولد سنة ٥٣٨ ومات ٥٩٠. وفيات الأعيان ٤٢٢/١، ونفح الطيب ٣٣٩/١، وغاية النهاية ٢٠/٢، وهذا البيت من قصيدته (حرز الأماني) وقبله :

** وإن كتاب الله أوثق شافع ** وأغنى غناء واهباً متفضلاً **

قوله : ((كما يحكى عن أبي ذرّ رضي الله عنه))[1] الحديث من رواية البخاري ومسلم، قال المعرور بن سويد : رأيت أبا ذر وعليه حلة، وعلى غلامه حلة مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه سابّ رجلاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية، قلت : على ساعتي هذه من كبر السن، فقال : نعم (هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم)[2] .

قوله : ((فجعل ذلك)) أي عدم المساواة أو الرد بفضل ما رزقوهم عليه، المعنى: الله الذي فضل بعضكم على بعض في الرزق، فشُكر ذلك أن تواسوا إخوانكم فيه، فما بالكم لا تواسون أو لا تردون رزقكم عليهم فتستووا في الرزق، فسر الآية بوجوه : أحدها : بيّن فيه حكم حسن الملكة كما سبق . وثانيها : أن يكون تمثيلاً، والممثل به ما تعورف بين الناس من أحوال السادات مع المماليك، فذكره لتوبيخ المشركين. وثالثها : بين أن جميع النعم التي عدّها من أول السورة، واصلة من الله تعالى إلى العبيد سواء كانوا أحراراً أو مماليك، لئلا يمنّ أحد على أحد، فإن قلت : لا يجوز أن يكون تمثيلاً لخلوّ الكلام عن القرينة الداعية إلى التمثيل. قلت : يمكن أن تجعل القرينة كون الآية تخلُّصاً إلى نوع آخر من بيان قبائح الكفار وكفرانهم نعم الله المتواترة، وهو قوله : ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ إلى قوله : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾، والتنبيه على القرينة قوله : ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾.

قوله : ((وقرئ : ﴿ يجحدون ﴾ بالياء والتاء الفوقانية أبو بكر[3] . والباقون بالياء.

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون ﴾ الآية ٧١ من سورة النحل

(2) أخرجه البخاري مع الفتح ٨٤/١ كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، وله أطراف. ومسلم ١٢٨٢/٣ كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه. وأبوداود برقم ٥١٥٨ . والترمذي ٣٥٣/١ . وابن ماجه برقم ٣٦٩٠ . وأحمد ١٥٨/٥.

(3) قرأ عاصم في رواية أبي بكر : ﴿ أفبنعمة الله تجحدون ﴾ بالتاء والباقون بالياء. انظر ابن مهران ٢٢٥.

قوله : ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة))(١) الراغب(٢) : [الحافد : المتحرك المتبرّع بالخدمة، أقارب كانوا أو أجانب؟ قال المفسرون : هم الأسباط ونحوهم، وذلك أن خدمتهم أصدق، وفلان محفود: أي : مخدوم، وسيف محتفدٌ، أي : سريع القطع. قال الأصمعي(٣) : أصل الحفد مقاربة الخطو].

قوله : ((حفد الولائد ... البيت(٤) ، الإماء، يقول : إن الإماء يسرعن بينهن، وأزمّة الجمال أسلمت بأكفهن، يريد أنهن متنعمات مخدومات ذوات الإماء والأجمال.

قوله : ((وقيل : المعنى : وجعل لكم حفدة، أي : خدماً)) عطف على قوله : ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة)) فعلى الأول الحفدة عام فيمن يسرع في الطاعة والخدمة من القرائب، وعلى هذا : في معنى الخدم نفسه، وعلى الوجه الأخير يكون العطف من باب قوله تعالى : ﴿ إذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾(٥) .

قوله : ((إلاّ أنموذج منها))(٦) المغرب(٧) : [النموذج : بالفتح، والأنموذج : بالضم، تعريب نُمُوذة].

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴾ النحل الآية ٧٢ . قال (ز) في تفسير قوله:﴿ حفدة ﴾ : والحفدة جمع حافد ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة)) والخدمة.

(٢) الراغب ١٢٣ مادة (حفد).

(٣) الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، من قيس عيلان البصري اللغوي الأخباري، أحد الأعلام، يقال :اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب، ولد سنة بضع وعشرين ومائة، حدّث عن ابن عون وسليمان التيمي، وعنه أبو عبيد ويحي بن معين، مات سنة ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٤١٠/١٠ والأنساب ٢٩٣/١٠.

(٤) وتمامه :

** حفد الولائد بينهنّ وأُسْلِمَتْ ** بأكُفِّهِنَّ أزمّة الأجمال **

والبيت لجميل بن عبد الله بن معمر العذري، الشاعر المعروف . انظر سير اعلام النبلاء ١٨١/٤. وْالكشاف ٦٢٠/٢.

(٥) سورة الأنفال الآية ٤٩.

(٦) تفسير قوله : ﴿ من الطيبات ﴾ . قال (ز) : يريد بعضها، لأن كل الطيبات في الجنة، وما طيبات الدنيا ((إلا أنموذج منها)).

(٧) المغرب في ترتيب المعرب ٣٢٨/٢ مادة (نمذج).

قوله : ((﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾ وهو ما يعتقدون))[1] إلى آخره، فيه إنكار وتوبيخ على ما آمنوا وعلى ما كفروا، وفي التركيب الأول تقديم، فيفسد التخصيص، وتكرير فيؤذن بالتأكيد والتحقيق، لأن الفاء تستدعي فعلاً يعطف المذكور عليه، أي : كفروا بالحق فآمنوا بالباطل، وإلى التخصيص الإشارة بقوله : ((فليس لهم إيمان إلا به))، وإلى التحقيق بقوله : ((كأنه شيء معلوم مستيقن)) . والتركيب الثاني أيضاً كذلك التأكيد من بناء يكفرون على هم، وإلى التخصيص الإشارة بقوله : ((ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها)) لأنهم إذا كفروا نعمة الله مع وجود ما يوجب الشكر من جلائها وظهورها، وأنها كالمحسوس المشاهد، فكأنهم أنكروا أنها نعمة، أو أنها من الله، وإليه الإشارة بقوله : ((منكرون لها كما ينكر المحال، وإلى التأكيد الإشارة بقوله : ((هم يكفرون بها ومنكرون لها)) وقوله : ((نعمة الله)) مبتدأ ، وقوله : ((هم كافرون بها)) خبره وفيه ضرب من التأكيد.

قوله : ((ونعمة الله ما أحلّ لهم))[2] قيل : ((ما)) مصدرية، أي إحلال الله موصولة، أي : أحلّه الله، والأولى الثاني، لأنه مقابل لقوله : ((الباطل ما يسوّل لهم الشيطان، وهي موصوله، لأن (من) في قوله : ((من تحريم البحيرة)) بيان لها[3] .

---

(١) وهو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وما هو إلا وهمٌ باطل لم يتوصّلوا إليه بدليل ولا أمارة ((فليس لهم إيمان إلا به، كأنه شيء معلوم مستيقن)).

(٢) تفسير قوله : ﴿ وبنعمت الله ﴾ . قال (ز) : ((ونعمة الله ما أحل لهم)).

(٣) قد منّ الله جل وعلا على بني آدم أعظم منّه بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم، وهذا من أعظم المنن، وفي نفس الوقت من أعظم الآيات الدالة على أنه جل وعلا هو المستحق أن يعبد وحده، وهذه الآية دالة على ذلك، وكذلك قوله تعالى في سورة الروم الآية ٢١ : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ . ولكن الكافرين نعم الله جحدوا ذلك وكفروا به. ﴿ أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴾.

قوله : ((تأكيداً لِلا يملك))[1] أي : (شيئاً) مفعول مطلق، ولذلك بينه بقوله : ((من المِلْك)) بكسر الميم، كما تقول : ضربت نوعاً من الضرب[2] .

قوله : ((بعد ما قيل : ((لا يملك)) على اللفظ إشارة إلى خلاف ذكرناه عن ابن جني. قال صاحب الإنتصاف فيما سبق إن العود إلى المعني بعد الجمل على اللفظ أنكره بعضهم، لما يلزم من الإجمال بعد البيان، وهو خلاف البلاغة، وهو مردود لمجيئة في أفصح الكلام.

قوله : ((ما معنى قوله : ﴿ ولا يستطيعون﴾))[3] وجه السؤال أن مفعول ﴿ لا يستطيعون ﴾ محذوف، وهو الضمير الراجع إلى الرزق، بدليل سياق الكلام عليه، فيلزم عطف الشيء على نفسه. وأجاب[4] : ((ليس في ﴿ لا يستطيعون ﴾)) أي : لا نسلم اشتماله على الراجع، بل هو مطلق من باب فلان يعطي ويمنع، فيكون فلا يستطيعون تذييلا للكلام السابق، ثم قال : ((إلا أن يقدر))[5] أي : ولئن سُلّم اشتماله على الراجع فيكون من باب التأكيد، نحو قوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ﴾ النحل الآية ٧٣. قول (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ شيئاً ﴾ : أي لا يملك أن يرزق شيئاً، مفعول رزقاً وإن أردت المرزوق كان (شيئا) بدل من رزقا بمعنى قليلاً، ويجوز أن يكون ((تأكيداً لـلا يملك)) أي لا يملك شيئاً من المِلْك، ما ناب عن المطلق، بمعنى لا يملك ملكاً.

(٢) ويفهم من هذه الآية الكريمة : أنه لا يصح أن يعبد إلا من يرزق الخلق، لأن أكلهم رزقه وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكل عاقل، وهذا المعنى المفهوم من هذه الآية بينه بقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ١٧: ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾، وقوله في سورة فاطر الآية ٣ : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ... الآية ﴾ وقوله في سورة الذاريات الآية ٥٧ : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ... الآية ﴾.

(٣) إيضاح السؤال (ما معنى قوله : ولا يستطيعون) بعد قوله : (لا يملك) وهل هما إلا شيء واحد.

(٤) وأجاب، يعني : الزمخشري : ((ليس في ﴿ لا يستطيعون ﴾)) تقدير راجع، وإنما المعنى : لا يملكون أن يرزقوا، والاستطاعة منفية عنهم أصلاً، لأنهم أموات.

(٥) قول (ز) : ((إلا أن يقدر)) الراجع، ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد.

أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[1] أو من باب الترقي، فإن قوله تعالى : ﴿ لا يملك لهم رزقاً ﴾ دلّ على نفي ملك الرزق عنهم مطلقاً، وقوله : ﴿ لا يستطيعون ﴾ على نفي استطاعة أن يكونوا مالكين، وإليه الإشارة بقوله : ((لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه)) ولا يتأتى ذلك فيهم. ويجوز أن يكون تتميماً.

قوله : ((وجَرّأكُم عليه))[2] الجوهري[3] : [الجرأة : الشجاعة، وتقول : جرّأتك على فلان حتى أجرأت عليه].

قوله : ((ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله)) عطف على قوله : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ تمثيل، وعلى التمثيل لا قول ثَمَّةَ، ولا مَثَلَ، ولا ضَرْبَ، لأن الفاء في : ﴿ فلا تضربوا ﴾ رتّب النهي على قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون ا لله ... الآية ﴾ كأن حالهم في مزاولة عبادة الأصنام المستلزم بالتشبيه حالها بحال المعبود الحق في استحقاق العبادة، حال من يحاول انتزاع أمور متعدّدة غير حقيقة بين المشبه والمشبه به (ليلحقه به)[4] ويقيمه مقام تشبيه، وإليه الإشارة بقوله : ((لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً بحال)) وقوله : ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ تعليل للنهي، كأنه قيل : لا تشركوا با لله شيئاً وأنتم قوم جهلة، ولذلك صدر منكم هذه الغفلة . وإليه الإشارة بقوله : ((فذاك هو الذي جرّكم[5] إليه)). وقوله : ﴿ إن ا لله يعلم ﴾ اعتراض وارد على الوعيد والتهديد، وهو المراد من قوله : ((إن ا لله يعلم كنه ما تعملون وهو معاقبكم عليه)). وعلى الثاني : النهي وارد على مثلِ ضربوه، وتشبيهٍ انتحلوه، وقوله : ﴿ إن ا لله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ برمّته تعليل، أي : ضَرْبُ الأمثال من العلوم الدقيقة يستدعي[6] لطف إدراك وخبرةٍ لا سيما في ذات ا لله عز وجلّ، فلا

---

(١) سورة التحريم الآية ٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن ا لله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ النحل الآية ٧٤.
تفسير (ز) لقوله : ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ كنهه وكنه عقابه، فذاك هو الذي جرّكم إليه، ((وجرّأكم عليه)) . فهو تعليل للنهي عن الشرك.

(٣) الجوهري في صحاحه ١/٤٠ مادة (جرأ).

(٤) ما بين القوسين س من أ ، ب.

(٥) في م ، ب : (جرأكم)، وهو الصواب.

(٦) في م : (التي تستدعي) وهو الصواب.

يقدر على الشروع فيه إلا الله والراسخون في العلم. ومن ثم عقبه بقوله : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ﴾[1] وأشار المصنف إليه بقوله : ((ثم علمهم كيف تضرب وأما بيان اتصاله على الوجه الأول، فإنه تعالى لما نهاهم عن ضرب المثل الفعلي، وهو الإشراك بالله المستلزم له، عقبه بما يكشف لذي البصيرة عن حالهم في تلك الفعلة، وحال من يخالفهم فيها من قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ... الآية ﴾.

قوله : ((واختلفوا في العبد هل يصحّ له ملك؟ والمذهب الظاهر أنه لا يصح له)) الإنتصاف[2] : [مالك رحمه الله يرى أنه يملك، والآية تعضده، أي : مملوكاً ليس ممن ملكة سيده فَمَلَك بل هو على الأصل المعهود في المماليك، عاجز، فلو لم يتصور له ملك، لكان قوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ تكراراً، أو قوله : ((احترازاً من المكاتب، بعيدٌ من فصاحة القرآن إذ لو لم يملك من العبيد إلا مكاتب لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ كالألغاز الذي لا يعهد مثله في القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة . وأنكر إمام الحرمين[3] حمل قوله صلى الله عليه وسلم : (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها) على المكاتبة، لِبُعدِ القصد إليها على شذوذها. وأما الاحتراز به عن المأذون له فينبني على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف أو الملك، وبُعْدِ الأول عن مطابقة قوله : ﴿ ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً ﴾ ولقائل أن يقوله : إن قوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ صفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل، أي : إنما ضربت المثل به، لأن حقيقته اللازمة له المعروفة به أنه لا يقدر على شيء، ومنه :

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّا وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ الآية ٧٥ من سورة النحل.

(2) الإنتصاف لأحمد بن المنير المالكي ٦٢٢/٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(3) إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، ولد في جوين سنة ٤١٩هـ، وصفه بعض من ترجم له فقال : في الفقه فقه الشافعي، وفي الأدب أدب الأصمعي، وفي الوعظ الحسن البصري. انظر وفيات الأعيان ٢٨٧/١ والسبكي ٢٤٩/٣، والأعلام للزركلي ١٦٠/٤.

﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ﴾(١) وكل مدعوّ مع الله لا برهان به، إنما المراد به أنه من لوازم دعائه مع الله إلهاً، ولنا أن نقول في دفعه : الأصل في الصفة والحال التخصيص والتقييد، وما ورد بخلاف ذلك فهو خلاف الأصل. وقال الإمام(٢) : [احتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد لا يملك شيئاً(٣) ، فإن قالوا : ظاهر الآية يدل على أن عبداً من العبيد لا يقدر على شيء، فلم قلتم : إن كل عبد كذلك؟. فنقول : الذي يدل عليه وجهان : الأول : أنه ثبت في أصول الفقه أن الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علّة لذلك الحكم، وكونه عبداً وصف مشعر بالذل والمقهورية، وقوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ حكم مذكور عقيبه، فهذا يقتضي أن العلة لعدم القدرة على الشيء، هو كونه عبداً، وبهذا الطريق ثبت العموم. والثاني : أنه تعالى قال بعده : ﴿ ومن رزقناه منا رزقاً حسنا ﴾ فميز هذا القسم الثاني عن القسم الأول، وهو العبد بهذه الصفة، وهو أنه يرزقه رزقاً فوجب ألاّ يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الإمتياز بين القسم الثاني وبين القسم الأول، ولو ملك العبد لكان الله قد آتاه رزقاً حسناً، لأن الملك الحلال رزق حسن، سواء كان قليلاً أو كثيراً] وقلت : لا شك أن قوله : ((ومن رزقناه منا رزقاً حسنا فهو ينفق منه سراً وجهراً ﴾ مقابل لقوله : ﴿ عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ﴾، والمقصود من ذكرهما الحجر والمنع والإطلاق والتوسعة، لأن التمثيل في الأصنام والملك العلام. فلا بدّ من تصور العجز التّام، فإذا أجريناه على ما قال : لزم

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٧.

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٠/٨٤.

(٣) وقد اختلف هل العبد يملك؟ فقال أبو حنيفة والشافعي : لا يملك، واستدلوا بهذه الآية، وأن قوله : ﴿ عبداً مملوكا ﴾ نكرة عامة في سائر العبيد، وأيضاً أنه شبه بالأصنام من حيث أنها لا تملك.

وقال مالك :إنه يملك إلا أنه ناقص الملك، لأن للسيد أن ينزع منه ما يملكه. انظر القرطبي ١٠/١٤٧، والأحكام للجصاص ٣/١٨٦، والأحكام لابن العربي ٣/١١٦٥.

واستدل مالك بقوله صلى الله عليه وسلم : (من باع عبداً وله مال فماله للبائع إلا ان يشترطه المبتاع) فأضاف صلى الله عليه وسلم المال إلى العبد، وملكه إياه، وجعله في البيع تبعاً له.

التصرف المحذور، والحاصل(١) أن إتيان صفتان لمزيد التصوير والكشف على(٢) حالة العجز لا للتميز والتَّفْصِلَةِ، ألا ترى كيف ترقّى في التمثيل الثاني، وزاد البَكَمَ والكَلَّ، وعدم الإنجاح في المهمات ليدلّ على كمال ذلك المعنى . وكذا في جانب المشبه به، فإنه ترقىّ من تصرّفه كيف شاء إلى كونه آمراً بالعدل، ومن كونه مرزوقاً إلى كونه مهدياً إلى صراط مستقيم.

قوله : ((هل يستوي هو ومن هو سليم الحواسّ)) يعني لا بدّ من المقابل بين العدل وما سبق، ولا يأمر بالعدل إلا من يكون موصوفاً بصفات الكمال، وتخصيص المذكورات للتقابل.

قوله : ((أينما أُوجَّه ألق سعداً))(٣) يضرب لمن يتلقى الشر أية سلك، وعن بعض : أصله أن أضبط كان سيد قومه فأصابه منهم جفوة فارتحل عنهم إلى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل صنيع قومه، فقال : (أينما أوجه ألق سعداً)، وسعد كان شريراً.

قوله : ((ونحو قوله : ﴿ يستعجلونك﴾))(٤) أي : نحوه في استعجال الله تعالى ما يستقرب المدة فيما هو بعيد عند الناس، قوله تعالى : ﴿ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾(٥) أي ألف سنة عندكم بعيد، وعند الله مقدار يوم على عرفكم وعادتكم.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلّ على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ النحل الآية ٧٦.

(٢) (عن) حالة في م ، ت.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ أينما يوجهه... الآية ﴾ . قال (ز) : قرئ أينما يتوجه من قولهم : ((أينما أوَجه ألْقَ سعداً)) (والأضبط) بن قريع سيد قومه ... الخ . الأمثال للميداني ٨٨/١. رقم المثل ٢١٨، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٤٤٩ رقم المثل ١٩٠٩.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴾ الآية ٧٧ من سورة النحل. والآية في سورة العنكبوت الآية ٥٣ .

(٥) سورة الحج الآية ٤٧.

قوله : ((وأوحاه)) أي أسرعه، الأساس[1] : [استوحيته : استعجلته]، النهاية[2] : [في الحديث [3] : (إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كانت شراً فانته، وإن كان خيراً فتوجّه) أي : أسرع إليه، والهاء للسَّكْت.

قوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة إشارة إلى أنه كالتعليل لإثبات أمر الساعة وسهولة تأتّيها. ولما كان البعث والحشر موقوف على مسئلتي العلم والقدرة، عطف جملة ﴿ أمر الساعة ﴾ على جملة ﴿ غيب السموات والأرض ﴾ عطف جبريل على الملائكة، ثم علّله بقوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ فكما عطف ذلك عقب قوله : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴾ قوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ وأتى بالواو إيذاناً بأن مقدور الله لا نهاية له، والمذكور بعض منها. وإليه أشار بقوله : ((دل على قدرته بما بعده)).

قوله : ((قرئ ﴿ أمهاتكم ﴾ بضمّ الهمزة))[4] كلهم إلا حمزة والكسائي .

قوله : ((** أُمَّهتى خِندِفٌ وإِلْياسُ أبي **)) قبله ، لقصي بن كلاب[5] :

** إني لدى الحرب رَخيّ اللَّبَب ** معتزم الصولة عالي النسب **

يقال : فلان في لَبَبٍ رَخِيٍ، أي : في حال واسعة (الاعتزام) لزوم القصد.

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ٦٦٨ مادة (وحى).

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٦٣/٥ مادة (وحا).

(٣) كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٤ باب التحضيض على طاعة الله عز وجلّ.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ الآية ٧٨ النحل. قرأ حمزة والكسائي : ﴿ أمهاتكم ﴾ بكسر الهمزة هنا وفي النور والزمر والنجم، إلا أن حمزة يكسر الميم. وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم فيهن، انظر ارشاد المبتدي وتذكرة المنتهي للفلاس ٤٠٣؛ والكشف ٣٨٠/١، والإتحاف ١٨٧.

(٥) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره، ورئيسهم، أول ملك في كنانة، وهو الأب الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم، ويكفيه هذا فخراً، واسمه الأصلي زيد، وسمي قصياً لأن أمه تزوجت برجل من بني عذرة، فانتقل بها إلى أطراف الشام، فسمى قصياً لبعده من دار قومه، طبقات ابن سعد ٣٦/١ والطبري ١٨١/٢، والروض الأنف ٨٤/١.

قوله ((وما ركّب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل)) الحصر مستفاد من فحوى الكلام وانصبابه في قالب جوامع الكلم، وهو أنه تعالى ما خلق الخلق إلا ليعبد، ويعرفَ لقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾(١) فأخبر تعالى أنه أخرجهم من ظلمات الرحم إلى فضاء عالم التكليف، وهم غير عالمين لِما خلقوا له، كما قال : غير عالمين شيئاً من حق المُنعِم، فخلق لهم السمع ليسمعوا آياته البينات، وبصراً لينظروا إلى الدلائل الدالة على وجوده، وفُؤاداً ليتفكروا في الآية وحكمته، فيجعلوها وسيلة إلى ما خلقوا له من الشكر والعبادة، كما قال : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ فظهر أن هذه آلات ما خلقت إلا لاختلاف العلم والعمل به، فمن جعلها آلات لغير ذلك فقد أبطل حكمة الله في خلقها، وانخرط في سلك ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾(٢) ، قال القاضي(٣) : [لا يعلمون شيئاً جُهَّالاً مستصحبين جهل الجمادية ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أداة تتعلّمون بها فتحسّون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها، ثم تتنبّهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرير الإحساس، حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لكي تعرفوا ما أنعم عليكم طوراً بعد طور فتشكرونه] وفي هذا التقرير إشعار بأن قوله : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ تعليل للجهل لا للإخراج، فيفيد معنى الحصر الذي قرره المصنف(٤) ، كأنه قيل : خلقكم وأنتم كالجماد، ثم جعل لكم أدوات ليتميزوا عنه.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٣) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١٨٨/٣.

(٤) ومثل هذه الآيات قوله تعالى في سورة السجدة الآية ٩ : ﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾.

قوله : ((جرت مجرى جموع الكثرة والقلة))(١) أي : هي مشتركة تستعمل تارة في القلة وأخرى في الكثرة، واستعملت هنا في الكثرة، لأن الخطاب في ﴿ أخرجكم ﴾ عام.

قوله : ((﴿ ما يمسكهن ﴾ في قبضهنّ وبسطهن ووقوعهنّ إلا الله))(٢) لقوله تعالى : ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ﴾، قال القاضي(٣) : ﴿[إن ثقل جسدها يقتضي سقوطها، ولا علاقة فوقها، ولا دعامة تحتها تمسكها]، وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيها.

قوله : ((من بيوتكم التي تسكنونها))(٤) الراغب(٥) : [أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم قد يقال بغير اعتبار الليل فيه، وجمعه أبيات وبيوت، والبيوت بالمسكن أخص، والأبيات بالشِّعْر، وشبّه به بيت الشَّعر، وصار البيت متعارفاً في آل النبي صلى الله عليه وسلم، (سلمان منا أهل البيت)(٦) أن مولى القوم يصحّ نسبته إليهم، كما قال(٧) : مولى القوم منهم، وابنه من أنفسهم.

---

(١) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ الأفئدة ﴾ : والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلة التي ((جرت مجرى جموع الكثرة والقلة)) إذا لم يرد في السماع غيرها.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ النحل الآية ٧٩.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ١٨٨/٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعاً إلى حين ﴾ النحل الآية ٨٠.

(٥) الراغب في مفرداته ٦٤ مادة (بيت).

(٦) أخرجه الحاكم ٥٩٨/٣ . وقال الذهبي : سنده ضعيف. والطبراني في الكبير ٢٦١/٦ موقوفاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والطبري ٨٥/٢١ . وطبقات ابن سعد ٥٩،١/٤. ومجمع الزوائد ١٣٠/٦ وفيه : كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤٨/٣، ٣٤٠/٤ . والدارمي ٢٤٤/٢ . والطبراني في الكبير ١٩٧/١٢ . وتلخيص الحبير ٢١٤/٤.

قوله : ((خفيفة المحمل)) الراغب(١): [الخفيف بإزاء الثقيل : ويقال ذلك باعتبار المضايفة بالوزن، وقياس أحد الشيئين إلى الآخر، يقول : درهم خفيف ودرهم ثقيل، وباعتبار مضايقة الزمان، نحو فرس خفيف وفرس ثقيل، إذا عدا أحدهما أكثر في زمان واحد] . وقد مرّ مبسوطاً في سورة التوبة.

قوله : ((على أن اليوم بمعنى الوقت))(٢) أي الزمان الممتد، لأن عادتهم إما الإقامة أو الظعن كقوله تعالى : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾(٣) وإليه الإشارة بقوله : ((في أوقات السفر والحضر جميعاً)) الانتصاف : [الوجه الأول أولى، إذ ظهور المنّة في خفتها في السفر أتمّ، أما المقيم فلا عليه من ثقلها].

قوله : ((وقرئ : ﴿ يوم ظعْنكم ﴾ بالسكون))(٤) ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

قوله : ((وقيل : ما يقى من الحرّ يقي من البرد))(٥) الإنتصاف(٦) : [الوجه الأول أولى لأنه قدم المنة بالظلال الواقية من الضّحى بقوله : ﴿ مما خلق ظلالا ﴾ فالأهم إذن وقاية الحرّ، وليس كل ما يقى الحر يقي البرد كشفوف القمصان، بل لو لبس إنسان لبوس الحرّ في البرد أو عكس لعُدّ من الثقلاء].

---

(١) الراغب ١٥٢ مادة (خف).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم ظعنكم ويوم أقامتكم ﴾ قال (ز) : أي : يوم ترحلون، ((على أن اليوم بمعنى الوقت)).

(٣) سورة مريم الآية ٦٢.

(٤) قرأ : ﴿ يوم ظعنكم ﴾ بفتح العين، أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ يوم ظعْنكم ﴾ بسكون العين . انظر المبسوط لابن مهران في القراآت العشر ٢٢٥، والنشر ١٤٦/٣، والإتحاف ٢٧٩.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ النحل الآية ٨١. قال (ز) في تفسير : ﴿ تقيكم الحرّ ﴾ لم يذكر البرد، لأن الوقاية من الحرّ أهم عندهم، وقلّما يهمهم البرد لكونه يسيراً محتملاً ((وقيل : ما يقي من الحر يقي من البرد)) فدل ذكر الحر على البرد..

(٦) الإنتصاف مع الكشاف ٦٤٥/٢.

قولـه : ((﴿ تُسْـلِمون ﴾ أي : تنظـرون))[١] أي : الإسـلام هـهنا بمعنـى الإستسلام والانقياد، وضع موضع سببه، وهـو ينظـرون ويتفكـرون، المعنـى : مُنِحـوا كذا وكذا من النعم الظاهرة والباطنة ليتفكروا وينظروا ويعرفـوا المنعـم فينقـادوا لـه، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾[٢] لأن من تولى أبى الإنقياد، ثم ترقى إلى بيان عنادهم وأنهم يعرفون المنعم المولى، ثم ينكرونها.

قوله : ((فذكر سبب العذر، وهو البلاغ، ليدل علـى المسبّب)) يعني : كـان من الظاهر أن يقال : فإن لم ينقادوا لله تعالى بعـد تذكـيرك إياهم آيات الله، والآيـة تمهّد عذرك، لأنك قد أدّيت ما عليك من الواجب، فوضـع موضـع المذكـور. قولـه : ﴿ فما عليك إلا البلاغ ﴾ وضعاً للسبب موضع المسبّب، ففي العدول الإشعار بإلزام الحجّة واستهال العقاب، وفي الظاهر تمهيد للعذر.

قوله : ((لا يقال لهم : ارضوا ربّكم))[٣] لأن الاستعتاب : طلب إزالة العتاب، وعتاب الله عبارة عن سخطه وعـدم رضـاه، أي : لا يطلـب منهـم إزالـة سـخط الله عنهم[٤] .

---

(١) تفسير قوله تعالة : ﴿ لعلكم تُسْلِمون ﴾ . قال (ز) : أي تنظرون في نعمـه الفائضـة فتؤمنـون بـه، وتنقادون له. وقرئ : ﴿ تَسْلمون ﴾ من السلامة، أي : تشكرون، فتسلمون من العـذاب، أو تسـلم قلوبكـم من الشرك.

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٠.

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى الآية ٤٨ : ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ﴾ وقوله في سورة النور الآية ٥٤ : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون . وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ﴾ النحل الآية ٨٥ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ : ولا هم يسترضون، أي : ((لا يقال لهم : ارضوا ربكم)) لأن الآخرة ليست بدار عمل.

(٤) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة المرسلات الآية ٣٦ : ﴿ هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾، وقوله في سورة التحريم الآية ٧ : ﴿ يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ .

قوله : ((أنهم يمنّون)) أي : يبتلون. الجوهري [1] : [منَوته ومنيته، أي : ابتليته].

قوله : ((وكذلك إذا رأوا العذاب))[2] قيل : يريد إذا رأوا العذاب أيضاً منصوب بمحذوف، ويقال : إن وجه الشبه يقتضي أيضاً تأخيرالمحذوف في التقدير، أي : يوم يُبعث وقعوا فيما وقعوا فيه، وكذلك إذا رأوا العذاب وقعوا فيما وقعوا أيضاً، وإليه أشار بقوله : ((بغتهم)) وكذا في تركيبه، أعني : إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم، فلا يخفف، إيذان بأن قوله : ((للذين ظلموا)) مظهر وضع موضع المضمر للإشعار بأن العذاب إنما لم يخفّف عنهم، لأنهم ظلموا، وأن الفاء في : ﴿ فلا يخفف ﴾ فصيحة، وليست بجواب ((إذا))، والجزاء المقدر، هو قوله : ((بغتهم وثقل عليهم)) والشاهد على المقدر قوله : ﴿ بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردّها ﴾[3] وقوله : ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ مثله في الآية المستشهد (بها)[4].

قوله : ((لما كانوا غير راضين))[5] يعني : المراد بالشركاء في قوله : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾، وهم كل من عبد من دون الله من الملائكة

---

(1) الجوهري في صحاحه ٢٤٩٨/٦ مادة (منا).

(2) قال (ز) في تفسير : ﴿ ويوم نبعث ﴾ : وانتصاب (يوم) بمحذوف تقديره : واذكر يوم نبعث، أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه ((وكذلك إذا رأوا العذاب)) بغتهم وثقل عليهم.

(3) سورة الأنبياء الآية ٤٠.

(4) بها في م.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون . وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ النحل الآية ٨٧.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ندعوا ﴾ بمعنى : نعبد. فإن قلت : لم قالوا : ﴿ إنكم لكاذبون ﴾ وكانوا يعبدونهم على الصحة؟ قلت : ((لما كانوا غير راضين)) بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، والدليل عليه قول الملائكة : ﴿ كانوا يعبدون الجن ﴾ يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم، وعليه فلا إشكال، أما الملائكة فقد قال الله عنهم : ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ سورة سبأ الآية ٤٠

والمسيح وعزير والجن والشياطين كما سبق آنفاً، إذ المقام يقتضي العموم لقوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ ومن هو مثل الملائكة، فكذبوهم لما أنهم كانوا غير راضين بعبادتهم . وثانيهما التكذيب راجع إلى تسميتهم شركاء. وقولهم : ﴿ هؤلاء شركاؤنا ﴾ وعلى الأول إلى فعلهم وعبادتهم لهم، وإنما قلنا : مثل الملائكة لاستشهاده بقوله : ﴿ كانوا يعبدون الجن ﴾.

قوله : ((جاز أن يكونوا كاذبين))[1] أي : الشياطين قالوا للمشركين : إنكم لكاذبون فيما تقولون علينا، فالشياطين كاذبون في هذا التكذيب، لأنهم في الدنيا زيّنوا وسوّلوا ووسوسوا وما قصروا فيه : ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾[2] كما قال : ﴿ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل ﴾[3] وكذب في هذا القول، وهذا لا يصح في قول الملائكة[4] .

قوله : ((حمّتها))[5] الجوهري[6] : [حُمّة العقرب : سمّها وضرّها، وأصلها حموٌ وحمى، والهاء عوض].

---

(١) قال (ز) : وإن أريد بالشركاء في قوله : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا ﴾ ((جاز أن يكونوا كاذبين)) في قولهم. وعليه فلا إشكال، لأن المراد بالشركاء خصوص الجن، ومن هو راض بالعبادة من دون الله فقط، لا الملائكة، ومريم، وعيسى، ونحوهم.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٢.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢.

(٤) وقد أوضح الله تعالى معنى هذه الآية في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة الأحقاف الآية ٥ : ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وقوله تعالى في سورة مريم الآية ٨٢ : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزّا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ وقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٢٥ : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ زدناهم عذاباً فوق العذاب ... الآية ﴾ : قيل : في زيادة عذابهم حيّات أمثال البخت، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ((حمّتها)) أربعين خريفاً.

(٦) الجوهري في صحاحه ٦/٢٣٢٠ مادة (حمى)

قوله : ((وقيل : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾[1]))[2] عطف على قوله : ((أمر فيه باتباع الرسول وطاعته، يعني : أحيل البيان على السنة بوجهين حيث أمر فيه، أي : في قوله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾[3] وحيث قيل في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ .

قوله : ((أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم))[4] مثله في جامع الأصول، رواه رزين العبدري عن ابن المسيب، وفي رواية أخبار الشهاب (أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى)[5] ، وذكره الصنعاني في قسم الحسان.

قوله : ((العدل هو الواجب))[6] فيه إيماء إلى مذهبه[7] ، فكنى عنى الواجب بالعدل، لأن الواجب ملزوم العدل، لأن الله تعالى جعل ما فرض على عباده واقعاً تحت طاقتهم، أي : لا يكلفهم فوق طاقتهم، لئلا يكون جوراً، ومن ثمّ سموا أنفسهم

---

(١) سورة النجم الآية ٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ النحل الآية ٨٩. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾ : المعنى : أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((وقيل : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾))، وحثاً على الإجماع في قوله : ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾. سورة النساء الآية ١١٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٩٢.

(٤) أخرجه الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف في أحاديث الكشاف ٦٢٨/٢، وتلخيص الحبير لابن حجر ١٩٠/٤، وميزان الاعتدال له أيضاً برقم ١٥١٢ ولسان الميزان ٤٨٨/٢، وجميع طرقه ضعيفة، فهو حديث لا يحتج به، كما قال ابن حجر رحمه الله، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٨/١ وقال : إنه موضوع، وقال : قال ابن عبد البر لا تقوم به حجة.

(٥) في مسند الشهاب ٢٧٥/٢ . وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعفية والموضوعة : حديث موضوع ٤٣٩/١ برقم ٤٣٨. وفيه جعفر بن عبد الواحد . قال الدراقطني : كان يضع الحديث.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ النحل الآية ٩٠ . قال(ز) في تفسير قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ : ((العدل هو الواجب)).

(٧) يعني مذهب المعتزلة في العدل، والمراد به عندهم أن أفعاله تعالى كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح، وأن العقل هو الحاكم بالحسن والقبح.

بالعدلية. هذا تخصيص من غير دليل(١) ، سيما المقام يقتضي العموم، ولهذا قال ابن مسعود(٢) : أجمع آية في القرآن هذه الآية، وقال القاضي(٣) : [لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، ولعل إيرادها عقيب قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ للتنبيه عليه]، وقال الإمام(٤) : [إنما يحسن تفسير اللفظ بمعنى إذا حصل بينهما مناسبة، وإلا كان فاسداً، وبناءً على مجرد التحكم، فإن الله تعالى أمر بالعدل والإحسان، فالعدل عبارة على المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وذلك أمر واجب في جميع ما يصح فيه هذا المعنى، والواجبات إمّا في الإعتقاد، وإما في الأعمال، أو في الأخلاق، فالعدل في الاعتقاد

أما في التوحيد فيجب أن يعتقد أن الإله موصوف بصفات الكمال، فهذا وسط بين التعطيل والتشبيه . وإما في الأفعال : فيجب أن يعتقد أن العبد يصدر عنه الفعل كسباً بواسطة داعية وقدرة يخلقها الله تعالى، لأنه وسط بين الجبر والقدر . أما الأعمال : فالعدل فيها أن يأتي بالطاعات على الطريق السوي. قال الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾(٥) روينا عن البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أيها الناس : خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله تعالى ما يملّ حتى تملوا)(٦) عن داود عن سهل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد عليكم (٧)

(١) قال أحمد بن المنير رحمه الله ٢/٦٢٨ : وهذه وليجة من الإعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق، لأنه ظلم وجور، وذلك على الله محال. والحق والسنة أن كل قضاء الله عدل، وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ .

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره ٨/٤٩٤ عن ابن مسعود، والقاضي البيضاوي ٣/١٩٠.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/١٩٠

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٠/١٠١-١٠٢.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٦) أخرجه البخاري مع الفتح ١٠/٣١٤ كتاب اللباس، بالب الجلوس على الحصير ونحوه، من حديث عائشة . ومسلم ١/٥٤٠ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره

(٧) أخرجه أبو داود ٥/ ٢٠٩، كتاب الأدب، باب في الحسد، رقم ٤٩٠٤ ومجمع الزوائد ٦/...

..الحديث)(٧). وأما الأخلاق : فالعدل في الجود : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾(١) وفي الشجاعة : ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾(٢). ﴿ أذلّة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾(٣) ثم الزيادة على العدل قد تكون إحساناً، وقد تكون إساءة، والإحسان إما أن يكون بحسب الكمية و الكيفية . فالكمية : كالتطوع بالنوافل، والكيفية : كالاستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية، قال صلى الله عليه وسلم : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)(٤) ، وهذه الآية استئناف كالبيان لكون الكتاب تبياناً لكل شيء.

قوله : ((فقال : والله لا زدت فيها ولا نقصت، وفي رواية البخاري ومسلم : لا أزيد على هذا ولا أنقص))(٥) .

قوله : ((فعقد الفلاح))(٦) أي : قيده من قولهم : عقدت الحبل والبيع.

قوله : ((استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم ...)(٧) الحديث من رواية مالك وأحمد بن حنبل وابن ماجه عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى عليه

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٥١٣/٨ كتاب التفسير، باب إن الله عنده علم الساعة من حديث أبي هريرة. ومسلم ٣٩/١ كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... الخ . وقد أحسن من قال :

** خير الأمور الوسط والوسيط ** وشرها الإفراط والتفريط **

(٥) أخرجه البخاري مع الفتح ١٠٦/١ كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام وقوله : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله ... ﴾ . ومسلم ٤١/١ كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام من حديث طلحة بن عبيد الله.

(٦) ((فعقد الفلاح)) يعني : في الحديث المشار إليه : (أفلح وأبيه إن صدق).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٧/٥، ٢٨٢ . والدارمي ١٧٤/١ كتاب الطهارة، باب ما جاء في الطهور. وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء برقم ٢٧٧ . والموطأ، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، الحديث رقم ٣٦ جزء٣٤/١. والحاكم في المستدرك ١٣٠/١ . والبغوي في شرح السنة ٣٢٧/١ كلهم من حديث ثوبان.

وسلم : (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) النهاية[1] : [استقيموا في كلّ شيء حتى لا تملّوا، ولن تطيقوا الإستقامة، من قوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾[2] أي : تطيقوا عده وضبطه.

قوله : ((فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل))[3] هذا متصل بقوله : ولذلك قال : هو تعليل لقوله : ((ولا بد من أن يقع تفريط فيجبره الندب، أي : ولأجل أن لا بدّ من أن يقع في الواجب التفريط عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفلاح بشرط الصدق، ولم يجزم القول فيه، وأتى بإنْ التي للشك، وقال أيضاً : (استقيموا ولن تحصوا) أي : لن تطيقوا، وحيٌّ بأن التي للتوكيد، وإذا كان الأمر على هذا فلا بدّ مما يجبر به هذا التفريط وليس ذلك إلا النوافل، لما روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (أول ما يحاسب به العبد صلاته، فإن كان أتمّها كتبت له تامّة، فإن لم يكن أتمّها قال الله تعالى : انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع، فتكملوا بها فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك)[4] ورواه أبو داود عن أنس بن حكيم.

قوله : ((والمنكر ما تنكره العقول))[5] الانتصاف[6] : [هذا اعتزال، والمنكر ما أنكره الشرع] الرغب[7] : المنكر [كل فعل تحكم العقول السليمة بقبحه أو تتوقف في

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤/١٢٥.

(٢) سورة المزمل الآية ٢٠.

(٣) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ والإحسان ﴾ ((فما ينبغي أن يترك ... الخ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٠٣ ، ٥/٧٢،٣٧٧ ، ٢/٥٢٥ ، ٤/٦٥ . وابن ماجه ١/٤٥٨ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة برقم ١٤٢٦ . ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/١٢٤،١٣٣ كتاب الأوائل . والنسائي ١/٢٣٣ كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة . والدارمي ١/٣٦١ كتاب الصلاة، باب أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة برقم ١٣٥٥ . وأبو داود ١/٥٤٠ كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : كل صلاة لا يتمها صاحبها تُتمّ من تطوعه . من حديث أنس بن حكيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ المنكَر ﴾ قال (ز) : ((والمنكر ما تنكره العقول)).

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٢/٦٢٩ والزمخشري لا يدع مذهبه في الإعتزال في مسألة التحسين والتقبيح بالعقل.

(٧) الراغب ٥٠٥ مادة (نكر)

استقباحه، فتحكم بقبحه الشريعة، وإلى ذلك قصد بقوله تعالى : ﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴾(١)] وقال في قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ فحثّ(٢) على فعل الخير، وندب عن الشر، وذلك بعضه بالشرع الذي شرعه لنا وخصه بالعقل الذي ركّبه فينا، والنهي حينئذ أعم من حيث اللفظ والمعنى، فكما في قوله : ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾(٣) لأنه لم يعن أن يقول لنفسه : لا نفعل، بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عما نزعت إليه، وهمّت به، وكذا النهي عن المنكر يكون تارة باليد وتارة باللسان وتارة بالقلب. وأما اللفظ فكما تقول : أجبت كذا، وأصل النهي : الزجر عن الشيء، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره.

قوله : ((﴿ والبغي ﴾ طلب التطاول بالظلم)) الإنتصاف(٤) : [البغي أصله الطلب، ومنه : ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾(٥) ، وإطلاقه في العرف مخصوص بالظلم.

قوله : ((وحين أسْقِطت من الخطب لعنة الملاعنين (٦) ذكر صاحب الكامل في التاريخ(٧) : [كان بنو أمية يسبّون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى إن وُلّي عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك وكتب إلى العمال في الآفاق بتركه، وكان سبب محبته علياً أنه قال : كنت بالمدينة أتعلم العلم، وكنت ألزم عبد الله بن

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٢.

(٢) في ب ، ت (حث) بدون فاء.

(٣) سورة النازعات الآية ٤٠.

(٤) الإنتصاف مع الكشاف ٢/٦٢٩.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٠٧.

(٦) يشير إلى أن أمراء بني أمية كانوا يلعنون علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبة الجمعة، ولما ولي عمر بن عبد العزيز أمر بترك ذلك اللعن وإبداله بهذه الآية : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية ﴾.

(٧) ذكر ذلك الكامل لابن عدي في التاريخ ٤/١٥٤ بعنوان "ذكر ترك سبّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام".

عتبة بن مسعود[1] رضي ا لله عنه، فبلغه عنّي شيء من ذلك، فأتيته يوماً وهو يصلي، فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه، فلما فرغ التفت إليّ، وقال : متى علمت أن ا لله تعالى غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟. قلت : لم أسمع بذلك، قال : فما الذي بلغني عنك في عليّ؟. فقلت : معذرة إلى ا لله وإليك، وتركت ما كنت عليه. وكان أبي إذا خطب فنال من عليّ تلجلج في كلامه، فقلت : يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت إلى ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً. قال : أوفطنت ذلك؟. قلت : نعم . فقال : يابني، إن الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم لتفرقوا عنّا إلى أولاده، فلما ولّي الخلافة لم تكن عنده الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، فترك ذلك، وكتب بتركه، وقرأ عوضه : ﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية ﴾ فجلّ هذا الفعل عند الناس محلاً عظيماً، وأكثروا مدحه، فمنه قول كثيّر[2] :

* ولّيت فلم تشتم عليّا ولم تخف ... برّيا ولم تتبع مقالة مجرم *
* تكلمت بالحق المبين وإنما ... تبيّن آيات الهدى بالتكلم *
* وصدّقت معروف الذي قلت بالذي ... فعلت فأضحى راضياً كل مسلم *
* ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه ... من الأوَدِ البادي ثقاف المقوم *

فقال عمر : رحمه ا لله حين أنشده هذا الشعر أفلحنا إذن.

قوله : ((وعاد من عاده))[3]. ذكر ابن عبد البر[4] في الاستيعاب، قال : روى بريدة وأبو هرير وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم، كل واحد منهم عن النبي

---

(١) عبد ا لله بن عتبة بن مسعود الهذلي، ابن أخي عبد ا لله بن مسعود، ولد في عهد النبي صلى ا لله عليه وسلم، من كبار الثانية، مات بعد السبعين ومائة، وثقه العجلي، تقريب التهذيب ١٨١.

(٢) كثير عزة أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني، امتدح عبد الملك والكبار، قال الزبير بن بكار : كان شيعياً، يقول بتناسخ الأرواح، وهو عاشق عزة . مات سنة ١٠٥هـ. وفيات الأعيان ١٠٦/٤، وسير أعلام النبلاء ١٥٢/٥.

(٣) جزء من حديث غدير خم الوارد في فضل عليّ بن أبي طالب رضي ا لله عنه الآتي.

(٤) ابن عبد البر : يوسف بن عبد ا لله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ وأديب، يقال له : حافظ المغرب، له تآليف كثيرة نفيسة منها : الاستيعاب . هذا

صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم غدير خم[1] : (من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[2] وبعضهم لا يزيد على : (من كنت مولاه فعليّ مولاه).ورواه أحمد بن حنبل عن البراء وحده.

قوله : ((وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون. وروى الإمام[3] في تفسيره [عن ابن عباس أن عثمان بن مظعون الجمحي قال : ما أسلمت أولا إلا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتقرر الإسلام في قلبي، فحضرته ذات يوم، فبينا هو يحدثني إذ رأيت بَصَره شخص إلى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك، فسألته فقال : بينا أنا أحدثك إذ جبريل نزل عن يميني فقال : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... إلى آخره ﴾ فقال عثمان : فوقع الإيمان في قلبي، وأتيت أبا طالب فأخبرته، فقال : يا معشر قريش : اتبعوا ابن أخي ترشدوا فلئن كان صادقاً أو كاذباً فإنه ما يأمركم إلا بمكارم الأخلاق[4]]، ونحوه رأيت بخط مولاي المرحوم بهاء الدين القاشي[5] رحمه الله.

الذي ذكره الطيبي وغيره . ولد سنة ٣٦٨هـ ت٤٦٣هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٤٨/٢ والمغرب في حلي المغرب ٤٠٧/٢ والديباج ٣٥٧.

(١) غدير خم : موضع بين مكة والمدينة حرسهما الله، بينه وبينه الجحفة ميلان، والغدير : فعيل من الغدر، وذلك أن الإنسان يمرّ به وفيه ماء، فربّما جاء ثانياً طمعاً في الماء، فإذا به يبس. معجم البلدان ١٨٨/٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١١٨/١ ، ٣٧٠/٤ ، ٣٦٦/٥ ، ٤١٩ . والترمذي ٦٣٣/٥ كتاب المناقب والحاكم ١١٦/٣، والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٣٧٦/١٥ من حديث زيد بن أرقم وغيرهم. والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٦٣٠/٢ لابن حجر والاستيعاب مع الإصابة ٣٦/٣.

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٠٠/٢٠.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣١٨/١. والبخاري في الأدب المفرد . وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، كذا ذكر السيوطي في الدرّ المنثور ١٥٩/٥ . وابن كثير في تفسيره ٥١٥/٤. وقال : إسناده جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل.

(٥) لم أقف له على ترجمة

والظاهر لي أن هذه القصة لا تصح، لأن عثمان بن مظعون كان من أشد الناس عبادة، وتقدم إسلامه، وأن إيمانه كان قوياً مبدأ ومنتهى والله أعلم ، ولم أر غير الفخر الرازي ذكر هذا.

قوله : ((عهد ا لله هي البيعة لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم))[1] وإنما أسند إلى ا لله، لأن عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عهد ا لله لقوله : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون ا لله ﴾[2] وهو مستشهد لفظاً ومعنى، لأنه في أهل بيعة الرضوان، وإنما خصه ببيعة الرضوان، لأن قوله : ﴿ أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ في قريش يعني : أوفوا بما عاهدتم ا لله، ولا تنقضوه مخافة الأعداء من قريش، وتوفّر عَدِدهم وعُدَدهم، وإنما جعلكم مستضعفين، وأعداءكم أقوياء ليتميز الثابت منكم والناكص على عقبيه، وإليه أشار بقوله : ﴿ إنما يبلوكم ا لله به ﴾ وقوله : ﴿ وأوفوا بعهد ا لله ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله : ﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ الآية عطف الخاص على العام اهتماماً بوفاء العهد والثابت عليه، ولذلك عقّبه بالتمثيلين، وجيء بقوله : ﴿ ولو شاء ا لله لجعلكم أمة واحدة ﴾ اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه.

قوله : ((﴿ بعد توكيدها ﴾)) أي : بعد توثيقها، الراغب[3] : [وكدت القول والفعل وأكّدته بمعنى أحكمته . والسير الذي يشدّ به القربوس يسمى التأكيد، ولا يقال توكيد، قال الخليل : أكدت في عقد الأيمان أجود، ووكّدت في القول أجود، تقول : إذا عقدت فأكّدْ، وإذا حلفت فوكّدْ . ووكّدَ وكْدَه إذا قصد قصده وتخلق بخلقه].

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد ا لله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم ا لله عليكم كفيلاً إن ا لله يعلم ما تفعلون ﴾ النحل الآية ٩١.

(٢) سورة الفتح الآية ١٠.

(٣) الراغب في مفرداته ٥٣١ مادة (وكد).

قوله : ((انحت على غزلها))[1] الأساس[2] : [أنحى عليه بالسوط : أقبل عليه].

قوله : ((انكاثاً : جمع نكث)) الأساس[3] : [نكث الحبل، ومن المجاز نكث العهد والبيعة]، الراغب [4] : [نكث الأكسية والغزل قريب من النقض، واستعير لنقض العهد، والنكث كالنقض، والنكيثة كالنقيضة، وكل خصلة ينكث فيها القوم، يقال لها : نكيثة] قال أبو البقاء[5] : [أنكاثاً : جمع نكث، بمعنى : المنكوث، أي : المنقوض، و نصب على الحال من (غزلها)، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على المعنى، لأن معنى نكثت : صيرت] وفي الحاشية : أنكاثاً نصب على المصدر[6] ، لأن معنى نكثت : نقضت، وعلى ما في الكتاب : هو مفعول به لفعل محذوف، لقوله : فجعلته أنكثاً، وهذا أولى الوجوه، وأدخل في معنى التمثيل لأن التركيب من باب : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ... ﴾[7] ولذلك قد أنحت على غزلها، وجاء بالفاء في ((فجعلته)) فجمع بين القصد والفعل، والتشبيه التمثيلي كلما كان أكثر تفصيلاً وأوفر تصويراً كان أحسن، ولذلك أوثر الجمع في : ﴿ أنكاثا ﴾ على الإفراد لتنويع النكوث، وأقيم الوصف في قوله : ﴿ كالتي

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ النحل الآية ٩٢. قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا ﴾ في نقض الأيمان كالمرأة التي ((انحت على غزلها)) بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا).

(٢) الأساس، يعني : أساس البلاغة للزمخشري ٦٢٤ (نحو).

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ٦٥٤ مادة (نكث).

(٤) الراغب في مفرداته ٥٠٤ مادة (نكث).

(٥) أبو البقاء في إملائه ٨٥/٢.

(٦) قاله ابن الأنباري في البيان في إعراب القرآن ٨٣/٢ . قال : ﴿ أنكاثا ﴾ منصوب على المصدر، والعامل فيه : ﴿ نقضت ﴾ لأنه بمعنى نكثت نكثاً. وكذا ذكر الزجاج ٢١٧/٣ . وقال أبو البقاء ٨٥/٢ : أنكاثا ﴾ انتصب على الحال من ﴿ غزلها ﴾ ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً.

(٧) سورة المائدة الآية ٦.

نقضت﴾ منزلة الموصوف ليشعر بأن الناقضة جامعة لمعان، فوجب انحطاط شأنها من كونها خرقاء عاجزة عجوزاً إلى غير ذلك، وهذا التمثيل بجملته توكيد لقوله : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ وهو إما استعارة مكنية(١) بأن تكون الاستعارة في الأيمان، والنقض القرينة، وتوكيدها الترشيح، أو تمثيلية(٢) ، والتمثيلان أعني : لا تنقضوا ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ﴾، وأراد أن على الأمر بوفاء العهد، أعني : وأوفوا بالعهد على الطرد(٣) ، والعكس لأن منطوق الأمر بإيفاء العهد مؤكد لمفهوم النهي عن النقض وبالعكس، فظهر أن الغرض من التشبيه إبراز حال ناقض العهد، وأنه خارج من جملة الرجال الكملة والعقلاء المراجيح، داخل في زمرة النساء، بل في أدونها حالاً وأنقصها عقلاً.

قوله : ((صنّارة)) الجوهري(٤) : [الصنارة رأس المغزل].

قوله : ((﴿ دخلاً بينكم ﴾ أي : مفسدة ودَغلاً، الراغب(٥) : [الدخل كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة، كالدَّغَل، وعن الدعوة في النسب، يقال : دُخِلَ دَخْلاً، ويقال : دخل فلان فهو مدخول، لكناية عن بَلَهٍ في عقله، وفساد في أصله، ومنه قيل : شجرة مدخولة].

---

(١) الإستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. ومكنية : وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيءٍ من لوازمه.

(٢) والاستعارة التمثيلية : تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

(٣) الطرد : ما يوجب الحكم لوجود العلة،وهو التلازم في الثبوت . والعكس عدم الحكم لعدم العلة . التعريفات للجرجاني ١٨٣،١٩٨.

(٤) الجوهري في صحاحه ٧١٦/٢ مادة (صنر).

يشير إلى قول (ز) أن التي تنقض غزلها هي (ريطة) بنت سعد بن تيم، وكانت خرقاء، اتخذت مِغْزَلاً قدر ذراع، ((وصنارة)) مثل إصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن.

(٥) الراغب في مفرداته ١٦٦-١٦٧.

قوله : ((ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهما عملاً يسألون عنه))(١) المضطر اسم فاعل(٢) . وقلت : إثبات العمل لهم على طريق الكسب، لا يدفع السؤال . قال الإمام(٣) : [اعلم أنه تعالى لما كلف القوم بالوفاء بالعهد وتحريم نقضه أتبعه ببيان أنه تعالى قادر على أن يجمعهم على هذا الوفاء بالعهد على سائر أبواب الإيمان، ولكنه تعالى بحكم إلـهيته يضل من يشاء، ويدي من يشاء] يريد أن قوله : ﴿ لو شاء الله ... الآية ﴾ دخلت معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، أعني قوله : ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ وقوله : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ توكيد لمعنى الابتلاء، وأنه بحكم الإلهية يختبر القليل الضعيف القديم بالقوي الكثير ذي الشوكة كما أشار إليه بقوله : ((هي أزيد عدداً وأوفر مالاً)) إلى آخره، كما أنه بحكم الإلـهية يُضِلّ من يشاء ويهدي من يشاء، فقوله: ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ مقابل لقوله:﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾.

قوله : ((أن ينقضوا ما بايعوا))(٤) متعلق بقوله : ((زين لهم الشيطان)).

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ النحل الآية ٩٣.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ : ((ولو كان هو المضطر إلى الضلال، والاهتداء لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه)).

(٢) قال أحمد بن المنير راداً على الزمخشري القول بجبر العبد، وأنه لا خيار له في أفعاله، كما هو مذهب المعتزلة قال : ومما يدل على أن الله لم يَبْنِ الأمر على الإجبار، وإنما بناه على الاختيار قوله تعالى : ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ ولو كان هو المضطر للهداية والضلال كما أثبت لهم ما يسألون عنه، ثم قال : أما أهل السنة الذين يسميهم الزمخشري مجبرة، فهم من الإجبار بمعزل، لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختيارا وأفعالاً، وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده، فيجعلون قدرته هي الموجدة والمؤثرة، وقدرة العبد مقارنة فحسب تمييزاً بين الاختياري والقسري، وتقوم بها حجة الله على عبده . والله أعلم ٦٦٣/٢

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٠٩/٢٠.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ النحل الآية ٩٥.

قال (ز) : كان القوم ممن أسلموا بمكة ((زين لهم الشيطان)) لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش وإيذائهم لهم، وكانوا يعدوهم إن رجعوا عن مبايعة محمد صلى الله عليه وسلم ((وأن ينقضوا ما بايعوه عليه)) فثبتهم الله تعالى.

قوله : ((﴿ لنجزين ﴾ بالنون والياء))(١) بالنون ابن كثير وعاصم.

قوله : ((ليعم الموعد النوعين جميعاً))(٢) قال صاحب الفرائد : [لو لم يذكر الأنثى لكانت داخلة في الحكم بطريق التغليب، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ دخلت النساء في الخطاب بطريق التغليب، ولما كان المراد من (مَنْ) العموم والإستيعاب لحصول التسوية بينهما في الحكم، لا بطريق التغليب بين قوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ وقال الإمام(٣) : [إنه تعالى لما رغب المؤمنين في الصبر على ما التزموه من فعل الواجبات والمندوبات دون المباحات بقوله : ﴿ ليجزين الذين صبروا ﴾ ثم رغبهم في الإيمان بكل ما كان من شرائع الإسلام بقوله : ﴿ من عمل صالحاً ﴾ أتبع ذلك بقوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ تقريراً للوعد وإزالة لوهم التخصيص كرماً وفضلاً.

قوله : ((لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ با لله ﴾))(٤) إيذاناً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة. قال القاضي(٥) : [وفيه دليل على أن المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المترتب(٦) على شرط يتكرر

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولينجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل الآية ٩٦. قال (ز) في قوله تعالى : ((﴿ لنجزين ﴾ بالنون والياء)).

قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم : ﴿ ولنجزين ﴾ بالنون، وقرأ الباقون : ﴿ ليجزين ﴾ بالياء . انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٦ ، والنشر ١٤٦/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل الآية ٩٧.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ على التبيين ((ليعمّ الموعد النوعين جميعاً)) يعني الذكر والأنثى.

(٣) الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١١١/٢٠.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ با لله من الشيطان الرجيم ﴾ النحل الآية ٩٨.

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٠/٣.

(٦) المرتب في ب ، ت وهو الصواب

بتكرره قياساً](١) قلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ متصل بالفاء بما سبق من قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ وذلك أنه تعالى لما منّ عليه صلوات ا لله عليه بإنزال كتاب جامع لصفات الكتاب وأنه تبيان لكل شيء، ونبه على كونه تبياناً لكل شيء بالكلمة الجامعة، وهي قوله : ﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية ﴾، وعطف عليه : ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ وأكّده ذلك التأكيد، قال بعد ذلك : ﴿ فإذا قرأت ... ﴾ أي إذا شرعت في قراءة هذا الكتاب الشريف الجامع الذي نبّهت على بعض ما اشتمل عليه، ونازعك فيه الشيطان بهمزه ونفخه ونفثه فاستعذ با لله، والمقصود : إرشاد الأمة، ويظهر بهذا فائدة وضع القرآن موضع المضمر، لأن القرآن : الجمع والضّم(٢) ، ولهذا قلنا : الكتاب الشريف الجامع، وينتظم معه قوله : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ فإن ذلك من منشأ النزع الذي يورده حزب الشيطان، ويقول : لو كان من عند ا لله لما تطرق إليه النسخ والتبديل وا لله أعلم.

قوله : ((كقوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾(٣))) قال صاحب الفرائد : [المستشهد(٤) ليس من قبيل ما نحن فيه، لأن هناك ترك للظاهر بدليل، وهنا بغير دليل. قلت : دليله إجماع الفقهاء(٥) ، وسنده ما رواه أبو داود وابن ماجه عن جبير بن

---

(١) قال أهل الأصول : إذا علق الأمر على شرط، فالظاهر أنه يكون بحسب ما يدل عليه ذلك الشرط لغة، فإن كان يفيد التكرار، تكرّر ، وإلا فلا. مثال ما يفيد التكرار : (كلما جاءك زيد فأعطه درهما) . ومثال ما لا يفيد التكرار : (إن جاءك زيد فاعطه درهما). فهذا لا يفيد التكرار، ومنه هذه الآية . وا لله أعلم.

(٢) في لسان العرب : قرأت الشيء قرآنا، جمعته وضممت بعضه إلى بعض ١٢٨/١ مادة (قرأ).

(٣) سورة المائدة الآية ٦.

(٤) في م المستشهد (به) وهو الصواب

(٥) الإجماع غير واقع، فمالك رحمه ا لله لا يرى التعوذ ولا البسمله في صلاة الفرض. قال خليل بن إسحاق في مختصره : (وكرها بفرض) أي : البسملة والتعوذ، قال الدسوقي شارح خليل بن إسحاق : (وكرها) أي : للإمام وغيره سراً وجهراً في الفاتحة، وغيرها ابن عبد البر : وهذا هو المشهور عند مالك، ومحصّل مذهبه عند أصحابه . انظر الدسوقي ٢٥١/١. وعلى هذا فحديث أبي داود المذكور يحمل على النافلة لا الفرض

مطعم أنه رأى النبي صلى ا الله عليه وسلم يقول بعد تكبير الصلاة : (أعوذ با الله من الشيطان الرجيم، من نفخه ونفثه وهمزه)[١] .

قوله : ((وتبديل الآية مكان الآية هو النسخ))[٢] يعني : أنه تعالى عبّر عن النسخ بهذه العبارة. قال الإمام[٣] : [التبديل : رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، وتبديل الآية رفعلها بآية أخرى مكانها وهو نسخها بآية سواها]، وقلت : فيكون التبديل مضمنا معنى الوضع، أي : وضعنا آية مكان آية تبديلاً . وقال القاضي[٤] : [وإذا بدّلنا آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة].

قوله : ((وهذا معنى قوله : ﴿ وا الله أعلم بما ينزل ﴾ قال الإمام[٥] : [﴿ وا الله أعلم بماينزّل ﴾ اعتراض دخل بين الشرط وجزائه، أي : هو أعلم بما ينزّل من الناسخ والمنسوخ والتغليظ والتخفيف لمصالح العباد، وهذا توبيخ للكفار على قولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ أي : إذا كان هو أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمداً إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ، وقوله : ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ معناه : لا يعلمون حقيقة القرآن، وقائدة النسخ والتبديل، كما أن الطبيب الحاذق يأمر المريض بشربة، ثم بعد ذلك ينهاه عنها ويأمر بضد تلك الشربة].

---

(١) أخرجه أبو داود ١/٤٨٦ كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء . وابن ماجه برقم (٨٠٧) وابن الجارود برقم (٩٦) والحاكم في المستدرك ١/٢٣٥ ووافقه الذهبي على تصحيحه . والطيالسي برقم (٩٤٧). والبيهقي ٢/٣٥ . وأحمد في المسند ٤/٨٥ . كلهم من حديث جبير بن مطعم عن أبيه عن رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم . ومن طريق ابن مسعود رضي ا الله عنه . أخرجه أحمد في مسنده ١/٤٠٤ . وابن ماجه رقم (٨٠٨) والحاكم ١/٢٠٧ . والبيهقي ٢/٣٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية وا الله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ النحل الآية ١٠١ . قال (ز) : ((وتبديل الآية مكان الآية هو النسخ)).

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٠/١١٦.

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/١٩١.

(٥) الفخر الرازي ٢٠/١١٦.

قوله : ((إن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن))، وقد سبق الكلام عليه في سورة البقرة[1] .

قوله : ((حكم لهم بثبات القدم))[2] جزاء لقوله : ((إذا قالوا فيه، وحتى داخلة على الجملة الشرطية))، وهي غاية لمقدر هو تعليل لقوله : ﴿ نزّله ﴾ في الحقيقة . وقوله: ﴿ إن الله حكيم ﴾ متعلق بقالوا، أي : قالوا فيه ذلك، بناء على معتقدهم أن الله حكيم. وقيل : متعلّق بثبات القدم، وفيه ضعف.المعنى : ﴿ نزّله روح القدس من ربك ﴾ ملتبساً بالحق، ليبلو المؤمنين بالنسخ فيجتهدوا ويعلموا أنه لمصالح العباد حتى إذا قالوا فيه: هو الحق من ربنا، حكم لهم بثبات القدم، ويمكن أن يقال : إن من عرف أن الله تعالى أنزل كلامه المجيد على سيد المرسلين بواسطة الروح المقدسة، علم أن ذلك لا يكون إلا نور وهدى، وإن لم يقف على حقيقة المراد، حتى إذا قال : هو الحق من ربنا، وآمن به ووكل علمه إلى الله تعالى، سواء كان من قسم المتشابه، أو تبديل آية مكان آية، فحينئذ حُكم له بثبات القدم والرسوخ في العلم، كقوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا ﴾[3] ويعضد هذا التأويل مجيء قوله : ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ عقيب هذا ، أي : هدى وبشرى للذين ينقادون لحكم ربّهم ويستسلمون لما ورد من جنابه الأقدس، لا كالزائغين ﴿ الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ وكالذين يطعنون في النسخ، هذا موافق لما ذهب إليه القاضي في المنهاج[4] في الناسخ والمنسوخ : [أن حكمه أن يتبع المصالح فيتغير بتغيرها، وإلا فله كيف يشاء.

قوله : ((وفيه تعريض)) أي : في إثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض بحصول أضدادها في المشركين والزائغين، وذلك أن قوله : ﴿ قل نزّله روح

(١) عند قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ البقرة الآية ١٠٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ النحل اللآية ١٠٢. قال (ز) في تفسير : ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ : ليبلوهم بالنسخ، حتى إذا قالوا فيه : هو الحق من ربنا، والحكمة : ((حكم لهم بثبات القدم)) وصحة اليقين.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) المنهاج في الأصول للبيضاوي

القدس ... الآية ﴾ جواب عن قول المشركين : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ وهو قريب من باب الأسلوب الحكيم[1] ، فإنهم أرادوا بقولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ : إن هذا ليس من كلام الله تعالى، لأن الله تعالى لا يسخر من أحد، يأمرهم اليوم بشيء وينهاهم غداً عنه، بل هو من تلقاء نفسك، فأجيبوا بأن هذا من الله، فزيد في التصوير بأن قيل : ﴿ نزّله روح القدس ﴾ ثم زيد قوله : ﴿ بالحق ﴾ لينبّه على الدفع عن الطعن بألطف الوجوه، أي : تنزيله ملتبس بالحقّ والحكمة ومصالح الخلق، ثم النعي على قبح أفعالهم بأن قيل : ﴿ ليثبت الذين آمنوا ... إلى آخره ﴾ تعريضاً بأن أضداد هذه الخصال حاصلة فيهم، وأنهم متزلزلون ضالّون موبّخون مُنذَرون بالخزي والنكال واللعن في الدنيا والآخرة، وأن أعداءهم على خلاف ذلك ليزيد في غيظهم وحَنَقِهم، ما أحسن هذا البيان، لله درّه].

قوله : ((فقيل لأحدهما))[2] يعني : قيل لأحد هذين العبدين : أتعلّمه أنت ؟ . فقال : بل هو يعلمني . وقيل : هذا المجيب هو سلمان الفارسي، وهو غير صحيح، لأن سلمان أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة، والآية مكية.

قوله : ((ثم استعير لكل إمالة عن استقامة))[3] الراغب[4] : [الإلحاد : ضربان : إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني

---

(١) الأسلوب الحكيم : هو عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم . انظر التعريفات للجرجاني ٣٩.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ النحل الآية ١٠٣.

قال (ز) في تفسير : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ : وذكر أن جبراً ويساراً عبدان كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ وقف عليهما يسمع ما يقرآن، فقالوا :يعلمانه، ((فقيل لأحدهما))

(٣) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ يلحدون ﴾ ألحد القبر ولحده، وهو مُلحد وملحود، إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شق منه، ((ثم استعير لكل إمالة عن استقامة)) فقالوا : ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه.

(٤) الراغب في مفرداته ٤٤٨ مادة (لحد).

يُوهن عراه ولا يبطله، وقال : ﴿ الذين يلحدون في أسمائه ﴾ والإلحاد في أسمائه على وجهين : أحدهما : أن يوصف بما لا يصح وصفه به . والثاني : أن يتأول أوصافه بما لا يليق به].

قوله : ((ومنه الملحد)) لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها . قال الشهرستاني(١) في كتاب الملل والنحل : [وفرق الباطنية أوردهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات إما خارجة عن الفرق وإما داخلة فيها، وبالجملة هم قوم مخالفون، اثنين وسبعين فرقة(٢) ، ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنّفوا كتبهم على ذلك المنهاج، وسُمُّوا باطنية، لأنهم يقولون : لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، ولهم ألقاب كثيرة، فبالعراق : يُسَمَّون الباطنية والقرامطة(٣) والمزدكية(٤) ، وبخراسان : التعلمية والملحدة، وهم يقولون : نحن إسماعيلية(٥) ، لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الإسم، وبهذا الشخص، وقال الإسماعيلية امتازت عن الموسوية(٦) والإثنا عشرية(٧) بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر].

قوله : ((وقرئ ﴿ يلحدون ﴾)) قرأها حمزة(٨) .

قوله : ((مستأنفة، جواب لقولهم : فإنه تعالى لما قال : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ ومرجعه إنه مُفتَر، وأن ما جاء به ليس من عند الله، اتّجه لقائل أن

---

(١) الملل والنحل ٢٠١/١ مع تقديم وتأخير . وانظر أيضاً ج١٩٩/١.

(٢) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٢/٢.

(٣) القرامطة : فرقة من الباطنية، أتباع حمدان القرمطي، من أشد الفرق الضالة مخالفة طريق الحق.

(٤) المزدكية : فرقة من فرق المجوس، أتباع (مزدك) بن نامدان. الإعتقادات للرازي ٨٩.

(٥) الإسماعيلية : من فرق الشيعة والروافض، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر . المرجع السابق ٥٤.

(٦) الموسوية : من فرق الشيعة أيضاً، أتباع موسى بن جعفر، ولم ينقلوا الإمامة لأحد بعده. المرجع السابق ٥٥.

(٧) الإثنى عشرية : فرقة من الشيعة، هي اليوم أكثرهم انتشاراً.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ يَلحَدون ﴾ بفتح الياء والحاء. وقرأ الباقون ﴿ يُلحِدون ﴾ بضم الياء وكسر الحاء. المبسوط في القراآت العشر ٢٢٦ والإتحاف ٢٨٠.

يقول : فماذا أجاب الله عن ذلك . فقيل : قال : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ﴾.

قوله : ((ومثله قوله : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾(١) ، وجه التشبيه : هو ان قولهم : ﴿ لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾(٢) لقوله : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ في إثبات الشيء على خلاف ما ينبغي أن يكون عليه، ومرجعهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفْتَر، وأن ما جاء به ليس من عند الله، بل من قبل غيره، ألا ترى كيف عقبه بقوله : ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾؟،وخلاصة الردّين تجهيل القوم، وعدم تميزهم بين الحق الصراح والباطل المحض، وأن كلامهم من الجزاف الذي يرمى من غير فكر وروية(٣) ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ﴾ كأنه قيل : إن النبوة ليست بالمال والحسب، وإنما هي بفضائل نفسانية يختصّ بها من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالته من عَلم أنه يصلح لها، فكيف تؤتونها وأنتم لستم بمكانها، بل تستحقون أن يفعل بكم كل هوان وخزي ونكال بقولكم : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾، لأن المتعلم إنما يستفيد من المعلم ما هو أعلم به، وأقدم منه، وما أتى به صلوات الله عليه كلام عربي مبين، أي : بليغ فصيح بلغ غايته في البلاغة والفصاحة، حيث عجزتم عن الإتيان بسورة مثله، فكيف يؤخذ من عجمي ألْكَن جاهل.

قوله : ((﴿ لا يهديهم الله ﴾ لا يلطف بهم))(٤)(٥) وعند أهل السنة على الحقيقة.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٣.

(٣) وقد أوضح تعالى هذا المعنى الذي قاله الكفار في قوله تعالى سورة الفرقان الآية ٥ : ﴿ وقالوا أساطير الأوليلن اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ وقوله في سورة المدثر الآية ٢٤ : ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر.إن هذا إلا قول البشر ﴾ وقوله في سورة الأنفال الآية ٣١: ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ النحل الآية ١٠٥.

(٥) هذا تفسير فيه اعتزال، قال الألوسي ١٤/٢٣٥ : وكونه تفسيراً للمعتزلة، يعني قول الزمخشري : (لا يلطف بهم) مناسباً لأصولهم، فيه نظر.

قوله : ((﴿ وأولئك ﴾ إشارة إلى قريش)) اعلم أن المشار إليه بقوله : ﴿ أولئك ﴾ إما قوله : ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ لأنه المذكور أو قريش، لأن سياق الكلام فيهم، لأنهم هم الذين قالوا : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾، وقالوا : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ فعلى الأول عام في قريش وغيرهم، وحينئذ يكون التعريف في ﴿ الكاذبون ﴾ للجنس، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ هم الكاذبون ﴾ على الحقيقة الكاملون في الكذب، فيدخل في هذا العام قريش دخولا أولياً، يعني : المفتري مطلقاً من لا يؤمن با لله ولا بآياته، وهو الكامل فيه، لأن تكذيب آيات ا لله لا شيء أعظم منه. وأما الثاني فعلى وجهين : أحدهما : ﴿ الكاذبون ﴾ مطلقٌ فلا يقدّر في أي شيء كذبوا، وهو[1] أيضاً على وجهين: إما أن يكون قوله : ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون ﴾ عاماً، والكلام وارد على الإستدراج، المعنى : اعلموا أن المفتري منّا ومنكم الذي لا يؤمن با لله ولا باليوم اللآخر ولا بعقابه، فلا يبالي بالكذب، وقد ظهر أنكم الموصوفون بذلك، فيلزم أنكم الكاذبون، ودلّ على هذا الاستلزام الفاء في قوله : فهم الكاذبون. وإما أن يراد بالذين لا يؤمنون قريش وكان من حق الظاهر لم يؤمنوا، فعَدل إلى : ﴿ لا يؤمنون ﴾ لإفادة الاستمرار، أي المفتري من استمر على الكفر ولم يتوقّع منه تجدّد الإيمان، فيستمر على الكذب ويصير دأبه وعادته، لأن الرادع عن الكذب المروءة، ومن لا إيمان له لا مروءة له، وإليه الإشارة بقوله : ((أولئك هم الذين عادتهم الكذب)) لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين . وثانيهما : ﴿ الكاذبون ﴾ مقيد بحسب اقتضاء المقام (وهو المراد من قوله : ﴿ أولئك هم الكاذبون ﴾ في قولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ .

قوله : ((﴿ من كفر ﴾ بدل من : ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ ، فإن قلت : كيف يصح البدل، (وأن قوله)[2] : ﴿ إنما يفتري الكذب ﴾ ردّ لقول قريش : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ وهم ما كفروا بعد الإيمان . قلت : كلما كان الرد أبلغ كان في الإفحام أدخل،

والهداية هدايتان : هداية إرشاد، وهي التي يعملها الأنبياء وأتباعهم، وهداية توفيق، ولا يملكها إلا ا لله، كما قال تعالى لنبيه صلى ا لله عليه وسلم : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا لله يهدي من يشاء ﴾ .

(1) في م : وهي.

(2) ما بين القوسين س من : أ

وإنما عدل من ظاهر قوله : (بل أنتم مفترون) إلى قوله : ﴿ إنما يفتري الكذب (الذين لا يؤمنون ﴾ ليكون إشعار بأن بين الإيمان وبين الكذب منافاةً ، والكذب من شيمة من عدم الإيمان، تعريضاً)[١] بهم، وبعثاً على التفكر في أن الكاذب منه ومنهم من هو ثم إذا ذهب إلى إبدال : ﴿ من كفر با لله من بعد إيمانه ﴾[٢] منه على أن المراد : من كان متمكنا من الإيمان، ثم أعرض للعناد والتمرد كقوله : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾[٣] بلغ الغاية القصيا في المطلوب أيضاً، جعل ذلك سلّما وتخلّصاً إلى ما فعلوا بأولئك السادة من المثلة، والصدّ عن الدين، فإنه أشنع وأقبح.

قوله : ((﴿ شرح بالكفر صدراً ﴾ أي : طاب به نفساً))[٤] بيّن بهذا فآل[٥] معناه، وإعرابه : أما المعنى : فلأن الشرح هو الكشف، تقول : شرحت الغامض إذا فسّرته، فإن الغامض مما يضيق به الصدر ولا تطيب به النفس. وأما الإعراب : فلأن ﴿ نفساً ﴾ منصوب على التمييز، كذا ﴿ صدراً ﴾ وفي اللباب[٦] ، أي : شرح صدره فصرف الفعل إلى المضاف فانتصب على التمييز، فكأنه قال : شرحه صدراً، أي : قلبه على اختيار. الراغب[٧] : [أصل الشرح : بسط اللحم ونحوه، يقال : شرحت اللحم ونحوه، وشرّحته، ومنه شرح الصدر، أي : بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة ا لله ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾[٨] وشرح المشكل من الكلام : بسطه وإظهار معانيه].

قوله : ((ويجوز أن يكون بدلا من المبتدأ عطف على قوله : ﴿ ومن كفر ﴾ بدل [من ﴿ الذين لا يؤمنون بآيات ا لله ... ﴾.

---

(١) ما بين القوسين س من : أ ، م.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ من كفر با لله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من ا لله ولهم عذاب عظيم ﴾ النحل الآية ١٠٦.

(٣) سورة البقرة الآية ١٦.

(٤) تفسير قوله : ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾.

(٥) نسخة أ : (فآل). و ب : (قال) . والصواب ما في ب.

(٦) اللباب في شرح الكتاب للميداني ت ٥١٨ بتحقيق محمود أمين النواوي . مكتبة الرياض الحديثة.

(٧) الراغب في مفرداته ٢٥٨ . مادة (شرح).

(٨) سورة الشرح الآية ١.

قوله : ((وقد جوّزوا أن يكون ﴿ من كفر با لله ﴾ شرطاً مبتدأ، وهو قول أبي علي الجبائي[1] ، أي : من كفر استحق الغضب والعقاب إلا من أكره.

قوله : ((وروى أن ناساً من أهل مكة فتنوا ... إلى آخره))، ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب[2] : [عن أبي عمر كان عمار وأمه سُمَيّةُ ممن عذّب في ا لله ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن قلبه بالإيمان فنزلت الآية[3] ، وهذا مما اجتمع عليه أهل التفسير] وروى النسائي عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من الصحابة قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (ملئ عمّار إيماناً إلى مُشاشِه)[4] . المُشاش : بالضم، جمع مشاشة، وهي رؤوس العظام اللينة.

قوله : ((منهم عمار مبتدأ وخبر وأبواه[5])) مع ما بعده معطوف على عمار، وقوله : ((عذبوا)) جملة مستأنفة، فكأنه قيل : ما فعل بهم؟ فقيل : عذبوا، ونظيره قوله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾[6] إلا أن صدقوا صفة لرجال، هذا على أن عماراً ممن عذب على ما روي في الإستيعاب، فقوله : ((فأما سمية وأما عمار)) تفصيل لقوله : ((عذبوا)) وقيل : (إن أبواه) مبتدأ والخبر : (عذبوا)، وإن عماراً ما عذب على ما عليه ظاهر كلام المصنف.

قوله : ((وإعزازاً للإسلام)) لأن المخالف إذا رأى أن المسلم يبذل ماله وروحه دون دينه أيقن أن مثل هذا الدين لا يكون إلا حقاً ينصره قوله تعالى : ﴿ وقالت طائفة

---

(١) أبو علي الجبائي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية، نسبته إلى جبّى (من قرى البصرة) . انظر وفيات الأعيان ٤٨٠/١، والبداية والنهاية ١٢٥/١١، والإعلام للزركلي ٢٥٦/٦.

(٢) ذكره ابن عبد البر في الإستيعاب مع الإصابة ٤٧٧/٢.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٢٦، والطبري ١٢٢/١٤، والقرطبي ١٨٠/١٠/ والبغوي ٤٦/٥.

(٤) أخرجه النسائي ١١١/٨ كتابالإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان . وابن ماجه ٥٢/١ المقدمة ١١ فضل عمار بن ياسر.

(٥) أبواه : ياسر وسمية رضي ا لله عنهم.

(٦) سورة الحزاب الآية ٢٣.

من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهـار واكفـروا آخـره لعلهـم يرجعون ﴾(١) (يشكون في دينهم، يقولون فارجعوا وهم أهل كتاب)(٢) وعلم إلا لأمر قد تبين لهم. يؤيده ما روينا في صحيح البخاري ومسلم(٣) عن أبي سفيان أن هرقل سأله عـن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وأصحابه : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخـل فيـه سـخطة لـه؟ قـال : قلـت : لا. وكذلـك الإيمـان إذا خالـط بشاشتـه القلـوب ... الحديث.

قوله : ((واستحقاقهم خذلان ا لله بكفرهم)) جعل سبب وعيد من شـرح بـالكفر صدراً، وهم الذين ارتدوا بعد ما دخلوا في الإسلام شيئين : أحدهما : اسـتحباب الحيـاة الدنيا على الآخرة، وفيه إشارة إلى فضْل ما فعـل أبـو عمـار علـى عمّـار(٤) . وثانيهمـا : خـذلان ا لله بكفرهـم، وإنمـا علّـل الخـذلان بـالكفر، لأن قولـه : ﴿ لا يهـدي القـوم الكافرين ﴾ من وضع المظهر معضع المضمر للعلية، ثم آذن بأنهم أحقاء بـأن يطبع على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم لذلك الوصفين بقوله : ﴿ أولئك الذين طبع ا لله ﴾ وتمم بقوله : ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾، واللام للجنس، ليفيد ما قال : أولئـك هـم الكـاملون في الغفلة، أي : تصور حقيقة الغافلين، فهم لا يعدون تلك الحقيقة، ومن ثم قال الذين لا أجد أغفل منهم، ثم لما أراد أن يبين البون بين الفريقين والبعد بين المرتبتين، أعني : الثابتين على الإسلام، والناكصين عنه، قيل : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مـا فتنـوا ... الآية ﴾ وإليه الإشارة بقوله : ((دلالة علـى تبـاعد حـال هـؤلاء مـن حـال أولـئك))(٥) وقوبل تلك التوكدات السابقة بمجرد اللام في قوله : ﴿ للذين هـاجروا ﴾ حيـث أوقعـه خبراً لأنّ، على مـا قـال : إنـه لهـم لا عليهـم، بمعنـى أنـه : وليهـم ونـاصرهم لا عدوهـم

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧٢.

(٢) ما بين القوسين س من ب ، م.

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ٣١/١ كتاب بدء الوحي، باب ٦ من حديث أبي سـفيان لهرقـل . ومسـلم في صحيحه ١٣٩٣/٣ كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى ا لله عليه وسلم إلى هرقل

(٤) وثانيهما (استحقاق) خذلان . ما بين القوسين في ت. وهو الصواب.

(٥) تفسير قوله : ﴿ ثم إن ربك ﴾ قال (ز) : ((دلالة)) الخ.

وخاذلهم، يدل على المقابلة تفسير المؤلف قوله : ﴿ وإن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ بقوله : واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، ووضع المظهر موضع المضمر في المتقابلين، لأن قوله : ﴿ للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ﴾ وضع موضع الراجع إلى قوله : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ ففي الآيات جمع مع التقسيم والتفريق، فالجمع : قوله : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ والتقسيم : ﴿ إلا من أكره ﴾ ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ . والتفريق : ﴿ وأن الله لا يهدي ﴾ ﴿ وإن ربك للذين هاجروا ﴾ والله أعلم بمراده من كلامه . ونحن إنما ساعدنا تفسيره ﴿ لا يهدي ﴾ بالخذلان، وتعليله بالكفر، ليقابله قوله : ﴿ للذين هاجروا ﴾ إلى قوله ﴿ لغفور رحيم ﴾ لأن الغفران مقابل للخذلان، لأنا نثبت للعبد أيضاً قدرة تميز بين الفعل الاختياري والقسري لتقوم حجة الله على عباده، وعلم من مفهوم كلامه أن قوله : ﴿ للذين هاجروا ﴾ خبر (إن)، والمقدر نحو ناصرٌ ووليٌّ للذين هاجروا، لقرينة قوله : خذلان الله بكفرهم، لأنه مقابل له، كما سبق. وقال أبو البقاء(١) : [خبر (إن) ﴿ لغفور رحيم ﴾ و(إنّ) الثانية واسمها تكرير للتوكيد، ومثله في هذه السورة(٢) : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ... الآية﴾] وقيل : خبره محذوف، لأن خبر الثانية أغنى عن ذلك(٣).

قوله : ((وقرئ ﴿ فتنوا ﴾(٤) على البناء للفاعل، قرأها ابن عامر.

قوله : ((كالحضرمي))(٥) قوله وأشباهه، بيان للفاعل في عذبوا، فإن الحضرمي كما سبق في الكشاف عذب عبده جبراً وأكرهه على الكفر ثم أسلم الحضرمي .

---

(١) أبو البقاء في إملائه ٢/٨٦.

(٢) النحل الآية ١١٩

(٣) قاله أبو البقاء ٢/٨٦.

(٤) قرأ ابن عامر وحده : ﴿ فَتَنوا ﴾ بفتح الفاء والتاء مبنيا للفاعل، وقرأ الباقون : ﴿ فُتِنوا ﴾ مبنيا للمفعول بضم الفاء وكسر التاء، انظر المبسوط لابن مهران ٢٢٦، والنشر ٣/١٤٧، والإتحاف ٢٨٠.

(٥) عامر بن الحضرمي : عذب عبده جَبْراً ثم أسلم عامر بعد ذلك وهاجرا معاً.

قوله : ((من بعدها، من بعد هذه الأفعال، وهي الهجرة والجهاد والصبر)) بناء على (إن) الثانية ليست بتكرير، وعلى قول أبي البقاء : التقدير ﴿ إن ربك ﴾ من بعد الفتنة والجهاد والصبر.

قوله : ((﴿ يوم تأتي ﴾ منصوب برحيم أو بإضمار اذكر))(١) والأول أدخل في تأليف النظم، ليقابل قوله : ﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾(٢) .

قوله : ((فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته))(٣) (٤) قال صاحب الفرائد : [المغايرة شرط بين المضاف والمضاف إليه لامتناع النسبة بدون المنتسبين، فلذلك قالوا : يمتنع إضافة الشيء إلى نفسه إلا أن المغايرة قبل الإضافة كافية، وهي محققة ههنا، لأن من مطلق النفس لا يلزم نفسك (ومن نفسك)(٥) يلزم النفس، فلما أضيف ما لا يلزم أن يكون نفسك إلى نفسك صحت الإضافة، وإن اتحدتا بعد الإضافة، فلهذا أجاز عين الشيء، ونفس الشيء، وكل الشيء(٦) ، ونحوها، ولما لم تكن المغايرة قبل الإضافة في الأسد والليث. والحبس والمنع لم يجز أسد الليث وحبس المنع، وإنما قلنا : إن الاتحاد بعد الإضافة لا يخلّ بالإضافة، لأن الاتحاد يحصل بالاختصاص، والاختصاص يحصل بالإضافة فيكون الاتحاد أثر الإضافة، فكيف يكون مانعاً للإضافة؟. وقلت : قول المصنف، فالنفس

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ النحل الآية ١١١. قال (ز) : ((﴿ يوم يأتي ﴾ منصوب ... الخ.

(٢) سورة النحل الآية ١٠٩.

(٣) تفسير قوله : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾

(٤) قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير قوله : ﴿ يوم يأتي كل نفس تجاد عن نفسها ﴾ : و﴿نفس﴾ الأولى هي النفس المعروفة، والثانية هي بمعنى الذات. كما تقول : نفس الشيء وعينه أي ذاته ٨/٥٢٢.

(٥) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٦) وإنما جازت إضافة النفس إلى النفس، ومن شرط المتضايفين أن يكونا متغايرين، أن المراد بالنفس الأولى، وهي قوله : ﴿ يوم يأتي كل نفس ﴾ الإنسان، وبالثانية يعني قوله : ﴿ تجادل عن نفسها ﴾ ذاته، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته، أي : يعتذر عنها، لا يهمه شأن غيره . والله أعلم.

الأولى هي الجملة، والثانية عينها، معناه : أن اعتبار الماهية غير اعتبار الجملة، فإن الجملة يقع فيها اعتبار الماهية مع اعتبار أفرادها.

قوله : ((أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً))[1] ضمّن ﴿ ضرب ﴾ معنى (جعل) ليصح المعنى، لأن معنى ضَرْب المثل : اعتماده وصنعه، من ضَرْبِ اللبن والخاتم، كأنه جعل القرية الموصوفة بما يليها مفعولا أولا، و ((مثلا)) مفعولا ثانياً[2] ، وقريب منه ذكر مكي في قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية ﴾[3] قال :[أصح ما يعطي القياس والنظر في (مثل)[4] (وأصحاب) أنهما مفعولان لاضرب، دليله قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء ﴾[5] فلا اختلاف أن ﴿ مثل الحياة ﴾ ابتداء و ﴿ كماء ﴾ خبره. وقال في موضوع آخر : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء ﴾[6] فدخل (اضرب) على الابتداء والخبر فعمل فيهما، فقد تعدى (اضرب)[7] الذي هو لتمثيل الأمثال إلى مفعولين، بلا خلاف في هذا، فوجب أن يجرى في غير هذا الموضع على ذلك] والفاء في قوله (فـ)يجوز أن يراد قرية تفصيلية[8] . والفاء في (فـ)ضربها الله مثلاً) متعلق بقوله : ((أن يكون في قرى الأولين قرية)).

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ النحل الآية ١١٢ . قال (ز) في معنى قوله : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية ﴾ : ((أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلاً)) لكل قوم أنعم عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا.

(٢) التقدير : ضرب الله القرية الآمنة المطمئنة مثلاً، فالقرية وما بعدها من أوصاف، مفعول أول، و(مثلا) مفعول ثان.

(٣) سورة يس الآية ١٣.

(٤) الصواب (مثلاً) على الحكاية.

(٥) سورة يونس الآية ٣٤.

(٦) سورة الكهف الآية ٤٥.

(٧) اضرب (أي) الذي في ب.

(٨) تفسير لقوله تعالة : ﴿ ضرب الله مثلاً قرية ﴾ أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم عليهم فأبطروا النعمة ((فيجوز أن تراد قرية)) مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلاً لأهل مكة)).

قوله : ((إنها أيام طعم ونعَم))(١) وفي رواية لمسلم أنه صلوات الله عليه أمر خادمه أن ينادي أيام التشريق إنها أيام أكل وشرب(٢) .

قوله : ((الإذاقة، واللباس استعارتان)) خلاصة السؤال أنه سأل عن بيان استعارة ﴿ أذاقها ﴾ واستعارة ﴿ لباس الجوع ﴾، وعن نسبة إحداهما إلى الأخرى، فإنه تعالى أوقع إحدى الإستعارتين مفعولاً للأخرى.

قوله : ((أما الإذاقة)) يريد أن الإذاقة بعدما كانت مستعارة للإدراك والإصابة، صارت حقيقة في الإصابة بسبب كثرة استعمالها وشيوعها فيها، ثم انتهض لبيان الجواب عن الإستعارة الأولى على سبيل الإستئناف، بأن قال(٣) : شبّه ما يدرك، أي : شبّه ما يدرك الإنسان من أثر الضرر بما يحسّ من طعم المرّ والبشع، ثم أدخل المشبّه في جنس ما يدرك من الطعم، ثم أطلق ما يدرك بالفعل على اسم ما يحسّ بالفم، هذا تقرير أصل الإستعارة، وأنها مسوقة لمثل هذا التشبية، لا بيان أنها استعارة تبعية، لأن قوله : ((ما يدرك من أثر الضرر بفتح الراء اسم مفعول، وهو مثل الفعل في امتناع إيقاع الإستعارة

---

(١) تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كفرت بأنعم الله ﴾ والأنعم : جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع، أو جمع نِعَم، كبؤس وأبؤس) وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى : ((إنها أيام طُعم ونعم فلا تصوموا)) قال ابن حجر في الكافي الشاف لأحاديث الكشاف : لم أجده هكذا .

(٢) أخرجه مسلم ٢/٨٠٠ كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق. والنسائي ٢/٢٦٧ . والدارمي ٢/٣٨ باب النهي عن صيام أيام التشريق . وابن ماجه ١/٥٤٨ . وأبو داود ٢/٨٠٤ كتاب الصيام، باب صيام أيام التشريق . وأحمد ٣/٤٦٠ ، ٢/٢٢٩ . وغيرهم.

(٣) حاصل هذه الإستعارة في قوله تعالى : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ أن حقيقة الذوق إنما يكون في المطاعم والمشارب، لا في الكسا والملابس، وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم، والبلاء الشامل لهم، وقد عرف في لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة، أو أخذ بجريرة ذق غِبَّ فعلك واجن ثمرة جهلك، وإن كانت عقوبته ليست من جنس ما يُحَسّ بالطعم ويدرك بالذوق، فكأنه تعالى لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة، حسن أن يقول تعالى : فأذاقهم ذلك، أي : أوجدهم مرارته، كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ووخامة الطعم الكريه، وإنما قال تعالى : ﴿ لباس الجوع والخوف ﴾ ولم يقل طعم الجوع والخوف، لأن المراد بذلك – والله أعلم – وصف تلك الحال بالشمول لهم والإشتمال عليهم، كاشتمال الملابس على الجلود، لأن ما يظهر منهم من مضيض الجوع وأليم الخوف من سوء الحال، وشحوب الألوان، وضئولة الأجاسم، كاللباس الشامل لهم، والظاهر عليهم. انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ١٢٨

فيه لامتناع وقوعه موصوفاً، ولو أريد تقرير التبعية لقيل شبهت إصابة العذاب ولحوقه بهم بإذاقهم(١) إلى الطعم البشع المرّ، ثم سرت(٢) الإستعارة من الإضافة(٣) إلى أذاق، فيكون استعارة مصرحة تبعية، لأن المشبه المتروك أمر عقلي، وإنما اضطر إلى هذا التأويل، لأن الإستعارة وقعت في لباس الجوع، وقد فرع عليها ﴿ أذاقها ﴾، وهو لا يناسبها ترشيحاً ولا تجريداً فيجعل بمعنى الإصابة ليكون تجريدا. الراغب(٤) : [الذوق وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإنما يكثر منه يقال له : الأكل، واختير في التنزيل لفظ الذوق في العذاب لأن ذلك وإن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعمّ الأمرين، وكثر استعماله في العذاب نحو ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾(٥) ، وقد جاء في الرحمة نحو ﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ﴾(٦) ويعبّر به عن الاختبار، فيقال : أذقته كذا فذاق . ويقال : فلان ذاق كذا، وأنا أكلته، أي : خَبَرْتُه أكثر مما خَبَر] وقال(٧) : [الطعم تناول الغذاء، ويسمى ما يتناول (منه)(٨) طَعْمٌ وطعام، ورجل طاعم : حسن الحال] . وقوله تعالى : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ فاستعمال الذوق مع اللباس من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار، أي : فَجَعَلها بحيث تُمارسُ الجوع والخوف. وقيل : إن ذلك على تقدير كلامين، كأنه قيل : أذاقها الجوع والخوف وألبسها لباسهما.

قوله : ((وأما اللباس)) هذا هو الجواب عن بيان الاستعارة الثانية، أي : شبه ما يغشى الإنسان ويتلبس به من أثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي، والجامع كونهما مشتملين على الإنسان وغاشيين له، ثم أطلق اسم اللباس على ما يغشى الإنسان من

---

(١) في ب (بإذاقة الطعم).

(٢) في ب (شربت).

(٣) في ب ، م (الإذاقة) وهو الصواب.

(٤) الراغب في مفرداته ١٨٢ مادة (ذوق).

(٥) سورة النساء الآية ٥٦.

(٦) سورة هود الآية ٩.

(٧) القائل الراغب أيضاً . مادة (طعم). ٣٠٨

أثرهما، وجعل إضافته إليهما قرينة ما نعمة عن إرادة الحقيقة، فهي استعارة مصرحة أصلية تحقيقية، لكن المشبّه المتروك عقلياً.

قوله : ((وأما إيقاع)) هو الجواب عن نسبة إحدى الاستعارتين إلى الأخرى، وتقريره أن نسبة الاستعارة الأولى إلى الثانية بعد ما جعلت حقيقة في الإصابة والإدراك بسبب كثرة الاستعمال نسبة تفريع شيء على أصل، ولما كانت الإضافة التي هي بمعنى الإصابة صفة ملائمة لغشيان الجوع والخوف، والمشبه(١) باللباس جعلت تجريداً لها، وهذا هو المراد من قوله : ((فلأنه لما وقع عبارة عن ما يغشى منهما)) فكأنه قيل : فأذاقهم، أي : أصابهم ما غشيهم.

قوله : ((ولهم في نحو هذا)) أي : العرب في نحو تفريع أذاقها على لباس الجوع طريقان : طريق التجريد، وهو أن يفرع على الاستعارة بعد تمامها صفة ملائمة للمستعار له كما نحن بصدده . وطريق الترشيح، وهي أن يفرغ عليها صفة ملائمة للمستعار منه كما في المثال الآتي . قوله :

** ((غمر الرداء إذا تبسم ... البيت(٢)

(غمرَ) المراد أي : كثير العطاء، يقال : غلق الرهن إذا استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط. قال زهير(٣) :

** وفارقتك برهن لا فكاك له ** يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا **

---

(١) الخوف (و) المشبه . ما بين القوسين س م ت.

(٢) البيت لكثير : وتمامه :

** غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ** غلقت لضحكته رقاب المال **

انظر الزمخشري ٢/٦٣٩.

(٣) زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح المزني بن مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، ومن أئمة الأدب، منهم من يفضله على الشعراء كافة، نشأ في بيت شعر، فكان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. مات سنة ثلاث عشرة . الشعر والشعراء (٤٤) ، والأغاني ١٠/٢٨٨-٣٢٤ . انظر اللسان ١٠/٢٩٢ مادة (غلق).

أي : ارتهنت قلبه فذهبت به. يقول : إذا ضحك ضحكة أيقن السائل أنه بذلك التبسم استغلق رقاب ماله ويعطي بلا خلاف.

قوله : ((ووصفه بالغمر الذي هو وصف للمعروف)) أي : فرع على المستعار له، لأن الغمر مناسب للمعروف لا على المستعار، لأن الغمر غير مناسب للرداء . وقلت : وفيه عدول عن الظاهر، لأن الغمر ليس صفتة حقيقية للنوال والمعروف، بل هو وصف للبحر المستعار أولا للمعروف، يقال : غمره الماء يغمره غمراً، أي : علاه، والغمر الماء الكثير، فهو ههنا تجريداً للاستعارة بعد أن كان ترشيحاً، وهذا المثال المستشهد به يشبه استعماله استعمال الآية في أن التجريد ليس تجريداً محضاً.

قوله : ((ينظروا فيه إلى المستعار))[١] أي : المستعار منه.

قوله : ((ينازعني ردائي)) البيتين[٢] ، الاعتجار : لفّ العمامة من غير إدارة تحت الحنك. الجوهري[٣] : [الاعتجار : لفّ العمامة على الرأس . قال الراجز[٤] :

** جاءت به معتجراً ببرده **

يقول[٥] : يجاذبني سيفي عبد عمر، ويريد أن يأخذه مني، فقلت : رويدك، فلي النصف الأعلى منه الذي هو في يميني، وخذ أنت النصف الأخير منه، فلفّ على رأسك. ومثله قول الآخر[٦] :

---

(١) متعلق بكلامه السابق، أعني : قوله : ((ولهم في نحو هذا)) يعني العرب طريقان ... الخ. وهذه هي الطريقة الثانية، وهي : ((أن ينظروا فيه)) الخ.

(٢) والبيتان هما :

** يُنازعني رداءي عبدُ عمروٍ ** رويدك يا أخا عمرِو بن بكر **
** ليَ الشطر الذي ملكَت يميني ** ودُونك فاعتَجِر منه بِشطر **

انظر الكشاف ٢/٦٣٩.

(٣) الجوهري في صحاحه ٧٣٧/٢ مادة (عجر).

(٤) الراجز : هو دُكَين يمدح عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراق، وكان راكباً على بغلة حسناء. المعلق على الجوهري أحمد عبد الغفور العطار ٧٣٧/٢ واللسان مادة (عجر).

(٥) وتمام الرجز :

** جاءت به مُعتجراً ببُرده ** سَفْواء تَرْدي بِنَسيج وَحْده **

(٦) لم أقف على قائله.

** تُقَاسِمهُم أسيافنا شرَّ قسمة ** ففينا غواشيها وفيهم صدروها **

قوله : ((ضافي الردى)) أي : سابغة.

قوله : ((وما أوتيت به من كفرها))[1] أي : (أهلكت)[2] الضمير في (به) للموصول، يقال : أتى عليهم الدهر، أي : أهلكهم وأفناهم، وأصله من إتيان العدوّ.

قوله : ((وصل بذلك بالفاء في قوله (فكلوا) صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة)) بيان لربط الآيات من لدن مفتتح السورة، ولقد أسلفنا أن هذه السورة في بيان سوء أفعال قريش وقبائحهم، وفي تذكارهم ما خوّل الله لهم من أنواع النّعم، وفي إنذارهم بنقم الله، وما حلّ بمن سبق من الأمم الخالية، ولمّا عدّد عليهم النعم المتكاثرة من ذكر الأنعام وفوائدها وثمرات النخيل ومنافع ما يصل إليهم من النحل، وأنذرهم بأنواع من النّذر، ثم نعى عليهم ما كانوا يفترون على الله من اتخاذ البنات[3] ، وقال : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ﴾[4] وأراد أن يذكر نوعاً آخر من أفعالهم وهو تحليلهم بأهوائهم ما حرّمه الله من أكل الميتة[5] والدم ولحم الخنزير، وتحريمهم ما أحلّه الله من البحائر والسوائب والوصائل والحوائم، وقولهم :

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ النحل الآية ١١٤-١١٥.

قال (ز) : لما وعظهم بما ذكر من حال القرية ((وما أوتيت به من كفرها)) وسوء صنيعها، ((وصل بذلك بالفاء في قوله : ﴿ فكلوا ﴾)) لصدهم عن أفعال الجاهلية ... الخ.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٣) كما قال تعالى عنهم في هذه السورة الآية ٥٧ : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ وقوله تعال في سورة الصافات الآية ١٥١ : ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ وقال تعالى عنهم في سورة مريم الآية ٨٩ : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إدًا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًا . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ... الآيات ﴾.

(٤) سورة النحل الآية ٦٢.

(٥) يشير إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية ١٥ من سورة النحل. وكذلك سورة المائدة الآية ١٠٣-١٠٤ : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾.

﴿ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجا ﴾(١) عقّب ذلك ضَرْب المثل بقوله : ﴿ ضرب الله مثلاً قرية ... الآية ﴾ ليكون كالتخلص إلى قوله : ﴿ فكلوا ﴾ فردف بقوله : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾(٢) ويدل عليه تكرير قوله : ﴿ تصف ألسنتكم الكذب ﴾ فظهر من هذا التقرير أن المأمور به هو ما عدّد الله من أول السورة من المأكول والمشروب . أما المأكول فمنها قوله : ﴿ والأنعام خلقها لكم ... إلى ... ومنها تأكلون ﴾(٣) ، ومنها قوله : ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ﴾(٤) ، ومنها قوله : ﴿ وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ﴾(٥) وأما المشروب : فمنها قوله : ﴿ أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ﴾(٦) ومنها قوله : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ﴾(٧) ومنها : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ﴾(٨) ومنها : ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾(٩) والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٩.

(٢) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٠ : ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ وقوله في سورة يونس الآية ٥٩ : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ وقوله في سورة الأنعام الآية ١٤٠ : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ... الآية ﴾

(٣) الآية ٥.

(٤) الآية ١١.

(٥) الآية ١٤.

(٦) الآية ١٠

(٧) الآية ٦٦.

(٨) الآية ٦٧.

(٩) الآية ٦٩.

قوله : ((أو إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون ا لله))[1] يعني : جاءت الشرطية مؤكدة للكلام، فإما أن تُحمل العبادة على الطاعة ليطابق الأمر، وهو : ﴿ فكلوا ﴾. أو أن يجري[2] على حقيقتها، لكن على الزعم الكاذب.

قوله : ((وانتصاب الكذب[3] بـ﴿لا تقولوا ﴾ وهو يحتمل أن يكون مفعولاً به، وأن يكون مفعولاً مطلقاً، وقد مضى عن ابن الحاجب أن مثل هذا ينبني على أن القول يتعدى أو لا يتعدى، ففيه قولان : فإن تعدى فهو مفعول به[4] ، وإلا فمفعول مطلق.

قوله : ((ويجوز أن يتعلق))[5] أي : هذا حلال وهذا (حرام)[6] (بتصف) على إرادة القول، فالفاء في : (فتقول) في الكتاب كالفاء في قوله : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾[7] .

قوله : ((ولك أن تنصب الكذب بتصف)) عطف على قوله : ((وانتصاب الكذب بـ ﴿ لا تقولوا ﴾ و ﴿ ما ﴾ مصدرية، واللام بمعنى لأجل، وعلى الأول موصولة، واللام صلة لقوله : ﴿ لا تقولوا ﴾.

قوله : ((جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه))[8] قال الإمام[9] والقاضي[10] : [كأن ماهية الكذب وحقيقته مجهولة، وكلامهم يكشف عن حقيقة الكذب ويوضح

---

(١) تفسير (ز) قوله تعالى : ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ قال : يعني تطيعون ((أو إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون ا لله)) بعبادة الآلهة، لأنها شفعاؤكم ... الخ.

(٢) (وأن يجري) في ب ، ت ، م.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الكذب إن الذين يفترون على ا لله الكذب لا يفلحون.متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ النحل الآية ١١٦-١١٧.

(٤) أي مفعول لقوله : ﴿ تقولوا ﴾ ﴿ الكذب ﴾ وقيل:﴿ الكذب ﴾ مفعول لقوله : ﴿ تصف ﴾.

(٥) إعرابه لقوله تعالى : ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ قال (ز):بدل من ﴿ الكذب ﴾ ((ويجوز أن يتعلق)) يتصف على إرادة القول، أي : ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم ﴿ فتقول ﴾ ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) سورة البقرة الآية ٥٤.

(٨) هذا إجابته عن سؤال طرحه، أجاب عنه : (فإن قلت : ما معنى وصف ألسنتهم الكذب ؟ . قلت : هو من فصيح الكلام وبليغه، أي : ((جعل قولهم : كأنه عين الكذب ومحضه)).

(٩) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٣٢/٢٠.

(١٠) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٤/٣.

ماهيته] أراد أن قوله : تصف بمعنى توضح وتبين، لأن بعض الصفات بمنزلة الكاشف عن المحدود، والتعريف في الكذب للجنس، فكأن ألسنتهم إذا أخذت في النطق وصفت ذلك الجنس وكشفت عن حقيقته، وعليه قول أبي العلاء(١) :

** سرى برق المعرّة بعدوهن ** فبات برامة يصف الكِلالا **

هذا وأما ما عليه ظاهر كلام المصنف، فهو أن أصل الكلام : لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام، لأجل قولكم الكذب، فالقول وصف بالكذب في قوله : ((لأجل قول تنطق به ألسنتكم)) ليؤذن بأن ذلك تفَوُّهٌ، وتقوُّل من غير تحقيق، كقوله : ﴿ ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾(٢) وإليه الإشارة بقوله : ((لا لأجل حجّة وبيّنة))، ثم زيد في المبالغة بأن قيل : تصف ألسنتكم الكذب ليعلم أن قولهم لكثرة اتّصافه بالكذب، صار بمنزلة الواصف له، فإذا نطقت ألسنتهم بالكذب، فقد حلّت الكذب بحليته . ونحوه في المبالغة، نهاره صائم وليله قائم، فوصف اليوم الذي يصوم فيه هذا الشخص بصفته لكثرة صدور هذا الفعل فيه، وكذلك وجهها(٣) ، كان موصوفاً بالجمال الفائق، ثم صار حقيقة الجمال ومنبعه، بحيث هو الذي يصف الجمال، كقول القائل(٤) :

** أضحت يمينك من جود مصورة ** لا بل يمينك منها صورة الجود **

---

(١) أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان يرجع نسبه إلى حمير بن سبأ (نسب للمعرة) وهي بلده، ولد سنة ٣٦٣، وكان ضريراً، كان متزهّداً فلسفيا قنوعاً متعففا، كان إماما في الأدب واللغة والشعر، صاحب التصانيف، والمتهم في نحلته كان يتوقد ذكاء .انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١٨ وتاريخ بغداد ٢٤٠/٤.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤.

(٣) وصفُ الألسنة للكذب تعبير عربيّ مبين للمبالغة، جعلت الألسنة لاستساغتها الكذب وجريانه عليها، وتردّده فيما تنطق به دائما، كأنها تصفه وتجسّده للسامع، ومن ذلك قولهم : وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر . انظر إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش ٣٨١/٥

(٤) لم أقف على قائله، ويوجد البيت في روح المعاني ٢٤٧/١٤.

فالأسلوب من الإسناد المجازي. أو تقول : إن وجهها يصف الجمال بلسان الحال على الإستعارة المكنية بأن تقول : إنما بي من الشكل والغنج(١) والدلال والملاحة، هو الجمال بعينه، وقريب منه : ** وبي ظبي إنس كمّل ا لله حسنه، وقال : لا يضار الخلائق عودي(٢) . وعن بعضهم يعني وجهه يذكر ويظهر شيئاً فيه الجمال، وهو الملاحة التي هي سبب (الجمال)(٣) .

قوله : ((صفة لما المصدرية))(٤) وهي حرف، والحروف لا توصف، والمراد وصف (ما) مع مدخولها، وهو وصف ألسنتكم، ويعلم منه أن (ما) مع ما بعدها معرفة، لأنها شبيهة بأن المصدرية، وهي مع ما بعدها معرفة . قال أبو البقاء(٥) : [في قوله تعالى : ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ﴾ الجمهور على فتح اللام على أن اسم كان ما بعد (إلا) وهو أقوى من أن يجعل خبراً، والأول اسما لوجهين : أحدهما : أن ﴿ أنْ قالوا ﴾ يشبه المضمر في أنه لا يضمر فهو أعرف] وذهب هنا إلى أن الكذب بدل من (ما) سواء جعلتها مصدرية أو بمعنى الذي(٦) ، وكذا عن ابن جني(٧) .

قوله : ((﴿ بدم كذب ﴾(٨) قال أي : ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب.

---

(١) (الغُنْجُ) الدلال وملاحة العينين . المعجم الوسيط ٦٦٤/٢. مادة (الغنج) قال الشاعر :

** استجهلتْه المهارى في أزمتها ** وراجحات التلى مغنوجةٌ عين **

وقوله : (التلى) الأعجازُ أي : كبيرة الأعجاز . البلاغة للزمخشري ٤٥٧ مادة (غنج)

(٢) لم يتضح لي مقصوده.

(٣) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٤) تابع لإعراب قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾.

(٥) انظر أبو البقاء في إملائه ١٥٣/١. سورة آل عمران الآية ١٤٧.

(٦) وقال أبو البركات بن الأنباري ٨٤/٢ : ﴿ ما ﴾ مع الفعل بعدها في تأويل مصدر، و﴿ الكذب ﴾ يقرأ بالنصب والجر، فمن قرأه بالنصب كان مفعول ﴿ تصف ﴾ ومن قرأه بالجر كان مجروراً على البدل من ﴿ ما ﴾.

(٧) ابن جني في المحتسب ١٢/٢ قال : أما ﴿ الكذبِ ﴾ بالجر بدل من ﴿ ما ﴾، وهي قراءة الأعرج وابن يعمر والحسن بخلاف، وابن أبي إسحاق وعمرو ونعيم بن ميسرة، وقرأ ﴿ الكذبُ ﴾ يعقوب، وقرأ ﴿ الكُذُبُ ﴾ مسلمة بن محارب، و ﴿ الكَذِب ﴾ القراءة العامة.

(٨) سورة يوسف الآية ١٨.

قوله : ((أو هو جمع الكذاب)) قال أبو البقاء[1] : [ويقرأ بضم الكاف والذال وفتح الباء، وهو جمع كَذَابٍ، بالتخفيف، مثل كتاب وكتب، وهو مصدر. وهي معنى قراءة من قرأ بفتح الكاف والباء وكسر الذال، وهو منصوب بـ ﴿ تَصِفُ ﴾ وما مصدرية].

قوله : ((ذكره ابن جني. وعن بعضهم ابن جنّيْ[2] ، بسكون الياء. وليست بياء النسب، وهو في الأصل كنى فعرّب وبنى بالسكون، وكذا وجدت بخطّه مولاي بهاء الدين القاشي[3] رحمه الله.

قوله : ((من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض))[4] فيكون للعاقبة والصيرورة.

قوله : ((يعني في سورة الأنعام))[5] أي : قوله : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ... الآية ﴾[6] واتّصال هذه بما قبلها كاتصالها به، ويجيء بيان الربط إن شاء الله.

قوله : ((وليس من الله بمستنكر ... البيت[7] يروى لله، يعني : أن الله تعالى قادر على أن يجمع في واحد ما في الناس من معاني الفضل والكمال.

---

(1) أبو البقاء في إملائه ٨٦/٢ قال : يقرأ بفتح الكاف والباء وكسر الذال، وهو منصوب بـ ﴿ تصف ﴾ و ﴿ ما ﴾ مصدرية، وقيل، هي بمعنى الذي، والعائد محذوف و ﴿ الكذب ﴾ بدل منه، وقيل : هو منصوب بإضمار أعني ((ويقرأ بضم الكاف ... الخ))

(2) تقدمت ترجمته.

(3) لم أقف على ترجمة له.

(4) تفسير لقوله تعالى : ﴿ لتفتروا ﴾ قال (ز) : واللام في ﴿ لتعلموا ﴾ ((من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض)).

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ النحل الآية ١١٨. قال (ز) في قوله : ﴿ ما قصصنا عليك ﴾ ((يعني في سورة الأنعام)).

(6) سورة الأنعام الآية ١٤٦.

(7) البيت لأبي نواس يستعطف هارون الرشيد على الفضل البرمكي حين توعده بالقتل، وقبله :

** قولا لهارون إمام الهدى ** عند احتفال المجلس الحاشد **

قوله : [((معنى مأموم)) أي مقصود يؤمه الناس يقصدونه ليأخذوا منه الخبر. الجوهري : الأَمُّ، بالفتح : القصد، وأمّمه وتأمّه . يقال : أمّه إذا قصده][1] .

قوله : ((أو بمعنى مؤتم به . الجوهري[2] : [أمّمت القوم في الصلاة إمامة، وائتمّ به، أي : اقتدى به].

قوله : ((كالرُّحْلة والنُّخْبَة)) الجوهري[3] : [الرُّحلة بالضم : الوجه الذي يريده، يقال : أنتم رُحْلَتي، أي : الذين أرتحل إليهم] والإنتخاب : الإختيار، والنُّخبة[4] مثل النُّجبة، يقال : جاءني في نُجَبٍ من أصحابه، أي : خيارهم.

قوله : ((وروى الشعبيّ عن فروة بن نوفل))[5] الحديث بتمامه روى قريباً منه ابن عبد البر في الإستيعاب[6] .

قوله : ((ولو كان سالماً حيّاً لاستخلفته)) وفي الكامل لابن الأثير أن عمر رضي الله عنه قيل له : لو استخلفته قال : لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته . وقلت لربّي إن

** انت على ما بك من قدرة ** فلست مثل الفضل بالواجد **

**وليس على الله بمستنكر ** أن يجمع العالم في واحد **

وذكر هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾ الآيات ١٢٠-١٢٢ النحل. انظر الكشاف ٦٤٢/٢.

(١) ما بين القوسين س من أ ، ب.

(٢) الجوهري في صحاحه ١٨٦٥/٥ مادة (أمّم)

(٣) الجوهري في صحاحه ١٧٠٦/٤ -١٧٠٧ مادة (رحل)

(٤) قال الجوهري في صحاحه ٢٢٣/١ : (النُخبةُ) مثل النُجْبة، والجمع نُخَبٌ مثل رُطَبَةٍ ورُطَبٍ، يقال : جاء في نُخَبِ أصحابه، أي خيارهم.

(٥) تفسيره لقوله : ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ ((وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (إن معاذا كان أمة قانتاً لله، فقلت : غلطت، إنما هو إبراهيم، فقال : الأمة : الذي يعلم الخير، والقانت : المطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك.

أخرجه الطبراني في الكبير ٧٠/١٠ برقم ٩٩٤٦ وبرقم ٩٩٤٣ ، ٩٩٤٥ ، ٩٩٤٤ . وابن جرير في تفسيره ١٩١/١٤ . والحاكم في المستدرك ٢٧١/٣ وسكت عليه الذهبي، وفي الحاكم أيضاً في التفسير قريب منه ٣٥٨/٢.

(٦) ذكر في الاستيعاب لابن عبدالبر مع الإصابة ٣٦١/٣ قريب منه.

سألني : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالماً مولى أبي حذيفة حيّا لاستخلفته . وقلت لربي إن سألني : سمعت نبيك يقول : إن سالماً شديد الحبّ لله. ولم يذكر فيه حديث معاذ. وهذا مؤول لما ذكر في الاستيعاب(١) عن عمر أنه قال : [لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى، وذلك بعد أن طعن، وهذا عندي أنه كان يصدر فيها عن رأيه] يريد أنه لم يكن ممن يستحق الخلافة، لأن الأئمة من قريش، وسالم كان مولى.

قوله : ((أبو عبيدة أمين هذه الأمة)) روينا عن البخاري ومسلم والترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(٢) : (إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح).

قوله : ((وهو ذلك المعنى)) أي : قول عمر رضي الله عنه : ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون(٣) ، ذلك المعنى الذي قاله ابن مسعود، وهو الأمة الذي يعلّم الخير.

قوله : ((القانت القائم بما أمره الله)). الراغب(٤) : [القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع، وفُسِّر بكل واحد منهما في قوله : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾(٦) قيل : خاضعون، وقيل : طائعون، وقيل : ساكنون، ولم يعن به [كل السكوت، وإنما أعنى به ما قال صلى الله عليه وسلم : (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدمين، وإنما هي قرآن وتسبيح)(٧) وعلى هذا سئل أيّ الصلاة

---

(١) الإستيعاب لابن عبد البر مع الإصابة ٧١/٢.

(٢) البخاري مع الفتح ٩٢/٧-٩٣ كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه . ومسلم١٨٨١/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه . والترمذي ٦٢٣/٥ كتاب المناقب، باب مناقب معاذ وزيد بن ثابت وأبيّ وأبو عبيدة بن الجراح برقم ٣٧٩٠

(٣) لم أقف عليه، ويرجع لحديث عبد الله بن مسعود آنفاً.

(٤) الراغب في مفرداته ٤١٣.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٨.

(٦) سورة البقرة الآية ١١٦.

(٧) أخرجه مسلم برقم ٥٣٧ وأبو داود برقم ٩٣٠ والنسائي ١٧٩/١ والدارمي ٣٥٣/١ وأحمد ٤٤٧/٥ ، ٤٤٨ وإرواء الغليل ١١١/٢ وشرح السنة للبغوي ٢٣٧/٣-٢٣٨.

أفضل؟ فقال : طول القنوت، أي : الاشتغال بالعبادة ورفض كل ما سواه، وقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً ﴾](١) .

قوله : ((الآن وجبت مؤاكلتكم شكراً لله تعالى))(٢) يعني : إنما يصح الشكر في المؤاكلة إذا كان فيها التكلّف والمشقّة، ولا شكّ أن المؤاكلة مع المجذوم مما ينفر منه الناس وتنفر منه النفس.

قوله : ((اجتباه اختصه)) قال الراغب(٣) : [جبيت الماء في الحوض جمعته، والاجتباء الجمع على سبيل الاصطفاء، واجتباء العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي، يتحصل له منه أنواع من النّعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء ومن يقاربهم من الصديقين والشهداء، قال تعالى : ﴿ يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾(٤)].

قوله : ((هي تنْويه الله بذكره))(٥) وهو من إضافة المصدر إلى الفاعل، ناهَ يَنُوهُ إذا ارتفع، ونوَّهْتُه تَنْويهاً إذا رفعته، ونَوَّهت باسمه إذا رفعت بذكره.

قوله : ((في ﴿ ثم ﴾ هذه ما فيها))(٦) إبهامية نحوها في قوله : ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾(٧) وفيها تكرير للظرف نحو قولهم : فيك زيد راغب، فيك، أي : حصل من إتيان (ثم) التي تعطي معنى التراخي في علوّ الرتبة مجازا، تعظيم منزلة رسول الله صلى

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ ، م غلطاً، لأنه في الراغب كما بينا.

(٢) ذكر (ز) هذه القصة، عند قوله تعالى : ﴿ شاكراً لأنعمه ﴾ قال : روى أن (إبراهيم) كان لا يتغذى إلا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفاً، فأخّر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام، فخيلوا له أن بهم جذاماً، فقال : ((ألآن وجبت مؤاكلتهم شكرا لله تعالى)) على أنه عافاني وابتلاكم.

(٣) الراغب في مفرداته ٨٧ مادة (جبي)

(٤) سورة الشورى الآية ١٣.

(٥) تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وآتيناه في الدنيا حينة ﴾ قال (ز) : ﴿ حسنة ﴾ عن قتادة : ((هي تنويه الله بذكره)).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ النحل الاية ١٢٣.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ثم أوحينا إليك ﴾ : في ﴿ ثم ﴾ هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله.

(٧) سورة طه الآية ٧٨

ا الله عليه وسلم وإيذان أن شرف ما أوتي خليل ا الله اتّباع رسول ا الله ملّته، يعني : لما أمر حبيب ا الله باتباع ملة خليل ا الله حصلت لخليل ا الله منزلة عالية، لا يدانيها ما وصف به من ابتداء قوله : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً ﴾ إلى هنا، قال صاحب الانتصاف(١) : [كأنه قال : وههنا ما هو أعلى من ذلك قدراً ورتبةً، وهو أن سيد البشر متبع لملة إبراهيم مأمور باتباعه بالوحي، ففي ذلك تعظيم لهما جميعاً، ولكنّ نصيب النبي صلى ا الله عليه وسلم في هذا التعظيم أوفر وأكبر].

قوله : ((وبال السبت))(٢) وبال ترك تعظيم السبت. قال محي السنة(٣) : [قيل : معناه : إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه، أي : خالفوا فيه، وقيل : معناه : ما فرض ا الله تعظيم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه.

قوله : ((والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب المثل للقرية التي كفرت بأنعم ا الله مثلاً، وغير ما ذكر))(٤) عطف على أنعم ا الله، أي : كفرت بأنعم ا الله وبغير أنعم ا الله، ويأباه بيان غير ما ذكر بقوله : ((وهو الإنذار من سخط ا الله)) إلى آخره. لأن مثل هذا الإنذار من أجل النعم. ويمكن أن يقال : إنه عطف على قوله : في ضرب القرية من حيث المعنى يريد المعنى في ذكر هذه الآية نحو المعنى المذكور في قوله : ﴿ ضرب ا الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ... الآية ﴾ وهو الاعتبار، وإيتاء النعمة والأمن والاطمئنان وكفرانها. ثم استئصالها في الدنيا. ونحو غير ما ذكر فيه، وهو أن أهل هذه القرية أنذرتهم أنبياؤهم بأن يعظموا أمر السبت ولا يتعرّضوا لسخط ا الله بهتك حرمته، فخالفوهم وخلعوا ربقة الطاعة عن أعناقهم، فيجب أن يقدّر فيها هذا المعنى لكون

---

(١) صاحب الإنتصاف مع الكشاف ٦٤٣/٢ .مع تصحيح بعض العبارات.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ النحل الآية ١٢٤.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ السبت ﴾ : والمعنى : إنما جعل السبت ((وبال السبت)) وهو المسخ ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾.

(٣) محي السنة هو الإمام البغوي في تفسيره ٥١/٥.

(٤) تابع لتفسير قوله : ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾ واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه ... الخ.

الآيتين واردتين في الفريقين من المشركين واليهود، وبعد ما نعى عليهما تحريم ما أحلّه الله وتحليل ما حرمه، وبعد ما أنذروا وكفروا بنعم الله وادّعوا أنهم متبعون ملة إبراهيم، فكذبوا بقوله : إن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً وشاكراً، وهؤلاء مشركون يعبدون من دون الله. واليهود يكفرون نعمه، ولم يكن متابعاً له إلا هذا النبي كما قال : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﴾[١] .

قوله : ((فما معنى الحكم بينهم))[٢] يعني : إنما يحسن إطلاق الاختلاف والحكم بين الفريقين إذا وقع التنازع بينهم، بأن كان بعضهم محلّين، وبعضهم محرّمين. وأما إذا كانوا جميعاً محلّين تارة، ومحرمين أخرى، فلا يقع التنازع والاختلاف، فما معنى قوله تعالى : ﴿ ليحكم بينهم ﴾ ؟. ووجه الجواب أن الاختلاف كما يقع بين المتنازعين، يقع أيضاً بين فعلين وإن لم يقع التنازع بين القوم.

قوله : ((ووجه آخر، وهو أن موسى عليه السلام أمرهم)) إلى آخره. هذا الوجه رواه الإمام[٣] : [عن ابن عباس، وقال : معنى اختلفوا على نبيهم حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، لأن اختلافهم في السبت كان اختلافهم على نبيهم في ذلك اليوم]، وينصر هذا التأويل، ما رواه البخاري[٤] ومسلم وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، يعني : الجمعة، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غدٍ) رواه الإمام احمد عنه، وقال : إن رسول الله صلى عليه وسلم

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٨.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن ربك يحكم بينهم ﴾ قال (ز) : فإن قلت : ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محرمين؟.

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٣٧/٢٠.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٥٤/٢ كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة من حديث أبي هريرة. ومسلم في صحيحه ٥٨٥/٢ كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. والنسائي ٨٥/٣ كتاب الجمعة، باب إيجاب الجمعة. ولم أجده في ابن ماجه . وأحمد في مسنده ٢٤٩/٢، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٧٣، ٥٠٢، ٥٠٤.

قال(١): (ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة، هدانا الله له، وأضل الناس عنه، فالناس لنا فيه تبع، اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، إن فيه لساعة لا يوافقها مؤمن يصلّي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه). وقال الإمام(٢) : إنه تعالى أمر محمداً صلوات الله عليه بمتابعة إبراهيم عليه السلام(٣) ، وهذه المتابعة إنما تحصل إذا قلنا : إن إبراهيم عليه السلام قد اختار يوم الجمعة. وعند هذا للسائل أن يسأل : فلم اختار اليهود السبت؟ فأجيب : ﴿ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ﴾.

قوله : ((ومعنى ﴿ جعل السبت ﴾ : فرض عليهم تعظيمه)) فعلى هذا ضمّن جعل فرض، فما وجب باستعانة ﴿ على ﴾، وعلى الوجه الأول قدّر مضافاً لتعلق الجارّبه، وهو قوله : ((جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه)).

قوله : ((إن ربك هو أعلم بهم))(٤) إلى آخره، وضع المضمر موضع قوله : ﴿ من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ثم فصّله بفحو القرينتين، ليؤذن بأن المدعوّ في قوله : ﴿ إلى سبيل ربك ﴾ عام، وكذلك المجادل في قوله : ﴿ وجادلهم ﴾ كأنه تعالى يسلّيه صلوات الله عليه وسلم على إذهاب نفسه حسرات على عدم إيمان القوم، أي :

---

(١) أحمد في مسنده ٥١٩/٢.

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٥١/٥.

(٣) ويدل لهذا المعنى، وهو متابعة النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم عليه السلام قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٩١ : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ وقال تعالى في سورة الحج الآية ٧٨ : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ... الآية ﴾ وقوله في سورة الممتحنة الآية ٤ : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ... الآية ﴾

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ النحل الآية ٢٢٥.

قال (ز) في تفسير قوله : ((﴿ إن ربك هو أعلم ﴾ بهم))، فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل، والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

ما عليك إلا الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة على طريق اللين(١). وأما الهداية والإيمان فلا عليك. وأشار إلى التسلية بالإياس في قوله : ((وكأنك تضرب منه في حديد بارد)) وإنما قدم في التنزيل ذكر الضالين، لأن الكلام فيهم، وبه تقع التسلية، وأخّره المصنف بناء على قضية النظم ظاهراً، ثم إنه صلوات الله عليه لما جدّ في الإبلاغ، وبالغ فيه وفي مجادلتهم حرصاً منه على إيمانهم، وظناً منه أنه المسيطر على الكل، والقادر على إيجاد الهداية فيهم، أمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والمجادلة باللين والرفق، وعلل الأمرين بقوله : ﴿ إن ربك هو أعلم ﴾(٢) وكرر العلم، أي : ما عليك إلا البلاغ بالحكمة والمجادلة باللين، فمن علم الله فيه خيراً كفاه ذلك البلاغ، ومن علم أنه لا خير فيه، لا تجديه تلك المبالغة.

قوله : ((كأنك تضرب منه في حديد بارد)) (من) في قوله : ((منه)) تجريد، قال الميداني(٣) : [هذا مثل يضرب لمن طمع في غير مطمع. قال الشاعر(٤) :

** فإذا تساعدت النفوس على الهوى ** فالخلق يضرب في حديد بارد **

(من) في قوله (منه) تجريدية، لأنه جرد منه مثل الحديد البارد، وفي حديد كفى في قوله تعالى : ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ .

قوله : ((سمى الفعل الأول))(٥) أي : ﴿ فعاقبوا ﴾ باسم الثاني، وهو ﴿ كما عوقبتم به ﴾، وهو من باب المشاكلة، سماه المزاوجة لغة، وإنما المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول الشاعر(٦) :

---

(١) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤٦ : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ... الآية ﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون في سورة طه الآية ٤٤ : ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وهكذا يجب على الداعية إلى الله عزوجل، وهكذا سبيل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢) وكرر جل وعلا مثل هذه الآية لعلمه بمن ضل من عباده، ومن اهتدى منهم. قال في سورة النجم الآية ٣٠ : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ وقال في الأنعام الآية ١١٧: ﴿ إن ربك هو أعلم بمن يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾.

(٣) ٩/٢٢١ رقم المثل ٨٣٢٦

(٤) لم أقف على قائله.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ النحل الآية ١٢٦. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا ... الآية ﴾ : ((سمى الفعل الأول باسم الثاني)) للمزاوجة، والمعنى : إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله.

(٦) لم أقف على قائله

** إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى ** أصاخت إلى الواشي فلجّ به الهجر **.

قوله : ((إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله)) قال القاضي(١) : [لما أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة وبيّن له طرقها أشار إليه وإلى من يتابعه بترك المخالفة، ومراعاة العدل مع من يناصبهم، فإن الدعوة لا تنفك عنه، من حيث إنها تتضمّن رفع العادات وترك الشهوات والقدح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال].

قوله : ((حنظلة بن الراهب(٢) . وفي الإستيعاب(٣) : هو حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري، أبو عامر، يعرف بالراهب في الجاهلية، قدم مع قريش يوم أحد محارباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق. مات بالروم كافراً. وأما ابنه حنظلة فهو المعروف بغسيل الملائكة، قتل يوم أحد شهيداً. قالت امرأته : حنظلة أجنب وغسلتُ إحدى شقي رأسه، فلمّا سمع الهَيْعَةَ(٤) [خرج، فقُتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت الملائكة تغسله].

قوله : ((فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله))(٥) الراغب(٦) : [الصبر : الإمساك في ضيق، يقال : صَبَرْتُ الدابة، حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً خلَفْتُه خِلْفة

---

(١) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٥/٣.

(٢) متعلق بما قال (ز) : روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد ...الخ ((إلا حنظلة بن الراهب)).

(٣) الإستيعاب مع الإصابة ٢٨٠/١.

(٤) (الهيعة) الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدوّ . النهاية ٢٨٨/٥.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ قال (ز) : ﴿ هو ﴾ إلى صبرهم، وهو مصدر ﴿ صبرتم ﴾ ، ويراد ﴿ بالصابرين ﴾ المخاطبون، أي : ولئن صبرتم لصبركم خير لكم ((فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله)) عليهم بأنهم صابرون على الشدائد. ((أوصفهم بالصفة)) التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة.

(٦) الراغب في مفرداته ٢٧٣ مادة (صبر).

لا خروج له منها، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو كلاهما، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة، سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مُضْجرة، سمي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ، ويضادة الـمَذْلُ، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً، ونبّه عليه بقوله : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾] يقال[١] : رجل مَذِلٌ، أي : باذل لما عنده من مال أو سِرٍّ.

قوله : ((أو وصفهم بالصفة)) عطف على قوله : ثناء عليهم من الله، يعني : وضع الصابرين موضع ضمير المخاطبين مجازاً، لأنهم عند الخطاب ما كانوا صابرين فسماهم الله به، إما لمجرد المدح والثناء، لأن الصبر من أعظم أوصاف المتقين، وإما لاكتسائهم بلباس الصبر، جُعلوا صابرين ترغيباً على الصبر، وعلى أن يراد بالصابرين الجبس لا يكون من وضع المظهر موضع المضمر، فلا يكون مجازاً، بل يكون من باب الكناية، فيدخل في هذا العام المخاطبون دخولا أولياً.

قوله : ((كأنه قيل : ((وللصبر خير للصابرين)) حاصل الوجوه أن معنى التركيب أن الصبر عن المعاقبة وترك المقابلة[٢] خير من استيفائها، كقوله تعالى : ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾[٣] ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾[٤] .

---

(١) الأساس للزمخشري : مَذِل بما له، ومَذِل بسرّه. ٥٨٧ مادة (مذل).

(٢) في ب المعاقبة.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

(٤) سورة الشورى الآية ٤٠.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٤٥ : ﴿ ... والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ... الآية ﴾ وقوله في سورة الشورى الآية ٤١ : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ... إلى قوله : ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾.

قوله : ((فمعزم عليه))(١) بالصبر، الأساس(٢) : [عزمت عليك لما فعلت كذا بمعنى أقسمت] أي : وكّد عليه أمر الصبر بأن أمره وحده بالصبر، بعد ما حثّهم عليه بالتركيب القسمي، لأن اللام في ﴿ لئن صبرتم ﴾ موطئة للقسم، وفيه معنى الأمر، ثم بين بأداة الحصر أن الصبر عليه سهل لكونه بتوفيق ا لله وتسديده.

قوله : ((وما فعل بهم الكافرون)) أي : من المثلة(٣) .

قوله : ((ولا يضيق صدرك))(٤) وهو من باب لا أرتيك ههنا، أي : ولا تكن بحيث يضيق صدرك إذا نابك منهم مكروه، أي : لا تباشر القلق والضجر، وذلك مستفاد من نهي كَيْنُونَتِه في ضيق والعدول من ﴿ولا يضيق صدرك﴾ .

قوله : ((والضيق تخفيف الضيق)) قال أبو البقاء(٥) : [ضَيق بفتح الضاد فيه وجهان : أحدهما : أنه مصدر ضاق مثل سار سيراً. والثاني : هو مخفّف من الضيق، أي : في أمر ضيق، مثل سيد وميت] .

تمت السورة بحمد ا لله وعونه وحسن توفيقه . وا لله أعلم

****

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا با لله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن ا لله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ النحل الآية ١٢٧-١٢٨ .

تفسير (ز) لقوله : ﴿ واصبر ﴾ أنت يا محمد صلى ا لله عليه وسلم ((فعزم عليه بالصبر)).

(٢) الأساس ٤١٩ مادة (عزم)

(٣) يشير إلى ما فعله كفار قريش بحمزة عم النبي صلى ا لله عليه وسلم رضي ا لله عنه، وقد مثل به المشركون، فرآه بُقر بطنه، واصطلم أنفه، فقال صلى ا لله عليه وسلم : لئن أظفرني ا لله بهم لأمثلن بسبعين مكانه، فنزلت : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... إلى قوله : واصبر وما صبرك إلا با لله ﴾ فصبر ولم يمثل بأحد. أسباب النزول للواحدي ٣٢٧.

(٤) تفسير قوله : ﴿ ولا تك في ضيق ﴾ أي ((ولا يضيق صدرك)) من مكرهم.

(٥) أبو البقاء في إملائه ٨٧/٢.

سورة بنى إسرائيل مكية، وهى مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ((سبحان))(1) عَلَمٌ للتسبيح كعثمان، الراغب(2) : [السبح المرّ السريع فى الماء، أو فى الهواء ، يقال : سَبَحَ سَبْحاً وسِباحَةً ، واستعير لمرّ النجوم في الفلك ، نحو ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾(3) ولجرى الفرس نحو ﴿ والسابحات سبحا﴾(4) ولسرعة الذهاب فى العمل ﴿ وإن لك في النهار سبحا طويلا ﴾(5) والتسبيح تنزيه الله تعالى ، وأصله المرّ السريع فى عبادة الله ، وجعل ذلك في فعل الخير ، كما جعل الإبعاد فى الشر فقيل : أبعده الله ، ثم جعل التسبيح عاما في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية ، قال تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾(6) وقال : ﴿ ونحن نسبّح بحمدك ﴾(7) ، وسبحان أصله مصدر كغفران] ، قال أبو البقاء(8) : [سبحان اسم واقع موقع المصدر وقد اشتق منه سَبّحتُ ، والتسبيح ، ولا يكاد يستعمل إلا مضافا، لأن الإضافة تبين مَن المعظم ، فإذا أفرد عن الإضافة كان اسما علما للتسبيح لا ينصرف للتعريف ، والألف والنون فى آخره مثل عثمان] . وقال ابن الحاجب : والدليل على أن سبحان علم للتسبيح قول الشاعر :(9)

---

(1) تفسير قوله تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ﴾ الآية (1) من سورة الاسراء .

(2) الراغب فى مفرداته ٢٢١ مادة (سبح) .

(3) سورة الأنبياء الآية ٣٣ .

(4) سورة النازعات الآية ٣ .

(5) سورة المزمل الآية ٧ .

(6) سورة الصافات الآية ١٤٣ .

(7) سورة البقرة الآية ٣٠

(8) أبو البقاء فى إملائه ٢٩/١ عند قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٣٢ ﴿ قالوا سبحانك لاعلم لنا ﴾

(9) الشاعر أعشى بني ثعلبة ، فقوله : (سبحان أى براءة من علقمة) واسمه "ربيعة بن يحى بن معاوية" من بنى تغلب ، شاعر اشتهر فى العصر الأموي ، كان يمدح "الوليد بن عبدالملك" . أنظر : الأعلام

** قد قلت لما جاءني فخـــره ** سبحان مَن علقمةَ الفاخر **

ولولا أنه علم لوجب صرفه ، لأن الألف والنون فى غير الصفات إنما يمنعُ مع العلميـة ؛ ولا يستعمل علَمًا إلا شاذًا ، وأكثر استعماله مضافا فليس بعلـم لأن الأعلام لا تضاف . والتسبيح مصدر سبّح أي قال : سبحان الله ، ومدلـول سبحان تنزيه لا لفظ ، لكن ورد التسبيح بمعنى التنزيه .

قوله ((ودل على التنزيه البليغ)) وذلـك فـى جلـب هـذا المصدر فـى أصـل التركيب للتوكيد ، وهو أُسبِّح تسبيحا ، ثم أسبّح سبحان ، ثـم فـى حـذف العـامل وإقامته مقام الدلالة على أن المطلوب بالذات المصـدر ، والفعـل تـابع فيفيـد الإخبـار بسرعة وجود التنزيه . وأما قوله ((التنزيه البليغ)) من جميع القبائح التى يضيفها إليه أعداء الله مما يأباه مقام الإسراء إباء العيوف الورود وهو مزيّفٌ ، بل معناه التعجب، كما قال في النور[1] [الأصل فى ذلك أن يسبّح الله عند رؤية العجيب من صنائعـه ، ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه].

قوله : ((أراد بقولـه ﴿ ليـلاً ﴾ [2] بلفـظ التنكـير تقليـل مـدة الإسـراء وأنـه أسرى به فى بعض الليل . قال صاحب الفرائد : قوله [أراد بقولـه ﴿ ليـلاً ﴾ بلفـظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسري به في بعض الليل. قال صاحب الفرائد : قوله : ((أراد بقوله ليلاً)) بلفظ التنكير ، تقليل المدة مسلّم ، وأما قوله في بعض الليل فغير مسلّم ، لأن (ليْلاً) يحتمل الكل ، فلا يلزم البعض فالبعضية بحسب العدد لا بحسـب الجزء ، ولأنه لو لم يذكر (ليْلاً) بعد الإسراء لم يعلم مقدار الإسـراء ، لأنـه يمكـن[3]

للزركلى ١٧/٣ ، والبيت فى ديوانـه ١٤٣ ، ومقـاييس اللغـة ١٢٥/٣ ، وغـير ذلـك ، ومحـل الشـاهد مـن البيت: أن (سبحان) ملازمة للإضافة ، وورودها غير مضافة قليل ، مثل هذا البيت .

(١) انظر سورة النور الآية ١٦ جـ ٢٢٠/٣ .

(٢) تفسير قوله (ليلا) قال ز : فإن قلت : الإسراء لا يكون إلا بالليل ، فما معنى ذكر الليل ؟ قلت ((أراد بقوله (ليلا) بلفظ التنكير .. الخ .

(٣) لأنه أمكن في ب ، ت .

أنه أسرى به ليالي ، كقوله تعالى : ﴿ سيروا فيها ليالي ﴾ (٤) ومن قال : إن ذكره للتأكيد ليس بشئ لأنه لا بدّ من ذكره وقراءة عبدا لله وحذيفة (١) لو كانت بدون لام التعريف أعنى بعض ليل لكانت شاهدةً لذلك ، لأن بعض الليل يمكن أن يكون المراد به بعض الليالي ، فيكون الذى أسرى به ليلاً من الليالي ، وأجيب بأن الاسم الحامل لمعنى التنكير محتمل ، لأن يكون للإفراد شخصا أو نوعا ، ويحتمل أن يكون للتعظيم والتهويل أو التكثير أو التقليل فهو إذاً كاللفظ المشترك ، وإنما يتبيّن معناه بقيام قرينة مبيّنة ، فقوله ﴿ ليلاً ﴾ يحتمل أحد هذه المعانى ، وإنما يتعيّن بمقيد . ولا خلاف أن الإسراء لم يكن أكثر من ليلة فجئ بليل ، وقلّ ليدلّ على أنها كانت فى بعض من تلك الليلة المعلومة ، على أن تصدير السورة بالكلمة الدّالة على التّعجب البليغ ، مناد بحدوث أمر خارق للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها إلا ا لله عزّ وجل ، وهي كما قال : أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وكذا دلالة قراءة عبدا لله وحذيفة(٢) ، وما ذهب إليه أن بعض الليل يمكن أن يكون المراد به بعض الليالي بعيد جدّا ، ولا يخفى على أحد أن قوله ﴿ ومن الليل فتهجّد به ﴾ (٣) ليس المراد ما قاله . وقال في الانتصاف(٤) [وقد جرى ذكر الليل في موضع لا يليق به الجواب الذى ذكره الزمخشري وهو قوله : ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ (٥) والظاهر أن ذكر الليل لتصوير السُّرى بصورته ، أو لأن السُّرى دلّ على أمرين السير وكونه ليلاً فأفرد أحدهما بالذكر تقوية له فى ذهن المخاطب مثله قوله تعالى: ﴿ لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾(٦) فإن الاسم الحامل للتثنية دالّ عليها وعلى الجنسية ،

---

(١) هذه القراءة ذكرها أبو حيان فى البحر المحيط ٥/٦ .

(٢) (سبحان الذى أسرى بعبده من الليل) أى بعض الليل ، أنظر البحر المحيط ٥/٦ ، والطبرى ٢/٩.

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٤٦/٢ .

(٥) سورة هود الآية ٨١ ، والحجر الآية ٦٥ .

(٦) سورة النحل الآية ٥١ .

فأكّد التثنية لأنها مقصودة بالإبطال كما مرّ . وأجيب بـأن بين المقامين بَوْنٌ بعيـد ، لأنه ما وقع النزاع في أن عروجه صلوات الله عليه كان ليلاً أو نهاراً ، كما وقـع في اتخاذ الإله ، والعدد في تلك الآية ، وإنما هو بيان إبداء أمر غريب خارق للعـادات (١) وأما قوله ﴿ بقطع من الليل ﴾ فهو له لا عليه ، لأنه أتى بالليل هنـاك ونكّـر ليضمّن المعنى المقصود فى الإيراد (من) التبعيض . وجيء بقوله ﴿ من الليل ﴾ هنا ليبيّن أن البعض ما هو ، فهذا منصوص(٢) فيه البعضية ، وذاك مضمن(٣) . والحاصل أن إعادة الشيء لإناطة أمر زائد أسلوب من الأساليب) وأقول والعلـم عنـد الله : ويمكـن أن يراد بالتنكير التعظيم والتفخيم(٤) ، والمقام يقتضيه ، ألا ترى كيـف افتتحـت السـورة بالكلمة المنبئة عنه ؟ ثم وصف المسري به بالعبودية ، ثم أردف تعظيم المكانين بالحرام وبالبركة لما حوله تعظيم الزمان ، ثم تعظيم الآيات بإضافتها إلى صيغة التعظيم وجمعها ليشمل جميع أنواع الآيات ، وكل ذلك شاهد صدق على ما نحن بصدده ، والمعنى ما أعظم شأن من أسرى بمن حقّق له مقام العبوديـة وصحّـح استهاله للعنايـة السـرمدية (ليلاً) أي ليلٌ له شأن جليل ، ليلٌ دنا الحبيب من المحبوب ، وفاز فى مقـام الشـهود بالمطلوب ﴿فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فـأوحى إلى عبـده مـا أوحـى مـا كـذب الفؤاد ما رأى﴾(٥) فحينئذ ينطبق عليه التعليل بقوله ﴿ إنه هو السـميع البصير ﴾ أى السميع بأحوال ذلك العبد والبصير لأفعاله العالم بكونها مهذّبة خالصـة مـن شـوائب الهوى ، مقرونـة بـالصدق والصفـا . مسـتأهلة للقربـة والزلفـى ، ولا بعـد أن يرجـع الضمير إلى العبد (٦) كما نقل أبو البقـاء (٧) عن بعضـهم [قـال إنـه السـميع لكلامنـا

---

(١) ما بين القوسين س من ت ، والصواب ما أثبتناه فى النسخ الأخرى .

(٢) فى ب (منصوب) فيه البعضية ، والصواب غيره .

(٣) ذكر الطبري ٩/٢ أن قوله ﴿ ليلاً ﴾ أي من الليل .

(٤) ذكر القولين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله فى اضواء البيان ٣٦٢/٣ .

(٥) سورة النجم الآيات من ٨ – ١١ .

(٦) تفسر قوله تعالى ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ .

(٧) أبو البقاء في إملائه ٨٧/٢ قال فى مرد الضمير فى قوله ﴿ إنه فو السـميع البصـير ﴾ (إنـه) لله تعالى، وقيل : للنبي صلى الله عليه وسلم ((أي أنه السميع لكلامنا البصير لذاتنا)) .

والبصير لذاتنا] ، وأما توسّط ضمير الفعل فللإشعار باختصاصه بهذه الكرامة وحده، ولهذا عقّب بقوله : ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ ، لأنه جاء مستطرداً لحديث الإسراء وسماع الكلام ومنح القربة والزلفى ، والجامع أن موسى عليه السلام إنما أعطي التوراة عند مسيره إلى الطّور ، وهو بمنزلة معراجه عليه السلام ، لأنه هنالك شرف بالكلام ، ومنح التكليم ، وطلب الرؤية . وسيجيء في سورة النجم إن شاء الله الكلام في إثبات الرؤية لسيدنا صلوات الله عليه . وأقوال الصحابة ...[1] والعلماء مستوفىً . ولعلّ السر في مجيء الضمير مجملاً [2] محتملاً للأمرين ، الإشارة إلى المطلوب ، وأنه صلوات الله عليه وسلم إنما رأى ربّ العزّة وسمع كلامه به . روينا في صحيح البخاري [3] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت ، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبه ، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها

---

(١) الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربّه بعين رأسه ، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه بعينه ، فالمراد به الرؤية بالقلب كما في صحيح مسلم أنه رآه بفؤاده مرتين ، كما في مسلم ١٥٨/١ كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء من حديث ابن عباس قال: رآه بفؤاده مرتين ، الحديث رقم ٢٨٥ . وحديث ابن أبي شيبة في مسلم عن ابن عباس أنه رآه بقلبه ، الحديث رقم ٢٨٤ . ولحديث أبي ذرّ رضي الله عنه كما في مسلم ١٦/١ كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه ، وقوله : رأيت نورا . قال أبو ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال : نور أنى أراه ، الحديث رقم ٢٩١، ٢٩٢ . ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه، يُرفَعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور (وفي رواية أبي بكر : النار) ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، الحديث رقم ٢٩٣ كتاب الإيمان ، ١٦١/١ . وانظر : أضواء البيان ٣٦٣/٣ قال : التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه لم يره بعينه ، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ولا يصح في رؤية البصر شيء ، ومن قالها فقد أغرب ، فإنه لا يصح فيها شيء عن الصحابة رضي الله عنهم . وانظر : تفسير السمعاني رحمه الله عند قوله ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ النجم الآية ١١ ، وتعليقنا عليه ٢٢٠/٢ .

(٢) في قوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ .

(٣) تقدم تخريجه عند تفسير قوله تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ الآية ٩٨ من سورة الحجر .

ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، وإن استعاذني أعذته ، الحديث) ، وفي حقائق السلمي [1] قال ابن عطاء : [ظهر مكانُ القربَة وموقف الدُّنوّ عن أن يكون فيه تأثير لمخلوق بمحال ، فسار بنفسه ، وسرى بروحه ، وسير بسرّه، فلا السر عَلِم ما فيه الروح ، ولا الروح عَلِم ما يشاهد السر ، ولا النّفس عندها شيء من خبرهما، وما هما فيه ، وكل واقف مع حدّه ، مشاهد للحقّ مُتلقّياً عنه بلا واسطة ولا بقاء بَشَرِيّةٍ ، بل حقّ تحقّق بعبده ، فحقّقه وأقامه حيث لا مقام وأوحى إليه ما أوحى جلّ ربنا وتعالى . وقال : قال رجل لجعفر [2] بن محمد : صِفْ لي المعراج ، قال: كيف أصف لك مقاماً لم يسمع فيه جبريل مَعَ عِظَم محلّه ، وقال النصر [3] أبادي : أسقط العلل والاعتراضات بقوله ﴿ أسرى ﴾ ولم يقل : سرى، لأن القدرة تحمل كل شيء. وقال بعضهم : قيل ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ فغمض عينه عن الآيات شغلا منه بالحقّ ، ولم يلتفت إلى شيء من الآيات والكرامات ،فقيل له : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[4]، حيث لم يشغلك مالنا عنّا ، انتهى ما في الحقائق [5]] .

قوله ((فقيل هو المسجد الحرام [6])) بعينه ، وهو الظاهر لما روينا عن البخاري[7] ومسلم والترمذي والنسائي عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة

---

(١) تقدمت ترجمته، ولا يخفى أنه من غلاة الصوفية ، فقد قال كلاما فيه ما فيه من الغلو وادعاء شيء لا دليل عليه ولا يحمله اللفظ القرآني ، ولم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين أبو عبد الله الملقب بالصادق ، لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، كان من أجلاء علماء التابعين ، أخذ عنه مالك بن أنس وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى ، الأعلام ١٢٦/٢ ، ووفيات الأعيان ١٠٥/١ ، ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٤٨ .

(٣) النصر أبادي لم أقف على ترجمته .

(٤) سورة القلم الآية ٣ .

(٥) وفي الحقائق ما هو بعيد عن الحقائق . والله أعلم .

(٦) تفسير قوله ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قال ز : واختلف في المكان الذي أسرى منه ((فقيل : هو المسجد الحرام)) في الحجر عند البيت .

(٧) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٠٢/٦ كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وأطرافه الحديث رقم ٣٣٩٣ ، ٣٤٣٠ ، ٣٨٨٧ . ومسلم ١٥٠/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات . والترمذي ٤١٢/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة ألم نشرح . والنسائي ٢١٧/١ كتاب الصلاة ، باب فرض الصلاة ، وذكر اختلاف الناقلين كلهم من حديث قتادة عن أنس ابن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهم .

أن نبي الله حدثهم عن ليلة أسري به قال : بينا أنا في الحطيم ، وربّما قال في الحجر مضّطجع ومنهم من قال : بين النائم واليقظان إذ أتاني آتٍ ، وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم (١) عن أنس قال : كان أبو ذرّ يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فُرِج سقف بيتي وأنا بمكّة .

قوله ((قال : وإن كذّبوني))(٢) أي أنا أخبرهم وإن كذّبوني .

قوله ((هلمّ فحدّثهم)) ، أي قال هلم : فجاؤوا واستمعوا الحديث فحدّثهم، فالفاء فصيحة .

قوله ((تعجّباً وإنكاراً))(٣) يشير لقوله ((مصفّق و واضع)) من غير ترتيب، وتقديره فلمّا سمعوا هذا الكلام افترقوا فرقتين من غير ريب ، فبعضهم مصفّق منكر، وبعضهم واضع يده على رأسه متعجّباً .

قوله ((مَن سافر إلى ما ثَمّ (٤))) ثَمّ عبارة عن المسجد الأقصى وما كنّا به عن المواضع التي حول المسجد الأقصى .

قوله ((فاستنعتوه المسجد)) ، روينا في صحيح البخاري(٥) عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لّما كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فَجَلَى الله تعالى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر فيه .

قوله ((جمل أورق)) (٦) قال الأصمعي : [الأورق من الإبل الذي في لونه

---

(١) البخاري مع الفتح ٣٧٤/٦ كتاب الأنبياء ، باب ذكر إدريس عليه السلام ومسلم في صحيحه ١٤٨/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء .

(٢) يشير (ز) إلى ما قصه النبي صلى الله عليه وسلم على أم هانئ من الإسراء ، وقولها له : أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم ، قال : ((وإن كذبوني)) .

(٣) يشير إلى قول أبي جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي ((هلمّ)) فحدّثهم ، فمن بين مصفّق و واضع يده على رأسه ((تعجبا وإنكارا)) .

(٤) يشير إلى أن بعضهم قد سافر إلى بيت المقدس ويعرفه ، فطلبوا منه أن يصفه لهم .

(٥) البخاري مع الفتح ١٩٦/٧ كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث الإسراء . وانظر الحديث رقم ٤٧١٠ . وأحمد في مسنده ٣٧٧/٣.

(٦) يشير إلى قولهم له : أخبرنا عن عيرنا ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ، وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ((يقدمها جمل أورق)).

بياض إلى سواد [1]] .

قوله ((وكان العروج به من بيت المقدس . روى البخارى ومسلم[2] عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد أتيت بالبراق إلى قوله : فركبته حتى أتيت بيت المقدس إلى قوله : ثم عرج بنا إلى السماء الحديث .

قوله ((وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك قال الشيخ محى الدين[3] في شرح صحيح مسلم : قد لخّص القاضي عياض رحمه الله في الإسراء جُملاً حسَنَةً نفيسة فقال : [اختلف الناس في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : إنما كان جميع ذلك في المنام[4] . والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه صلى الله عليه وسلم أسرى بجسده[5] والآثار تدل عليه لمن طالعها ولايعدل عن ظواهرها إلابدليل ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج إلى تأويل] وقال محى السنه[6] فى المعالم [والاكثرون على أنه صلوات الله عليه أسرى بجسده فى اليقظة و تواترت الأخبار الصحيحة على ذلك] و قلت : وروينا عن البخارى و الترمزي[7] عن إبن عباس في قوله ((و ما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا

(1) الصحاح للجوهري ١٥٦٥/٤ قال الأصمعي : الأورق من الإبل إلخ مادة (ورق)

(2) أخرجه مسلم ١٤٥/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء إلخ وأحمد في مسنده ، ١٤٨/٣ والبخارى ٦٦/٥ باب المعراج

(3) انظر : شرح صحيح مسلم للنووى ٤/٢ والشفا للقاضى عياض ٢٤٦/١

(4) وإلى هذا القول ذهب معاوية بن أبى سفيان وعائشة رضى الله عنهما . انظر القرطبى ٢٠٨/١٠ والشفا للقاضى عياض ٢٤٥/١

(5) وممن قال بذلك ابن عباس وجابر وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبو هريرة ، ومالك بن صعصعة وابن مسعود والضحاك ، وسعيد بن حبير وقتادة ، وسعيد بن المسيب وابن شهاب وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين . انظر الشفا للقاضى عياض ٢٤٦/١ وأنه بالجسد والروح معاً وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح انظر القرطبى ١٠ /٢٠٨ والشفا للقاضى عياض ٢٤٦/١

(6) البغوى في تفسير ٥٨/٥

(7) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٩٨/٨ كتاب التفسير، باب (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) الآية ، والترمذي ٢٨٢/٥ كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)

فتنة للناس (١)))، قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، و في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس (٢) قال: (شيء أريه النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة رآه بعينه حين ذهب إلى البيت) ولأنه قد أنكرته قريش و ارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه (٣) وإنما ينكر إذا كانت في اليقظة فإن الرؤيا لا ينكر منها ما هو أبعد من ذلك على أن الحق أن المعراج مرتان، مرة بالنوم و أخرى باليقظة، قال محي السنة (٤) [رؤيا أراه الله تعالى قبل الوحي بدليل قول من قال: فا ستقيظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان].

قوله ((هي من طرق البلاغة)) وذلك أن قوله ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ (٥) يدل على مسيره من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فهو بالغيبة أنسب وقوله ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ دلّ على إنزال البركات، وتعظيم شأن المنزل، فهو بالحكاية على التفخيم أحرى وقوله (ليريه) بالياء إعادة إلى مقام السترْ والغيبوبة من هذا العالم، فالغيبة بها أليق. وقوله ﴿ من آياتنا﴾ عود إلى التعظيم على ما سبق. وقوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ بشارة إلى مقام اختصاصه بالمنح والزّلفى وغيبَة شهوده في عين بي يسمع وَ بِي يُبْصر، فالعود إلى الغيبة أولى.

قوله ((أن لاّ يتّخذوا)) قرأ بالياء أبو عمرو (٦) والباقون بالتاء الفوقانية.

---

(١) سورة بني إسرائيل الآية ٦٠

(٢) أحمد في سنده، ١/ ٣٧٠

(٣) القرطبي ١٠/ ٢٠٩ والبغوى ٥ /٦٥

(٤) محي السنة البغوى في تفسيره، ٥/ ٦٥

(٥) يشير إلى قراءة الحسن (ليريه) قال(ز):ولقد تصرف الكلام على لفط الغائب والمتكلم ،فقيل: (أسرى) ثم (باركنا) ثم (ليريه) على قراءة الحسن، ثم (من آياتنا) ثم (إنه هو) وهي طريقة الالتفات (التي هي من طرق البلاغة))

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرّية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ الإسراء الآية ٢،٣ .

قال أبو البقاء (١) : [أمّا تقدير الياء التّحتانية ، فهو ﴿ جعلناه هدى ﴾ لئلا يتخذوا ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ (٢) ليلا يتخذوا] ، وأما تقدير التاء ففيه وجهان ، (أنْ) بمعنى أي ، وهي مفسرة لما تضمّنه الكتاب من الأمر والنهي، وثانيهما (أن لا) زائدة (٣) والتقدير مخافة أن يتّخذوا ، وقد رجع في هذا من الغيبة إلى الخطاب .

قوله ((أي ولا تجعلوهم أرباباً))(٤) يريد أنّ في اختصاص هذا الوصف ، وهو كونهم ذرية المحمولين مع نوح وترتّب حكم النهي عن الإشراك عليه إشعاراً بأنهم لا يصلحون لأن يكونوا أرباباً من دون ا لله لأنهم عاجزون محصورون في ذات ألواح ودُسُر ، فكيف يصحّ أن تتّخذوا وكلاء من دون ا لله (٥) ؟

قوله ((ولا يشركوا بي)) عطف تفسير لقوله ﴿ لا تتّخذوا من دوني وكيلاً ﴾ .

قوله ((لأن نوحا كان عبداً شكوراً)) أي أنه كان مُوَحِّداً ، لأن الشاكر من يقوم بجملته وشراشره (٦) في خدمة النِّعَمِ ، قال :

** أفادتكم النعماء منّي ثلاثة ** يدي ولساني والضمير المحجبا **(٧)

فإذا توهّم أدنى شركة فيه لم يكن شاكراً حقيقة لاسيما والشكور من ابنية المبالغة (٨)

---

(١) أبو البقاء في إملائه ٢/ ٨٧ .

(٢) (أو آتينا) في ب ، ت ، م .

(٣) وبهذا التوجيه وجّه ابن زنجلة في كتابه الحجة ٣٩٦ ، قال : ويجوز أن تكون (أن) زائدة ، وتضمر القول. المعنى ﴿ وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ وقلنا لهم ﴿ لاتتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح ﴾ الاية

(٤) يعني ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى و عزير عليهما السلام ، وقد اتخذوهم أربابا .

(٥) (وكيلا) في ب ، م .

(٦) (الشراشر) الأثقال ، الواحدة شَرْشَرَةٌ ، يقال : ألقى عليه شراشره ، أي نفسه حرصاً ومحبّة . الصحاح للجوهري ٢/٦٩٦ مادة (شرر) .

(٧) لم أقف على قائله .

(٨) قال في الخلاصة :

** فعّالٌ أو مِفْعال أو فعول ** في كثرة عن فاعل بديل **

قوله ((ما جعلوه أسوتكم (١))) الراغب (٢) [الأسوَة والإسوَة كالقِدْوَة والقُدْوَة ، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره إن حَسَناً وإن قبيحاً ، وإن سارّاً وإن ضارّاً ، ولهذا قال تعالى ﴿ أسوة حسنة ﴾ (٣) فوصفها بالحسنة] .

قوله ((وقريء ﴿ ذرّيّةُ من حملنا ﴾ (٤) بالرفع بدلاً من واو (يتخذوا) ، قال أبو البقاء (٥) : [هذا على القراءة بالياء ، لأنهم غيب] ، قال صاحب التخمير (٦) : [إنما لم يجز إبدال المظهر من المضمر المتكلم والمخاطب ، لأن ضمير المتكلم والمخاطب لا يكون لغير الواحد ، بخلاف ضمير الغيبة والإبدال للتّبْيين ، فيختصّ بموضع فيه احتمال ، فلذا جاز مررت به زيدٍ ، ولم يجز مرّ بي المسكينِ ، ولا عليك الكريمِ . فإن قلت : فما تقول في قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله ﴾ (٧) فقد أبدل فيه الغائب من المخاطب ، قلت : لأن الخطاب ليس لقوم بأعيانهم ، فنزلوا منزلة الغائب ، لأن المعنى لو كان للناس فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله] ، وذكر الركني (٨) : أن الكوفيين والأخفش أجازوا إبدال المظهر من المضمر الحاضر مطلقاً ، تمسّكاً بقوله تعالى ﴿ لَيجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم ﴾ (٩) ، فإن (الذين) بدل من (كم) ،

---

(١) قال (ز) : فإن قلت : قوله ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ما وجه ملاءمته لما قبله ؟ ، قلت : كأنه قيل : ﴿لاتتخذوا من دوني وكيلاً﴾ ولا تشركوا بي ، لأن نوحا عليه السلام كان عبداً شكوراً ، وأنتم ذرية من آمن به وعمل معه ((فاجعلوه أسوتكم)) كما جعلوه آباؤكم أسوتهم .

(٢) الراغب في مفرداته ٧١/ مادة (أسا) .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١

(٤) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٧٤ قراءة مجاهد شاذة .

(٥) أبو البقاء في إملائه٢/٨٨ .

(٦) صاحب التخمير هو صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي . والتخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب . ولد القاسم المذكور سنة ٥٥٥ ، ومات سنة ٦١٧ هـ ، وذكر هذا الحكم في كتابه التخمير ٢/١٢٠ ، وانظر المفصل للزمخشري ١٤٩ .

(٧) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٨) الركني لم أقف على ترجمته .

(٩) سورة الأنعام الآية ١٢ .

قال : وإنما ساغ لأن (الذين) بدل من البعض وإنما غير بدل الكل ، فيجوز لفقدان المانع ، وهو أن يكون المقصود بالنسبة أقلّ دلالة فإن بدل البعض والاشتمال ليس مدلولهما مدلول الأول فيجوز اشتريتك نصفك ، وأعجبني علمك ، ومنه قول الشاعر (١) :

** ذريني إن أمرك لن يطاعا ** وما ألفيتني حلمي مضاعا **

وههنا مفهوم قوله ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ أبْين دلاَلَةً من مفهوم الضمير في (تتخذوا) المعبر عن بني إسرائيل .

قوله ((ويجوز أن يكون تعليلاً (٢))) مبني على أن ذرية منصوب على الاختصاص والمدح ، يعني إنما خصّصناكم بهذا الخطاب ، لأنكم أولاد آباء مكرمين، كقوله تعالى ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ (٣) ، قال القاضي (٤) : [فيه إيماء بأن إنجاءه ومن مَعَهُ كان ببركة شكره ، وحثٌّ للذرية على الاقتداء به] وقلت : اعتبر اختصاص الحمل بالذكر وأدمج هذا المعنى فيه .

قوله ((على سبيل الاستطراد)) فعلى هذا لا يكون تعليلاً .

قوله ((وحْياً مقضياً (٥) أي مقطرعاً)) الراغب (٦) : [القضاء فصل الأمر قولا كان أو فعلا ، وكلّ منهما على وجهين ، إلهي وبشري ، فمن القول الإلهي

---

(١) الشاعر عدي بن زيد بن الحُمار بمعجمة مضمومة ، هكذا في الأغاني ٩٧/٢ ، التميمي النصاراني جاهلي من فحول الشعراء . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢٢٥/١ ، ومعاهد التنصيص ١٣٩، والبيت في ديوانه ٣٥ وفي خزانة الأدب ٣٦٨/٢ .

(٢) قول (ز) : ((ويجوز أن يكون تعليلا)) يعني قوله تعالى ﴿ إنه كان عبدا شكورا ﴾ أي لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح (في السفينة) فهم متصلون به .

(٣) سورة الكهف الآية ٨٢ .

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ، ١٩٦/٣ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرتين ولتعلنّ علوّا كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٤ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ وأوحينا إليهم ((وحيا مقضيا)) أي مقطرعا مبتوتا بأنهم مفسدون في الأرض .

(٦) الراغب في مفرداته ٤٠٦ .

﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحْياً جزْماً . ومن الفعل الإلهي ﴿ فقضاهنّ سبع سماوات في يومين ﴾ (١) لأنه إشارة إلى إيجاده الابداعي والفراغ منه] .

قوله ((وقريء (لَتُفْسِدُنّ))) على البناء للمفعول و (لَتَفْسُدُنّ) بفتح التاء من فسد ، قال أبو البقاء (٢) : [المعنى على الأول يفسدكم غيركم ، وعلى الثاني لتفسد أموركم] .

قوله ((وأكثر ما يقال عباد الله (٣))) قال ابن جني (٤) : [أكثر اللغة أن يستعمل العبيد للناس والعباد لله تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ (٥) ﴿ ياعباد فاتّقون ﴾ (٦) ، وهو كثير ، وقال ﴿ وما ربك بظلاّم للعبيد ﴾ (٧)] .

قوله ((سَنْحَارِيَب)) نصب عطف بيان (لعباداً)، ويروى بالرفع أي هم وقوله ((سَنْحَارِيب وجنوده)) (٨) .

قوله ((معناه خلينا (٩) بينهم وما فعلوا)) يعني معنى تسليط الكفرة على ذلك

---

(١) سورة فصلت الآية ١٢ .

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٨٨ ، وانظر المحتسب لابن الجني ٢/١٤ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾ الإسراء الآية (٥) . قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ عبادا لنا ﴾ وقريء عبيدا لنا ((وأكثر ما يقال : عباد الله)) وعبيد الناس .

(٤) ابن جني في كتابه المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢/١٤.

(٥) سورة الحجر الآية ٤٢ .

(٦) سورة الزمر الآية ١٦ .

(٧) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٨) (سنحاريب) : كان ملك بابل ، وبختنصر هو ابن بنته ، وكان من كتابه ، (وسنحاريب) هذا قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٣٢ إنه قصد بيت المقدس وفيه بنوإسرائيل بستمائة ألف راية ، وفزع الناس منه فزعا عظيما شديدا إلخ .

(٩) هذا جوابه لإشكاله : حيث قال : فإن قلت : كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك وسلّطهم عليهم؟ قلت : معناه ((خلينا بينهم وبين ما فعلوا)) ولم نمنعهم ((على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه)) .

أي قتل العلماء وإحراق التوراة وتخريب المسجد والسّبْي الانتصاف (١) السؤال يتوجه على القدرية ، وأمّا السنّي فيقول : ﴿ لا يسئل عما يفعل ﴾ (٢) .

قوله ((على أن ا لله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم)) ، يعني أن البعث مجاز على أن الحقيقة جائزة (٣) أيضاً لأن ا لله تعالى أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه، لأنهم ظلموا بقتل زكريّا ويحيى ، وقصد قتل عيسى عليه السلام ، فهو كقوله تعالى ﴿ وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ (٤) .

قوله ((وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم)) يعني مثل هذا الإسناد جائز بل مندوب إليه ، يقولون في الدعاء على الكفرة أللهمّ زلزل أقدامهم ونكّس أعلامهم ، وخالف بين كلمتهم ، وهو من قوله تعالى ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ (٥) ، وكَلِمَتُهُم : دعوتهم إلى الكفر واتّفاقهم عليه .

قوله ((وأسند الجوس (٦))) إلى آخره ، مراده أنه تعالى أسند إلى نفسه ما يصحّ أن يسند إليه من بعث الكفرة عليهم ، لأجل فسادهم ، وأسند مالا يصحّ أن يسند إليه إلى الكفرة من تخريب المسجد وإحراق التوراة . فيقال له : لو لا بعثه وتمكينه إيّاهم كيف قدروا على ذلك ؟ ، فهو كإعطاء سيف باتِرِ ظالماً يقطع الطريق ويسبي الحريم ، فوقع فيما فرّ منه .

---

(١) الانتصاف لأحمد بن المنير مع الزمخشري ٢/٦٤٩ ، وهذا مبني على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده ، وهو مذهب المعتزلة ، وعند أهل السنة كل كائن فهو فعله ومراده ، ولو شرّاً .

(٢) ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٣) بل هي الصواب ، ولا ينبغي أن يصار إلى المجاز هنا .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٩ .

(٥) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ قال (ز) : وأسند الجوس وهو التردّد خلال الديار بالفساد إليهم ، فتحريق المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم .

قوله ((وقرأ طلحة فحاسوا [1])) ، قال ابن جنّي [2] : [قال أبو زيد أو غيره ، قلت له : إنما هو فجاسوا بالجيم ، قال : جاسوا وحاسوا واحد ، وهذا يدلّ على أن بعض القراء يتخيّر بلا رواية ولذلك نظائر [3]] .

قوله ((وقريء (فجوّسوا) في الموضح حوّسوا بالحاء غير المعجمة مشدّد الواو . الراغب [4] : [فجاسوا خلال الديار ، أي توسطوها وتردّدوا بينها ، ويقارب ذلك جاسوا وداسوا ، وقيل : الجوس طلب ذلك الشيء باستقصاء] ، والخَلَلُ فرجة بين الشيئين ، وجمعه خلال [5] نحو خلال الديار والسحاب والرماد ، قال تعالى ﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ [6] ، وعن بعضهم : خلل إما مفردة جمعه خلال ، كجبل ، وإما بمعنى الخلال ، والخلال حينئذ مفرد .

قوله ((واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم [7])) ، قال القاضي [8] : [وذلك بأن ألقى الله في قلب بَهْمَن بن أسْفَنْدِيارْ لَمّا ورث ملك كَشْتَاسِفْ بن لَهْرَاسِفْ شفقة عليهم ، فردّ أسراهم إلى الشام وملّك دَانْيَالْ عليهم ، فاستولوا على من كان فيها من أتباع (بُخْتُ نَصَّرْ)] والله أعلم بحقيقة ذلك .

---

(١) قرأ طلحة وأبو السمال (فحاسوا) بالحاء المهملة ، وقرأ أيضاً (فتجوّسوا) على وزن تكسّروا ، أبو السمال . انظر شواذ القرآن لابن خالويه ٧٥ والبحر المحيط ١٠/٦ .

(٢) ابن جني في كتابه المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراآت ١٥/٢ .

(٣) وهذا لا يجوز ، لأن القراءة سنة متبعة لا يتخيّر فيها بدون رواية . وانظر المحتسب جـ ٢٩٦/١ ففيه زيادة بيان لهذا المأخذ على أن القراءة لا يتخيّر فيها .

(٤) الراغب في مفرداته ١٠٣ ، مادة (جاس) .

(٥) الصحاح للجوهري ١٦٨٧/٤ ، مادة (خلل) .

(٦) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٧) تفسير قوله تعالى ﴿ ثم رددنا لكم الكرة ﴾ قال (ز) : أي الدولة ، وعلى الذين بعثوا عليكم حين تُبْتُم ورجعتم عن الفساد والغلو . قيل : هي قتل . بخُتصر ((واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم)) وأموالهم ورجوع الملك إليهم .

(٨) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٧/٣ .

قوله ((لدلالة ذكره [١])) أوّلاً ، يعني جواب (إذا) قوله ((بعثناهم)) بدليل قوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم ﴾ فعلى هذا قوله ﴿ وليدخلوا ﴾ عطف على ﴿ ليسوؤا ﴾ لاتّفاقهما . فإن قلت : لا ارتياب أن قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ﴾ عطف على قوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما ﴾ وهما تفصيل لقوله ﴿ لتفسدنّ في الأرض مرتين ﴾ وكان من حق الظاهر أن يترك القرينة الثانية عن الفاء إلى الواو ، فما وجهه ؟ ، قلت : وا لله أعلم إن مدخول الفاء وإن كان قسيماً لقوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما ﴾ لكن تخلّل بين المعطوفين .

قوله ((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)) فجرّه إلى نفسه ، كأنه قيل : (وإن أسأتم فلها) وقد حصل منكم الإساءة ، والإفساد مرة أخرى ، وهما السبب في مجيء الوعد ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ . ألا ترى كيف وصل قوله : ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ بما ذيل به هذا الوعد الآخرة ، وهو قوله ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ أى إن تبتم .

قوله ((وقرأ (ليسوء) أبوبكر وابن عامر وحمزة بالياء ونصب الهمزة على التوحيد [٢] ، والكسائي بالنون ونصب الهمزة على الجمع ، والباقون بالياء وهمزة مضمومة بين واوين على الجمع)) ، قال أبو البقاء [٣] : [التقدير على الجمع ليسوء العباد أو النَّفِيرَ . ويقرأ ليسوء بغير واو أي ليسوء البعث أو المبعوث أو النفير أو ا لله تعالى] .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتبيراً ﴾ الإسراء الآية ٧ . قال (ز) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ : ((حذف لدلالة ذكره أولا عليه والذي حذف هو قوله : ﴿ بعثناهم ﴾)) .

(٢) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وحفص عن عاصم (ليسوءوا) بالياء وضمّ الهمزة وإشباعها . وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة وخلف (لِيَسوءَ) بالياء وفتح الهمزة، وقرأ الكسائي وحده (لَنسوءَ) بالنون وفتح الهمزة المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٨٢ .

(٣) أبو البقاء في إملائه ٨٨/٢ .

قوله ((لنسوء)) بالنون الخفيفة . قال ابن جنّي (١) : [قرأ أبي بن كعب (ليسوءاً) بالتنوين . فطريق القول عليه أن يكون أراد ألفاً فحذفها أي فليسوءاً وُجُوهَكُم ، على لفظ الأمر ، كما تقول : إذا سألتني فلأعطك كأنك تأمر نفسك ، ومعناه فلأعطينّك ، واللّامان بعده للأمر أيضاً ، وهما ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ﴾ ، ويقوي ذلك أنه لم يأت لإذا جوابٌ فيما بعد ، فالتقدير (فليسوءاً وُجُوهَكُم) أي فليسوءنّ وجوهكم] وهذا يدلّ على أن في ليسوءنّ ألفاً مقدّرةً .

قوله ((وضرب الإتاوة عليهم (٢))) أي الخراج ، فإن قلت : ما وجه استقامة هذا الوجه وهو تسليط الأكاسرة عليهم ، وقد مضى مع قوله ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ وهو الاستقبال ؟ ، قلت : استقامته من حيث إن هذه المذكورات كلّها كانت مثبتة في التوراة مقضية عليهم ، لقوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ ، والكتاب التوراة كما نصّ عليه المصنف .

قوله ((المرمول (٣))) ، الجوهري (٤) : [رملت . الحصير أي سَفَفته ، بمعنى نسجته و أرملته مثله] .

قوله ((لما في إبهام(٥) الموصوف بحذفه من فخامةٍ تفقد مع إيضاحه)) فإنك إذا ضربت عن ذكر إحدى هذه المقدّرات صفحاً بقي اللفظ مجملاً صلح أن يتناول كلاً منها وما شا كلها فإذا قيد تها بواحدة منها اختصّ بها فكأنك قلت : يهدي لما لا

---

(١) ابن جني في كتابه المحتسب ٢/١٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ الإسراء الآية (٨) .

(٣) قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ حصيراً ﴾ محبساً ، يقال : للسجن محصر وحصير ، وعن الحسن: بساطاً، كما يبسط الحصير ((المَرْمُولَ)) أي المنسوج .

(٤) الجوهري في صحاحه ١٧١٣/٤ ، مادة (رمل) .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم و يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا و أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ الإسراء الآية ٩-١٠ .

يدخل تحت الوصف و الحصر مما ذكر في الكتاب ، ومما لم يذكر ، كقولك : جاء بعد اللّتيا و الّتي قوله ((و يبشّرَ بالتخفيف)) حمزة و الكسائي[1] .

قوله ((وإنما[2] حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك)) قيل : هذا من أبي حذيفةُ واصل بن عطاء [3] . وقلت : هذا من جملة البدع المنهي عنها في قوله صلى ا لله عليه وسلم خير الهدي هدى محمد و شرّ الأمور محدثاتها و كل بدعة ضلالة أخرجه مسلم و الترمذي [4] عن جابر .

قوله ((ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين [5])) يعني هو عطف على قوله ﴿ يَهْدي ﴾ أي ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذّبون ، هذا أوجه من الأول وأحسن التئاماً كأنه قيل : بشير للمؤمنين ونذير للكافرين . ويمكن أن يكون معطوفاً من حيث المعنى على قوله ﴿ ويبشّر المؤمنين ﴾ أي يبشّر المؤمنين وينذر الكافرين . وأما اتّصال الآية بما قبلها ، فقد قال الإمام [6] : [إنه قال : لّما شرح ما فعله في حقّ عباده المخلصين ، وهو الإسراء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، وإيتاء التوراة لموسى عليه السلام وما فعله في حقّ العصاة

(1) قرأ حمزة و الكسائي (يَبشُرَ) بفتح الياء و سكون الباء الموحنية وضم الشين مخففة أنظر الإتحاف ٢٨٢ وانظر آل عمران الآية ٣٩ ﴿ إن ا لله يبشرك ﴾ .

(2) يشير إلى مذهب المعتزلة ، و هو أن الفسق عندهم يزيل الإيمان بعكس أهل السنة و الجماعة .

(3) واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي البصري الغزال ،ولاؤه لبني ضبة . ولد سنة ثمانين بالمدينة المنورة ، وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال ، طرده الحسن البصري عن مجلسه ، لما قال : الفاسق لا مؤمن و لا كافر ، فانضم إليه عمرو و اعتزلا حلقة الحسن فسموا المعتزلة . وكان خطيبا مفوها . سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥ و معجم الأدباء ٢٤٣/١٩ .

(4) أخره مسلم في صحيحه ٥٩٢/٢ كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة من حديث جابر والنسائي ١٨٨/٣ كتاب الصلاة ، باب كيف الخطبة . و ابن ماجه ١/ ١٦ المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل . و أحمد في المسند ٣١٠/٣، ٣١٩ . و الدرامي ٨٠/١ في المقدمة رقم ٢٠٦ ولم أقف عليه في الترمذي ، و لا أحد أعلم أعزاه له غير الطيبي رحمه ا لله .

(5) تفسير قوله تعالى ﴿ أن لهم أجراً كبيراً ﴾ قال (ز) : على معنى : أنه بشّر المؤمنين ببشارتين اثنتين : بثوابهم وبعقاب أعدائهم . ((ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين)) لا يؤمنون معذّبون .

(6) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٦٠/٢٠ .

والمتمرّدين ، وهو تسليط أنواع البلاء عليهم ، كان ذلك تنبيهاً على أن طاعة ا لله توجب كلّ خير وكرامة ومعصيته توجب كلّ بلية وغرامة ، لا جرم قال : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ثمّ عطف عليه ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ الآية لجامع دليلَيْ السّمع والعقل ، أو نعمَتَيْ الدين والدّنيا ، وأمّا اتّصال قوله ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ﴾ فهو أنه تعالى لمّا وصف القرآن حتى بلغ به الدرجة القصيا في الهداية أتى بذكر من أفرط في كفران هذه البغية الأسْنى والنعمة العظمى ، قائلا ﴿ اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ (١) ، فظهر أن الذي ذهب إليه ابن عباس (٢) هو النضر بن الحارث (٣) هو المذهب .

قوله ((كما يدعوه لهم))(٤) أى يدعوا لله لاجل نفسه وماله وأهله ، ففى الضمير تغليب . قال وجه النظم : أن الإنسان بعد إنزال ا لله عليه هذا القرآن واختصاصه بهذه النّعمة الجسيمة والمكرمة العظيمة قد يعدل عن التّمسك بشرائعه ، ويَقْدُمُ على مالافائدة فيه .

قوله ((دعاءه)) الأساس(٥) [دعوت فلانا وبفلان ناديته وصِحْتُ به] .

قوله ((لايستحق))(٦) أى لايستحقّها يعنى اللعنة ((من أهلى)) بيان (من) ورَحْمةً مفعول ثانى (ليجعل) .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢ .

(٢) قال (ز) : وعن ابن عباس رضي ا لله عنهما : هو النضر بن الحارث . قال : (أللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك) الآية ، فأجيب له ، فضربت عنقه صبراً .

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف،قتل صبراً من أسارى بدر.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويدع الإنسان بالشّر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ الاسراء الآية (١١) قال (ز) أى ويدعوا لله عند غضبه بالشّر على نفسه وأهله وماله ((كما يدعوه لهم بالخير))

(٥) الأساس ١٨٩ مادة (دعو)

(٦) يشير إلى قول ((ز)) أن النبى صلى ا لله عليه وسلم دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأ قبل يئنّ بالليل ، فقالت له : مالك تئن ؟ فشكا ألم (القدّ) فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب ، فلما أصبح النبي صلى ا لله عليه وسلم دعا به فأُعْلِم بشأنه فقال صلى ا لله عليه وسلم (اللهم اقطع يديها) فرفعت سودة يديها تتوقّع الإجابة ، وأن يقطع ا لله يديها ، فقال صلى ا لله عليه وسلم (إنى سألت ا لله أن يجعل لعنتى ودعاءى على من ((لايستحق)) من أهلى رحمة ، لأنى بشر أغضب كما يغضب البشر فلتسردّ سودة يديها . قال ابن حجر لم أجده من هذه الجهة وقد أخرجه الواقدي فى المغازى من رواية ذكوان عن عائشة رضى ا لله

قوله ((لأنى بشر أغضبُ كما يغضب البشر)) وروينا عن البخارى ومسلم(١) عن أبى هريرة رضى ا لله عنه قال : قال النبى صلىّ ا لله عليه وسلم (إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلهاله صلاة وزكاة وقربة) وزاد أحمد تقرّبه بها يوم القيامة .

قوله ((فضربت عنقه صبراً)) (٢) يقال : قتل فلان صبرا إذا حبس على القتل حتى قتل وقد مضت قصة النضر .

قوله ((ممحوّ(٣) الضوء مطموسه)) الراغب(٤) [المحو إزالة الأثر ، ومنه قيل للشّمال محوة ، لأنها تمحو السحاب والأثر قال ا لله تعالى ﴿ يمحوا ا لله ما يشاء و يثبت ﴾(٥)

قوله ((فترى به الأشياء))(٦) جواب لقوله ((لم يخلق له شعاعاً)).كقولك : ما تأتينا فتحدّثنا .

قوله ((وقد حقّقنا القول فيه في سورة النّمل))(٧) والمذكور فيها هو أنه كان

عنها وأن عائشة هى صاحبة القصة مع الأسير انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر مع الكشاف ٦٥١/٢ والزيلعى في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٢٦٠ - ٢٦١

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٠٧ كتاب البر والصلة و الآداب ، باب من لعنه النبى صلى ا لله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه ، وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة ، وأحمد فى مسنده ، ٢/ ٢٤٣ ، ٣١٧ ، ٣٩٠ ، ٤٤٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، (٣) ٣٣ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، (٦) ٤٥ كلهم من حديث أبى هريرة رضى ا لله عنه ، والدرامى ٥٢/٢ كتاب الرقاق ، باب فى قول النبى صلى ا لله عليه وسلم أيما رجل لعنته ولم أجده فى البخارى

(٢) يعنى (النضر بن الحارث) كما سبق تفسير قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلوا عدد السنين والحساب وكل شىء فضلّناه تفصيلا) الاسراء الآية (١٢)

(٣) تفسير (ز) لقوله (فمحونا آية الليل) قال : يريد الشمس والقمر ، فمحونا آية الليل أى جعلنا الليل ((ممحوّ الضوء مطموسه مظلما)) لايستبان فيه شىء

(٤) الراغب في مفرداته ٤٦٤ مادة (محو) .

(٥) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٦) قال (ز) أو محونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الأشياء.

(٧) عند قوله تعالى ﴿ قالوا اطّيرنا بك ومن معك ﴾ الآية (٤٧) من سورة النمل .

الرجل يخرج مسافراً فيمرّ بطائر فيزجُرَهُ قال فإن مرَّ سا نِحاً (١) تيمّن ، وإن مرّ بارحاً(٢) تشاءم ، فلمّا نسبوا الخير والشرّ إلى الطائر ، استعير لما كان سببهما من قَدَرِ ا لله وقسمته ، ومن عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة و النعمة ، ومنه قالوا : طائر ا لله لا طائرك ، أي قدَر ا لله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشرّ لا طائرك الذي تتشاءم به وتَتَيَمّنُ .

قوله ((والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغلّ لا ينفكّ عنه (٣))) ، قال الإمام (٤) : [إنّما خصّ العنق من بين سائر الأعضاء ، لأن الذي يكون عليه إمّا أن يكون خيراً يزيّنه ، أو شرّاً يشيّنه ، وما يزيّن يكون كالطوق والحلي ، وما يشيّن فهو كالغلّ] واعلم أن هذا من أدلّ الدلائل على أن كلّ ما قدّره ا لله تعالى للإنسان وحَكَمَ به في سابق علمه واجب الوقوع ممتنع العدم ، لأن قوله ﴿ ألزمناه ﴾ صريح في أن ذلك الإلزام الذي لا ينفكّ عنه صدر منه تعالى ، وأن كلّ ما حكم ا لله تعالى به في الأزل لابدّ أن يظهر أثره في الأبد ، ويؤيّده ما رويناه عن أبي داود والترمذي (٥) عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : (أول ما خلق ا لله القلم ، قال له : اكتب ، فقال : ياربّ وما أكتب ؟ ، قال : اكتب مقادير كلّ شيء حتى تقوم الساعة) .

قوله ((يلقّاه (٦) ، بالتشديد)) ابن عامر ، والباقون مخفّفاً والياء مفتوحة ، قيل : هو من لقيت الكتاب ، فإذا ضعّفت ، قلت : لقّانيه زيد ، فيتعدّى إلى مفعولين،

---

(١) (السانح) ما ولاّك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما مما يمرّ من ميا سرك إلى ميامنك .

(٢) (والبارح) ماولاّك مياسره ، بأن يمرّ من ميامنك إلى مياسرك . انظر الصحاح للجوهري ٣٧٦/١، مادة (سنح) و ٣٥٦/١ ، مادة (برح) .

(٣) تفسير (ز) لقوله تعالى ﴿ أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ ﴾ ، يعني ((أن عمله لازم له)) إلخ .

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٦٨/٢٠ .

(٥) أخرجه أبو داود ٧٦/٤ كتاب السنة ، باب في القدر.والترمذي٤٢٤/٥ كتاب التفسير، من سورة القلم . وأحمد في مسنده ٣١٧/٥ . والبيهقي في سننه ٢٠٤/١٠ . والطبراني في الكبير ٤٣٣/١١ .

(٦) قرأ أبو جعفر وابن عامر ﴿ كتاباً يُلَقّاهُ منشوراً ﴾ بضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف . وقرأ الباقون ﴿ يَلْقَاهُ ﴾ بفتح الياء وسكون اللام . المبسوط لابن مهران ٢٢٧ ، والإتحاف ٢٨٢ .

فإذا بنى للمفعول قام أحدهما مقام الفاعل وعليه قوله تعالى ﴿ ويُلَقَّون فيها تحيّة وسلاماً ﴾ .

قوله ((بمعنى الكافي)) أي الحسيب تميز بمعنى الكافي الأساس[1] [احتسبت بكذا اكتفيت به وأحْتسَبني كفاني] وعلاقة المجاز أن الكافي كما يكفي الشخص لما أَهَمّهُ كذلك الشاهد يكفي المدعي ما أهمّه .

قوله ((كضرب القداح)) الجوهري[2] [الضريب الذي يضرب بالقداح وهو الموكل بها] والقدْحُ بالكسر السّهم قبل أن يُراشَ[3] و يركّب نَصْلُه ، وقِدْحُ الميسر أيضا والجمع قداح] .

قوله ((و كأنه قيل : كفى بنفسك رجلا حسيبا)) يعني جرّد من النفس رجلا شاهداً وهو ، هي [4] .

قوله ((يا ابن آدم [5] أنصفك و الله من جعلك حسيب نفسك)) و في شرح السنة قال الحسن [6] في قوله تعالى : [﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ لكلّ آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله ، فإذا مات طويت ، وقلّدها وإذا بعث نشرت له ، وقيل له : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ يا ابن آدم أنصفك من جعلك حسيب نفسك] .

---

(١) الأساس ٥٢ ، مادة (حسب) .

(٢) الجوهري في صحاحه ١٦٩/١ ، مادة (ضرب) (وقدح) ٣٩٤/١ .

(٣) الجوهري في صحاحه ١٠٠٨/٣ (رِشْتَ) السهم إذا ألزقت فيه الريش فهو مريش .

(٤) و (هو) أي الرجل ، و (هي) أي النفس .

(٥) يقول (ز) و كان الحسن إذا قرأها ، يعني هذه الآية قال : يابن آدم إلخ . ...

(٦) الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، مولى الأنصار ، وأمه (خيرة) مولاة (أم سلمة) ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، ونشأ بوادي القرى ، وكان فصيحاً ورعاً زاهداً ، لا يسبق في وعظه ، ولا يداني في مبلغ تأثيره على قلوب سامعيه ، توفي سنة ١١٠ . تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ . وذكر البغوي في تفسيره كلام الحسن البصري هذا ٨٢/٥ .

قوله ((الحجّة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل (١))) ثم قوله بعْثَة الرسل من جملة التنبيه على النظر الانتصاف [هذا مذهب باطل اعتزالي ،

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ الإسراء الآية ١٦ . قال (ز) عند تفسيره لقوله ﴿ نبعث رسولا ﴾ فنلزمهم الحجة . فإن قلت : ((الحجة لازمة لهم)) ، وهذا المذهب الاعتزالي والأشعري أيضاً ، وهو أن أول واجب على المكلّف النظر في مخلوقات الله ، وهي التي تقوم بها الحجة على العبد ، وهي التي بها يعرف الله تعالى ، ولذا قال الزمخشري هنا : ((الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله ، وقد أغفلوا النظر وهم متمكّنون منه ، واستيجابهم العذاب ، لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك ، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلاّ بالتوقيف والعمل بها لايصلح إلاّ بعد الإيمان . وكلام الزمخشري هذا يفهم منه أن الإيمان بالله لا يتمّ إلاّ بالنظر والتفكر ، والحجة تقوم على الخلق بالنظر والتفكر في مخلوقات الله لا بالرسل ، وأن الرسل بعثوا لأممهم ، لأجل التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة ، لئلا يقولوا كنّا غافلين عن النظر والتفكر فلو لا بعثت إلينا رسولا ينبّهنا على النظر في أدلة العقل . هذا مذهب المعتزلة الفاسد . وقال أحمد المقري في نظمه المسمى إضاءة الدجنة :

** أول واجب على المكلّف ** إعماله للنظر المؤلّف **

** كي يستفيد من هدي الدليل ** معرفة المصوّر الجليل **

** وتطمئنّ نفسه لمّا سَلِمْ ** من وَرْطَة الجهل وللحقّ عَلِمْ **

إلى أن قال :

** فبان أن النظر الموصّلا ** أول واجب كما قد أصّلا **

وصريح القرآن يردّ هذا المذهب الفاسد ، وأن الحجة لاتقوم على أحد من الخلق إلاّ بالرسل ، وأن الله لايعذّب أحدا من خلقه لافي الدنيا ولا في الآخرة حتى يبعث اليه رسولاً ينذره ويحذّره فيعصى ذلك الرسول ويستمرّ على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار ، قال تعالى في سورة النساء الآية ١٦٥:﴿ رسلا مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقال في سورة طه الآية ١٣٤ ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى ﴾ وقال في القصص الآية ٤٧ ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ وقال في سورة المائدة الآية ١٩ ﴿ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ وقال تعالى في سورة الملك الآية ٨ ﴿ كلّما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء ﴾ وقال تعالى في الزمر الآية ٧١ ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ وقال تعالى في سورة غافر الآية ٤٩ ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا

ومذهب أهل السنة أنه لا حكم قبل الشرع ولا تكاليف إلا به ، ولا تجب الحجة إلا بالبعثة ، والآية دالة عليه ، فلا معنى لتحريفها . وقال محي السنة (١) : [وفي الآية دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل] وكذا عن الواحدي (٢) ، وقلت : يؤيّده قوله تعالى ﴿ رسلا مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس على ا لله حجّة بعد الرسل ﴾ (٣) لأن البشارة والنذارة إنما يكونان بالجنّة والنّار ، والعقل لا مجال له في إثباتهما . واعلم أن قوله تعالى ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ﴾ توكيد لمعنى تلك الآية ، وأن كلّ مكلّف مرهون بعمله ، وعمله كالقلادة في عنقه غير منفكّ عنه لا يفارقه ولا يتعدّى إلى غيره (٤) ثمّ جاء ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ تقريراً لهذا المعنى ، ومفهوم ذلك كلّه أنه تعالى بيّن للمكلّف ما عليه

فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ ، ونحو هذا كثير ، انظر أضواء البيان ٢/٤٢٩-٤٣١ . ومما كتبت يتّضح أن قول الزمخشري عند قوله تعالى ﴿ وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا ﴾ فيلزمهم الحجة فإن قلت : الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف ا لله ، وقد أغفلوا النظر وهم متمكّنون منه ، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك ، لا لإغفال الشرائع التي لاسبيل إليها الآ بالتوقيف . والعمل بها لا يصحّ الا بعد الإيمان . قلت : يعني الزمخشري : بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة ، لئلا يقولوا : كنّا غافلين ، فلولا بعثت إلينا رسولا ينبّهنا على النظر في أدلّة العقل أ.هـ) فالعذاب لايستحقّ عند الزمخشري إلا بترك النظر ، وأهل السنة والجماعة لايستحقّ العذاب عندهم إلا لمن عصى الرسل ولم يتّبع إنذارهم وإعذارهم ، كما هو واضح من الآيات التي أوردناها آنفاً مع العلم أن النظر في آيات ا لله الكونية مأمور به مطلوب من كلّ مؤمن كما قال تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت﴾ ونحوها ، وهو كثير في القرآن الأمر به ، فالإيمان بمخلوقات ا لله الدالّة على وجوده لا تكفي وحدها ، وأنه لابدّ من تصديق الرسل ، والحجة لا تقوم على الخلق إلا باتباعهم فيما جاءوا به من سائر التكاليف .

(١) محي السنة البغوي ٥/٨٢ .

(٢) الواحدي ٣/١٠١ .

(٣) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٤) وهذا المعنى الذي ذكر في هذه الآية من أن كل إنسان يجني ثمرة عمله خيراً أو شرّاً ، جاء في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة فصّلت الآية ٤٦ ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ وقوله تعالى في سورة الروم الآية ٤٤ ﴿ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ﴾ وقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٠٤ ﴿ قدجاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ وقوله تعالى في سورة يونس .

وما له وما يحتاج إليه وما خلق لأجله إزالة للإعذار ثم أتى بقوله ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ تذييلا لها وتقريرا لإزالة الاعذار .

قوله ((﴿ وإذا أردنا ﴾ وإذا أردنا وقت إهلاك قوم (١))) جعل الإرادة التي هي السبب في الإهلاك تابعة لدُنُوِّ الوقت . قال القاضي (٢) : [إذا تعلّقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق ، أمرنا متنعّميها بالطاعة (٣) على لسان رسولٍ بعثناه إليهم ، أو إذا دنا وقته المقدّر ، كقولهم : إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدّةً] .

قوله ((لأن حذف مالا دليل عليه غير جائز (٤))) يعني إذا كان لفعلٍ متعلّق غير مذكور ، فإن وجد في اللفظ ما يدلّ على ذلك المقدّر ، وكان مناسباً له ، قُيِّد المطلق به ، كقولك : أمرته فقام ، فإن قوله : فقام دلّ على أن المأمور به القيام ، وعلى هذا أمرناهم ففسقوا معناه أمرناهم بالفسق ففسقوا ، كما قُدِّر ، وعلى هذا القياس يقال : في قولهم : أمرته بالعصيان فعصاني ، ولكنه لا يستقيم ، لأن الأمر والعصيان متقابلان من حيث التّضادّ ، وإليه الإشارة بقوله : ((ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به)) ، فإذن ليس في اللفظ ما يقيّد به المطلق فيترك على إطلاقه ويجعل

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً ﴾ النحل الآية (١٦) .

(٢) القاضي البيضاوي في أنواره ، ١٩٨/٣ .

(٣) الظاهر أن الأمر هنا في قوله ﴿ أمرنا ﴾ هو الأمر الذي هو ضدّ النهي ، وأن متعلق الأمر محذوف لظهوره ، والمعنى ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ بطاعة الله وتوحيده ﴿ ففسقوا ﴾ أي خرجوا عن طاعة أمر ربّهم وعصوه وكذّبوا رسله ﴿ فحقّ عليها القول ﴾ أي وجب عليها الوعيد . ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٢٨ ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ قاله ابن جرير ، وقيل : الأمر هنا الأمر الكوني القدري ، أي قدّرنا عليهم ذلك وسخّرنا هم له ، كما في قوله في سورة القمر الآية ٥٠ ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ . وقيل : الأمر هنا بمعنى أكثرنا ، أي أكثرنا مترفيها ففسقوا فيها ، وهي لغة فصيحة ، انظر أضواء البيان ٤٤٢/٢ .

(٤) هذا إجابة لتساؤله ، أعني (ز) ، حيث قال : إن قلت : هلاّ زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا ؟ ، قلت : ((لأن حذف مالا دليل عليه غير جائز ، إلخ)) .

تمثيلا ، كما قال . فكأنهم مأمورون بذلك . قال الإمام (١) : [ولقائل أن يقول : كما أن قوله : أمرته فعصاني ، يدلّ على أن المأمور به شيء غير المعصية من حبث إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له ، فكذلك أمرته ففسق يدلّ على أن المأمور به شيء غير الفسق عبارة عن الإتيان بضدّ المأمور به ، فكونه فسقاً ينافي كونه مأموراً به . وهذا الكلام في غاية الظهور ، فلا أدري لم أصرّ صاحب الكشّاف على قوله !] وقلت : هذا هو الحقّ لقوله تعالى ﴿ كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه ﴾ (٢) وتفسير المصنّف الفاسق ، هو الخارج عن أمر الله ، والمعنى أمرناهم على لسان الرسول بالأعمال الصالحة وهم خالفوا الأمر وأقدموا على الفسق ، فالآية من باب الطباق المعنوي (٣) ، قال صاحب الانتصاف (٤) : [قول الزمخشري حسن إلاّ قوله : أنعم عليهم ليتنكّروا ، والحقّ أنهم خُوّلوا النعمة وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا مخالفة للأمر لا للإرادة] .

قوله ((وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثّرنا ، قال ابن جنّي (٥) : [وكان أبو علي يستحسن قول الكسائي في قوله تعالى ﴿ لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ (٦) أي كثيراً من قوله تعالى ﴿ أَمَرْنَا مترفيها ﴾ ومن قولهم : أَمِرَ الشيء ، إذا كثُر ، ومنه قوله ((خير المال سكّة مأبورة ومَهْرَةٌ مأمورة (١))) ، السكّة : الطريقة المُصْطَفَّة من النخل ، مأبورة :

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٧٤/٢٠ .

(٢) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٣) الطباق : الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام ، وهو نوعان : طباق الإيجاب ، وهو مالم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً . وطباق السلب ، وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً . ويسمى أيضاً المطابقة . والتضادّ . انظر التلخيص ٣٤٨ .

(٤) الانتصاف مع الزمخشري ٦٥٥/٢ .

(٥) المحتسب لابن جني ١٦/٢ .

(٦) سورة الكهف الآية ٧١ .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ٤٦٨/٣ ، والطبراني في معجمه الكبير ١٠٧/٧ ، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦٥٥/٢ ، ومجمع الزوائد ٢٥٨/٥ ، وانظر النهاية ١٣/١ ، والزيلعي ٢٦١/٢.

مُلَقَّحَةٌ ، مأمورة : مُكْثِرَةُ النَّسْلِ ، والأصل مُؤْمَرَة ، لأنه من أمَرَها ا لله ، لكن أتبعها قوله مأبورة للسجع ، وأما قوله ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ فمنقول من أمَرَ القوم ، أي كثروا ، كعَلِمَ و عَلِمْتُه وسَلِمَ وسَلَمْتُه . وروي عن المصنف أنه قال : ما عول من زعم أن أمَرْتُه بمعنى كثَّرْتُه ، إلاّ على قوله ومهرة مأمورة ، وما هو إلا من الأمر الذي هو نقيض النهي ، وهو مجاز أيضاً كما في الآية ، لأن ا لله تعالى قال لها : كوني كثيرة النتاج ، فكانت ، فهي إذن مأمورة على ما تهبه .

قوله ((كثير به)) ، الجوهري (٢) : [التبار : الهلاك] .

قوله ((آمرنا من أمَرَ)) الجوهري (٣) : [آمرته بالمدّ وأمرته لغتان بمعنى كثرته] .

قوله ((وآمرنا بمعنى أمّرنا)) قال أبو البقاء (٤) : [ويقرأ بالتشديد والقصر أي جعلناهم أمراء ، وقيل : هو بمعنى الممدودة ، لأنه تارة يعدّى بالهمزة وأخرى بالتضعيف ، واللازم منه أمِرَ القومُ ، أي كثروا .

قوله ((أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير (٥))) وذلك من ترتّب قوله ﴿ كم أهلكنا ﴾ على قوله تعالى ﴿ خبيراً بصيراً ﴾ أي خبيراً بذنوب العباد وبصيراً بها ، لما يعلم أن الذنوب نتائجها الكفر و الكفران وتكذيب آيات ا لله . وقتل الأنبياء وغير ذلك ، قال ا لله تعالى ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات ا لله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا ﴾ ، فصحّ قوله ((إن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير . والذي يدلّ على فظاعة شأنها قوله ﴿ وكفى بربّك ﴾ .

---

(٢) الجوهري في صحاحه ، ٦٠٠/٢ ، مادة (تبر) .

(٣) الجوهري في صحاحه ٥٨١/٢ ، مادة (أمر) .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٨٩/٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربّك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ الإسراء الآية ١٧ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ : ((على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير)) وأنه عالم بها ومعاقب عليها .

قوله ((من كانت العاجلة همّه ولم يرد غيرها[1]))يدلّ على القيد معنى الإرادة، فإن الإرادة هي عقد القلب بالشيء وخلوص هَمّه فيه ، فإنما قال : كما لكفرة ((والفسقة))[2]، لأن الآية قوبلت [3] بها . قوله تعالى ﴿ و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن ﴾ فإن الكافر ينكر الأجل ، و الفاسق و إن لم ينكر فإنه[4] منهمك في الشهوات ، فكأنه معرض عن الآخرة، و فيه إيماء [5] إلى مذهبه [6] .

قوله ((فإن أو تى [7] فيها)) النهاية [8] [و في الحديث من توضأ للجمعة فبها و الباء متعلقة بفعل مضمرأى فبهذه الخصلة و الفَعْلَة يعني الوضوء ينال الفضل] .

قوله ((لأن الضمير يرجع إلى (مَن))أي الضمير و المجرور في قوله يرجع إلى (مَن) في قوله (مَنْ كَانَ يريد العاجلة) و هو يقتضي العموم لان مريدى العاجلة لا حصر فيهم . وأما المعجّل له فمحصورون .

قوله ((فلا فرق [9] إذن بين القراءتين أي قراءة يشاء بالياء ، و الضميرين .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ الإسراء ، الآية ١٨-١٩ .

(٢) قال (ز) : من كانت العاجلة همه ، و لم يرد غيرها كما لكفرة و أكثر الفسقة .

(٣) (و المقا بلة) : أن يؤتي بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب ، مثل الآيتين هنا .

(٤) في ب (لكنه) بدل (فإنه) .

(٥) (الإيماء) الإشارة .

(٦) وهو أن الفاسق بين المنزلتين ، لا هو مؤمن و لا هو كافر .

(٧) قال (ز) المؤمن التقي قد اختار مراده وهو غنِىَ الآخرة ، فما يبالي أوتى حظّاً من الدنيا أو لم يؤت ((فإن أوتى فيها)) و إلا ربما كان الفقر خيرا له و أعون على مراده .

(٨) النهاية في غريب الحديث ٥/٨٣ .

(٩) يشر إلى قول (ز) : إن قوله ﴿ نشاء ﴾ قرىء ﴿يشاء﴾ وقيل الضمير لله تعالى ((فلا فرق إذا بين القراءتين)) في المعنى .

و القراءة المشهورة بالنون في كون المشيئة لله تعالى ، فدل النون على التعظيم ، والياء على التجريد ، كأنه قيل :﴿ عجلنا له ما يشاء ﴾(١) .من له المشيئة المطلقه وبيده أزمّة كل لأمور يفعل بمشيئته ما أراد لا يمنعه مانع .

قوله ((الدهماء)) الجوهري (٢) [الدهم العدد الكثير] و دهماء الناس جماعتهم .

قوله ((يريد به ا لله)) ذلك الضمير للعبد و المشار إليه ما يشاء من الدنيا والجملة صفه لواحد .

قوله ((فمن كانت هجرته إلى ا لله الحديث مشهور أخرجه الأئمة (٣) وهو من باب قولهم : من أدرك الضمان فقد أدرك .

قوله ((مدحورا مطرودا)) الراغب (٤) [الدحر الطّرد و الإبعاد ، يقال دحره دحورا قال تعالى ﴿ فيلقي في جهنم ملوما مدحوراً ﴾ (٥) وقال ﴿ ويقذفون من كل جانب دحورا ﴾ (٦) ولم يذكر الدحر في الصحاح .

---

(١) ما بين القوسين س من ب ، ا .

(٢) الجوهري في صحاحه ١٩٢٤/٥ مادة (دهم)

(٣) قال (ز) في قوله تعالى ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ قيل : هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة ، كالمنافق والمراءى و المهاجر للدنيا ، كما قال صلى ا لله عليه وسلم : ((فمن كانت هجرته إلى ا لله)) ، أخرجه البخاري مع الفتح ٩/١ كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، ومسلم في صحيحه ١٥١٥/٣ كتاب الإمامة ، باب قوله صلى ا لله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية إلخ ..) ، وأبو داؤد ٢٣٠/٢ كتاب الطلاق ، باب في ما عنى به الطلاق و النيات ، و الترمذي ١١/٣-١٢ كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء من يقا تل رياء وللدنيا ، و النسائي ٥٨/١ كتاب الطهارة ، باب في النية للوضوء ، و ابن ماجه ٢/ ١٤١٣ كتاب الزهد ، باب النية .

(٤) الراغب في مفرداته ١٦٥ مادة (دحر) .

(٥) سورة الإسراء الآية ٣٩ .

(٦) سورة الصافات الآية ٩ .

قوله ((و يتجافى عن (١) دار الغرور مُقْتَبَسٌ مما روى المفسرون (٢) أنه صلى الله عليه وسلم سئل ما علامة شرح الصدر قال : التجافى عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود .

قوله ((و السعي فيما كلف من الفعل و الترك)) استفاده من إقران الإيمان (٣) بالسعي ليكون على وزان قوله ﴿ الذين آمنوا و عملوا الصالحات ﴾ (٤) والظاهر أن المراد من قوله ﴿ وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾ السعي المختصّ بها وما ينسب (٥) إليها وعرف أن ذلك السعي ما هو ، وهو قمع الهوى وترك زينة الدنياومراقبة الأحوال بين يدي المولى ، كما قال تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنّة هي المأوى ﴾ (٦) ، وفي الألفاظ النبوية (ومن أراد الآخرة وترك زينة الدنيا) (٧) ، ولما كانت هذه الخَصْلَة واسطة القلادة ، جعلت مقدمتها الإرادة ، وقاعدتها الاستقامة على الإيمان ، وبنى الجواب عليها . وقيل : ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ ، الراغب (٨) : [السعي المشي السريع ، وهو

---

(١) يشير إلى قول (ز) : في قوله تعالى ﴿ وسعى لها سعيها ﴾ قال : اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ، إرادة الآخرة ، بأن يعقد بها همّه ((ويتجا فى عن دار الغرور)) إلخ ...

(٢) ذكره ، ابن كثير في تفسيره ، ٣/ ٣٢٨ و القرطبي ١٠٤/٢ ، ٨١/٧ و الدر المنثور ٤٤/٣ ، ٣٢٥/٥ و يدل له قوله تعالى في الزمر الآية ٢٢ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ الآية .

(٣) في ب (افتقار) الإيمان و هو الصواب .

(٤) سورة العصر الآية ٢ .

(٥) وما يناسب في (ب) .

(٦) سورة النازعات الآية ٤٠ .

(٧) جزء من حديث طويل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (استحيوا من الله حقّ الحياء ، قال : قلنا : يارسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حقّ الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليتذكر الموت والبلى ((ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا)) فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حقّ الحياء) . أخرجه الترمذي ٥٥٠/٤ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٢٤ ، ثم قال : إنما نعرفه من هذا الوجه ، وأحمد في مسنده ، ٣٨٧/١ ، والطبراني في الكبير ، ١٨٨/١٠ .

(٨) الراغب في مفرداته ٢٣٣ ، مادة (سعى) .

دون العدو ، ويستعمل للجدّ في الأمر خيراً كان أو شرّاً . قال تعالى ﴿ وسعى في خرابها ﴾(١) ﴿ وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى ﴾(٢) وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة قال الشاعر (٣) :

** إن أجْزِ علقمة بن سعدٍ سَعْيَه ** لا أجْزِهِ بِبَلاءِ يومٍ واحدِ **

وقال تعالى ﴿ فلمّا بلغ معه السعي ﴾ أي أدرك ما سعى في طلبه وخُصّ السعي بالمساعاة بطلب المكرمة والسعاية بأخذ الصّدقة وبكسب المكاتب ليعتق رقبته وبالنّميمة والمساعاة بالفجور] .

قوله ((الآنف (٤))) الجوهري (٥) : [الاستئناف الابتداء وكذلك الائتناف].

قوله ((لأنها ثواب وأعْوَاضٌ وتفضُّلٌ ، وكلّها متقاربة))(٦) ، الضمير في (أنها) مبهم يفسّره ما بعده لقوله تعالى ﴿ إن هي إلاّ حياتنا الدنيا ﴾ (٧) ، قال هذا ضمير (٨) لا يعلم ما يعني به إلاّ ما يتلوه من بيانه إلى قوله : لأن الخير يدلّ عليها . ويجوز أن يكون المضاف محذوفاً ، أي أفعال الآخرة يعني أفعال الله في الآخرة مع العبد ثواب وأعواض وتفضّل . وفي بعض الحواشي الوارد على أصولهم (٩) أفعال الله تعالى اليوم لا تخلو من صلاح وأصلح ولطف . وأفعاله غداً على سبيل الجزاء إمّا

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٤ .

(٢) سورة النجم الآية ٣٩ .

(٣) البيت لفدكي بن أعبد ، وهو في البيان والتبيين للجاحظ ٢٣٣/٣ واللسان مادة (لمم) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظوراً ﴾ الآية ٢٠ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ نُمِدُّ ﴾ أي نزيدهم عن عطائنا ((ونجعل الآنف)) منه مرداً للسالف ، لا نقطعه .

(٥) الجوهري في صحاحه ١٣٣٣/٤ ، مادة (أنف) .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ الآية ٢١ ، قال (ز) : جعلناهم متفاوتين في الفضل ، وفي الآخرة التفاوت أكبر ((لأنها ثواب وأعواض)) إلخ .

(٧) سورة الأنعام الآية ٢٩ .

(٨) في ب (خبر) بدل ضمير .

(٩) يعني أصول المعتزلة .

ثواب أو عوض أو تفضّل ، فالصلاح ضدّ الفساد . وكلّ ما عرى عن الفساد سمّي صلاحاً ، وهو الفعل المتوجّه إلى الخير من قوام العالم ، وبقاء النوع عاجلا ، والمؤدي إلى السعادة السرمدية آجلا والأصلح ، وهو إذا كان صلاحان أو خيران ، وكان أحدهما أقرب إلى الخير المطلق فهو الأصلح ، واللطف : هو وجه التيسير إلى الخير ، وهو الفعل الذي علم الربّ تعالى أن العبد يطيع عنده ، وليس في مقدور ا لله (١) لطف وفعل لو فعله لأمن الكفار . ثم الثواب هو الجزاء على أعمال الخير، والعوض هو البدل عن الفائت كالسلامة التي هي بدل الألم ، والنعم التي هي في مقابلة البلايا والمحن والرزايا والفتن ، والتفضّل هو إيصال منفعة خالصة إلى الغير من غير استحقاق ، يستحقّ أي ا لله بذلك حمداً وثناءاً ومدحاً وتعظيماً ، ووصف بأنه محسن مجمل ، وإن لم يفعله لم يستحقّ بذلك ملاما وذمّاً .

قوله ((وروى أن قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي ا لله عنه)) . و روى ابن عبد البر في الاستعياب (٢) [عن الحسن حضر الناس بباب عمر رضي ا لله عنه ، وفيهم سهيل بن عمرو القرشي و كان أحد الأشراف في الجاهلية ، و أبو سفيان بن حرب و أولئك الشيوخ من قريش فأذن لصهيب وبلال و أهل بدْر، وكان يحبّهم ، و كان قد أوصى بهم ، فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم قط إنه ليؤذن لهولاء العبيد و نحن جلوس لا يلتفت إلينا فقال سهيل : و كان أعقلهم أيّها القوم إني وا لله قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم دُعي القوم و دُعيتم و أسرعوا فأبطأتم أما وا لله مما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم موتا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه] و روى أيضا (٣) أن الحارث بن هشام وسهيلا هذا دخلا على عمر رضي ا لله عنهم مجلساً و هو بينهما فجعل المهاجرون الأوّلون يأتون فيقول : ههنا يا سهيل ههنا يا حارث فينحيهما عنه ، وجعل الأنصار يأتون فينحيهما حتّى صارا في آخر الناس، فلمّا خرجا قال الحارث :

(١) لم يتّضح لي ما يعني به ، وهو غير مستقيم ، وواضح فيه الاعتزال .

(٢) الاستعياب مع الإصابة ٢/١١٠ .

(٣) الاستعياب مع الإصابة ٢/١١١ .

لسهيل ألم تر ما صنع بنا ؟ فقال سهيل : إنه الرجل لا لوم عليه ، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا دعي القوم فأسرعوا و دعينا فأبطأنا] تمامه ذكر في التوبة .

قوله ((جامعا على نفسك الذّم و ما يتبعه من الهلاك من إلهك (١))) يعني أن المشرك قد ذمّه ا لله تعالى و من ذمّه يهلك ، و ما يتبعه تفسير الذّم . و الخذلان عطف على الذّم ، و إنما دلّ على الجمع إيقاع (مذموما مخذولاً) خبرا بعد خبر لقوله (فتقعد) قال القاضي (٢) : [ومفهومه أن الموحّد يكون ممدوحاً منصوراً] .

قوله ((و قضى ربّك (٣) ، و أمر أمراً مقطوعاً به)) ضمن قضى ، معنى الأمر ليكون جامعاً للمعنيين ، الأمر و القضاء الذي هو القطع ، و لذلك كان (أن) في قوله (أن لا تعبدوا) مفسّرة ، و كأن النّهي في معنى الأمر أي اعبدوا ، ليناسب (٤) عطف (و أحسنوا) عليه و سبق في الأنعام عند قوله ﴿ لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحسانا و لا تقتلوا أولادكم .. ﴾ (٥) الآية ما يقرب من هذا العطف .

قوله ((أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا)) هذا على أن تكون (أن) موصولة لا مفسره ففيه لف و نشر (٦) .

قوله ((و هو فيمن قرأ يبلغان)) حمزة و الكسائي (٧) (إما يبلغانّ) بكسر النون و الألف قبلها ، والباقون بفتحها من غير ألف . قال أبو البقاء (٨) : ألف يبلغانّ

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ لا تجعل مع ا لله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ الإسراء الآية ٢٢ .

(٢) القاضي البيضاوي ٣/١٩٩ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ و قضى ربّك ألا تعبدوا إلا إيّاه و بالوالدين إحسانا إما يبلغنّ عندك الكِبَرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما و قل لهما قولا كريما ، و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ الإسراء الآية ٢٣، ٢٤ .

(٤) (لتناسب) في ب .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

(٦) اللف و النشر : هو أن تلفّ شيئين ، ثم تأتي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يردّ إلى كل واحد منهما ماله ، تارة يأتي به مرتبا ، وتارة معكوسا ، و تارة مشوشا . التعريفات للجرجاني ٢٤٧ .

(٧) قرأ حمزة و الكسائي و خلف (إما يبلغانّ عندك الكبر) بالألف و كسر النون مشدّدةو الباقون (إما يبلغنّ) بغير ألف و فتح النون مشدّدة أنظر المبسوط لابن مهران ٢٢٨ و الإتحاف ٢٨٢ .

(٨) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٠ .

بالتشديد فاعل و﴿ أحدهما أو كلاهما ﴾ بدل منه ، وقال أبو علي : هو توكيد . ويجوز أن يكون ﴿ أحدهما ﴾ مرفوعاً لفعل محذوف ، أي إن بلغ أحدهما أو كلاهما. وفائدته التوكيد أيضاً . ويجوز أن تكون الألف حرفاً للتثنيه والفاعل ﴿ أحدهما ﴾] . قوله ((لو قيل(١) إما يبلغان كلاهما ، كان ﴿ كلاهما ﴾ توكيدا لابَدَلاً)) لأنه مثل قولك : جاءنى الزيدان كلاهما ، فإن كلاهما توكيد باتّفاق لأنه يدّل على مادلّ عليه الزّيدان ، فكذا يفهم من كِلاهما ما يفهم من ضمير الأبوين . قال صاحب التقريب [وفيه نظر إذ جاز كونه تأكيداً . وقوله ((لو أريد توكيد التثنية لقيل : كلاهما فحسب)) ممنوع ، وأنه إنّما يلزم لو أريد التأكيد فحسب من غير تقدّم ذكر أحدهما ، وكأنه قال : إما يبلغان أحدهما أو يبلغان كلاهما ، والأول بدلٌ ، والثاني تأكيد وقلت : كلام المصنّف مبنيّ على أن كلاهما عطف على أحدهما ، لاعلى التقديرين فإنه يعود(٢) إلى عطف الجملة على الجملة ، والمقصود أحد الأمرين لا إفادة الشمول والإحاطة فى أحدهما دون الآخر . وأيضاً لو أريد الشمول لم يقل أحدهما لكونه منافيا للشمول والإحاطة فإنه لدفع التجوز فى إرادة الوحدة . وقال صاحب الفرائد : [لمّا كان أحدهما لم يصلح أن يكون توكيدا للتثنيه وهو ضمير يبلغان . وجب أن يكون بدلا . والبدل في حكم تكرير العامل ، فلزم أن يكون التقدير : يبلغ أحدهما ، ولمّا كان ﴿ كلاهما ﴾ عطف على ﴿ أحدهما ﴾ انقطع عن الضمير فلم يمكن أن يكون مؤكّداً له ، لأنه فاعل فعل آخر ، والمؤكّد لافعل له إلا الفعل المذكور].

قوله ((وقرىء (٣) ﴿ أفٍّ ﴾ بالحركات الثلاث نافع وحفص بالتنوين وكسر

(١) قال (ز) : فإن قلت : ((لوقيل : إما يبلغان إلخ قلت : لأنه معطوف على مالا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم فى حكمه ، فوجب أن يكون مثله .

(٢) فى ب (على)

(٣) قرأ أبو جعفر ، ونافع وحفص عن عاصم ﴿ فلا تقل لهما أفٍّ ﴾ منونة مكسورة الفاء وكذلك في الأنبياء الآية ٦٧ والأحقاف الآية ١٧ . وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿ أفَّ ﴾ بفتح الفاء في جميعها . وقرأ أبو عمرو وأبوبكر عن عاصم وحمزة والكسائى وخلف ﴿ أفِّ ﴾ مكسورة الفاء غير منونة . انظر المبسوط لابن مهران ٢٢٨ والإتحاف ٢٨٣

الفاء وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين وقال ابن جني (١) : [قرأ ابو الشمال(٢) ﴿أفُّ﴾ مضمومة غير منونة ، وقرأ ابن عبّاس أفْ خفيفة وقال هرون النحوي (٣) ويقرأ أفٌ بالتنوين ، ولو قرئت أفّاً لجاز ، ولكن ليس في الكتاب ألِفٌ . وقال ابن جنى فيها ثماني لغات أفِّ وأفِّ وأفَّ وأفّاً وأفُّ وأفٌّ وأُفي ممالٌ وأفْ خفيفة ساكنة] وأمّا قوله ((والتشديد كثمّ)) فمعناه أنه على وزنه . وقال أبو البقاء (٤) : [فمن كسر بناه على الأصل لأنه اسم فعل ومعناه التّضجر والكراهة أى لاتقل لهما كُفّا أواتْركا . وقيل : هى اسم للجملة الخبرية أى كرهت أو ضجرت من مداراتكما ومن فَتح طَلَب التخفيف مثل رب ، ومن ضم أتبع ومن نوّن أراد التنكير ومن لم ينون أراد التعريف ، ومن خفّف الفاء حذف أحد المثلين تخفيفا] وقال ابن جنى(٥) : [وكان القياس اذا خفّفت أن يسكن آخرها ، لأنه لم يلتق فيها ساكنان فتحرك لكنّهم اتقّوا الحركة مع التخفيف أمارة ودلالة على أنها قد كانت مثقّلة مفتوحة] الراغب(٦) : [أصل الأفّ كل مستقْذَرمن وسخ وقلامة ظفرونحوهما ويقال ذلك لكل مستخفّ به استقذاراً له نحو ﴿ أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ (٧) وقد أفّفْتُ لكذا ، إذا قلت ذلك استقذارا له ، و منه قيل للضجر من استقذار شيء : أفّفَ فلان] .

قوله ((هو أن يكبرا و يعجزا (٨))) يعني معنى (عندك) ههنا كناية عن العجز و عن كونهما كلاًّ على ولدهما .

---

(١) ابن جنى في كتابه المحتسب ٢/ ١٨

(٢) أبو الشمال في النسختين أ ، ب وهو خطأ والصواب أبو السمال بالسين . انظر المحتسب ١٨/٢. وأبو السمال هو العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذة عن العامة، واسمه قعنب . انظر القاموس ٣٩٧/٣ وطبقات القراء لابن الجوزي ٢٧/٢ والتعليق على المحتسب لابن جني ٥٤/١

(٣) هرون بن موسى بن شريك القارئى النحوى أبو عبد الله التغلبى ، يعرف بالأخفش، من أهل دمشق ولد سنة ٢٠١ وقرأ بقرآآت كثيرة ، وروايات غريبة ، فيما بالقراآت السبع ، والتفسير والنحو انظر طبقات المفسرين للداودى ٣٤٨/٢ ومعجم الأدباء ٢٣٥/٧ وطبقات القراء لابن الجوزى ٣٤٧/٢وانظر مختصر شواذ القراآت لابن خاليه ٧٦ .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٠/٢ .

(٥) ابن جنى في المحتسب ١٨/٢ مادة (أف) .

(٦) الراغب في مفرداته ١٩ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٦٧ .

(٨) تفسير (ز) لقوله تعالى ﴿ عندك ﴾ .

قوله ((الدعار (١))) الجوهر (٢) : [الدعارة الفسق و الخبث يقال : هو خبيث دَاعِرٍ بَيّنُ الدّعارة] .

قوله ((نَحَلَني أبو بكر كذا (٣))) تمامه : ما ذكر في النسائي من حديث أبي بكر رضي ا لله عنه : و إني كنت نحلتك جاد (٤) عشرين و سقا الغابة (٥) .

قوله ((وقرىء (جناح الذُّلّ (٦)) و الذّلّ بالضم و الكسر بالضم السبعة والكسر قرأه ابن عباس و عروة بن الزبير قال ابن جني (٧) :[الذّلُّ بالكسر في الدّابة ضدّ الصعوبة و بالضم للإنسان ، و هو ضِدُّ العِزّ كأنهم إنما فَرّقوا لأن ما يلحق الإنسان أكثر قدرا مما يلحق الدّابة فاختاروا الضّمة لقوتها للإنسان ، و الكسرة لضعفها للدابة و لا يستنكر مثل هذا و لا تنب (٨) عنه فإنه من عَرَفَ أنس ، و من جهل استوحش] و في قول المصنف جناحك الذليل أو الذلول لمحة من هذا المعني .

قوله ((جعل لبيد (٩) للشمال يداً و للعزّة زماماً مبالغة)) ، يعني في قوله :

---

(١) تفسير(ز) لقوله تعالى ﴿ و قل لهما قولا كريما ﴾ هو أن يقول لهما : يا أبتاه يا أمّاه كما قال إبراهيم لأبيه : (يا أبت) مع كفره،ولا يدعوهما بأسمائهما، فإنه من الجفاء و سوء الأدب ((و عادة الدّعار)).

(٢) الجوهري في صحاحه ٦٥٨/٢ مادة (دعر) .

(٣) يشير إلى قول (ز) لابأس (بذكر اسم الأب) في غير وجهه ، كما قالت عائشة رضي ا لله عنها ((نحلني أبو بكر كذا)) و الحديث أخرجه مالك في الموطأ ٧٥٢/٢ كتاب الأقضية ، باب ما يجوز من النحل ، (أي العطاء) .

(٤) (الجاد) بمعنى المجدود أي نَخْل يجدّ منه ما يبلغ عشرين وسقا من التمر ، والوسق مكيال معروف النهاية ١/ ٢٤٤ .

(٥) (الغابة) موضع شمال المدينة ويبعد عنها بريدا قرب أحد شمالا من وادي الخليل ، المعجم الجغرافي ٢٢٣

(٦) ذكر هذه القراءة ابن جني في كتابه المحتسب ١٨/٢ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) نبا الشيء ينبو أي تجافى و تباعد ، ونبا البصر عن الشيء ارتفع الجوهري ٢٥٠٠/٥ .

(٩) لبيد بن ربيعة مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية من عالية نجد ، أدرك الإسلام ووفد على النبي صلى ا لله عليه وسلم ، و يعد من الصحابة ، ترك الشعر لما سمع القرآن وبلاغته، و لم يقل بعد إسلامه إلا بيتا أو بيتين ، و هو أحد أصحاب المعلقات و كان كريما جوادا . مات سنة إحدى و أربعين . الشعر و الشعراء ١٢٣ و الإصابة ٣٢٤/٣ .

** وغداة ريح قد كشفَت وقُرّة ** إذ أصبحت بيد الشمال زمامها **

شبّه الشمال بالإنسان ، ثم خيل أنها إنسان بعينه ، ثم أضيف إليه على سبيل الاستعارة التخييلية (١) ما يلزم الإنسان عند التصرف وهو اليد قائلاً بيد الشمال وحكم الزّمام مع القرة حكم اليد مع الشمال ، كذا ههنا شبّه الذّلّ بالطائر ثم أثبت له ما يلازم الطائر عند انحطاطه وانخفاضه من الجناح . وعلى الأول خفض الجناح كناية عن التواضع ، وكان في الأصل استعارة تمثيليّة شبّه ما يتصوّر من الإنسان في حال التواضع من الانخفاض ، بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجَوّ ، ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن مجرّد التواضع ، ثم أضيف إلى الذلّ تتميماً لإرادة التواضع (٢) ، الراغب (٣) (٤) [الجناح جناح الطائر ، يقال : جنح الطائر ، إذا كسر جناحه ، وسمّي جانبا الشيء جناحيه ، كجناحَي العسكر والسفينة والوادي . وقال تعالى ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ أي جانبك ، وقوله : ﴿ إليك جناحك ﴾ عبارة عن اليد لِكَوْنِ الجناح كاليد . وقوله ﴿ واخفض لهما جناح الذلّ ﴾ استعارة ، وذلك أن الذلّ ضربان ، ضرب يضع الإنسان ، وضربٌ يرفَعه ، وقُصِد في هذا المكان إلى ما يرفعه ، فكأنه قيل : استَعمِلِ الذُّلّ الذي يرفعك عند الله تعالى من أجل اكتسابك الرحمة أو من أجل رحمتك لهما . وجَنَحَ الليل ، إذا أظلّ بظلامه ، والجُنْحُ

(١) الاستعارة التخييلية : هي إضافة لازم المشبّه به إلى المشبّه ، التعريفات ٣٦ .

(٢) وانظر حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي فما فيها أوضح ٢١٩/٣ .

(٣) الراغب في مفرداته ١٠٠ ، مادة (جنح) .

(٤) ويقول شيخنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله رحمة واسعة في كتابه المسمى(منع جواز المجاز في المنزّل للتعبّد والإعجاز) ، ومعلوم أنه رحمه الله لا يقول بالمجاز في القرآن ، قال : ما نصّه عند قوله تعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذلّ ﴾ أن الجناح هنا مستعمل في حقيقته ، لأن الجناح يطلق لغة حقيقة على يد الإنسان وعضده وإبطه ، قال تعالى ﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب ﴾ والخفض مستعمل في معناه الحقيقي الذي هو ضدّ الرفع ، لأن مريد البطش يرفع جناحيه ، ومظهر الذل والتواضع يخفض جناحيه ، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما ، والتواضع لهما ، كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ إلى أن قال : فيكون المعنى : واخفض لهما الجناح الذليل من الرحمة ، أو الذلول على قراءة الذِّلّ بالكسر ، انظر أضواء البيان ٣٨٥/٦ ، وفيه زيادة بيان تركناها خوف الإطالة .

قطعة من الليل مظلمة ، وجنَحَت السفينة إذا مالت إلى أحد جانبيها ، وسمي الإثم المائل بالإنسان عن الحقّ جناحا ، ثم سمّي كلّ إثمٍ جُناحاً ، وجوانِحُ الصَدْر الأضلاع المتصلة رؤوسها في وسط الزّور ، الواحدة جانحة ، وذلك لما فيها من الميل] .

قوله ((مبالغة في التذلّل والتواضع لهما)) أي للوالدين .

قوله ((﴿ من الرحمة ﴾ من فرط رحمتك لهما)) ، جعل (من) في ﴿ من الرحمة ﴾ ابتدائية لا بيانية ، إذ لو بيّن الجناح بها لرجعت الاستعارة إلى التشبيه التجريدي ، كقوله تعالى ﴿ حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ (١) ، قال أبو البقاء (٢) : [من أجل رفقك بهما فـ (من) متعلّقة بـ (اخفض) ، ويجوز أن تكون حالا من جناح] وقال صاحب الفرائد : [التواضع والتذلّل ربما يكونان لأمر آخر لا للرحمة والعطف ، فقوله ﴿ من الرحمة ﴾ معناه من أجل الرحمة ، يعني ينبغي أن لا يكون ذلك التذلّل للخوف أو لأمرٍ آخر] .

قوله ((وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية ، واجعل ذلك جزاءً لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك)) هذا المعنى يعطيه معنى (٣) كاف التشبيه . قال أبو البقاء (٤) : [(كما) نعت مصدر محذوف ، أي برحمة مثل رحمتهما لي] ، وقال القاضي (٥) : [ارحمهما رحمة مثل رحمتهما عليّ وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري وفاءً بوعدك للراحمين] ، وقلت : (ما) في (كما) مصدرية ، والوقت فيه مقدّر ، أي ارحمهما في وقت أحْوَج ما يكونان إلى الرحمة من جميع الأوقات ، كوقت رحمتهما عليّ وأنا في حالة الصغر كَلَحمٍ على وضمٍ (٦) وليس ذلك إلاّ في القيامة ، والرحمة هي

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٠ .

(٣) (معنى) س من ب .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٠ .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣/٢٠٠ .

(٦) قوله (كلحم على وضم) كناية عن شدة الضعف وقلّة الحيلة ، مثل لحم على وضم ، والوضم كل شيء يجعل عليه اللحم من خشب أو غيره ، يوقى به من الأرض . الصحاح للجوهري ٥/٢٠٥٣ .

الجنّة ، ولهذا قال : رحمته الباقية . هذا هو التحقيق . ونقل صاحب اللباب عن بعضهم (١) : [إن الكاف في (كما) ربياني ، لتأكيد الوجود] . وذكر الشارح في توجيهه أنه ليس الكاف فيه للقرآن في الوقوع ، كما في قولك : كما حضر زيد قائم عمر ، ولأن التربية من الوالدين واقعة والرحمة لهما مطلوب الوقوع لأنها مذكورة بصيغة الأمر في ﴿ ربّ ارحمهما ﴾ ، فالكاف ليس للمقاربة في الوقوع ، بل لتأكيد وجود الرحمة أي أوجد رحمتهما إيجاداً مؤكّداً محقّقاً كما أوجدالوالدان التربية (٢) إيجاداً محقّقاً في الزمان الماضي .

قوله ((فقال كل ذلك واصل إليه (٣))) يعني لا تسأل عن الصدقة وحدها ، فإن كلاًّ مما تعُورف من الميراث واصل إليه .

قوله ((لأمركم به في الأبَوَين)) أي المأمور به الاستغفار . وفي الآية المأمور به الاسترحام لقوله ﴿ قل ربّ ارحمهما ﴾ لأن الاسترحام بمعنى الاستغفار .

قوله ((ولا شيء أنفع من الاستغفار (٤))) يؤيّده ما روينا عن أبي داود وابن ماجه (٥) عن أبي أسيد الساعدي قال : (بينما نحن عند رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال : هل بقي من برّ والديّ شيء أبرّهما به بعد موتهما ؟،

---

(١) صاحب اللباب في شرح الكتاب للميداني أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٥١٨ ، واللباب طبع بتحقيق وضبط محمود أمين النواوي .

(٢) وقد أمر ا لله جلّ وعلا في غير ما آية من كتابه ببرّ الوالدين والرحمة والرأفة بهما ، وقرنه بعبادته تأكيداً عليهما ، فقال في سورة النساء الآية ٣٦ ﴿ واعبدوا ا لله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ وقال في سورة البقرة الآية ٨٣ ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ ا لله وبالوالدين إحساناً ﴾ وقال في سورة لقمان الآية ١٤ ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ ، وحثّ ا لله جلّ وعلا على برّ الوالدين والإحسان عليهما ، وإن كانا كافرين ، قال تعالى في سورة العنكبوت الآية ٨ ﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم ﴾ وقال في سورة لقمان الآية ١٥ ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ .

(٣) يشير (ز) إلى قول ابن عيينة حين سئل عن الصدقة عن الميت فقال : ((كل ذلك واصل إليه)) .

(٤) قال (ز) ولا شيء أنفع له من الاستغفار ، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين .

(٥) أخرجه أبوداود ٣٥٢/٥ كتاب الأدب ، باب في برّ الوالدين برقم ٥١٤٢ ، وابن ماجه في الأدب ، باب صِلْ من كان أبوك يصل ، برقم ٣٦٦٤ .

قال : نعم ، الصلاة عليهما (١) والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما) .

قوله ((رضى الله في رضى الوالدين (٢))) عن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رضى الربّ في رضى الوالد وسخط الربّ في سخط الوالد) أخرجه الترمذي .

قوله ((وروي يَفْعَل البارّ (٣)))، إن روي بضمّ اللام يكون خبراً في معنى الطلب ، كقوله تعالى ﴿ والوالدات يرضعن أولادهنّ ﴾ (٤) ، وإن روي بكسرها ، يكون من قبيل محمد تفْدِ نفسك كلّ نفس ، أي لتَفْدِ .

قوله ((أنت ومالك لأبيك (٥))) روى أبو داود عن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال : يارسول الله إن لي مالا وولدا ، وإن والدي يجتاح مالي ، قال :(أنت ومالك لأبيك) ، النهاية (٦) : [يجتاح مالي أي يستأصله ، ويأتي عليه أخذاً وإنفاقاً ، والاجتياح من الجائحة ، وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها] .

---

(١) الصلاة عليهما ، المراد الدعاء لهما .

(٢) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم ((رضى الله في رضى الوالدين)) ، أخرجه الترمذي ٢٧٤/٤ كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الفضل في رضى الوالدين رقم ١٨٩٩ ، وشرح السنة للبغوي ١٢/١٣ ، وابن حبان في الإحسان ١٧٢/٢ ، والحاكم في المستدرك ١٥٥/٤ وصححه ، وابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٦٥٨/٢ ، والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف أيضاً ٢٦٤/٢ .

(٣) روي يفعل البارّ مايشاء أن يفعل فلن يدخل النار ، ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل ، فلن يدخل الجنة ، أخرجه ابن حجر في أحاديث الكشاف ٦٥٩/٢ وقال : أخرجه الثعلبي ، قال : وفي سنده كذّاب .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(٥) أخرجه أبو داود ٨٠١/٣ كتاب البيوع والإجارات ، باب في الرجل يأكل من مال ولده ، وابن ماجة برقم ٢٢٩١ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٢٣٠/٢ ، وأحمد في مسنده ٢١٤/٢ ، وهو صحيح ، انظر ارواء الغليل ٣٢٣/٣ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣١١/١ .

قوله ((ولو طلقة (١))) النهاية (٢) [و في حديث ابن عمر أن رجلا حجّ بأمّه فحملها على عاتقه فسأله هل قضى حقها ؟ قال : لا ، و لا طلقة واحدا . الطلقة وَجَعُ الولادة . و الطلقة المرة الواحدة] .

قوله ((لا تذعر (٣))) الذعر الفزع .

قوله ((و لو زفرة واحدة)) الأساس (٤) على ظهره زِفْر من الأزفار حِمْل ثقيل يزفر منه وقد زَفِره يَزفِره حمله .

قوله ((إن من أبَرِّ البِرّ الحديث (٥) من رواية مسلم و الترمذي و ابي داود عن ابن عمر ، و قال قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (إن من أبرّ البرّ صلة الرجل أهل وِدّ أبيه بعد أن تَوَلّيَ) .

---

(١) يشير إلى قول (ز) أن النبي صلى ا لله عليه وسلم شكا إليه رجل سوء خلق أمّه ، فقال : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها و أظمأت نهارها ؟ قال : لقد جازيتها . قال : ما فعلت ؟ قال : حججت بها على عا تقي . قال : ما جزيتها ((و لو طلقة)) . لم أقف على من خرجه . و هكذا قال الحا فظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٦٥٨/٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٣٥/٣-١٣٦ .

(٣) قول (ز) ((لا تذعر)) يشير إلى قول عبد ا لله بن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمّه ، ويقول :

** إنّي لها مَطِيّة ((لا تُذْعَرُ)) ** إذا الرِّكابُ نَفَرَتْ لا تنفر **
** ما حَمَلَتْ و أرضَعَتْني أكثر ** ا لله ربّي ذو الجلال الأكبر **

تظنّني جازيتها يا ابن عمر ، قال : لا و لو زفرة واحدة . قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف قال : أخرجه ابن المبارك في البرّ و الصلة ، و البيهقي في الشعب و البخاري في الأدب المفرد ٦٢/١ باب جزاء الوالدين .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ٢٧١ مادة (زفر) .

(٥) أخرجه مسلم ١٩٧٩/٤ كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب فضل صلة أصدقاء الأب و شرح السنة للبغوي ٣٣/١٣ باب بر أم الرضاع . و أبو داود ٣٥٣/٥ كتاب الأدب , باب في برّ الوالدين رقم٥١٤٣ . و الترمذي ٢٧٦/٤ كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد رقم ١٩٠٣ . و أحمد في مسنده ، ٨٨/٢ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١١ .

قوله ((من قصد البِرّ)) (١) بيان لما في ضما ئركم ، وإنما خصه ببرّ الوالدين ، وهو عامّ لما سبق من التوصية بهما . وفصل قوله : ﴿ ربّكم أعلم ﴾ عما [قبله للاستيناف (٢) على سبيل التعليل ، أى أحسنوا إليهما ، لأن ربّكم أعلم بما في نفوسكم] من قصد البرّ فلا تقصروا فيه ، وأبذلوا جهدكم وطاقتكم ، فإنه يجازيكم على إحسانكم ، ثم اتّجه لهم أن يقولوا : نحن بشر ربّما تفرط (٣) منا فرطات وسبق هنات من غير اختيار منّا في بعض الأوقات ، فكيف يكون حالنا ؟ ، فقيل (إن تكونوا صالحين) أى قاصدين الصلاح فإن ا لله غفوربكم . ولما كان قوله : ﴿ إنه كان للأوابين غفورا ﴾ جزاء لقوله ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ ولم يستقم بظاهره أن يكون مسبباعنه ، لأن الغفران يستدعى (٤) الذنب لاجرم قدرما يقتضيه المقام من قوله : ((ثم فرَطت (٥) منكم)) إلى قوله ((ثم تبتم إلى ا لله واستغفرتم منها)) .

قوله ((هَنَةً)) الجوهري (٦) [في فلان هَنَات أى خصلات شرّ ولا يقال ذلك في الخير] .

قوله ((هي البادرة)) (٧) الجوهري (٨) [هي الحدَّة] الراغب (٩) [يعبّر عن

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ﴾ الإسراء الآية ٢٥ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ بما في نفوسكم ﴾ أى بما في ضما ئركم ((من قصد البر)) إلى الوالدين

(٢) ما بين القوسين س من ب

(٣) (تفرط) الجوهرى ٣/ ١١٤٨ فرط في الأمر يفرط فرطاً أى قصّر فيه ، وفَرط عليه أى عجل وعدا

(٤) (يستدعى عن الذنب) ب

(٥) يقول (ز) فى تفسير قوله تعالى ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ أى قاصدين الصلاح والبرّ ((ثم فرطت منكم فى حال الغضب ، و عند حرج الصدر ، وما لا يخلو منه البشر ، أو لَحمِيةِ الإسلام هَنَةً تؤدى إلى أذاهم ((ثم أنبتم إلى ا لله واستغفرتم منها ، فإن ا لله غفوررحيم))

(٦) الجوهرى فى صحاحه ٢٥٣٧/٦ ، مادة (هنو)

(٧) تفسير (ز) لقوله ﴿للأوابين ﴾ أى للتوابين . وعن سعيد بن جبير ((هى فى البادرة)) تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير .

(٨) الجوهرى فى صحاحه ٢/ ٥٨٧ ، مادة (بدر) .

(٩) الراغب فى مفرداته ٣٨ ، مادة (بدر) .

الخطأ الذى يقع عن حِدّة بادرةٍ ، يقال : كانت من فلان بوادر فى هذا الأمر] .

قوله ((للأوّابين)) التّوابين ، الراغب (١) : [الأوب ضرب من الرجوع ولا يقال إلا فى الحيوان الذى له إرادة و الرجوع عام ، والأواب كالتواب وهو الراجع إلى الله تعالى من المعاصي و فعل الطاعات ، ومنه قيل : للتوبة أوبةً] .

قوله ((كلّما أذنب)) (٢) صفة للرجل لإرادة الحقيقة منه .

قوله ((ويجوز أن يكون هذا عاما)) عطف على قوله ((فرطت أى فرطت هَنَة تؤدى إلى أذاهما)) وفرّت بقوله ((هى البادرة)) تكون من الرجل إلى أبيه .

قوله ((وصّى بغير (٣) الوالدين)) الأساس (٤) [و صّيتك بفلان أن تبرّه ، ووصّى الشئ بالشيءوصله له] .

قوله ((وحقّهم إذا كانوا محارم كا لأبوين)) بعد قوله وصّى بغير الوالدين من الأقارب يوهم التناقض ، وكذلك قوله ((وإن كانوا مياسير فحقّهم صلتهم بالمودّة مخالف لقوله ((وهذادليل على أن المراد بمايؤتي ذوي القربى من الحقّ هو تعهدهم بالمال)) ويمكن أن يقال إن ذا القربى مطلق شائع فيمن يوجد فيه معنى القرابة من الوالدين والولد و غيرهم ، فقّيد بغير الوالدين ، بعطف هذه التوصية على التوصية بالوالدين ، وهوالمراد بقوله ((وصّى بغير الوالدين)) بعد التوصية بهما . وأما قوله ((وأن تؤتوا حقهم)) فعطف على مجموع قوله بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما [وأما قوله ((وحقهم)) (٥) فالضمير فيه راجع إلى الأبوين وبذي القربى، ولذلك حقه مطلق شائع] فيما يجب فيه مراعاة حق الأقرباء من النفقة ،

---

(١) الراغب في مفرداته ٣٠ ، مادة (أوب)

(٢) قال (ز) : وعن سعيد بن المسيب : الأوّاب الرجل ((كلّما أذنب)) بادر بالتوبة .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل و لاتبذّر تبذيرا إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين و كان الشيطان لربه كفورا ﴾ ٢٦/٢٧ ، قال (ز) في قوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ ((وصّى بغير الوالدين)) من الأقارب .

(٤) الأساس للزمخشري ٦٧٩ ، مادة (وصّى) .

(٥) ما بين القوسين س من أ ، م .

والزكاة والمودّة وحسن المعاشرة ، فيقيّد أيضاً بالزّكاة لعطف ﴿ و المسكين وابن السبيل ﴾ على ذي القربى ، وهو الذى عنى بقوله ((وآت هؤلاء حقّهم من الزكاة وهذا دليل)) إلى آخره قال الإمام (١) : [آت ذا القربى مجمل و ليس فيه أن ذلك الحقّ ما هو ؟] . و عند الشافعي (٢) رضي الله عنه لا يجب الإنفاق إلا على الوالد والولد بقدر الحاجة ، واتّفقوا على أن من لم يكن من المحارم كأبناء العمّ ، لا حقّ لهم إلا المودّة وحسن المعاشرة . وأما المسكين و ابن السبيل فقد تقدم حكمها في سورة التوبة وقلت : ويمكن أن يترك ذا القربى وحقّه على إطلاقهما ويحمل ﴿ وآت ﴾ على عموم المجاز لتكون الآية من الجوامع ، فيدخل فيه الإنفاق على الوالدين و برّهما فيها دخولاً أوّلياً والله أعلم .

---

(١) الإمام الفخر الرازي ٢٠ /١٩٣ .

(٢) ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن النفقة لا تجب إلا على الوالدين والأولاد إذ كان المنفوق عليه منهما معسراً ، أما من كان موسراً منهما فلا تجب النفقة له ، بشرط أن يكون فاضلا عن نفقته ، ونفقة زوجه وولده بالنسبة للولد ، ولا يشترط الإسلام في كل منها . ولا العجز عن الكسب . والحنابلة مثل الشافعية ، إلا أنهم يشترطون أن يكون المنفق وارثا للمنفق بفرض أو تعصيب إن كانا من غير عمود النسب . أما عمود النسب فإنها تجب ولو لم يرث . والمالكية مثل الشافعية ، إلا أنهم يشترطون الحرية وعدم القدرة على الكسب والولد لايجبر على الكسب للانفاق على الوالدين . وكذلك الآباء . والحنفية قالوا : نفقة الآباء واجبة على أبنائهم وإن علوا ، بشرط الإعسار ، ولا يلزم الأب بالتكسب ، كما يلزم الابن ، وتقدم الأمّ في حال عجز الابن عن الأبوين . انظر كتاب المذاهب الأربعة ٤/ ٥٩١ ، ٥٩٢ . والمغني لابن قدامة ١١ / ٣٧٢ ، ٣٧٧ . وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/ ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

قوله ((و فقراء عاجزين)) عطف على محارم ، و أن ينفق عليهم خبر حقّهم.

قوله ((و إن كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم فحقّهم الجملة معطوفة على قوله و حقّهم إذا كانوا محارم إلى آخره .

قوله ((أراد بذى القربي أقرباء الرسول صلى ا لله عليه وسلم)) قال الإمام (١) : [و آت خطاب مع من فيه قولان : أحدهما أنه خطاب للرسول صلى ا لله عليه وسلم فأُمِرَ أن يؤتى أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء (٢) و الغنيمة ، وأوجب عليه أيضاً إخراج حقّ المساكين و أبناء السبيل من هذين المالين . و ثانيهما : أنه خطاب للكلّ لدلالة عطفه على قوله ﴿ و قضى ربّك ألا تعبدوا ﴾.

قوله ((التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي (٣))) الراغب (٤) [و أصله إلقاء البذر و طرحه فاستعير لكل مضيع لماله ، فتبذير البذر تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه قال تعالى ﴿ لا تبذّر تبذيرا ﴾] .

قوله ((مرّ رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بسعد و هو يتوضأ (٥) الحديث مخرّج في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عمر رضي ا لله عنهم .

قوله ((أمثالهم في الشّرارة ، يريد أن (إخوان) في قوله ﴿ إخوان الشياطين ﴾ إمّا محمول على (معنى (٦)) التشبيه ، كما جاء في الحديث كأخي

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ٢٠/١٩٣ .

(٢) (الفيء)ما رده ا لله تعالى على المسلمين من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال ، إما بالجلاء أو بالمصالحة ، قال تعالى ﴿ و ما أفاء ا لله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب ﴾ الآية ٦ من سورة الحشر . وقيل للغنيمة التي لا تلحق فيها مشقة فيء . الراغب ٣٨٩ و التعريفات للجرجاني ١٧٠ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ قال (ز) : التبذير تفريق المال إلخ .. على وجه الإسراف .

(٤) الراغب في مفرداته ، ٤٠ مادة (بذر) .

(٥) و تمامه (فقال : ما هذا السرف يا سعد ؟ قال : أوفي الوضوء إسراف ؟ قال : نعم ، و إن كنت على نهر جار) و يعني بسعد سعد بن أبي وقاص رضي ا لله عنه . أخرجه أحمد في سنده ، ٢/٢٢١ , ابن ماجه برقم ٤٢٥ و إرواء الغليل ١/١٧١ و تلخيص الجبير لابن حجر ١/١٠١ و قال ضعيف في إسناده ابن لهيعة و انظر تخريج أحاديث الكشاف ٢/٦٦١ لابن حجر . و الزيلعي أيضا ٢/٢٦٩ .

(٦) (معنى) س من ب .

السرار (١) أي كمثله ، و هو المراد من قوله ((أمثالهم (٢))) و لما كان هذا التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل قال : لأنه شرّ من الشياطين ، و إما مجاز كما في الأساس(٣) [بين السماحة و الشجاعة تآخٍ و لَقِيته بأخي الشَّرِّ أي بِخَيْرٍ] فهو بمعني الصديق ، و ذلك في الدنيا ، لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم . أو بمعنى القرين ، وذلك في النار و هذا وارد على الوعيد و التهديد و الوجهان على الذمّ و التّقبيح .

قوله ((لأنه لا شرّ من الشيطان)) عن بعضهم الأولى لا شرّاً لأن من صلة شرّاً فيكون مشابهاً للمضاف ، نحو لا خيراً من زيد عندنا .

قوله ((فما ينبغي ان يطاع)) يعني قوله (و كان الشيطان لربه كفورا) تذييل للكلام و لذلك أجراه مجرى التعليل .

قوله ((أي ابتغ رحمة الله (٤))) فسر المفعول له بالأمر ليؤذن بأنه داخل في خير الجزاء ، عطف على (قُل) من حيث المعنى ، فيكون مأموراً بإنشاء القول اللين و إنشاء طلب الرحمة .

قوله ((ويجوز أن يكون معنى ﴿ وإما تعرضنّ عنهم ﴾ وإن لم تنفعهم)) عطف على ((وإن أعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياءً من الردّ)) ، وقوله ((((كناية بالإعراض عن ذلك)) خبر ((أن يكون)) والإعراض عن الأوّل مجرى على صراحته لقوله ((أعرَضَ عن السائل وسَكَتَ حياءً)) ، ثم

---

(١) السرار بكر السين المساررة ، أي كصاحب السرار ، يعني المساررة بخفض الصوت النهاية ٣٦٠/٢ ، و هذا الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ، الحجرات ٤٦٢/٢ و سكت عنه الذهبي، و ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢١٩ و ابن كثير ٣٦٤/٧ و سببه أنه لما نزل قوله تعالى في سورة الحجرات الآية ٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول ﴾ الآية، قال أبو بكر رضي الله عنه : (و الله لا أكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم (إلا كأخي السرار) .

(٢) ((أمثالهم)) يعني أمثال الشياطين .

(٣) الأساس للزمخشري ١٣ مادة (أخو) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ و إمّا تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربّك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ﴾ الإسراء الآية ٢٨ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ﴾ أي ((ابتغ رحمة الله)) التي ترجوها برحمتك عليهم .

قوله ((ابتغاء)) على الأول : إما أن يتعلق بقوله ﴿ فقل لهم قولا ميسوراً ﴾ ، والإضافة إلى المفعول لقوله ((ابتغ رحمة الله)) ، وإما أن يتعلق بالإعراض ، وعلى أن يكون كناية يختصّ تعلّقه بالشرط ، ويكون الابتغاء موضوعاً موضع عدم الاستطاعة وضعاً للمسبّب موضع السّبب .

قوله ((خصاصتهم (١))) ، الأساس (٢) : [أصابته خصاصة خلّة ((واختصّ الرجل ، اختَلّ ، أي افتقر ، وسدَدْتُ خصاصة فلان ، جبرت فقره] .

قوله ((ولا يريد الإعراض)) بالنصب عطف على ((أن يكون)) .

قوله ((فهو مفعول))، أي ميسوراً ، والمعنى قل لهم قولا ليّناً ، وعِدْهم وَعْداً جميلاً . ويجوز أن يراد بالقول الميسور الدعاء لهم باليسر ، أي يذكر فيه معنى اليسر وما أشبهه مثل : أغناكم الله (٣) ورزقنا الله وإياكم ، فعلى هذا يكون مصدراً ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ قولا ميسوراً ﴾ ، وهو اليسير .

قوله ((تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف (٤))) مثل حال من يمنع لشحّه بحال من يَدَهُ مَغْلولَة إلى عُنُقِه ، فلا يقدر على شيء من التصرّف ، وحال من يسرف بحال من بسط كفّه كلّ البسط فلا يثبت شيء في كفّه ، ثم استعمل ألفاظ الممثَّل به في الممثّل .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وإما تعرضنّ عنهم ﴾ قال (ز) : وإن لم تنفعهم ولم ترفع ((خصاصتهم)) لعدم الاستطاعة ((ولا يريد الاعراض)) .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ١٦٤ ، قال : ومن المجاز أصلبته خصاصة إلخ ، مادة (خصص) .

(٣) قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٦٣ ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ الآية ، وقد أحسن من قال :

** إلاّ تكن وَرِقٌ يوما أجود بها ** للسائلين فإني ليّن العود **

** لا يعدم السائلون الخير من خُلُقي ** إمّا نَوَالي وإما حُسْنُ مردودي **

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ ، قال (ز) : ((هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف)) وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير.

قوله ((وعند نفسك إذا احتجت (١))) ، معطوف على قوله ((عند الله))، أي هو ملوم عند الله لأنه غير راض عنه ، وملوم عند الناس ، الفقير يلومه ويقول : أعطى فلاناً وحرمني ، والغنيّ يقول : ما تحسن تدبير المعيشة ، وملوم عند نفسه إذا احتاج ندم على ما فعل ، والحاصل ، أن ﴿ ملوما ﴾ قطع عن متعلّقه ليُعلم التقدير ، الراغب (٢) : [اللّوم عذل (٣) الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم ، قال تعالى : ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾ (٤) ، فإنه ذكر اللوم تنبيهاً على أنه إذا لم يلاموا لم يفعل بهم ما فوق اللوم ، ورجل لُومَةٌ : يلوم الناس ، ولُوَمَة : يلومه الناس ، واللائمة : الأمر يلام عليه الإنسان] .

(قوله (٥)) ((منقطعاً بك (٦))) انقطع بالمسافر على بناء المفعول إذا اعْطِبَتْ دابّته أو نفذ زاده ، [فانقطع به السفر دون طِيَّتِه (٧) ، فهو منقطع به] مثله في الأساس (٨) .

قوله ((وحسره)) ، الجوهري (٩) : [حَسَرَ البعير يَحْسُرُ حسوراً : أعيا ، وحسَرْتُه أنا حَسْراً ، يتعدّى ولا يتعدّى] .

قوله ((إنه أبلغ منه)) يقال : بلغ منه المرض ، أي أثّر تأثيراً ثانياً .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ فتقعد ملوما ﴾ ، قال (ز) : فتصير ملوما عند الله وعند الناس ، لأن الاسراف مذموم ((وعند نفسك إذا احتجت)) فندمت على ما فعلت .

(٢) الراغب في مفرداته ٤٥٦ ، مادة (لوم) .

(٣) (العذل) الملامة ، وقد عذلته ، من باب نَصَر ، والاسم العَذَلُ ، بالتحريك . الصحاح للجوهري ١٧٦٢/٥ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٦ .

(٥) (قوله) س من النسختين أ ، ب ، وهو خطأ فيهما .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ محسوراً ﴾ ، قال (ز) : ((منقطعاً بك)) لا شيء عندك ((من حسره)) الفراء ((إذا بلغ منه وحسره بالمسألة)) .

(٧) (الطية) بالكسر ، قطع المسافة . القاموس ٣٥٨/٤ ، مادة (طوى) .

(٨) الأساس ٥١٤ ، للزمخشري ، أعني ما بين المعكوفين موجود فيه .

(٩) الجوهري ٦٢٩/٢ ، مادة (حسر) .

قوله ((من ساعة إلى ساعة (١))) قيل من متعلق بمحذوف أي أخرّ سؤالك من ساعة ليس لنا فيها درع إلى ساعة يظهر لنا درع . و درع المرأة قميصها ، و يمكن أن يتعلّق بقوله : يظهر قلت : يمكن أن يقال : إنه لّما طلب الدرع قال صلى ا لله عليه وسلم : مطلوبك لا يحضرنا الآن ،لكن نترقّبه و نرجو حصوله و ظهوره من ساعة (إلى ساعة) (٢) و ينطبق على هذا معنى قوله تعالى ﴿ و إمّا تعرضنّ عنهم إبتغاء رحمة من ربّك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ﴾ و بهذا اقتدى الفضل حين أجاب عن سؤال السائل أكره أن أقول : نعم (٣) ، فأكون ضامنا ، أولا (٤) فأكون مؤيسا ، ولكن ننظر فيسهّل ا لله .

قوله ((وقيل أعطى الأقوع بن حابس)) الحديث من رواية مسلم عن رافع بن خديج قال : أعطى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب يوم حنين (٥) و صفوان بن أمية و عيينه بن حصن و الأقرع بن حابس وعلقمة بن علامة كل إنسان منهم مائة من الإبل . و أعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس الأبيات الثلاثة المذكورة (٦) . و فيه فما كان بدر ((ولا حابس)) و من تخفض

(١) يشير إلى حديث جابر رضي ا لله عنه قال : بينا رسول ا لله صلى ا لله عليه و سلم جالس أتاه صبي فقال : إن أمّي تستكسيك دِرْعاً ((فقال : من ساعة إلى ساعة)) يظهر فعد إلينا إلخ ... و هذا الحديث لم أقف عليه .

(٢) ما بين القوسين س من (١) و الصواب ما في ب لظهور المعنى .

(٣) لم أقف على هذا الكلام الجميل و لا على قا ئله .

(٤) أولا يعني أقول : لا .

(٥) حنين تصغير حِنّ ، و ادمن أودية مكة المكرمة يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلا و يسمى اليوم وادي الشرائع ، و أعلاه الصدر ، يعني صدر حنين ، و ماؤه يصب في المغمس ، فيذهب في سيل وادي عُرَنَه، و إذا كنت خارجا من مكة إلى الطائف على طريق اليمانية لقيت الشرائع ، و هي عين و قرية نسب الوادي إليها ، و قد أجرت زبيدة عينها إلى مكة . ثم انقطعت . انظر معجم المعالم للجغرافية ١٠٧ .

(٦) ** أتجعل نهبي و نهب العبيد ** بين عيينة و الأقرع **
** وما كان حصن و لا حابس ** يفوقان جدّى في مجمع **
** وما كنت دون امرىء منهما ** و من تخضع اليوم لا يرفع ** .

اليوم بدل تضع قال فأتمّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة . ورواية ابن عبدالبر (١) [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذهبوا فاقطعوا عني لسانه فأعطوه حتى رضي] النهاية (٢) [العبيد بضم العين و فتح الباء الموحدة اسم فرس العباس بن مرداس السّلمي .] و معنى اقطعوا عني لسانه : أعطوه حتى يسكت فَكَنىّ بالقطع عن السكوت (٣) ، و منه أتاه رجل فقال : إني شاعر فقال يا بلال (اقطع لسانه)(٤) فأعطاه أربعين درهماً . قال الخطابي (٥) : [يشبه أن يكون هذا ممن له مال في بيت المال ، كابن السبيل وغيره ، فتعرض له بالشعر فأعطاه لحقّه أو لحاجته لا لشعره] .

---

(١) ابن عبد البر في الاستيعاب مع الإصابة ١٠١/٣ في ترجمة العباس بن مرداس من رواية رافع بن خديج رضي الله عنهم . و برواية :

** فما كان حصن ولا حابس ** يفوقان مرداس في مجمع ** .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٨٣/٤ مادة (قطع) و مسلم في صحيحه ٧٣٧/٢ برقم ١٠٦٠ .

(٣) ومنه أي الكناية بالقطع عن الإعطاء ، قوله صلى الله عليه وسلم لبلال ، المرجع السابق .

(٤) رواه البيهقي في سننه الكبرى ، ٢٤١/١٠ . وانظر كشف الخفاء ١٨٢/١ .

(٥) الخطابي الإمام العالم المحدّث حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب التصانيف، من ولد زيد بن الخطاب ، ووهم من سماه أحمد ، كما قال الذهبي . ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ ، ومعجم البلدان ٤١٥/١ ، ووفيات الأعيان ٢١٤/٢ .

قوله ((يرهقه من الإضافة (١))) أي يغشاه ، النهاية (٢) : [أرهقني فلان إثماً حتى رَهِقْتُه ، أي حمَّلني إثماً حتى حملته له] ، جعل قوله ﴿ إن ربّك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ تعليلا لقوله ﴿ وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ يعني : إن أعرضت عن العفاة لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك ﴿ فقل لهم قولا ميسوراً ﴾ ولا تهتم بذلك ، فإن ذلك ليس لهوان منك عليه ، ولكن بيد الله مقاليد الرزق ، وهو يقبض ويبسط كيف يشاء ، وحكمته تابعة لمشيئته ، لا بالعكس كما قال ، ففوّض الأمر إليه ، فيكون قوله ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط ﴾ معترضة تأكيد المعنى ما يقتضيه حكمة الله من القبض والبسط ، وأمراً بالتأسّي بسنّة الله ، كما هو في الوجه الثالث ، وهو أن يراد بالنهي عن البسط والقبض الأمر بالاقتصاد ، وعلى الوجهين الآخرين ، تعليل للأمر بالاقتصاد ، وعلى الوجه الثاني التعليل مخالف لما ينبغي أن يفعله العبد ، يعني البسط المفرط والقبض المفرط مختصّ بالله . فاقتصد أنت واترك ماهو مختصّ بالله تعالى ، وعلى الثالث موافق له ، يعني أنكم إذا تحقّقتم فيما بسط الله وقبض وأمعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا ، فاقتصدوا واستنّوا بسنّته .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ الإسراء الآية ٣٠ ، قال (ز) : ثم سلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان ((يرهقه من الإضافة)) بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ، ولا لبخل به عليك ، ولكن لأن مشيئته في بسط الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة .

(٢) النهاية ٢٨٣/٢ ، مادة (رهق) .

قوله : ((﴿ وخِطاءً ﴾(1) بالكسر والمد))(2) قال أبو علي(3) : (قرأها ابن كثير) ويحتمل أن يكون مصدر ﴿ خاطاء ﴾ وإن لم يسمع . قال أبو عبيد(4) : (هو من قولهم)(5) (6) :

** تخاطأت النبل أحشاءه **

يدل على خاطأ، لأن تفاعل مطاوع فاعل (وقرأ ابن عامر : ﴿ خَطَأً ﴾ بفتح الخاء والطاء من غير مد)(7) وقرأ الباقون : ﴿ خِطْأً ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء وقصرها.

قوله : ((أن تَغْصِب على غيرك أمْرَ أته))(8) الأساس(9) : [غُصِب على عقله، واغْتُصِبَتْ فلانة نفسها جُومِعَت مقْهُورة].

قوله : ((إلا بأحدى ثلاث)) يريد الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)(1) إلا بإحدى ثلاث :

---

(1) قرأ أبو جعفر وابن عامر عن طريق ابن ذكوان وهشام في رواية : ﴿ إن قتلهم كان خَطأً كبيراً ﴾ بفتح الخاء والطاء غير ممدود. وقرأ ابن كثير وابن محيصن ﴿ خِطَاءً ﴾ بكسر الخاء وفتح الطاء ممدوداً مصدر (خاطأ) يخاطئ خِطاءً) يخاطئ خِطاءً، كقاتل يقاتل قتالاً. وقرأ الباقون : ﴿ خِطْئاً ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء، من غير مد، مصدر (خَطِئ) خَطَأً، إذا لم يتعمّد،كأثم إثما . الإتحاف ٢٨٣ والمبسوط ٢٢٨ والنشر ٣٠٧/٢.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٣١.

(3) أبو علي الحسين بن أحمد بن عبد القادر الفارسي . انظر الحجة لأبي علي ٩٦/٥.

(4) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث، والأدب والفقة، من أهل هراة، تولى القضاء بطرطوس ثماني عشرة سنة، مات ٢٢٤ هـ له مصنفات كثيرة . انظر تذكرة الحفاظ ٥/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٨ وابن خلكان ٤١٨/١ وكتابه مجازات القرآن ٣٧٦/١.

(5) (هو من قولهم) س من أ، والصواب ما في غيره، كما هو في الحجة ٩٦/٥.

(6) يشير إلى قول أوفي بن مطر المازني كما في الصحاح للجوهري ٤٨/١ مادة (خطأ) والحجة ٩٦/٥:

** تخاطأت النبل أحشاءه ** وأخّر يَومي فلم يُعْجَل **

(7) ما بين القوسين س من ب، والصواب ما في أ.

(8) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾ الإسراء الآية ٣٢. قال (ز) في قوله تعالى : ﴿ وساء سبيلاً ﴾ وبئس طريقاً طريقه ((وهو أن تغصب على غيرك أمرأته)) أو أخته أو بنته من غير سبب.

(9) أساس البلاغة ٤٥١ مادة (غصب).

النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة) أخرجه الشيخان والترمذي وأبو داود والنسائي(٢) .

قوله : ((حتى قال مهلهل(٣) حين قتل بجير بن الحارث(٤) قصته سبقت في البقرة عند قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾(٥) مستقصى.

قوله : ((بؤبِشِسْع)) الأساس(٦) : [باء فلان بفلان : صار كفؤاً له، وأبأْتُ فلاناً بفلان قتله به] يعني : قُم مقام شسعه(٧) فإنك لست كفؤاً له[

قوله : ((** كل قتيل في كليب غرة **(٨)

الغرّة من يفدي به في قتل الجنين عبداً كأن أو أمة، المعنى : كلّ قتيل يقتل فداء لكليب كلا فداء لأنه لا يساويه.

---

(١) ما بين القوسين س من ب والصواب ما في غيره .

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٠١/١٢ كتاب الديات، باب قوله تعالى : ﴿ أن النفس بالنفس ﴾ . ومسلم ١٣٠٢/٣ كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم. وأبو داود برقم ٤٣٥٢ . والنسائي ١٦٥/٢ . والترمذي ١٢/٤ رقم (١٤٠٢).

(٣) مهلهل امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر، وقيل : اسمه عدى، وسمي مهلهلاً، لأنه أول من هلهل الشعر أي أرقّة، يقال : أول من قصّد القصيد وهو خال امرئ القيس بن حجر، وأخو كليب الذي هاج بمقتله حرب البسوس بين بكر وتغلب بن وائل المعروفة . خزانة الآدب ١٦٢/٨ والعقد الفريد ٤٧٨/٥.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ... الآية ﴾ الإسراء .

(٥) البقرة الآية ١٧٩.

(٦) الأساس ٥٣ مادة (بَوَأ).

(٧) (الشسع) السير الذي يصلح به النعل، يقال : شسع النعل جعل لها شسوعاً. الأساس ٣٢٩.

(٨) ** كل قتيل في كليب غُرّه ** حتّى ينال القتلُ آل مُرّه **

قوله : ((﴿ فلا يسرفُ ﴾ بالرفع)) قال ابن جني[1] : [رفع هذا على لفظ الخبر، بمعنى الأمر كقولهم : يرحم الله زيداً] ويجوز أن يكون معناه دون الأمر، أي : ينبغي أن لا يسرف، وعليه قوله[2] :

** على الحَكَمِ المأتيّ يوماً إذا قضى ** قضيته ألا يجور ويقصد **

فرفعه على الأستئناف، ومعناه أن يقصد.

قوله : ((و عن مجاهد[3] أن الضمير للقائل الأول ، عطف على قوله الضمير للوليّ المعنى : لا يسرف القاتل في القتل بأن يقتل من لا يحق قتله فيُقتلُ، فيكون قد أسرف في القتل، حيث كان سببا لهلاك نفسه، وهلاك غيره، وفي الارتداع سلامة نفسه وسلامة نفس الغير، ففيه لمحة من معنى قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وعلى هذا الضمير في قوله : ﴿ إنه كان منصوراً ﴾ للمقتول، أي : لا يسرف القاتل المبتدئ، لأن من قُتِل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتص له، وليه أو السلطان.

قوله : ((وقرئ : ﴿ فلا تسرف ﴾[4] على خطاب الولي حمزة والكسائي والباقون بالياء.

قوله : ((﴿ إن العهد كان مسئولاً ﴾[5] أي مطلوباً، يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به)) الانتصاف[6] : [هذا التأويل أرجح، ويحذف الجار والمجرور الذي هو

---

(1) المحتسب لابن جني ٢/٢٠.

(2) البيت لأبي اللحام التغلبي شاعر جاهلي، واسمه حريث . الكتاب لسيبويه ٤٣١/١ والخزانة ٦١٣/٣.

(3) مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، أحد الأعلام، ولد سنة إحدى وعشرين، ومات وهو ساجد بمكة سنة أربع ومائة . تهذيب التهذيب ٤٢/١٠.

(4) قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ تسرف ﴾ بالتاء على الخطاب للإنسان أو القائل ابتداء بالقتل العدوان، أو القاتل استيفاء، أو ولي القتل بعد أخذ الدية، أو بقتل غير القاتل كعادة الجاهلية، والباقون : ﴿ يسرف ﴾ بالياء على الغيبة، حملاً على الإنسان إو الولي . الإتحاف ٢٨٣ والمبسوط ٢٢٨.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتّى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا ﴾ الإسراء الآية ٣٤. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ إن العهد كان مسؤلا ﴾ : ((أي مطلوباً ... الخ)).

(6) الانتصاف مع الكشاف ٦٦٥/٢.

(عنه) تخفيفاً كما جاء في قوله : ﴿ كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ ويعضّد سؤال العهد على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها عمّن وصلها وقطعها في الحديث الصحيح[1] ، وقلت : الثاني أبلغ عند أرباب البلاغة وفرسان الطراد، وكان ترك (عنه) هنا دون الآية المستشهد به دليلا عليه والحديث المذكور، وسؤال الموءودة[2] معاضدين له.

قوله : ((ويجوز أن يراد على تقدير السؤال على التبكيت، بأن يقال : لم نكث العهد ؟ فعلى الأول ليس في الكلام توبيخ، وعلى الثاني : توبيخ على سبيل التعريض. وعلى الثالث : توبيخ على التصريح.

قوله : ((وقرئ : ﴿ بالقسطاس ﴾[3] حفص وحمزة والكسائي[4] بالقسطاس هنا وفي الشعراء بكسر القاف . والباقون بضمها. الراغب[5] : [القسطاس يعبّر به عن العدالة، كما يعبّر بالميزان عنها قال تعالى : ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾[6]].

قوله : ((القافة))[7] النهاية[8] : [القائف الذي يتتبع الآثار ويعرف شَبَه الرجل بأخيه أو أبيه، والجمع القافة].

---

(1) يعني حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟. قالت : بلى ... الخ) البخاري مع الفتح ٣٤٩/١٠، ٣٩٢/١٣. ومسلم برقم ٢٥٥٤.

(2) يشير إلى قوله تعالى في سورة التكوير الآية ٨ : ﴿ وإذا الموءودة سئلت . باي ذنب قتلت ﴾.

(3) قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر القاف هنا وفي الشعراء، وكذا الأعمش، والباقون بالضم، وهما لغتان، الضم لغة الحجاز، والكسر لغة غيرهم . الإتحاف ٢٨٣.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ الآية ٣٥.

(5) الراغب في مفرداته ٤٠٣ مادة (قسط).

(6) سورة الإسراء الآية ٣٥.

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ الآية ٣٦. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولا تقف ﴾ أي : ولا تتبع، وقرئ : ﴿ ولا تقف ﴾، يقال : قفا أثره وقافه، ومنه ((القافة)).

(8) النهاية في غريب الحديث ٩٤/٤ مادة (قفا).

قوله : ((شَبيةٌ بالعَضِيهية)) الجوهري(١) : [هي البَهِيتَةُ، وهي الإفك والبهتان].

قوله : ((رَدْغَةُ الخَبَال)) الحديث من رواية أبي داود عن يحي بن راشد (من قال في مؤمن ماليس فيه أسكنه ا لله رَدْغَةَ الخبال، حتى يخرج مما قال)(٢) النهاية(٣) : [ومنه حديث حسان بن عطية : (من قفا مؤمناً بما ليس فيه وقفه ا لله في ردغة الخبال)(٤) جاء في تفسيرها إنها عصارة أهل النار، والرَّدْغَةُ بسكون الدال وفتحها : طين ووحل كثير، وفي الحديث : إن الخبال عصارة أهل النار، وهو في الأصل الفساد، وقوله : ((حتى يخرج مما قال)) أي : يخرج من عهدة قوله، يريد وا لله أعلم : أنه يحمل عليه من ذنوب المغتاب فيعذب في النار على مقداره، ثم يخرج منها.

قوله : ((ومثل الدُّمى))(٥) البيت . الدمى جمع دِمْيَة، وهي : الصُّنُمُ والصورة المنقوشة، والشمم ارتفاع الأنف، وشُمّ العرانين كناية عن التكبر لا يُشِعْنَ، أي : لا يظهرن التَّقَافِيا، أي : التقاذف، الأساس(٦) : [يقال : ومالك تقفو صاحبك؟، أي : تقفه وإيّاك والقفو، وما هجا فلانٌ ولا قفا] يصف جماعة من النساء بالجمال والتكبر والحياء، وصون لسانهن عن القذف، مثله قول حسان في أم المؤمنين عائشة رضي ا لله عنها :

** حصان رزان ما تُزَنّ بريبة ** وتصبح غرثى من لحوم الغوافل **

قوله : ((ولا أرمي))(٧) البيت، الحواصِن : النساء العفائف، قُفينَا أصله قفين.

---

(١) الجوهري في صحاحه ٦/٢٢٤١ مادة (عضه).

(٢) أخرجه أبو داود ٤/٢٣ كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على معصية من غير أن يعلم أمرها . وأحمد في مسنده ٢/٧٠ . والبيهقي ٦/٨٢، ٣٣٢٨ . وحلية الأولياء ٨/١٨٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤/٥٩ مادة (قفا).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٨٢ وهو جزء من حديث . وفيه : (ومن قفا مؤمنا أو مؤمنة حبسه ا لله في ردغة الخبال، عصارة أهل النار).

(٥) ** ومثل الدُّمى شُمُّ العرانين ساكن ** بهنَّ الحياء لا يشعنَ التقافيا **

والبيت للنابغة الجعدي

(٦) الأساس ٥١٨ مادة (قَفَوَ).

(٧) ** ولا أرمي البريء بغير ذنب ** ولا أقفو الحواصن إن قفينا **

القائل لهذا البيت : الكميت بن زيد الأسدي.

قوله : ((** والعيش بعد أولئك الأيام **))(١) أوله : ذُمَّ المنازِلَ بعد منزلةِ اللوى**.

ذُمَّ أمْرُ، أي : العيشة الطيبة ما مضى بمنزلة اللوى، وما سوى ذلك مذموم في جنبه. والغرض من الإستشهاد أن لفظة : أولاء ليست بمخصوصة بالعقلاء، بل تقع على جماة الرجال والنساء والحيوان والجماد والأعراض، قال الكواشي(٢) : [أولئك غالب لمن يعقل] وقال القاضي(٣) : [أي : كل هذه الأعضاء فأجارها مجرى العقلاء، لما كانت مسؤلة عن أحوالها شاهدة على صاحبها، هذا وإن (أولاء) وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع، لذا وهو يعُمُّ القَبِيلين جاء لغيرهم].

قوله : (((فمسْؤلٌ) مسند إلى الجار والمجرور))(٤) قال أبو البقاء(٥) : [ما ذكره الزمخشري غلط لأن الجارّ والمجرور يقام مقام الفاعل إذا تقدم الفعل، أو ما يقوم مقامه، وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك فيه، لأن الاسم إذا تقدم على الفعل صار مبتدأ وحرف الجر إذا كان لازما لا يكون مبتدأ، ونظيره قولك : بزيد انطلق، ويدُلّك على ذلك أنك لو ثنيت لم تقل : بالزيدين انطلقا، ولكن تصحيح المسئلة أن يجعل الضمير في مسئول للمصدر فيكون (عنه) في موضع نصب كما يقدر في قولك : بزيد انطلق، وقال صاحب التقريب : وإنما جاز تقديمه مع أنه فاعل لـمْحاً لأصالة ظرفيته لا لعروض فاعليته، ولأن الفاعل لا يتقدم للتباسه بالمبتدإ ولا التباس ههنا، ولأنه ليس بفاعل على حقيقة، وجاز أن

---

(١) البيت لجرير بن عطية

** لولا مراقبة العيون أرَيننا ** مُقَلَ المها وسوالف الآرام **

** هل ينهينك أن قتلن مرقّشاً ** أو ما فعلن بعروة بن حزام **

** ذم المنازل بعد منزلة اللوى ** والعيش بعد أولئك الأيام **

(٢) الكواشي أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلي، موفق الدين أبو العباس الكواشي، عالم بالتفسير، ومن فقهاء الشافعية، من أهل الموصل، من كتبه تبصرة المتذكر خ في التفسير، ولد سنة ٥٩٠ ومات ٦٨٠ . انظر النجوم الزاهرة ٣٤٨/٧ والأعلام للزركلي ٢٧٤/١.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٢/٣.

(٤) قال (ز) في تفسير (عنه) في قوله : ﴿ كان عنه مسئولا ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية، أي : كل واحد منها، كان مسئولا عنه ((فمسئول مسند إلى الجار والمجرور)).

(٥) أبو البقاء في إملائه ٩١/٢.

يكون فاعله ضمير كلّ لحذف المضاف، أي : كان مسؤلا صاحبها عنه. وجاز أن تكون مرفوعة المصدر، وهو السؤال . سأل ابن جنّي أبا علي عن قولهم : فيك يرغب، فقال : فيك لا يرتفع بما بعده، فأين المرفوع ؟. فقال : المصدر، أي : فيك يرغب الراغب، وفيك ظرف لا فاعل، وفي شرح ابن المعطي[1] في الألفية : إن كان مفعول المجهول جارّاً ومجروراً فلا يتقدم على الفعل، لأنه لو تقدّم اشتغل الفعل بضميره، ولا يمكن جعله مبتدأ لأجل حرف الجر. ومنهم من أجاز محتجّا بهذه الآية، لأن ما لم يسم فاعله مفعول في المعنى.

قوله : ((وقرئ : ﴿ والفَوَادَ ﴾ قال ابن جني[2] : [قرأها الجراح[3] ﴿ والبصر والفَوَاد ﴾ وأنكر أبو حاتم فتح الفاء، ولم يذكر هو ولا ابن مجاهد الهمز ولا تركه، وقد يجوز ترك الهمز مع فتح الفاء، كأنه قال : ﴿ الفؤاد ﴾ بضمها والهمز ثم خففت، فخلُصت في اللفظ واوا، وفتحت الفاء على ما في ذلك فبقيت واواً].

---

(١) ابن المعطي العلامة شيخ النحو زين الدين أبو الحسين يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي، ولد سنة ٥٦٤ ومات ٦٢٨ بمصر . سير الأعلام ٣٢٤/٢٢ . ووفيات الأعيان ١٩٧/٦.

(٢) ابن جني ف المحتسب ٢١/٢.

(٣) الجراح مقدم الجيوش فارس الكتائب، أبو عقبة الجراح بن عبد ا لله الحكمي، ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز. وكان بطلاً شجاعاً مهيباً طوالاً عابداً قارئاً كبير القدر، روى عن ابن سيرين . سير أعلام النبلاء ١٨٩/٥ وتاريخ خليفة ٣١٠ والتاريخ الكبير للبخاري ٢٢٦/٢ . وانظر شواذ القرآت لابن خالويه ٧٦ فذكر قراءة الجراح هذه.

وقد نهى ا لله تعالى في هذه الآية وفي غيرها عن قول الإنسان ما ليس له بعلم، ويشمل ذلك قوله : رأيت ولم ير، وسمعت ولم يسمع، وعلمت ولم يعلم، قال ا لله تعالى في سورة البقرة الآية ١٦٩ : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على ا لله ما لا تعلمون ﴾ وقوله في سورة الأعراف الآية ٣٣ : ﴿ إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على ا لله ما لا تعلمون ﴾ وقوله في سورة الحجرات الآية ١٢ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن أثم ﴾ وقوله : في سورة التوبة الآية ٦١ : ﴿ قل آ لله أذن لكم أم على ا لله تفترون ﴾.

قوله : ((وقرئ : ﴿ مَرِحاً ﴾ وهي شاذة(١) ، الراغب(٢) : [المرح : شدة الفرح والتوسع فيه، وَمَرْحَى كلمة تعجب]، قال أبو البقاء(٣) : [مَرِحاً بكسر الراء حال وبفتحها مصدر في موضع الحال أو مفعول له](٤) وفي كلام المصنف تسامح، لأنه قال(٥) : وفضل الأخفش(٦) المصدر على اسم الفاعل بعدما أوّل المصدر بقوله : ذا مرح وبعد القراءة الدالة على أنه اسم فاعل، وإنما يكون المصدر مفيدا للمبالغة، إذا ترك على حاله، نحو رجل عدل.

قوله : ((لن يجعل فيها خرقاً))(٧) بِدَوسِك الراغب(٨) : [الخرق قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تفكر وتدبّر قال تعالى : ﴿ أخَرقتها لتغرق أهلها ﴾(٩) وهو ضدّ الخلق، لأنه فعل الشيء بتقدير ورفق والخرق بغير تقدير، قال تعالى : ﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾(١٠) أي : حكموا بذلك على سبيل الخرق وباعتبار القطع قيل : خرق الثوب وتخرّقه، وباعتبار ترك التقدير، قيل : رجل أخرق وخَرِقٌ وامراءة خَرْقاءُ، ومنه

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ الإسراء الآية ٣٧-٣٨.

وقرئ ﴿ مَرِحاً ﴾ بكسر الراء، قرأها يحي بن يعمر شواذ القراءة لابن خالوية ٧٦.

(٢) الراغب في مفرداته ٤٦٥ مادة (مَرَح).

(٣) أبو البقاء في إملائه ٩١/٢.

(٤) على حد قوله في الخلاصة لابن مالك :

** ومصدر منكر حالا يقع ** بكثرة كبعثة زيد طلع **

(٥) يعني (ز) حيث قال : ((وقرئ : ﴿ مَرِحا ﴾)) وفضل الأخفش المصدر ... إلخ.

(٦) الأخفش لعله الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة أبو الخطاب من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يفعلون ذلك قبله، كان ديّناور عاثقة، أخذ عنه سيبويه والكسائي، وأبو عبيد، وغيرهم، مات سنة ١٧٧هـ، طبقات اللغوية بغية الوعاة ٧٤/٢.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ لن تخرق الأرض ﴾ قال (ز) : ((لن تجعل فيها خرقاً بدوسك)) لها وشدّة وطأتك.

(٨) الراغب في مفرداته ١٤٦ مادة (خرق).

(٩) سورة الكهف الآية ٧١.

(١٠) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

الحديث : (ما دخل الخرق في أمر إلا شانه)(١) ومن الخَرق استعيرت المخْرَقةُ، وهو إظهار الخَرقِ توصلاً إلى حيلة والمخْراق شيء يُلعبُ به، كأنه يَخْرِقُ لإظهار الشيء بخلافه].

قوله : ((وهو تهكم بالمختال))(٢) الإنتصاف(٣) : [لقد حَرَسَ الله عوام زماننا من هذه المشْيَةِ المنْهيّ عنها، ووقع فيها قراؤنا وفقهاؤنا حَفِظَ أحدهم مسئلتين وجلس بين يديه طالبان، أو نال طرفاً من رياسة مشى خيلاء، وودّ لو حكّ بيا فُوخِه(٤) السماء، يمرون بهذه الآية، وهم عنها معرضون، وماذا يفيد أن يقرأ القرآن، أو يُقرأ عليه، وقلبه عن تدبّره على مراحل].

قوله : ((وقرئ : ﴿ سَيِّئَة ﴾(٥) الكوفيون وابن عامر كان ﴿ سَيِّئه ﴾ بضم الهمزة والهاء على التذكير، والباقون بفتحها مع التنوين على التأنيث. قال أبو البقاء(٦) : [سيئة يقرأ بالتأنيث والنصب، أي : كُلّ ما ذكر من المناهي وذكر : ﴿ مَكْرُوهاً ﴾ على لفظ ﴿ كُلّ ﴾، أو لأن التأنيث غير حقيقي. ويقرأ بالرفع أي : سيّء ما ذكر].

---

(١) ذكره صاحب كشف الخفاء ٢٦٧/١-٢٦٨ وعزاه للعسكري. وانظر المسند ٢٠٦/٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ قال (ز) : أي : بتطاولك ((وهو تهكم بالمختال)).

(٣) الإنتصاف مع الكشاف ٦٦٧/٢.

(٤) (اليافوخ) ملتقى عظم مقدّم الرأس ومؤخره. اللسان ٦٧/٣ مادة (يفخ) وانظر (أفخ) ٥/٣ . وزاد وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل، وهو كناية عن التعاظم والتكبر . انظر الأساس ٧١٣.

وقد نهى الله عن هذه المشية، قال تعالى في سورة لقمان الآية ١٨ : ﴿ ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك ... الآية ﴾ وقال تعالى في سورة الفرقان الآية ٦٣ : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ... الآية ﴾ وقد أحسن من قال :

** ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً ** فكم تحتها قوم هم منك أرفع **

** وإن كنت في عزّ وحِرْزٍ ومنعةٍ ** فكم مات من قوم هم منك أمنع **

(٥) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : ﴿ كل ذلك كان سَيِّئَةً ﴾ منونة منصوبة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ كان سَيِّئُهُ ﴾ بضم الهاء والهمزة. المبسوط لابن مهران ٢٢٨ والإتحاف ٢٨٣ . وقال مع إشباع ضمة الهاء على الإضافة والتذكير اسم كان، و ﴿ مكروها ﴾ خبرها، ووافقهم في هذه القراءة الحسن والأعمش.

(٦) أبو البقاء في إملائه ٩٢/٢.

قوله : ((كل ذلك إحاطة بما نُهي عنه خاصّة، لا بجميع الخصال المعدودة))(١) قال صاحب الفرائد : [يمكن أن يقال : الإحاطة بالجميع، إلا أن المراد فيما يكون حَسَناً ما يقابله كنقض العهد، وهو كقوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ﴾(٢) ثم قال : ﴿ ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾.

قوله : ((ذلك إشارة إلى ما تقدم))(٣) وقال القاضي(٤) : [كلّ ذلك إشارة إلى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل مع ا لله إلـها آخر ﴾].

قوله : ((كلام محكم لا مَدْخَلَ فيه لِلْفساد بوجه))(٥) أي : هي مما لا تنسخ ولا تحمل على وجه من وجوه التأويل التي يدخل فيها الفساد كالمتشابه.

قوله : ((وهي عشر آيات في التوراة)) بعد قوله : هذه الثماني عشرة آية فيه إشكال ولعل المراد بالآيات في التنزيل الكلام المميز بالفواصل وبالآيات العشر في التوراة، المعاني المستقلة. وبالخصال الخمسة والعشرين كل خصلة مأمور بها، ومنْهيّ عنها وروينا عن الترمذي(٦) والنسائي عن صفوان أن يهوديين أتيا رسول ا لله صلى ا لله

---

(١) قال (ز) في توجه قراءة ﴿ سيئةً ﴾ قلت : ((كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة، لا بجميع الخصال المعدودة)).

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع ا لله إلـهاً آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحوراً ﴾ الإسراء الآية ٣٩

قال (ز) : ((﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما تقدم)) من قوله :﴿ لا تجعل مع ا لله إلـهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ إلى هذه الغاية.

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٢/٣.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ من الحكمة ﴾ قال (ز) : وسماه حكمة ((لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه)).

(٦) أخرجه الترمذي ٧٣/٥ كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل برقم ٢٧٣٣ و٣١٤٥ وصححه. والنسائي ١١١/٧ باب قول ا لله عز وجل : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ سورة الإسراء الآية ١٠١. والحاكم في المستدرك ٩/١ كتاب الإيمان. وصححه الذهبي.

عليه وسلم فسألا عن تسع آيات بينات، فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (لا تشركوا با لله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم ا لله ... الحديث).

قوله : ((ما أغنت عن الفلاسفة خذلهم ا لله أسفار الحكم))(١) [قيل : وُجِدَ بخط المصنف رحمه ا لله : [كان في زمن بني حكيمٌ صنّف في الحكم ثلثمائة وستين تصنيفاً، فأوحى ا لله تعالى إلى نبي زمانه : إنك قد ملأت الدنيا نباقاً، وإن ا لله لم يقبل من نباقك شيئاً. كذا ذكره حجة الإسلام رحمه ا لله في كتابه الإحياء](٢) والنباق بالباء الموحدة كثرة الكلام قال الشهرستاني في الملل والنحل(٣) : [الفلسفة باليونانية محبّة الحكمة، والفيلسوف : هو فيلاسوفا، وفيلا : هو المحب. وسوفا : هو الحكمة]. أما قوله : ((أضلّ من النعم)) فمقتبس من قوله تعالى : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾(٤) .

قوله : ((يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى ا لله البنات))(٥) وهو من باب إطلاق الحال على المحل، لأنه تعالى لما كرّر هذا الإبطال في هذا القرآن الكريم، سمي الإبطال باسم القرآن بهذه الملابسة أو أوقفنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير، يريد أنه من باب : يَجْرَحْ في عراقيبها نصلي(٦) .

---

(١) ذكر (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تجعل مع ا لله إلـهاً آخر)) قال : ((إن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه، وإن بذّ فيها الحكماء، حكّ بيا فوخه السماء ((وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين ا لله أضل من النعم)).

(٢) قال في اللسان ٣٥١/١٠ : هو ينبق في الكلام وينتبطه يستخرجه.

(٣) الملل والنحل ٣٦٣/٢.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٧٩

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً ﴾ الإسراء ٤١. قال (ز) : ((يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى ا لله البنات)) لأنه مما صرّفه، وكرّر ذكره.

(٦) شطر بيت لذي الرمة، وأوله :

** وإن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي **

وتقدم الإستشهاد به في الحجر الآية ٣٩ : ﴿ قال رب بما أغوتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾.

قوله : ((﴿ ليذكروا ﴾ وقرئ مخففا ومشددا))[1] حمزة والكسائي مخففا بإسكان الذال وضم الكاف. والباقون بفتحها مشددا، فالمعنى على التشديد : التدبر كقوله تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾[2] ، وعلى التخفيف : معنى قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه ﴾[3] ، وفي هذا بَعْثٌ على النظر فيه والتدبر.

قوله : ((ليتعظوا ويعتبروا ويتدبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم)) إنما فسّر : ﴿ ليذكروا ﴾ بذلك ليطابق قوله : ﴿ فما يزيدهم إلا نفوراً ﴾ فإن النفور يقابل الإطمئنان، ووضع ما يحتج به عليهم موضع الراجع إلى المشار إليه بقوله : هذا المعنى كأنه قيل : كرّرناه ليطمئنوا إليه، كما قال : وقلّة طمأنينة إليه، وفيه تعكيس، أي : كرّرنا عليهم هذا المعنى ليطمئنوا فعكسوا وزادوا نفوراً.

قوله : ((وقرئ ﴿ كما يقولون ﴾ بالياء والتاء[4] ابن كثير وحفص بالياء التحتانية والباقون بالتاء.

قوله : ((و ﴿ إذاً ﴾ دالة على أن ما بعدها جواب وجزاء، مضى بيانه في سورة يوسف عليه السلام . قال صاحب الفرائد : [إن في ذكر ﴿ إذاً ﴾ هنا مع الاستغناء عنها لقيام ما بعدها جواباً وجزاءاً لما قبلها فائدة، وهي أن ﴿ إذاً ﴾ مشعرة بأن الجزاء لا

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ لِيَذْكُروا ﴾ ساكنة الذال خفيفة الكاف مضمومة، وكذلك في سورة الفرقان الآية ٥٠ مثله . وقرأ الباقون : ﴿ ليذّكّروا ﴾ بفتح الذال والكاف وتشديدهما. المبسوط لابن مهران ٢٢٩. والإتحاف ٢٨٣.

(٢) سورة ص الآية ٢٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٦٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولو إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً . سبحانه وتعالى عما يقولون علوّا كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٤٢-٤٣.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر بن عاصم : ﴿ كما تقولون ﴾ بالتاء، و ﴿ سبحانه عما يقولون ﴾ بالياء، و ﴿ يسبح له ﴾ أيضاً بالياء.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب : ﴿ كما تقولون ﴾ بالتاء، و ﴿ عما يقولون ﴾ بالياء، و ﴿ تسبح ﴾ بالتاء.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف كله بالياء . المبسوط لابن مهران ٢٢٩ وابن مجاهد ٣٨١.

يكون إلا المذكور، فإن قولك لصاحبك : إنك ما أعطيتني فيجيبك : لو أتيتني إذا لأعطيتك، فُهِم منه أن الإعطاء مخصوص بإتيانه غير مَرْجوٍّ دونه، فلو لم يذكر لم يفهم الإختصاص.

قوله : ((إلى من له الملك والربوبية))[1] وضع الملك والربوبية موضع العرش على الكناية، كما سيجيء في طه في قوله : ﴿ الرحمن على العرش الستوى ﴾[2] .

قوله : ((كقوله : ﴿لو كان فيهما آلهة إلا ا لله لفسدتا ﴾[3] وحاصله يرجع إلى دليل التمانع ، كما سيجيء في سورة الأنبياء، أي : معنى ﴿ لابتغوا ﴾ لَتَقرَّبُوا إلى ذي العرش، قال صاحب الفرائد : [من تقرب إلى الغير وطلب الوسيلة لم يصلح لأن يطلق عليه لفظ الإله، ومعنى كونهم آلهة مناف لذلك المعنى، على هذا لو كان معه آلهة لم يكونوا آلهة، بل عباد محتاجون إليه، فيلزم عدم الشيء على تقدير وجوده، ويمكن أن يجاب، لّما كان عدم الشيء على تقدير وجوده محالا، وهو لازم للتقدير، وهو كون الآلهة معه، فكان محالاً.

قوله : ((فإن لم يفقهوا التسبيح))[4] أي : جعلوا في أن نظرهم لم يثمر التوحيد، كأنهم نظروا ولم يفقهوا، وتحريره أن المشركين لما نظروا إلى ملكوت السموات والأرض وعلموا أن ا لله خالقه، ومع هذا الإقرار عما جعلوا معه آلهة، وكأنهم بالحقيقة مافقهوا، وهو على هذا تجريد لاستعارة التسبيح للدلالة . ويمكن أن يجرى على الترشيح لها على أن معنى قوله : ﴿ لا يفقهون تسبيحهم ﴾ لا تفقهون نُطْقهم به، كقوله تعالى : ﴿ وجد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ قال (ز) : لطلبوا ((إلى من له الملك والربوبية سبيلاً)) بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض.

(٢) الآية ٥.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

ومثلها قوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ٩١ : ﴿ ما اتخذ ا لله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان ا لله عما يصفون﴾.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ تسبح له السوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٤.

من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾(١) كأنه قيل : الكائنات تنطق بلسانها بتنزيه ذات الباري عز شأنه وجل سلطانه عن الشريك، والمشركون صمٌّ لا يسمعون ذلك، والأصل ودلّت ذات الموجودات على توحيد صانعها، وهم لا يعقلون ذلك. قال صاحب الانتصاف(٢) : [إن كان الخطاب للمشركين فما تصنع بقوله : ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾، وإنما يخاطب بالحلم والمغفرة للمؤمنين، والظاهر أن الخطاب للمؤمنين. وأما عدم فقهنا لتسبيح الجمادات، فكناية عن عدم العمل بمقتضى تسبيحها، ولو تَفَطَّن الإنسان أن النّملة والبعوضة وكلّ ذرة في الكون تنزه الله تعالى وتشهد لجلال كبريائه وقهره، لشغله عن قوته، فَضْلاً عن فضول الكلام والغيبة. والظاهر أن الآية وردت على الغالب من أحوال الغافلين، وإن كانوا مؤمنين، فالحمد لله الذي كان حليماً غفوراً]، وقلت(٣) : أخطأ في جعل الخطاب للمؤمنين، لأن معنى النّزاهة والبراءة في قوله : ﴿ سبحانه ﴾ ومعنى العُلُوِّ و الكبرياء في قوله تعالى : ﴿ عما يقولون علوا كبيراً ﴾ راجع إلى ما وصفوه من اتخاذ الملائكة بناتاً في قوله : ﴿ واتخذ من الملائكة إناثاً ﴾ ومن اتخذ الآلهة شركاء في قوله : ﴿ لو كان معه آلهة كما تقولون ﴾ وأن مجيء قوله : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ لتأكيد التنزيه وتذييله، فكيف يقال : الخطاب للمؤمنين . وأما معنى قوله : ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ فعلى التعجب، فكأنه قيل : ما أحلمه وأشد غفرانه، حيث يعلم من هؤلاء المعانِدة ذلك، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وإليه أشار بقوله : ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم. ويؤيده قوله تعالى : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ قال المصنف رحمه الله تعالى : نبه

---

(١) سورة الكهف الآية ٩٣.

(٢) صاحب الإنتصاف الإمام أحمد بن المير الإسكندري المتبع لاعتزاليات الكشاف ٦٦٩/٢ وأول الكلام : قال أحمد : ولقائل أن يقول : فما يصنع بقوله تعالى : ﴿ كان حليماً غفوراً ﴾ وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم و إشراكهم ... الخ.

(٣) قلت : يعني بها نفسه، أي : الطيبي.

على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه، أن يُصَبَّ عليهم العذاب صبًّا، ولكن صرف ذلك عنهم ﴿ إنه غفور رحيم ﴾ يُمهل ولا يعاجل.

قوله : ((التسبيح المجازي حاصل في الجميع، فوجب الحمل عليه))[٢]

الإنتصاف[٣]: [تقدم منه منع هذا عند سجدة النحل[٤] ، لكن ذكر هناك[٥] أنه يشملهما الانقياد بطريق التواطؤ ، وههنا جعله مجازاً، ومن الجائز أنه أراد ثمة التواطؤ مع المجاز، وكما يتفق التواطؤ مع الحقيقة، فقد يتفق مع المجاز، هذه الآية . وقوله تعالى : ﴿ و لله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها ﴾[٦] ﴿ و لله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ﴾[٧] يقتضي أن يكون تسبيحاً على الحقيقة، وسجوداً له على وجه لا يفقه، بدلالة قوله : ﴿ ولكن لا يفقهون ﴾، ودلالة قوله : ﴿ ومن فيهنّ ﴾ بعد ذكر السموات والأرض، ولا يصح أن يكون تقديره : يسبح له من في السموات ويسجد له من في الأرض، لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله : ﴿ ومن فيهن ﴾ والأشياء كلها تسبح له، ويسجد بعضها بالتسخير، وبعضها بالإختيار، ولا خلاف أن السموات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث إن أحوالها تدل على حكمة الله، وإنما الخلاف في السموات والأرض هل تسبح بالإختيار ؟، والآية تقتضي ذلك بما ذكرت، والله أعلم.

---

(٢) قال (ز) : قلت : ((التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه)) وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز.

(٣) الإنتصاف مع الكشاف ٢/٦٧٠.

(٤) الآية ٤٩ : ﴿ و لله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾.

(٥) الكشاف ٢/٩٠٦-٩١٠.

(٦) سورة الرعد الآية ١٥.

(٧) سورة النحل الآية ٤٩.

قوله : ((سيل مُفْعَمٌ))[1] بفتح العين، يعني جعل اسم المفعول بمعنى الفاعل، فإن الحجاب هو الساتر، والمستور ما واره نحو سيل مفْعَمٌ، فإن السيل مُفْعِمٌ والوادي مفْعَمٌ، فعكس مبالغة، فهو من الإسناد المجازي[2] .

قوله : ((فيه معنى المنع من الفقه))[3] يعني أن يفقهوه، إما مفعول له على تقدير مضاف، أو مفعول به على تأويل الجملة، بمعنى المنع، كقوله تعالى : ﴿ فشربوا منه إلا قليلا منهم ﴾[4] فإنه في معنى لم يطيعوه. قال القاضي[5] : [ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى] بقوله : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه ﴾ وعلى إدراك اللفظ[6] بقوله : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾.

قوله : ((و ﴿ وَحْدَه ﴾[7] من باب رَجَعَ عَوْدَه على بدئه)) أي : أنه مصدر سادّ مسد الحال، كأنه قال : عائداً على بدئه، فإن الأصل رَجَعَ عائداً على بدئه، ثم أقيم يَعودُ مقام عائداً، ثم عَودُه مقام يعُودُ.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٥.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ حجاباً مستوراً ﴾ : ذا ستر، كقوله ((سيل مُفْعَمٌ)) ذو إفعام.

(٢) الإسناد المجازي : هو الذي يسند إلى سببه أو زمانه أو مكانه أو مصدره.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ قال (ز) : ((فيه معنى المنع من الفقه))، فكأنه قيل : ومنعناهم أن يفقهوه.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/٢٠٤.

وقد بين الله تعالى في آيات أخرى سبب الحيلولة بين القلوب وبين الإنتفاع بالقرآن، وأن سبب ذلك هو الكفر كما قال تعالى في سورة النساء الآية ١٥٥ : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ١٠ : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ٧٦ : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ وقوله في سورة الصف الآية ٥ : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾.

(٦) في أ ، ب ، م (وعلى إدراك اللفظ) ولعل الصواب : (وعن إدراك اللفظ) كما في ت.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾.

قوله : ((وافعله جَهدَك)) الجُهد بالضم الطاقة، وبالفتح من قولك : اجْهَدْ جَهْـدَكَ في هذا لأمر، أي : أبلغ غايتك، فهو أيضاً مصدر أقيم مقام الحال.

قوله : ((أصله يحدُ وَحْدَه)) يعني : أصل الآية : ﴿ ذَكرت ربك ﴾ يَحِـدُ وحـده، بمعنى : واحدا وحْده، ثم حذف (يحد) وأقيم المصدر مقامه.

قوله : ((والنفور مصدر))[1] قال أبو البقاء[2] : [نفوراً جمع نافر، ويجوز أن يكـون مصدراً كالقعود، فإن شئت (جعلته حالاً[3] ، وإن جئت جعلته)[4] مصـدراً لـِ ﴿ وَلَّـو ﴾ لأنه بمعنى : (نفروا)[5] .

قوله : ((و ﴿ بـه ﴾ في موضـع الحـال[6] ، أي : يسـتمعون ملتبسـين بـالهزء، قـال أبوالبقاء[7] : [قيل : الباء بمعنى اللام, وقيل : هي على بابها، أي : يستمعون بقلوبهـم أم بظاهر أسماعهم]. وقال القاضي[8] : [﴿ يستمعون به ﴾ أي : بسـببه، ولأجلـه مـن الهُزْء بك وبالقرآن] وهو مأخوذ من قول المصنف أوّلا : ﴿ بما يستمعون به ﴾ من الهزء بـك وبالقرآن، ولا بد من تقرير الهزء، لأن قوله : ﴿ نحن أعلم ﴾ وعيد وتهديد على ما كانوا

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾.

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٢.

(٣) فيكون حالا أي : ﴿ ولوا على أدبارهم ﴾ في حال كونهم نافرين من ذكر ا لله وحده.

(٤) ما بين القوسين س من (أ) فقط.

(٥) ويكون : ما ناب عن المطلق من قوله : ﴿ ولّوا ﴾ لأن التولية عن ذكره وحده بمعنـى النفـور عنـه، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في سورة الزمر الآيـة ٤٥ : ﴿ وإذا ذكر ا لله وحـده اشمأزت قلـوب الذيـن لا يؤمنـون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ وقوله تعالى في سـورة غـافر الآيـة ١٢ : ﴿ ذلكـم بأنـه إذا دعي ا لله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ﴾.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذا يقول الظـالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٧.

(٧) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٢.

(٨) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/٢٠٤

عليه عند سماعهم بالقرآن من الهزء بالنبي صلى ا الله عليه وسلم وبالقرآن على ما قال : ((كان يقوم عن يمينه إذا قرأ ... الى آخره))[1] .

قوله : ((﴿ إذ يقول ﴾ بدل من ﴿ إذ هم ﴾ وقال أبو البقاء[2] : [(هو) بدل من (إذ) الأولى] اعلم أن ﴿ إذ يستمعون ﴾ ظرف لقوله : ﴿ أعلم ﴾، و ﴿ بما يستمعون به ﴾ متعلق به، ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ عطف على الظرف، على أن يقدر له ما يلائمه مما قرن بالمعطوف عليه ليستقيم المعنى، فالتقدير : نحن أعلم بما به يستمعون وبما به يتناجون وقت استماعهم ووقت تناجيهم، وإنما قدّم المصنف[3] الظرف على المفعول به في قوله : ﴿ أعلم ﴾ بوقت استماعهم بما به يستمعون ليؤذن بأن : ﴿ إذ يستمعون ﴾ متعلق ﴿ بأعلم ﴾ لا بـ ﴿ يستمعون به ﴾ لأن تعلق ﴿ إذ ﴾ به يوهم فساد المعنى من حيث المفهوم، ثم المناسب أن يكون قوله : ﴿ إذ يقول الظالمون ﴾ بدلا من المغطوف، لا المعطوف عليه، لأن قولهم : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾ كان خطاباً منهم مع أصحابهم على الحديث. وأما الإستماع عن النبي صلى ا الله عليه وسلم كان على سبيل الهزء فَبينهما تَنَافٍ . قال القاضي[4] : [﴿ إذ يقول ﴾ بدل من ﴿ إذ هم نجوى ﴾ على وضع ﴿ الظالمون ﴾ موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم كان ظلماً] ولبيان أن تناجيهم هو قوله : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾.

قوله : ((من السِّحر، وهي الرِّئَة))[5] المعنى : هو بشر مثلكم، في كونه ذا رئة، قال القاضي[6] : [المعنى : إن تتبعون إلا رجلا يتنفس، ويأكل ويشرب، كقوله تعالى : ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴾[7] أي : ليس بِمَلكٍ، والمناسب أن يراد به الوجه

---

(١) قال (ز) كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار، ورجلان منهم عن يساره فيصفقون و يصفرون ويخلطون بالأشعار

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٢.

(٣) (المصنف) س من ب.

(٤) القاضي لبيضاوي في أنواره ٣/٢٠٤.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ مسحوراً ﴾ قال (ز) : سحر فَجُنَّ، وقيل : هو ((من السَّحر وهو الرئة)).

(٦) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/٢٠٤.

(٧) سورة الفرقان الآية ٧.

الأول، أي سُحِرَ فَجُنّ ليلائم قوله : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ كما قال : مثّلوكَ بالشاعر والساحر والمجنون. الراغب[1] : [السَّحرُ : طرف الحلقوم والرئة، وقيل : انتفخ سحره، وبعيرٌ سحيرٌ، عظيم السحر، والسُّحارةُ ما ينتزع من السَّحر عند الذبح، فيرمى به، وجعل بناؤه بناء النُّقاية والسُّقاطَةِ. وقيل : منه اشتق السِّحْر، وهو إصابة السَّحر، والسِّحْرُ يقال على معان : الأول : الخداع، وتَخْييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذة من صرف الأبصار عمّا يفعله لخفة يدٍ، وما يفعله النمام، يقول : مُزخْرَفٍ عائق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾[2] ، وقال : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾[3] وبهذا النظر سَمّوا مُوسى عليه السلام ساحراً، وقالوا : ﴿ يا أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾[4] . والثاني : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التَّقرب إليه، كقوله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم ﴾[5] وعليه دلّ قوله تعالى : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾[6] . والثالث : ما عليه الأغتَامُ[7] ، وهو اسم لفعلٍ يَزعُمون أنه من قوَّته يغيّر الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المحصِّلين، وقد تُصوِّر من السحر تارة دقّة فعله حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة، وسَمّوا الغذاء سِحراً من حيث إنه يدقُّ ويَلطُفُ تأثيره، قال تعالى : ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾[8] اي مصروفون عن

---

(1) الراغب في مفرداته ٢٢٥-٢٢٦

(2) سورة الأعراف الآية ١١٦.

(3) سورة طه الآية ٦٦.

(4) سورة الزخرف الآية ٤٩.

(5) سورة الشعراء الآية ١٢١-١٢٢.

(6) سورة البقرة الآية ١٠٢.

(7) الأغتام : جمع غتمة، عجمية في المنطق، يقال : رجل أغتم لا يفصح شيئاً، ويقال لثقيل الروح : غتميّ. انظر التعليق على كتاب المفردات للراغب ٤٠١.

(8) سورة الحجر الآية ١٥.

معرفتنا بالسحر، وعليه قوله تعالى : ﴿ إنما أنت من المسحرين ﴾[1] قيل : ممن جُعل له سَحر تنبيهاً أنه محتاج إلى الغذاء كقوله تعالى : ﴿ ما لهذا الرسول ياكل الطعام ﴾[2] ونَبّه على أنه بشر كما قال : ﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا ﴾[3] وقيل : معناه : ممن جعل له سِحرٌ يتوصل بلطفه ودقّته إلى ما يأتي به ويدّعيه، وعلى الوجين حمل قوله تعالى : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿ قال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾[5] . وعلى الثاني : دلّ قوله تعالى : ﴿ إن هذا إلا سحر مبين ﴾[6]].

قوله : ((﴿ فضلّوا ﴾ في جميع ذلك ضلال من يطلب))[7] إشارة إلى أن قوله : ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ تمثيلٌ مثل حال هؤلاء في تحيّرهم وضلالهم فيما يصنع.

قوله : ((فَرَدَّ قوله : ﴿ كونوا ﴾ على قولهم : ﴿ كُنّا ﴾))[8] أي : أطلقه جواباً على طريقة المشاكلة[9] ، المعنى أورد هذا القول على قولهم : وقذف بالحق على باطلهم، فإنهم لمّا اسْتبعدوا أن يبعثوا خَلْقاً جديداً بعد كونهم عظاماً قيل لهم : ﴿ كونوا ﴾ الآن أبعد شيء من الحياة، فإنكم ستبعثون، والأمر للتسخير، وإنما فسره بقوله : ﴿ لو كنتم ﴾ ليعلم أن المراد بالعبارة الفرض والتقدير، إذ لو اريد به حقيقة التسخير لصاروا حجارة

---

(1) سورة الشعراء الآية ١٥٣.

(2) سورة الفرقان الآية ٧.

(3) سورة الشعراء الآية ١٥٤.

(4) سورة الإسراء الآية ٤٧.

(5) سورة الإسراء الآية ١٠١.

(6) سورة سبأ الآية ٤٣.

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ فضلّوا ﴾ قال (ز) :.((فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب)) في النية طريقا يسلكه فلا يقدر عليه، فهو متحيّرٌ في أمره لا يدري ما يصنع.

(8) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا إذا كُنّا عظاما ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً . قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً ﴾ الإسراء الآية ٤٩-٥١.

(9) (المشاكلة) : هى ذكر الشيء بلفظ مصاحبه لوقوعه معه نحو قوله (جزاء سيئة سيئة مثلها)الشورة الآية ٤٢ البيان للطبى٣٤٧.

من غير ريب وانقلبوا حديداً من غير مكث، فقول المصنف : لكان قادراً على أن يردّكم إلى حال الحياة لا يطابق ظاهراً قوله : ﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾ لأن الكلام أوّلا في حصول البعث لا القادر على البعث، ولذلك سألوا ثانياً عن الباعث بقولهم : ﴿ من يعيدنا ﴾ فأجيبوا بقوله : ﴿ الذي فطركم أول مرة ﴾ فإنه من الأجوبة الدامغة، فلذلك انغضوا(١) رءسهم قائلين : ﴿ متى هو ﴾ وقيل : ما يكبر في صدورهم الموت(٢)، وهو مروي عن ابن عباس، ومعناه : لو كنتم نفس الموت لأحياكم على المبالغة، كما يقال : لو كنت عين الحياة لأماتك ا لله، وإلا فالموت عرض لا ينقلب الجسم إليه، ولا هو ينقلب إلى ضدّه الذي هو الحياة.

قوله : ((والمعنى : يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين))(٣) إشارة إلى أن قوله : ﴿ يدعوكم فتستجيبون ﴾ تمثيل على منوال قوله : (كن) فيكون في أن لا دُعَاء ثَمَّ. قال القاضي(٤) : [استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسّر أمرهما، وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة.

قوله : ((تلين لين المسمِحِ))(٥) أي : المنقاد، يقال : أَسْمَحَتْ قُرُونَتَه، أي : ذلّت نفسه وتابعت. الأساس(٦) : [أسمحت قُرُونَتَه إذا تَبِعتْه نفسه وأطاعتهُ].

قوله : ((لينَ المُسْمح)) فيه تمثيل مع رائحة التهكم.

---

(١) (نغض) الإنغاض : تحريك الرأس نحو الغير كالمتعجّب منه . الراغب ٥٠٠ والصحاح للجوهري ١١٠٨/٣.

(٢) رواه الطبري ٩٨/٩ عن ابن عباس، وابن عمر.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثم إلا قليلاً ﴾ الإسراء الآية ٥٢. قال (ز) : والدعاء والإستجابة كلاهما مجاز ((والمعنى : ويوم ميبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين)) لا تمتنعوا.

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣.

(٥) قال (ز) في تفسير قوله :﴿بحمده ﴾ : حال منهم، أي : حاملين، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث، كقولك لمن تأمره بركوب ما يشقّ عليه، فيأبى ويمتنع : تركبه وأنت حامد شاكر، قال : وتفسر : قسْرا حتى إنك ((تلين لين المُسْمِحِ)) الراغب فيه الحامد عليه.

(٦) الأساس للزمخشري ٣٠٧ مادة (سمح).

قوله : ((يقولوا للمشركين الكلمة ﴿ التي هي أحسن ﴾ وألْيَن))(١) والذي يدلّ على أن المراد منه المشركون أنه تعلى لما أمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه في أن لا يخاشِن المشركين في الردّ عليهم ويجادهلم بالتي هي أحسن في الأجوبة الثلاثة في أمر البعث، أمره بأن يعلم المؤمنين سلوك هذه الطريقة، وأن يسْتَنُّوا بسنته، وذلك أنهم لّما أنكروا البعث إنكاراً بليغاً بقولهم : ﴿ أئذا كنّا عظاماً ورُفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أمره بأن يجيبهم بقوله : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً ﴾ أي : لا بدّ من البعث للجزاء الموعود، ولا مجال للاستبعاد، إذ لو صرتم أبعد شيء من الحياة فإنكم مبعوثون له، لقوله تعالى : ﴿ إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين ... إلى آخره ﴾(٢) . وعند ذلك لا بدّ أن يقولوا : هب أنه كذلك فمن الذي يقدر على هذا الأمر العظيم، فأُمِرَ بأن يجيبهم بقوله : هو الذي شاهدتم منه أعظم من هذا، وهو إخراجكم من العدم إلى الوجود. ثم إنهم إذا قالوا مستهزئين : سلّمنا ذلك فمتى إرساؤها؟. فقل لهم : ﴿ علمها عند ربي ﴾ ولعل مجيئها قد قرب، لكن أمارتها : ﴿ حين يدعوكم فتستجيبون ﴾ له. وأما حسن هذه الأجوبة وسلوك طريقة اللين فيها فإنهم ما أوردوا تلك الأسئلة للإسترشاد، بل للعناد والاستهزاء البليغ والانحراف عن الطريق المستقيم، لكن أخرجت الأجوبة على منوال الجدّ والطريق السويّ، وعدم المبالاة بالاستهزاء أو الإنكار.

قوله : ((المشارّة))(٣) المفاعلة من الشرّ. الجوهري(٤): [المشارّة : المخاصمة].

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقول التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً . ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ الآية ٥٣-٥٤.

(٢) سورة يونس الآية ٤.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ قال (ز) : يلقي بينهم الفساد، ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم ((المشارّة)) والمشاقّة.

(٤) الجوهري في صحاحه ٢/٦٩٥ مادة (شرر).

قوله ((وتَرك المحاقّة)) الجوهري(١) : [حاقّه إذا خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق، فإذا غلبه قيل : حقّه].

قوله : ((والمكاشفة)) هي من كاشفه بالعداوة، أي : باذاه بها.

قوله : ((﴿ وكيلا ﴾ أي : ربّا موكولا إليك أمرهم))(٢) إلى قوله : ((فدارهم ومر أصحابك بالمداراة)) إشارة إلى نظم الآيات، وفي سلوكه صعوبة، وهو قد رمز إليه رَمْزاً خفيا لا يكاد يدرك في بدء الفكرة . فقوله تعالى : ﴿ ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم ﴾ مقول لقوله : ﴿ يقول التي هي أحسن ﴾ توطئة وتمهيد . وقوله : ﴿ إن الشيطان لكم ... الآية ﴾ اعتراض بين المفسِّر والمفسَّر . وقوله : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ كالتذييل لمجموع مجادلته مع المشركين، وأمره المؤمنين بها من لدن قوله : ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ﴾ إلى ها هنا . وقوله : ﴿ وربك أعلم بمن في السموات والأرض ﴾(٣) كما قال : رَدٌّ على المشركين في إنكارهم واستبعادم أمر النبوة بعد الردّ على استبعادهم البعث بقولهم : ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً ﴾ وذلك أنه تعالى لما استجهلهم بقوله : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ وأراد قولهم : إنك شاعر وساحر ومجنون، وحكى عنهم مجادلاتهم، أتى بنوع آخر من الكلام الدالّ على ردّهم استبعادهم نُبوّة محمد صلوات الله عليه، وأنه كيف يكونُ يتيم أبي طالب نبيّاً، وأن يكون العراة الجُوّعُ أصحابه، فقيل له : إن كانوا لا يعلمون كيفية نُبوتِك، وتقدُّم أصحابك في الدين، فاعلم أن ربّك عالم بأحوال من في السموات والأرض وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم من الفضل، ولذلك تفاوتت مراتب الأنبياء، فبعضهم أفضل من بعض، ألا ترى كيف اصطفيناك من بيْنهم وجعلناك خاتما لهم، وجعلنا أمّتك خير الأمم، وهذه المنقبة ثابتة لك في الكتب السالفة، منها الزبور، قال الله تعالى : ﴿ ولقد

---

(١) الجوهري في صحاحه ١٤٦١/٤ مادة (حقق).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وربّك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٥.

كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾[1] ومثله قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم كلّم ا لله ورفع بعضهم درجات ﴾[2] .

قوله : ((وقيل نزلت في عمر رضي ا لله عنه))[3] عطف على قوله : ((وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين)) فعلى هذا ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ لا يكون تفسيراً ﴿ للتي هي أحسن ﴾ (ويكون معناه نحو ما قال : يهديكم ا لله، يرحمكم ا لله.

قوله :)[4] ((وقيل الكلمة التي هي أحسن : أن يقولوا : يهديكم ا لله، فعلى هذا قوله : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ يكون تعليلاً للأمر بقوله : ﴿ قل ﴾ أي : قل لهم أن يجاملوا في القول ولا يُخاشِنوا ولا يبالغوا في الجدال لئلا ينفر المشركين بنزغه ويلبسهم[5] جلد النمر ولا يورث المؤمنين الخيلاء، لأن المجادلة الباطلة مما تفسد ذات البين، فيكون قوله : ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ خطاباً للمؤمنين ليتركوا المراء، ويؤيده قوله : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ يعني إذا لم تكن أنت وكيلاً على المشركين فالمؤمنون أحرى به.

قوله : ((﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ دلالة على وجه تفضيله[6] إلى قوله : وإن أمته خير الأمم، ووجه الدلالة أنه تعالى عطف ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ على قوله : ﴿ فضلنا ﴾ على طريق الوجود والحصول وعول التعليل إلى ذهن البليغ، كأنه تعالى قال : نحن أجملنا بيان تفضيل بعضهم على بعض، ونحن فضلناه بأن بيّنا ذلك فيما أعطينا عبدنا داود من الزبور، وفيه أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، وإلى التعليل الإشارة بقوله : لأن ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام، ونحوه في التعويل إلى الذهن ما

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(٣) قاله الواحدي في أسباب النزول ٣٣٣، وذلك أن رجلا من العرب شتمه عمر فأمره ا لله بالعفو، وذكره الماوردي ٣/٢٤٩ والمحرر الوجيز لابن عطية ٩/١١٤ والقرطبي ١٠/٢٧٦.

(٤) ما بين القوسين س من ب.

(٥) كناية عن الغضب وما يترتب عليه من النفور وقبيح الكلام والطيش.

(٦) يعني تفضيل النبي صلى ا لله عليه وسلم.

رُوى أن المنصور[1] وعـد الهـذلي[2]، بجائزة ونسـي، وحجا معاً، ومـرّا في المدينـة ببيـت عاتكة، فقال : يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص[3] :

** يا بيت عاتكة الذي أتعزّل **[4]

فأنكر عليه ذلك، فلما رجع أمرَّ القصيدة التي فيها هذا المصراع[5] على قلبه فإذا فيها:

** وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ** مذق اللسان[6] يقول ما لا يفعل **

فذكر المواعيد وأنجز له واعتذر إليه، ويسمى هذا الأسلوب بالتلميح[7] .

---

(١) المنصور : أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمّه سلاّمة البربرية، ولـد سـنة ٩٥، روى عن أبيه، وعن عطاء بن يسار، وعنه ولـده المهـدي، بويـع بالخلافـة بعهـد مـن أخيـه، وكـان فحْـل بـني العباس، هيبة وشجاعة ورأيا وجبروتا، عالماً أديباً. تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٠٣ .

وذكر نحو القصة في ٣١٣. قال : وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال : مما يؤثَر من ذكاء المنصور أنه دخل المدينة، فقال للربيع : اطلب لي رجلا يعرّفني دور الناس، فجاءه رجل، فجل يعرفه الدور، إلا أنه لا يبتدئ به يسأله المنصور، فلما فارقه أمر له بألف درهم، فطالب الرجل الربيع بها، فقال : ما قال لي شيئاً، وسيركب فذكّره، فركب مرة أخرى، فجعل يعرّفه، ولا يرى موضعاً للكلام، فلما أراد أن يفارقه، قال الرجل مبتدئاً : وهـذه يـا أمير المؤمنين دار عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

** يا بيت عاتكة الذي أتعزل ** حَذَرَ العِدى وبِكِ الفؤادُ مُوكّل **

فأنكر المنصور ابتداءه، فأمرَّ القصيدة على قلبه، فإذا فيها :

** وأراك تفعلُ ما تقول وبعضهم ** مذِقُ اللسان يقول ما لا يفعل **

فضحك، وقال : ويلك يا ربيع، أعطه ألف درهم . انظر الأغاني ففيه القصيدة ٩٦/٢١.

(٢) وذكر الألوسي القصة هذه ٩٥/١٥.

(٣) الأحوص : عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة، شاعر هجاء، من طبقـة جميل بن معمر، ومعاصرا لجرير والفرزدق، كان من سكان المدينة، وفد على عبد الملك في الشام، فأكرمه، ثم بلغـه عنه ما ساءه من سريرته، فرده إلى المدينة، وأمر بجلده، ونفيه إلى جزيرة (دَهْلَـك) بـين اليمـن والحبشـة، مـات سـنة ١٠٥هـ. الأعلام للزكلي ١١٦/٤ والأغاني ٤٠/٤.

(٤) انظر ديوان الأحوص ١٦٦.

(٥) المصراع : أحد شطري البيت، الأول يسمى : صدرا، والثاني يسمى : عجزاً.

(٦) مذق اللسان، أي : لسانه مخلوط غير خالص، أصله من مذق اللبـن خلطه بالماء، ومنه قولهـم : فلان يَمْذُق الودّ إذا لم يخلصه، فهو مذاق . الصحاح للجوهري ١٥٥٣/٤ مادة (مذق).

(٧) (التلميح) هو أن يشار في فحو الكلام إلى قصة أو شعر من غير أن تذكر صريحاً . التعريفات للجرجاني ٦٦.

قوله : ((كالعباس وعباس))[1] قال أبو البقاء[2] : [إنه علم يقال : زبور والزبور، كما يقال : عباس والعباس، أو هو نكرة، أي : كِتاباً من جملة الكتب]، وقال القاضي[3]: [الزبور في الأصل فَعُولٌ للمفعول، كالحلوب، أو المصدر كالقبول، ويؤيّده قراءة حمزة بالضم، فهو كالعباس والفضل].

قوله : ((أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون))[4] معنى الجملة كما هي بمعنى يحرصون . قال صاحب التقريب : [أيُّ موصولة، وهو بدل من واو يبتغون، أي آلهتهم أولئك يبتغي من هو أقرب منهم الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب ﴿ أو أيهم ﴾ استفهام، وضُمّن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون، أي : يحرصون أيّهم يكون أقرب إلى الله بالطاعة وزيادة الخير، فعلى الأول : يطلب من هو أقرب الوسيلة، وعلى الثاني :

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور ﴾ قال (ز) : قلت : يجوز أن يكون الزبور، وزبور ((كالعباس وعباس)) كما قال ابن مالك في الخلاصة :

** وبعض الأعلام عليه دخلا ** للمح ما قد كان عنه نقلاً **

** كالفضل والحارث والنعمان ** فذكر ذا وحذفه سيان **

(٢) أبو البقاء في إملائه ٩٣/٢.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٥/٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل ادع الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٦-٥٧.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ أيهم ﴾ : بدل من واو يبتغون، وأي موصولة، أي : يبتغي من هو أقرب منهم، وأزلف الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب ((أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون)) فكأنه قيل : يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله، وذلك بالطاعات ... الخ.

وفي معنى هذه الآية الدالة على أن المعبودين من دون الله لا ينفعون عابديهم بأي نفع من جلب نفع أو دفع ضر. من ذلك قوله تعالى في سورة سبأ الآية ٢٢ : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ وقوله في الزمر الآية٣٨ : ﴿ أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ...الآية ﴾

يطلب آلهتهم أن يكونوا أقرب إلى الله بما هو وسيلة . وقال أبو البقاء(١) : [﴿ أيّهُم ﴾ مبتدأ و ﴿ أقرب ﴾ خبره، وهو استفهام، والجملة في موضع نصب بـ ﴿ يدعون ﴾، ويجوز أن يكون ﴿ أيهم ﴾ بمعنى الذي، وهو بدل من الضمير في ﴿ يدعون ﴾]، واعلم أن لهم في مثل هذا مذهبين : أحدهما : أن ﴿ أيهم ﴾ استفهام، وهو مذهب الخليل. وثانيهما : هي موصولة، وصدر الصلة محذوف، وإليه ذهب سيبويه، وسيجيء تمام تقريره في قوله تعالى : ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾(٢) فالوجه الأول في الكشاف محمول على مذهب سيبويه، ولذلك صرّح بذكر صدر الصلة. وقال : ينبغي من هو أقرب. والثاني على مذهب الخليل حيث قال : يحرصون أيهم، ولا بد من تقدير متعلّق بيحرصون، كقوله تعالى : ﴿ حريص عليكم ﴾(٣) ﴿ إن تحرص على هداهم ﴾(٤) . ومن تأويل الإنشائي لتصحيح استقامته أقرب إلى الله بسببه من الطاعة وازدياد الخير، ففي الآية تقديم وتأخير لأن قوله : ﴿ إلى ربهم ﴾ حينئذ متعلق بـ ﴿ أقرب ﴾، كما قدّر في قوله يحرصون أيهم أقرب إلى الله، وأما قول أبي البقاء(٥):[والجملة في موضع نصب بيدعون] فتقديره أن آلهتهم أولئك يدعون إلى الله، الذين يقال فيهم أيهم أقرب إلى الله، لأنهم الذين ينتفعون بالدعوة، كقوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون ﴾(٦) ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾(٧) ﴿ هدى للمتقين ﴾(٨) ويجوز أن

---

(١) أبو البقاء ٢/٩٣.

(٢) سورة مريم الآية ٦٩

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٤) سورة النحل الآية ٣٧.

(٥) أبو البقاء ٢/٩٣.

(٦) سورة الأنعام الآية ٥١.

(٧) سورة عبس الآية ٤٥.

(٨) سورة البقرة الآية ٢.

وسبب نزول هذه الآية : قال ابن مسعود رضي الله عنه : نزلت في قوم من العرب من خزاعة أو غيرهم كانو يعبدون الجن، فأسلم الجنيون وبقي الكفار يعبدونهم، فانزل الله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم

يقدر أولئك يدعون إلى الهدى، وإلى ما يقال فيه : أنّهم أقرب إلى ا لله بسببه من العبادة والطاعة يبتغون إلى ربهم الوسيلة بتلك الدعوة، فقدم اهتماماً. وا لله أعلم.

قوله : ((كما غَيْرهم، أي : كغيرهم)) و (ما) كافة، أي : كما هو غيرهم.

قوله : ((بأن يحذره كل أحد من ملَك مقرّب))[1] هذا العموم يعطيه معنى التعليل، والعموم الذي في إطلاق قوله : ﴿ محذوراً ﴾.

قوله : ((والجبال بالصواعق))[2] وفي الحاشية : الجبال من الريّ إلى بغداد.

قوله : ((استعير المنع لترك إرسال الآيات))[3] لأن أصل المعنى : وما تركنا إرسال الآيات التي اقترحتها قريش، إلا لأجل علمنا السابق، والتقدير الماضي، وهو تأخير أمر من بعثْتُ إليهم إلى يوم القيامة، ولّما كان الصارف وهو العلم والتقدير قوياً، استعير المنع للترك، وذلك أن المنع حقيقة هو صرف الغير عن فعل يفعله، وذلك في حقّ الفاعل المختار محال، فوجب الحمل على المجاز.

الوسيلة أيهم أقرب ... الآية ﴾ . وقال ابن عباس رضي ا لله عنه : نزلت في الذين كانو يعبدون عزيرا والمسيح وأمه. انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٦/٢ مع الجلالين.

وأخرجه البخاري مع الفتح ٣٩٧/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ قل ادع الذين زعمتم من دونه ... الآية ﴾ رقم ٤٧١٤. وأيضاً الحديث رقم ٤٧١٥ ص٣٩٨.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ قال (ز) : حقيقاً ((بأن يحذره كل أحد من مَلَك مقرّب)) ونبي مرسل، فضلا عن غيرهم.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٨.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ أو معذبوها ﴾ : بالقتل وأنواع العذاب، وقيل : الهلاك للصالحة، والعذاب للطالحة، وعن مقاتل : وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها. أما مكة فتخربها الحبشة، والمدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، ((والجبال بالصواعق)) والرواجف . ولا يعول على هذا.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ الإسراء الآية ٥١.

قوله : ((أن من اقترح))[1] أن مع اسمها وخبرها خبر ((عادة الله)) وخبر إن : أنْ يعاجل.

قوله : ((وأنها لو أرسلت)) عطف على قوله : أن كذب بها الذين هم أمثالهم، على منوال أعجبني زيد وكرمه.

قوله : ((وقرئ : ﴿ مَبْصَرة ﴾[2] بفتح الميم . قال أبو البقاء[3] : [أي : تبصرة].

قوله : ((لا نرسلها ﴿ إلا تخويفاً ﴾ من نزول العذاب العاجل))[4] الراغب[5] : [الآيات ههنا قيل : إشارة إلى الجراد والقمّل ونحوهما من الآيات التي أرسلت إلى الأمم المتقدمة، فنبّه أن ذلك إنما يفعل بمن يفعله تخويفاً، وذلك أحسن المنازل للمأمورين، فإن الإنسان يتحرّى فعل الخير لأحد ثلاثة أشياء : إما أن يتحرّاه لرغبة أو لرهبة، وهو أدنى منزلة. وإما أن يتحرّاه لمحمدة، وإما أن يتحرّاه للفضيلة، وهو أن يكون ذلك الشيء في نفسه فاضلاً، وذلك أشرف المنازل فلما كانت هذه الأمة خير أمة رفعهم عن هذه المنزلة، ونبّه أنه لا يعمّهم بالعذاب، وإن كانت الجهلة منهم كانو يقولون : ﴿ أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليهم ﴾[6] وقيل : الآيات إشارة إلى الأدلة، ونبّه أنه يَتَبَصَّرُ معهم على الأدلة ويصانون عن العذاب الذي يستعجلونه].

---

(١) قال (ز) : وما مَنَعْنا إرسال الآيات، إلا تكذيب الأولين، وعادة الله في الأولين من الأمم، أن من اقترح منهم آية، فأُجيب إليها ثم لم يؤمن بها أن يعاجل بعذاب الاستئصال، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك، وقالوا هذا سحر مبين.

(٢) قرأ قتادة بفتح الميم والصاد (مَفْعلة) من البصر أي : محل إبصار . البحر المحيط ٦/٥٣.

(٣) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾.

(٥) الراغب في مفرداته ٣٣ مادة (آي)

(٦) سورة الأنفال الآية ٣٢ . ويعني بالجهلة منهم : النصر بن الحارث، القائل ذلك.

قوله : ((وهو يومئ إلى الأرض، ويقول هذا مصرع فلان))[1] روى مسلم[2] وأبو داود عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ههنا وههنا . قال : فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ماط، أي : بعد وذهب.

قوله : ((ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، الجوهري[3] : [العريش : ما يستظل به]. روينا في صحيح البخاري[4] عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر : (اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعْبَد اليوم، فأخذ أبوبكر بيده، فقال : حسبك).

قوله : ((فتسامعت))[5] هو متصل بقوله : ((ولعل الله)) وما عطف عليه من قوله : ((وحين تراجف الفريقان)) بدليل قوله من أمْر بدرٌ وما أرى في منامه، والمعطوف والمعطوف عليه تفسيران لقوله تعالى : ﴿ إن ربك أحاط بالناس ﴾ ولقوله : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾ وجعلوها سخرية عامل حين سمعوا، وهو تأويل لقوله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ وأما قوله : حين تراجف، فظرف لقوله : ((يدعو ويقول)) كما أن قوله : ((حين ورد ماء بدر ظرف يقول)) : أى كان يدعو[؟] ويقول

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٦٠ .

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ : أي : أحاط بقريش، يعني بشرناك بوقعة بدر وفيها أنه صلى الله عليه وسلم كان ((يومئ إلى الأرض ويقول : هذا مصرع فلان)).

(2) أخرجه مسلم ٢٢٠٣/٢ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وفي الجهاد برقم ١٧٧٩ ... الخ . وأبو داود ١٣١/٣ كتاب الجهاد، باب في الأسير ينال منه ويضرب ويقرّر. والنسائي ١٠٩/٤ . وأحمد في مسنده ٢١٩/٣، ٢٥٨ . ومصنف ابن أبي شيبة ٣٧٨/١٤.

(3) الجوهري في صحاحه ١٠١٠/٣ مادة (عرش).

(4) البخاري مع الفتح (٦١٩/٨ كتاب التفسير، باب قوله : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . وأحمد في مسنده ٣٢٩/١.

(5) لما ذكر الحديث : اللهم إني أسألك عهدك ... الخ . قال : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ((ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه، ثم قال : ((فتسامعت قريش)) بما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حين تراجف الفريقان : اللهم إني أسألك، وقد كان يقول حين ورد ماء بدر، وا لله لكأني أنظر، وإنما جمع المعنيين في قِرانٍ واحد وأفرز (الثالث) لاتّحاد قصتهما واختلاف الثالث فقوله : ((وحين)) سمعوا عطف على جملة قوله : ((حين تراجف الفريقان مع ما عطف عليه وهو قوله : ((ولعل ا لله)) ثم إنه لخص المعاني الثلاثة في قوله : والمعنى أن الآيات إنما نرسل بها تخويفاً للعباد ... إلى آخره,

قوله : ((﴿ وما قدروا ا لله حق قدره ﴾[١] من قال ذلك)) (من) فاعل (قدروا). الانتصاف[٢] : [العمدة في ذلك أن النار لا تؤثر إحراقاً إلا أن ا لله تعالى أجرى العادة أن يخلق الإحراق عقيب ملاقاتها بعض الأجسام[٣]].

قوله : ((وما أنكروا))[٤] قيل (ما) يجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول مطلق، أي : أيّ إنكار أنكروا ؟ وما استفهامية إنكارية . ويجوز أن تكون شرطية، والجزاء قوله : ((فهذا وَبَرُ السَّمَنْدَلِ على طريق الإخبار والإنكار لقوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٧ قال : (ز) : ولما سمعوا بأنه ذكر مصارعهم استهزءوا به، كما استزءوا لما سمعوا قوله تعالى : ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ فأورد قوله تعالى : ((﴿ وما قدروا ا لله حق قدره ﴾)).

(٢) الإنتصاف مع الكشاف ٦٧٥/٢.

(٣) فا لله تعالى هو الخالق للتأثير، فالنار صارت برداً وسلاماً لإبراهيم عليه السلام، لأنه أراد ذلك وشاء، فانتفى تأثيرها بذاتها . قال أحمد المقري في هذا الباب :

** ونفي تأثير عن الأسباب ** يعلم من برهان هذا الباب **
** كالماء للرّي وكالسكّين ** في القطع وفي النار لكالتسخين **
** وقدرة العبد وغير ذلك ** فالكل خلق للقدير المالك **
** وما له في صنعه من مثل ** وليس للعبد اختراع فعل **
** نعم له كسْبٌ به يكلف ** شرعاً ولا تأثير منه يؤلف **
** ولتحذر النّسج على منوال ** ما خالف المذكور من أقوال **
** وا لله عن أفعاله لا يسأل ** والقدريّ لم يقُلْ ما يعقل **

(٤) قال (ز) : إن قريشاً ((ما أنكروا أن يجعل ا لله الشجرة من جنس لا تأكله النار، فهذا وبر (السَّمَنْدَل) وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتّسخت طرحت في النار فذهب الوسخ، وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار.

فمن الله ﴾[1] والمعنى متصل بقوله : ((ثم أقرب من ذلك)) أي : أقرب مما ذكرنا أنه خلق في كل شجرة ناراً فلا تحرقها، وهم يشاهدونها، فأيّ إنكار أنكروا هذا ؟.

قوله : ((في كل شجر ناراً)) وفي المثل[2] : [(في كُلِّ شَجَرٍ نارٌ واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ) شَبَّهَهُما بمن يكثر العطاء طلباً للمجد، لأنهما يسرعان الورى، خلاف سائر الأشجار].

قوله : ((وخُوِّفُوا بعذاب الآخرة))[3] عطف على قوله : ((وقد خُوِّفوا بعذاب الدنيا)) . والفاء في : ((فما أثّر فيهم)) هي الفاء في قوله تعالى : ﴿ فما يزيدهم ﴾ والتخويف بعذاب الدنيا حصل من شيئين : من الوحي بإحاطة الناس، ومن الرؤيا التي أراها في مصارع القوم، والتخويف بعذاب الآخرة حصل من إنزال شجرة الزقوم في القرآن، ولذلك جعل المصنف عطف قوله : ﴿ وما جعلنا ﴾ على ﴿ إذ قلنا ﴾ بمنزلة شيء واحد، وأتى بالفاء، حيث قال : ((فما كان ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك ﴿ إلا فتنة ﴾)).

قوله : ((فكيف يجاب قوم)) بالجيم والباء، وفي أكثر النسخ : يخاف، بالخاء والفاء[4] ، وفيه إيماء إلى اتصال قوله تعالى : ﴿ ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا ﴾ بقوله : ﴿ وما منعنا ان نرسل بالآيات ﴾ يعني : ما تركنا إرسال تلك الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا وإحياء الموتى وغيرها إلا لنزول عذاب الاستئصال، وقد عزمْنا تأخير أمرهم . ثم قال : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ أي : وما نزل بآيات

---

(1) سورة النحل الآية ٥٣.

(2) الأمثال للميداني ٤٧/٢ رقم المثل ٢٧٥٢، يقال : مَجَدَت الإبل تَمجدُ مُجوداً إذا نالت من الخَلى قريباً من الشّبع، واستمجد المَرْخُ والعفار، أي : استكثرا واخذا من النار ما هو حسبهما.((شبها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد، لأنهما يسرعان الوَرْيَ.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلا فتنة ﴾ قال (ز) : فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا ((وخُوِّفوا بعذاب الآخرة)) وشجرة الزّقوم، فما أثّر فيهم.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ قال (ز) : ((فكيف يخاف)) قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات.

القرآن إلا تخويفاً وإنذاراً مما نزل بالأولين كعاد وثمودَ وفرعون من الإستئصال بسبب اقتراحهم على أنبيائهم لينزجروا ويعتبروا، وتخويفاً مما حلّ بهؤلاء يوم بدر، وما يحلُّ بهم يوم القيامة من أكل الشجرة الملعونة ليتّعظوا، فما يزيدهم كلّ ذلك إلا طغياناً، فإذا كان الأمر على هذا فكيف يجابوا إلى ما اقترحوا بإرسال الآيات، فوضع موضع ضمير يجابوا قوم هذه حالهم، إيذاناً بأنهم قوم معاندة مكابرة، أو يقال : كيف يجابون بإرسال ما يقترحون من الآيات ؟. وأنها كالطليعة المقدمة لعذاب الآجلِ، وقد خوفوا هذه التخويفات فما اتّعظوا ؟. وا لله أعلم.

قوله : ((ومن قال كان في اليقظة فسرّ الرؤيا بالرؤية))[1] يعني على الأصل، قال المصنف في سورة يوسف[2] : [والرؤيا بمعنى الرؤية، إلا أنها مختصّة بما كان منها في المنام دون اليقظة. وفرّق بينهما بِحَرفَي التأنيث، كما قيل القُرْبَة والقُرْبى] ومثله استعمال الوعد والوعيد. وروينا عن البخاري[3] وأحمد بن حنبل والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ قال : (هي رؤيا عين أُريها النبي صلى ا لله عليه وسلم ليلة أسري به إل بيت المقدس).

قوله : ((وقيل : إنما سماها رؤيا على قول المكذبين، يعني على زعمهم والتهكم بهم، ويمكن أن يكون ههنا من باب المشاكلة[4] .

---

(١) من تفسير قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ قال (ز) : وقيل : الرؤيا هي الإسراء، وبه تعلق من يقول : كان الإسراء في المنام ((ومن قال : كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية))

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ الآية ٥.

(٣) البخاري مع الفتح ٣٩٨/٨ كتاب التفسير، باب : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ . والترمذي ٢٨٢/٥ كتاب التفسير، باب : ومن سورة بني إسرائيل . وأحمد في مسنده الفتح الرباني ١٩٣/١٨.

(٤) المشاكلة :هى ذكر الشيء بلفظ مصاحبه لوقوعه معه ، كقوله تعالى فى الشورى الآية١٤٢ (وجزاء سيئة سيئة مثلها).

قوله : ((كما سمّى أشياء بأساميها عند الكفرة))(١) سمّى أصنامهم بالآلهة والشركاء في الآيتين، وأنفسهم بالعزيز الكريم في الآخرة على زعمهم وكما هو عندهم تهكمًا(٢) .

قوله : ((فراغ)) الجوهري(٣) : [راغ إلى كذا، أي : مال إليه سرّاً ﴿ فراغ عليهم ضربا باليمين ﴾(٤) أي : أقبل . قال الفراء : [مال عليهم].

قوله : ((رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره))(٥) الحَكَم هو ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وولده الذين ملكوا بعد معاوية يزيد بن معاوية بن

---

(١) قال (ز) : وقيل : إنما سماها رؤيا على قول المكذّبين، حيث قالوا له : لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيّل إليك استبعاداً منهم ((كما سَمّى أشياء بأسمائها عند الكفرة)).

(٢) التهكم : الاستهزاء و التكبر القاموس ١٩١/٤ مادة (التهكم).

(٣) الجوهري في صحاحه ١٣٢٠/٤ مادة (روغ).

(٤) سورة الصافات الآية ٩٣.

(٥) قال (ز) : وقيل : إنه ((رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره)) كما يتداول الصبيان الكرة. انظر تراجم خلفاء بني أمية في تاريخ الخلفاء للسيوطي. والأعلام للزركلي :

١- معاوية بن أبي سفيان، أسلم يوم الفتح، بقي في الخلافة عشرين سنة لا ينازع فيها. مات سنة ٦٠.

٢- يزيد بن معاوية، ولد سنة ٢٦، ولي الخلافة سنة ٦٠هـ، ومات سنة ٦٤.

٣- عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٢٦، ولي الخلافة سنة ٦٥، ومات سنة ٨٦.

٤- الوليد بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٤٨، ولي الخلافة سنة ٨٦، ومات سنة ٩٦.

٥- سليمان بن عبد الملك، ولد سنة ٥٤ ومات ٩٩، ولي الخلافة سنة ٩٦، مدة خلافته سنتان وثمانية أشهر.

٦- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم العادل، ولد سنة ٦١، ومات سنة ١٠١، دامت خلافته سنتان ونصف.

٧- يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٧١، ومات ١٠٥، دامت خلافته أربع سنين وشهراً.

٨- هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٧١، ومات سنة ١٢٥، بويع بالخلافة سنة ١٠٥. دامت خلافته سنتان.

٩- الوليد بن اليزيد بن عبد الملك، ولد سنة ٨٨، ومات سنة ١٢٥، ولي الخلافة ١٢٥، ودامت سنة وثلاثة أشهر.

١٠- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، مات سنة ١٣٢، ولي الخلافة سنة ١٢٦، كان ضعيفاً مكث في الخلافة ٧٠ يوماً.

١١- مروان بن محمد بن مروان، ولد سنة ٧٢، ومات سنة ١٣٢ دامت خلافته خمس سنين وشهر . . وهو أخر خلفاء بني أمية.

أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أولهم مروان بن الحكم، ثم عبد الملك ابنه، ثم ابنه الوليد، ثم أخوه سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وآخرهم مروان بن محمد بن الحكم.

قوله : ((لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة))(١) أي : أيُّ موضع من القرآن وجدت فيه لعنة الكافرين، فهي ملعونة هناك، لأن المراد بالشجرة الملعونة أن طاعمها ملعون، لأن الشجرة لا ذنب لها.

قوله : ((وسألت بعضهم)) عن صحة نقل المعنى فقلت : هل تسمى العرب كلّ طعام مكروه ملعوناً ؟. قال : نعم . وزاد في الجواب : إن الطعام الملعون هو المذموم الذي لا خير فيه.

قوله : ((القشب الممحوق))(٢) الفائق(٣) : [القشب : القذر، والقَشِبُ : الذي خالطه قذر، قيل : القشب أيضاً السم، والجمع أقشاب، وقشبه أيضاً إذا ذكره بسوء].

قوله : ((الممحوق)) محقه يمحقه محقاً، أي : أبطله ومحاه، والكشوث(٤) نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.

قوله : ((وقيل : هي الشيطان)) أي : الشجرة الملعونة . الانتصاف(٥) : [يبعده قوله : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾(٦) وقوله : ﴿ فإنهم لآكلون منها ﴾(٧)].

---

(١) تفسير قوله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ قال (ز) : فإن قلت : أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟. قلت : ((لعنت حيث لعن طاعمها من الكفرة)) والظلمة.

(٢) تفسير قوله : ﴿ والشجرة الملعونة ﴾ قال (ز) : تقول العرب لكل طعام مكروه ضارّ : ملعون، والطعام الملعون ((القشب الممحوق)).

(٣) الفائق للزمخشري ١٩٨/٣ مادة (قشب) والجوهري ٢٠١/١.

(٤) الصحاح للجوهري ٢٩٠/١ : الكشوث : نبت الخ. يشير (ز) إلى قول ابن عباس، أن الشجرة الملعونة هي الكُشُوثُ التي تلتوي بالشيء يجعل في الشراب، وهو نبت.

(٥) الانتصاف مع الكشاف ٦٧٦/٢.

(٦) سورة الصافات الآية ٦٥.

(٧) سورة الصافات الآية ٦٦.

قوله : ((أو من الراجع))[1] والفرق أنه إذا كان حالاً من الموصول يكون قيداً لأسْجُدُ، وإذا كان حالاً من الراجع، كان قيداً لـ(خَلَقْتَ) فيختلف التقديران، والأول أبلغ، لأنه من باب المجاز باعتبار ما كان، أي : أَسجد للطّين، والطين لا يُسْجَدُ له. والمعنى : على الثاني : أأسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً، أي : أصله طين.

قوله : ((لم كرّمته عليّ وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك))[2] أي : السؤال عن العلة، ويمكن أن يقال : إن اللّعين لـمّا أنكر أن يسجد له تحقيراً لشأنه، وجَعْلُه طيناً مشاهداً ترقّى منه إلى أبلغ، أي : أخبرني عن هذا المشاهد المحسوس المكوّن من الطين والصَّلْصالِ كالفخار المجبول بالشهوات، أي : كيف يرتفع عليَّ وأنا أقهره بالوساوس، وأجعله مطواعاً لي، سيما ذريته، فأستأصلهم إغواء، ومن ثَـمَّ أتى بالجملة المؤكّدة بلام القسم في قوله : ﴿ لئن أخّرتنِ ﴾ ﴿ لأحتنكنّ ذريته ﴾ ولفظة (هذا) مثلها في قولها[3] :

** تقول ووقّت نحرها بيمينها ** أبَعْلي هذا بالرحى المتقاعس **

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أءسجد لمن خلقت طيناً. قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيام لأحتنكن ذريته إلا قليلاً . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً ﴾ الإسراء الآية ٦١-٦٥.

قال (ز) في تفسير وإعراب قوله : ﴿ طيناً ﴾ حال إما من الموصول، وهو ﴿ مَنْ ﴾ والعامل فيه ﴿أسجد﴾ على تقدير ﴿ أأسجد ﴾ له، وهو طين، أي : أصله طين ((أو من الراجع إليه)) من الصلة على تقدير : أأسجد لمن كان في وقت خلقه ﴿ طيناً ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ هذا الذي كرّمتَ عليّ ﴾ قال (ز) : أي فضلته ((لم كرّمته عليّ وأنا خير منه ... الخ))

(٣) لم أقف على قائلة البيت.

ويؤيده قول الإمام(١) : [هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام، والذي مع صلته الخبر، أي : أخبرني : أهذا الذي كرّمته عليّ ؟ وذلك على وجه الاستصغار، وإنما حذف الاستفهام، لأن حصوله في قوله : ﴿ أرأيتك ﴾ أغنى عن تكراره].

قوله : ((وهو من الحنك))(٢) الراغب(٣) : [الحنك : حنك الإنسان والدابة، وقيل لمنقار الغراب : حَنَكٌ، لكونه كالحنك من الإنسان، وقيل : أسْوَدُ مثلُ حنك الغراب، وحَلَكِ الغراب، فَحَنَكُهُ : منقاره، وحَلَكُهُ : سواد ريشه. وقوله تعالى : ﴿ لأحتنكنّ ذريته إلا قليلاً ﴾ يجوز أن يكون من حَنَكْتُ الدابّة أصبت حنكَها باللجام والرّسن، فيكون نحو قولك : لألْجمنّ فلاناً ولأُرْسِنَنَّهُ، ويجوز أن يكون من قولهم : احتنك الجراد الأرض، أي : استولى بحَنَكِه عليها، فأكلها واستأصلها، فيكون المعنى : استولى عليهم استيلاءه على ذلك، وفلانٌ حَنَكَهُ الدهر كقولك : نَجره وفرع سنّه وافترّه، ونحو ذلك من الإستعارات في التجربة].

قوله : ((والظاهر أنه قال ذلك))(٤) أي : لئن أخّرتني، يعني : أن قوله : لئن أخرتني، إلى آخره، داخل في حيز القول، فيكون صدور هذا القول بعد الإباء عن السّجود ومكان الوسوسة الجنة، وهو متخلّف عن هذا بزمان، أي : هذا القول مردود.

قوله : ((كما قال موسى عليه السلام للسامري))(٥) يعني : كما رتّب موسى عليه السلام على قوله : ﴿ فاذهب ﴾ قولَه : ﴿ فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ﴾(٦) للائذان بأن المراد من الأمر الخذلان، لتعقبه بالعقاب، كذلك ها هنا،

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢١/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لأحتنكنّ ذرّيته ﴾ قال (ز) : لأستأصلنهم بالإغواء، من : احتنك الجراد الأرض إذا جرَّد ما عليها أكْلاً ((وهو من الحنك)).

(٣) الراغب في مفرداته ١٣٤ مادة (حنك).

(٤) يعني : قول إبليس : ﴿ لأحتنكن ذريته ﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ﴾ قال :(ز) : ((كما قال موسى عليه السلام للسامري : ﴿ فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ﴾.

(٦) سورة طه الآية ٩٧.

فقوله : وعقبه، عطف على محذوف، وهو معلل لقوله : خذلاناً أو تخلية، وفي قوله : ﴿ فمن تبعك ﴾ ظرف لقوله : تذكرة له جزء، أي : قال الله تعالى لإبليس : امض لشأنك خذلاناً وتخلية، وعقّبه بذكر ما جرّه سُوء اختياره، حتى يقال في حقه : ﴿ فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ﴾.

قوله : ((لأن الجزاء موصوف بالموفور))(١) هذا تصحيح وقوع الجزاء حالاً، وهو كقوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾(٢) وقيل : التقدير(٣) ذوي جزاء موفور، فيكون حالاً من الضمير في تجازون، وهو معنى جزاؤكم ، وإلا فالعامل مفقود، والأظهر أنه حال مؤكّدة، كقولك : زيد حاتم جوداً. قال أبو البقاء(٤) : [هو حال موطئة . وقيل : هو تمييز].

قوله : ((فِرْ لصاحبك عرضه))(٥) مثله في قول زهير :

** ومن يجعل المعروف من دون عرضه ** يفره ومن لا يتق الشتم يشتم **

قال الزوزني : وفّرت الشي وَفْرَةً وَوَفْراً : أكثرته ووفّرته وفوراً، تقول : ومن يجعل معروفه ذابّاً عن عرضه وجعل إحسانه واقياً عرضه وفّرَ مَكَارِمَه. الراغب(٦) : [الوفر : المال التام. يقال : وَفَرْتُ كذا : تمّمته، أفِره وَفْراً ووفوراً وَفِرَةً ووفّرته على التكثير، والوفرة : الشعر الوافر، ومَزَادَةٌ وَفْراء، وسِقَاءٌ أوفر لم ينقص من أديمها شيء، ورأيت فلاناً ذا وفارة، أي : تام المروءة والعقل].

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً ﴾ أي : تجازون.

(٢) سورة يوسف الآية ٢.

(٣) (المعنى) في ب ، ت . بدل (التقدير)

(٤) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٤.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ موفوراً ﴾ قال (ز) : الموَفّر، يقال : ((فُرْ لصاحب عرضه فُرَةً)).

(٦) الراغب في مفرداته ٥٢٨ والصحاح للجوهري ٢/٨٤٧ مادة (وفر).

قوله : ((والفَزُّ الخفيف))(1) الراغب(2) : [قال تعالى : ﴿ واستفزز من استطعت منهم ﴾ أي : أزعِجْ وَفَزَّني فلان أزعجني والفَزُّ وَلَدُ البقرة، سمي به لما تُصُوِّرَ فيه من الخفّة، كما سمّي عجلاً لما فيه من العجلة].

قوله : ((من الجلبة وهي الصياح))(3) الراغب(4) : [أجلبت عليه صحت عليه بقَهْرٍ].

قوله : ((يا خيل الله اركبي)) النهاية(5) : [أي : يأصحاب خيل الله].

قوله : ((وقرئ : ﴿ ورَجِلِكَ ﴾)) قال ابن جني(6) : [رويناها عن قطرب عن أبي عبد الرحمن وقال الرّجِلُ الرجال، وعليه قرآة عكرمة وقتادة : ﴿ ورجالك ﴾ ويقال : رجلٌ جمع راجل، كتاجر وتجْرِ، وهذا عند سيبويه اسم للجمع غير مكّسر بمنزلة الباقر] الراغب (7) : [الرجُلُ يختصّ بالذكر من الناس، ويقال : رَجُلَةٌ للمرأة إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها، وفلان أرْجَلُ الرجلين، واشتُقَّ من الرِّجْلِ رَجِلٌ، وراجل للماشي بالرِّجْلِ بين الرُّجْلَةِ، فجمع الراجِلِ رِجَّالةٌ ورَجْلٌ نحو رَكْب، ورجال نحو رِكابِ لجمع الراكب، ويقال رَجْلٌ راجل أي : قويّ على المشي، وجمعه رجال نحو قوله : ﴿ فرجالاً أو ركباناً ﴾(8) وكذا رَجِيلٌ ورَجْلَةٌ. والأرجل الأبيض الرجل من الفرس، والعظيمُ الرِّجْلِ، واستعير الرِّجْلُ للقطعة من الجراد ولزمان الإنسان، يقال : كان ذلك على رِجْلِ فلان، كقولك : على رأس فلان، وترَجَّلَ الرجل نزل عن دابته، وتَرَجَّل النهار

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ واستفزز ﴾ قال (ز) : استفزّه استخفّه ((والفَزّ الخفيف)).

(2) الرغب في مفرداته ٣٧٩ مادة (فز).

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأجلب عليهم ﴾

(4) الراغب في مفرداته ٩٥ مادة (جلب).

(5) النهاية ٩٤/٢ (خيل).

وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤١٣/٧ كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب من مرسل قتادة، وبوب له أبو داود ٥٥/٣ كتاب الجهاد . وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٢٧٤/٢. وأيضاً في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦٧٧/٢.

(6) ابن جني في المحتسب ٢١/٢-٢٢.

(7) الراغب في مفرداته ١٨٩.

(8) سورة البقرة الآية ٢٣٩.

انحطت الشمس عن الحيطان، كأنها تَرَجَّلَت، ورجَّل شعره، كأنه أنزله إلى حيث الرِّجل، والْـمِرْجَلُ : القدر المنصوب، وأرْجلْتُ الفَصِيلَ : أرسلته مع أمّه، كأنما جعلت له بذلك رِجْلاً].

قوله : ((حدث(١) أي حسن الحديث، والنّدس الفطن

قوله : ((ورد مورد التمثيل))(٢) وهو على وجهين : أحدهما : التمثيل المحض بأن مُثِّلَتْ حال الشيطان في تسلّطه وإغوائه من غير تصوّر استفزاز وصوت وخيل ورجل بحاله مغوار مقدّرة فيها هذه المذكورات، فاستعمل في تلك الحال ما يستعمل في هذه نحوه قوله تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾(٣) وثانيهما : التمثيل غير المحض، وذلك بأن يتصور له استفزاز وصوت ورجل وخيل مجازي، كما قال بدعائه : إلى الشرّ، ورَجله كل راكب وماش من أهل العبث.

قوله : ((بمغوار)) الجوهري(٤) : [رجل مِغْوارٌ ومُغَاوِرٌ أي : مقاتل، وقوم مَغاوير، وخيل مُغيرة].

قوله : ((وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكبائر))(٥) الانتصاف(٦) : [وعد الله بالمغفرة وعلقها بالمشيئة من غير توبة، وجعلها الزمخشري من وعد الشيطان، ولذلك جعل وعد الصادق المصدوق بالشفاة من مواعيد الشيطان، وأقل عقوبته في ذلك حرمانها.]

---

(١) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ورجلك ﴾ قال : وقرئ ﴿ رَجلك ﴾ قال : وجمعك الرَّجُل بضم الجيم، فيكون مثل ((حَدُثٌ وحَدِثٌ، ونَدُسٌ ونَدِسٌ)) قال الجوهري ٢٧٩/١ : رجل حَدُثٌ وحَدِث بضم الدال وكسرها أي حسن الحديث. وقال أيضاً في جـ٩٨٢/٣ : رجل نَدُسٌ ونَدِسٌ أي فَهِمٌ، وفطن . والأساس للزمخشري ٦٢٥ مادة (ندس).

(٢) قال (ز) : فإن قلت : ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله ؟. قلت : هو كلام ((ورد مورد التمثيل)) مُثّلت حاله في تسلُّطه ... الخ

(٣) سورة الزمر الآية ٦٧

(٤) الجوهري في صحاحه ٧٧٥/٢ مادة (غَوَرَ).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعِدهم ﴾ قال (ز) : أي المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة ((وتسويف التوبة ... الخ))

(٦) الإنتصاف مع الكشاف ٦٧٨/٢ ولم يتضح لي وجه ردّه على الزمخشري.

قوله : ((ونحوه ﴿ إلا عبادك ﴾)) أي نحو قوله ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ﴾ .

قوله : ((﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾)) لأنّ من كفاه مالِكُ اللّعين والقادر عليه وكيلاً ، لا يكون إلا عبداً مكرّما مخلّصا .

قوله : ((هو على تقدير(١) الكلام)) (٢) على الاستثناء المنقطع أى على الوجه الأخير ، ويفهم أنه على الأول والثاني متصل ، أما على الأول (فَضَلّ) مضّمنٌ لمعنى (ذهب) وفاعله الذِّكْرُ أى ذهب عن أوهامكم ذِكْرُ كلّ من تدعونه إلا ذِكْرُ ا لله ، يدلّ عليه قوله : ((لايذكرون سواه)) ، وعلى الثاني (ضَلّ) مجرى على حقيقته ، ولذلك قال : أولم يَهْتد لإنقاذكم .

قوله : ((فما معنى ذكر الجانب)) (٣) ، دَلّت الفاء في السؤال على السببيه، يعنى ذكرت أن جانب البرّ مفعول به ، (كالأرض) في قوله ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ (٤) ، فما معنى زيادة الجانب في هذه الآية ، وأجاب عنه أن الزيادة دلّت على أن الكلام في هذا المقام في الجانب ، وأن جانبي البَرّ والبحر سيان تحت قهره وسلطانه سبحانه وتعالى ، وذلك أنهم قطعوا أن الهلاك مختصّ بجانب البحر وأن جانب الْبَرِّ مكان الأمْنِ ومَنزِلَ الرّفَاهِية ومهبط البطر والأشر ، دلّ على ذلك فعلهم

---

(١) (مابين القوسين س من ب) .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ وإذا مسكم الضّر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البَرّ أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ ضل من تدعون ﴾ من الآلهة عن إغاثتكم، ولكن ا لله وحده هو الذى ترجونه وحده ((على الاستثناء المنقطع)) .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرّ أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ الإسراء الآية ٦٨ - ٦٩ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ أن يخسف بكم جانب البر ﴾ قال (بكم) حال ، والمعنى أن يخسف جانب البرّ أي يقلبه وأنتم عليه ، فإن قلت : ((فما معنى ذكر الجانب)) ؟ ، قلت : معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء .

(٤) سورة القصص الآية ٨١ .

﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون ﴾ (١) .

قوله : ((أن يُقَوِّيَ دواعيكم ويوفّر حوائجكم))(٢) ، إعلام بأن (أم) في قوله: ﴿ أم أمنتم ﴾ منقطعة والهمزة فيها للإنكار والتوبيخ ، ويؤيده تقدير ((نَجَوْتُمْ)) بعد الهمزة ، وعطف (أمنتم) عليه في القرنية الأولى ، يعني هَبُوا أنكم تخلّصتم من الغرق في البحر ، فكيف تتخلصون من الخسف في البرّ؟ ، ثم أضرب عنه أي دَعْوا الخسف ، بل كيف تأمنون أن الله يقوي دَوَاعِيكم فتورث الْبُخْلَ الخالع والحرص الهالع فتعودون إلى مانَجَوْتُم منه فيغرقكم به . وفي تذييل (٣) كل من الآيتين معنى الترقي ، ذيّلت الأولى بقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴾ أي من يتوكل بصرف ذلك عنكم . والثا نية بقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ أي مطالبا يطالبنا بما فعلنا دَرَكاً للثّأر، لأن طلب الثّأرِ بعد الهلاك والتوكل قبله .

قوله : ((فأعرضتم فينتقم منكم ، بأن يرسل)) الفاء في فأعرضتم عاطفةَ عقيب ﴿ نجّاكم ﴾ ﴿ فأعرضتم ﴾ وفي ينتقم مؤذنة ، بأن الفاء في قوله تعالى ﴿فيرسل﴾ فصيحة (٤) مقتضبة لتقرير فينتقم ، لأن مُجرّد إعادتهم فى البحر ليس موجبا لإرسال ما يغرقهم ، بل سبب ذلك إرادة الانتقام من الإعراض السابق بواسطة الريح القاصف .

قوله : ((﴿ فيغرقم ﴾ وقريء بالتاء)) (٥) ، ابن كثير وأبوعمرو بالنون ، والباقون بالياء التحتانية وبالتاء شاذة ، وعلى هذا ﴿ نعيدكم ﴾ .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

(٢) تفسير قوله ﴿ أم أمنتم ﴾ ، قال (ز) : أي أم أمنتم ((أن يُقَوِّيَ دواعيكم ، ويُوَفِّرَ حوائجكم ألى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه ((فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل)) .

(٣) (التذييل) هو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد

(٤) الفاء الفصيحة : هى العاطفة على الجواب المحذوف . أنظر إعراب القرآن لمحي الدين درويش ٩٥/٦.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر أونرسل عليكم) وقوله ﴿ أم أمنتم أن نعيدكم فيه تارة أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح فنغركم ﴾ كله بالنون . وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿ فتغرقكم ﴾ بالتاء فقط ، والباقون بالياء . المبسوط لابن مهران ٢٢٩ والإتحاف ٣٨٥ .

قوله : ((** كمالاذ الغريم من التبيع **))(١)، لاذ : أي التجأ . الأساس(٢) : [ما وجدت لي على فلان تبيعا أي متابعا ناصراً لي عليه] .

قوله : ((وهذا نحو قوله : ﴿ ولا يخاف (٣) عقباها ﴾)) ، أي لا يخاف الله عاقبتها وتبعتها ، كما يخاف كلّ معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء .

قوله : ((وحسب بني آدم تفضيلا)) (٤) ، يعني دلّ قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ على كرامتهم ، ويكفيهم من هذه الكرامة أن يكونوا دون الملائكة فيها ونازلين عن منزلة الذين هم المشهورون الكاملون وبقرب من الله معرفون ، أويكونوا مفضّلين على غيرهم ، كما تقول يكفيك من الشرف أن تكون ثاني الأمير في المنزلة .

قوله : ((وهم هم)) وقوله : ((ومنزلتهم منزلتهم)) ، مثل قول أبي النّجم (٥) :

** أنا أبو النجم و شعري شعري **

أي أنا ذلك المشهور الموصوف بالكمال وشعري هو الموصوف بالبلاغة .

قوله : ((وتكثيره مع التعظيم ذِكْرَهُمْ)) ، أي تكثير الله ذكرهم مع التعظيم في كتابه ، مع التعظيم : حال من الفاعل و المفعول . قال صاحب التقريب : [ولقد تشنع ها هنا حتى أفحش ، فيقول : بتفضيل المَلَك أحد قول أهل

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ تبيعا ﴾ ، قال (ز) : التبيع المطالب . والبيت للشماخ يصف عقابا :
** يلوذ ثَعَالِب الشرقين منها ** كَمَالاَذَ الغريم من التَّبيع** . انظر مشاهد الانصاف٢/٦٨٠

(٢) الأساس للزخشرى ٥٩ ، مادة (تبع) .

(٣) سورة الشمس الآية ١٥ .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا ﴾ الإسراء الآية ٧٠ ، قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا ﴾ هو ما سوى الملائكة ((وحسب بني آدم تفضيلا)) أن يرفع عليهم الملائكة ((وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم)) .

(٥) أبو النجم الفضل بن قدامة العجلىمن بني بكر بن وائل ، من أكابر الرجّاز ، نبغ فى العصر الأموي مات سنة ١٣٠ هـ ، انظر الأغاني ١٠ /١٥٠ ، وخزانة الأدب ١ /٤٩ . والبيت كاملا هو فى معاهد التصيص ١/٢٦ :

** أنا أبو النجم و شعري شعري ** لله درّي ما يجن صدر **

السنة (١) ومذهب ابن عباس و اختيار الزجاج و أيضا غايته التمسك بالمفهوم ، و هو أن يخصص الكثير ، بل على أن القليل ، ولا يلزم منه مذهبه ، و هو تفضيل القليل ، فقد يستويان ثم ليتجمل أن يراد بكثير ممن خلقنا الملائكة إذهم كثير من العقلاء المخلوقين ، فيكون بين آدم فضل منهم . و على الجملة فذلك التشنيع شنيع .

قوله : ((ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها و يتمتعون))(٢)

---

(١) شنع الزمخشري على أهل السنة في تفضيلهم الآدمين على الملائكة ، و في هذه المسألة خلاف بين علماء أهل السنة و الجماعة ، كما نظم ذلك المقرى في إضاءته قال :

** و الأنبيا أفضل فا لملائكة ** يتلون في فَضْلٍ عَلَوا أرائكه **

** و قيل بلعكس و بعض فصّلا ** في ذاك تفضيلاً له قد أصّلا **

** و انعقد الإجماع أن المصطفى ** أفضل خلق ا لله و الخلف انتفى **

** و ما نحى الكشاف في التكوير ** خلاف إجماع ذوى التنوير **

** فا حذر لمنعه سماعه ** و اتّبع السنة و الجماعة **

و انظر القرطبي ١/ ٢٨٩ عند قوله تعالى ﴿ قال يا آدم انبئهم بأسمائهم ﴾ الآية ٣٣ وذكر ادلة القولين فاستدل على فضل الملائكة بقوله تعالى ﴿ عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون ﴾ سورة الأنبياء الآية ٢٧ و قوله تعالى في سورة التحريم الآية ٦ ﴿ لا يعصون ا لله ما أرهم و يفعلون ما يؤمرون ﴾ و قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٧٢ ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبد ا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ و قوله تعالى في سورة الإنعام الآية ٥٠ ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن ا لله و لا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ﴾ و في البخاري مع الفتح يقول ا لله (من ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ خير منه) ٣٨٤/١٣ برقم ٧٤٠٥ و الترمذي ٥/ ٥٤٢ برقم ٣٦٠٣ واحتجّ من فضل بني آدم بقوله تعالى في سورة البينة الآية ٧ ﴿ إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريئة ﴾ و قوله صلى ا لله عليه و سلم (و إن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم الحديث) أخرجه أبو داود ٥٧/٤ كتاب العلم و الترمذي ٤٧/٥ كتاب العلم و أحمد ٢٣٩/٤ و بما جاء في حديث من أن ا لله يباهي بأهل عرفات الملائكة ، و لا يباهي إلا بالأفضل وقال بعض العلماء : ولا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة ، و لا القطع بأن الملائكة خير منهم . ذكر البغوي في تفسيره هذا الخلاف و قال : والأولى أن يقال : عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ، وخواص المؤمنين أفضل من خواصّ الملائكة . قال ا لله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريئة ﴾ ١٠٩/٥ سورة البينة الآية ٧ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣٨٢/٢ و ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف و عزاه للطبراني و رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية . و قال : هذا حديث لا يصح .

الحديث ، نحوه رواه محيي السنة في المصابيح (١) ، و في المعالم (٢) وروى [شيخي في المعتمد ، و البيهقي في شعب الإيمان (٣)] عن جابر أن النبي صلى ا لله عليه و سلم قال : لمّا خلق ا لله آدم و ذريته قالت الملائكة : يا رب خلقتهم يأكلون و يشربون و ينكحون و يركبون فاجعل لهم الدنيا و لنا الآخرة . قال ا لله تعالى : لا أجعل من خلقته بيدي و نفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن فكان . و أما الحديث الآخر فقد رواه ابن ماجه (٤) عن أبي هريرة يقول : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (المؤمن أكرم على ا لله من بعض ملائكته) .

قوله : ((فسّروا كثيراً بمعنى جميع)) (٥) ، قال محي السنة (٦) : [وظاهر الآية أنه فضّلهم على كثير ممن خلقه ، لا على الكل ، وقال قوم : فضّلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلّهم ، وقد يوضع الأكثر موضع الكلّ كما قال تعالى : ﴿ هل أنبّئكم على من تنزّل الشياطين ﴾ إلى قوله : ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ (٧)] ، وفسّر المصنف في قوله : ﴿ وما يتّبع أكثرهم إلاّ ظنّاً ﴾ (٨) الأكثر بالجميع .

---

(١) أخرجه محي السنة البغوي في مصابيح السنة ٣١/٤ كتاب أحوال القيامة و بدء الخلق باب بدء الخلق و ذكر الأنبياء برقم ٤٤٥٩ من حديث جابر رضي ا لله عنه و مشكات المصابيح لمحمد بن عبد ا لله الخطيب التبريزي ١٥٩٧/٣ و سكت عنه الألباني و الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤٢١/٣ و الدر المنثور للسيوطي ١٩٣/٤ .

(٢) معالم التنزيل للبغوي ١٠٩/٥ .

(٣) ما بين القوسين س من (١) ، و ت .

(٤) أخرجه ابن ماجة ١٣٠٢/٢ من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه ، وإسناده ضعيف ، لضعف يزيد بن سفيان أبي المهزّم . ومشكاة المصابيح ١٥٩٧/٣ ، وضعّفه الألباني . وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٢٨٨/٢.

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وفضّلناهم على كثيرٍ ﴾ ، قال (ز) : ردّاً على أهل السنة في تفضيلهم مؤمني بني آدم على الملائكة ((ومن ارتكابهم أنهم فسّروا ﴿ كثيراً ﴾ بمعنى جميع)) في هذه الآية ، وخذلوا حتى سلبوا الذوق .

(٦) محي السنة ، البغوي في تفسيره ١٠٨/٥ .

(٧) سورة الشعراء الآية ٢٢١-٢٢٢ .

(٨) سورة يونس الآية ٣٦ .

قوله : ((سلبوا الذوق)) ، أراد بالذوق ما تجده نفس الفطن الذكيّ من التفاوت بين اللفظين ، ووَضْعُ جميع موضع كثير ، فإن هذا التركيب من باب تعليق الحكم [بإحدى صفتي الذات للدلالة على نفي الحكم عمّا عداه ، ومعناه أنه حصل في المخلوقات ما لا يكون الإنسان أفضل منه ، وهم الملائكة (١)] ، وهذا تقدير الإمام (٢) ، وإلاّ فأي فائدة في العدول من لفظ الكلّ والجميع إليه . ونحوه ما روي عن أبي عبيدة وهو من علماء العربية أنه قال في مثل قولهم : الميت اليهودي لا يبصر أنه يتبادر منه إلى الفهم أن الميت المسلم يبصر ، ولذلك يتعجّب ويضحك منه كلّ أحد ، وإلاّ لم يكن لذلك الضحك والتعجّب وجه . ولعلّ إحالته إلى الذوق تعريض بأصحابه الذين منعوا القول بالمفهوم . فنقول : الظاهر أن المفضل عليه كثير ، و ﴿ ممن خلقنا ﴾ بيان له ، وفي الحقيقة بالعكس على ما سبق في قوله تعالى : ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ﴾ (٣) ، قال : [عامل ﴿ مظلماً ﴾ (٤)] أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله : ﴿ قطعاً ﴾ ، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة ، وحقّقه شيخي المغفور أمين الدين الشَرْفَشَاهي (٥) بأن قال : إن نسبة ﴿ أغشيت ﴾ إلى ﴿ قطعا ﴾ إنما هي باعتبار ذاتها المبهمة المفسرة بالليل ، لا باعتبار مفهوم القطع في نفسها ، وإنما ذكرت لبيان مقدار ما أغشيت به ، وهو الليل، كما إذا قيل : اشتريت أرطالاً من الزيت ، فإن المشتري الزيت والأرطال مبينة لمقدار ما اشترى ، وها هنا المفضّل عليه من ﴿ خلقنا ﴾ و ﴿ كثير ﴾ مبيّن لمقدار كميته ، وعليه قولك : رأيت أسداً منك على التجريد ، فإن المرئى المخاطب ، والأسد لبيان كيفية حال المرئى من الجُرأة والشجاعة ، ولا شكّ أن ﴿ من خلقنا ﴾ متناول لمن

---

(١) ما بين القوسين س من ب .

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره عند هذه الآية ١٢/٢١ .

(٣) سورة يونس الآية ٣٧ .

(٤) ما بين القوسين س من ب .

(٥) لم أقف له على ترجمة .

يعقل من المخلوقات ، وهو منحصر في الملائكة والثقلين ، وخرج منه بنو آدم ، لأن الشيء لا يفضّل على نفسه ، فيبقى الملائكة والجنّ ، فظهر أن فائدة استجلاب الوصف ليس إلا لبيان كمية المفضّل عليه الذي يقتضيه مقام مدح المفضّل ، فلا يحمل على المفهوم ، على نحو : في سائمة الغنم زكاة ، إذ لا فائدة فيه للوصف سوى التخصيص ، وأما كون المقام مقام مدح فإن الآية أخرجت مخرج القسيمة ، وكرّر فيها ما ينبيء عن غاية المدح من ذكر الكرامة والتفضيل وتسخير الأشياء على الترقي ، كأنه قيل : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ بكرامة أبيهم ، ثم سخرناهم الأشياء ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ ثم فضّلناهم تفضيلا أي تفضيل ، ولهذا عقّب بها قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ﴾ وهو لبيان كرامة أبيهم بجعل سجود الملائكة المقرّبين بعد ذكرهم فيه ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ (١) ، ومن ثمّ طرد اللعين حيث قاس الفضل بالعقل وامتنع عن السجود (٢) الذي يدلّ على فضله وكرامته ، وما توسّطت بينهما من الآيات كالاستطراد (٣) و الاعتراض يدلّ عليه الاتفاق بين قوله : ﴿ وحملناهم فى البرّ والبحر و رزقناهم من الطيبات ﴾ ، وقوله : ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله ﴾ (٤) كما بين هذه الكرامة بالسجود ، ويعضّده الحديث المروي عن جابر كما مرّ ، هذا على أن يكون ﴿ من ﴾ بياناً ، وإذا جعل تبعيضاً كان ﴿ ممن خلقنا ﴾ بدلاً ، أي فضلناهم على بعض المخلوقين ، وذِكْر البعض في هذا المقام يدلّ على تعظيم المفضّل عليه ، كما سبق في قوله تعالى : ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ (٥) ، وأيّ مدح لبني آدم وإثبات للفضل والكرامة

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سحود في ب ت .

(٣) الاستطراد : سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض . انظر التعريفات للجرجاني ٣٥ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٦٦ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

بالجملة القسمية ، إذ جعلوا مفضّلين على الشياطين والجنّ على أن صفة الكثرة ، إذا جعلت مُخَصِّصةً لإخراج البعض كانت بالملائكة أولى من الجنّ والشياطين ، لأنهم هم الموصوفون بالكثرة ، وإليه ينظر قول صاحب التقريب . ثم يحتمل أن يراد بـ ﴿ كثير ﴾ ممن خلقنا الملائكة ، إذ هم كثير من العقلاء المخلوقين . روينا عن الترمذي (١) عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ ومَلَكٌ واضع جبهته لله ساجداً) الحديث ، وذكر شيخنا شيخ الإسلام في كتاب الرشف أنه ورد أن البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (٢) . وورد أن كلّ قطرة تنزل من السحاب إلى الأرض يصحبها ثلاثة أملاك (٣) فظهر أن ليس المراد من قولنا : فضّلوا على الجميع (٤) أنه وضع الكثير موضع الجميع في التلاوة ليلزم البشاعة التي ذكرها ، بل الجميع لازم المعنى ، وأما قوله : ((أشجى لحُلُوقِهم)) فلعلّ مراده أنهم إنما فروا من دلالة المفهوم وفسّروا الكثير بالجميع لئلاّ يلزم فضل الملائكة عليهم ، لكن لزمهم من هذا ما هو أفظع منه ، وهو فضل الحدّادين والحيّاكين ، بل الكافرين على النفوس الطاهرة الزكية . وأجيب عنه أنه كما لا يلزم من قولنا : الرجال أفضل من النساء فضل كلّ فرد على كل

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/٤٨١-٤٨٢ كتاب الزهد ، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله ، رقم ٢٣١٢ ، وقال : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجة ٢/١٤٠٢ كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء رقم ٤١٩٠ ، وأحمد في مسنده ، ٥/١٧٢ .

(٢) ذكر ذلك الطبري ٢٧/١٦ ، ولكنه أوقفه على علي رضي الله عنه . والبغوي ٧/٣٨٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١١٤ : رواه الطبراني عن ابن عبّاس مرفوعاً ، وفيه بشر أبو حذيفة ، وهو متروك ، [illegible] ١١/٤١٧ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) يشير إلى قول (ز) : وفضلناهم على جميع ممن خلقنا ، على أن معنى قولهم : على جميع ممن خلقنا ((أشجي لحلوقهم)) وأقذى لعيونهم ، ولكن لا يشعرون إلخ . لتفسير قوله تعالى ﴿ وفضلناهم على كثير ﴾ بأن كثير بمعنى جميع ، ومعنى (أشجى) قال الجوهري في صحاحه ٧/٢٣٨٩ : (الشجا) ما يثبت في الحلق من عظم وغيره .

فرد ، كذلك لا يلزم ذلك . وفي حديث أبي هريرة : المؤمن أكرم على ا لله من بعض الملائكة (١) ، إشارة على تفضيل الآية . و حديث جابر و هو ما قيل خواص الإنسان مثل الأنبياء أفضل من خواصهم ، و بعض عوام الإنسان [من المؤمنين (٢)] أفضل من عوامهم و ا لله اعلم .

قوله : ((السخيمة)) أي الضغينة والمُوْجِدة في النفس . قاله الجوهري (٣) .

قوله : ((قرىء يدعوا باليا والنون)) (٤) ، بالنون السبعة وبالياء شاذّ (٥) .

قوله : ((وقرأ الحسن يُدْعَوا أي بضم الياء وفتح العين)) ، قال ابن جني(٦) : [هذا على لغة من أبدل الألف في الوصل واوا ، نحو (افْعَوْ وحُبْلَوْ) ذكر ذلك سيبويه وأكثر هذا القلب إنما هو في الوقف ، لأن الوقف من مواضع التغيير ، وهو أيضا يحكي عن حاله في الوقف . ومنهم من يبدلها ياء] .

قوله : ((ولم نؤت بالنون قِلّة مُبالاةٍ بها لانها غير ضمير)) قال صاحب التقريب : [وفيه نظر، لأنها علامة الرفع ولا موجب لحذفها] .

قوله : ((ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أمٍّ)) (٧) ، وروى محي السنة (٨) عن محمد بن كعب بإمامهم الإمام جمع أمٍّ كَخُفٍّ و خفاف ، و فيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها لأجل عيسى عليه السلام . والثاني لشرف الحسن والحسين . والثالث

---

(١) تقدم تخريجه آنفا .

(٢) ما بين القوسين س من (١) و الصواب ما في ب .

(٣) الجوهري في صحاحه ١٩٤٨/٥ مادة (سخم) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ يوم ندعواكل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم و لا يظلمون فتيلا ﴾ الإسراء الآية ٧١ قال (ز) ((قرىء ندعوا بالنون)) .

(٥) قرأ بالنون السبعة ، و بالياء شاذّ الحسن و السّجستاني ، و قتادة . شواذ القراءة لابن خالوية٧٧

(٦) ابن جني في المحتسب ٢٢/٢ و ما بين القوسين س من (١) ب من كلام ابن جني .

(٧) تفسير قوله ﴿ بإمامهم ﴾ قال (ز) بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين إلخ ... ثم قال: ((و من بدع التفسير أن الإمام جمع (أمٍّ) و أن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم .

(٨) محي السنة البغوي في تفسيره ، ١١٠/٥ و قاله الزمخشري أيضا هنا .

لئلا يفتضح أولاد الزنا ، الانتصاف (١) : [وأما بدع لفظية فإن جمع الأم المعروف أمهات و أم رعاية عيسى بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمهات ، فيوهم أن خلق عيسى من غير أب غَضّ من منصبه ، وهو عكس الحقيقة ، بل ذلك ذِكر له وشرف.

قوله : ((ما يأخذ المطالب)) (٢) ، وهو بفتح اللام وفاعل يأخذ ضمير يرجع إلى (ما) و(من) في من الحياء بيان (ما) الثانية و الباء في بالنداء سببية متعلقة بيأخذ ، وأمام التنكيل ظرف يأخذ المعنى بأخذهم الخجل والانخزال وحبسة اللسان أخذ مثل أخذ من طولب بجناياته ومساويه وأوقف بين يدي جبار من الجبابرة فيأخذه الحياء والخجل والحبسة بسبب [النداء على جناياته (٣)] وبسبب اعترافه بمساويه ، والحال أنه مشاهد لتهييء أسباب نكاله و هلاكه .

قوله : ((ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)) (٤) ، الراغب (٥) : [الفتيل المفتول ، وسمي ما يكون في شقّ النواة فتيلاً ، لكونه على هيئته وقيل هو ما تفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ ، ويضرب به المثل من الشيء الحقير] .

قوله : ((ومن ثم قرأ أبو عمرو)) (٦) ، الأول مُمَالاً ، والثاني مفخّماً قال الزجاج (٧) : فهو في الآخرة أعمى [وهذا من عمى القلب أي هو في الآخرة أشدّ

---

(١) الانتصاف مع الكشاف ٦٨٢/٢ و لفظه ، و لقد استبدع بدعاً لفظاً و معنى فإن جمع الأم المعروف إمهات إلخ .. و لا يخفي ما في هذا الجمع من البعد .

(٢) قال (ز) عند قوله ﴿ فأولئك يقرءون كتابهم ﴾ فإن قلت : لم خصّ أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأنّ أصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم . قلت : بلى و لكن إذا اطّلعوا على ما في كتابهم ((أخذهم ما يأخذ المُطَالَبَ)) با لنداء على جنايته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به و الانتقام منه ، من الحياء والخجل و الانخزال و حبسة اللسان و التتعتع و العجز عن إقامة حروف الكلام إلخ ....

(٣) ما بين القوسين س من ب .

(٤) تفسير قوله ﴿ و لا يظلمون فتيلا ﴾ قال (ز) : ((و لا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)) .

(٥) الراغب في مفرداته ٣٧١ مادة (فتل) .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلا ﴾ الإسراء الآية ٧١ قال في تفسير ((أعمى)) و قد جوزوا أن يكون (أعمى) الثاني بمعنى التفضيل ومن ثَمّ قرأ أبو عمرو (أعمى) الأولى ممالاً ، و(أعمى) الثانية مفخّماً ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر ٢٨٥ و أمال (أعمى) معا هنا أبوبكر و حمزة و الكسائي وخلف ، لأنهما من ذوات الياء ، و قللهما الأزرق بخلفه و قرأ أبو عمرو ويعقوب بإمالة الأولى محضة لكونه ليس أفعل تفعيل فألفه متطرفة لفظا و تقديرا ، و الأطراف محل التغيير غالباً ، و فتحا الثاني لأنه للتفضيل ، ولذا عطف عليه (و أضل)، فألفه في حكم المتوسطة ، لأن من الجارة للمفعول كا لملفوظة بها ، و هي شديدة الاتصال بأفعل .

(٧) الزجاج في تفسير معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٣ .

عمىً] وقال أبو علي في الحجه (١) : [وأما قـراءة أبي عمـر وأعمـى(٢) الأولى مُمَـالاً والثاني مُفَخَّمًا ، فهو يجوزأن لا يجعل الثاني عبارة عن العيوب في الجارحة ولكنّه جعله من باب أَبْلَهَ من فلان فجاز أن يكون فيه أفعل من كذا ، وإن لم يجز أن يقال ذلـك في المصاب ببصره ، فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة ، لأن آخرها هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة في الأواخر ، وقـد حـذف مـن أفعـل الـذي هـو للتفضيـل ، الجار والمجرور ، وهما مرادان فـى المعنى مع الحذف كقولـه تعـالى : ﴿ يعلـم السـر وأخفى ﴾ أي أخفى مـن السـّرّ كذلـك قولـه : أعمـى أي أعمـى منـه في الدنيـا (٣) ، ومعنى العمي في الآخرة أنه لا يهتـدى إلى طريـق الثـواب ، ويؤكّـد ذالـك ظاهـر مـا عطف عليه من قوله : ﴿ و أضل سبيلا ﴾ فكمـا أن هـذا لا يكـون إلا علـى أفعـل ، كذلك المعطوف عليه ، ومعنى ﴿ أضلّ سبيلا ﴾ فى الآخـرة أن ضلالـه في الدنيـا قـد كان يمكن الخروج منه ، وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ، قال صاحب الإنتصاف (٤) : [هذه الآيـة قسـمية لقولـه : ﴿ فمـن أوتـي كتابـه بيمينـه ﴾ (٥) فهـو يتبصّره و يقرؤه ، ومن كان فى الدنيا أعمى غير متبصّـر ولا نـاظر في معاده فهـو في الآخرة غير متبصّر في كتابه ، بل أعمى عنـه أو أشـدّ عمـي علـى اختـلاف التـأويل ، فعلى هذا يكون قول المصنّف : ((لم خصّ أصحاب اليمين بقراءة كتابهم متوجّهاً)) وقال القاضي (٦) : [و تعليق القراءةَ بإيتاء الكتاب بـاليمين يـدّل علـى أن مـن أوتـي كتابه بشماله إذا اطّلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبـس ألسـنتهم عـن القراءة ، و لذلك لم يذكر هم مع أن قوله : ﴿ من كان في هذه أعمى فهو في الآخـرة أعمى ﴾ أيضاً مشعر بذلك ، فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب .

---

(١) أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسي ٥/١١٢ ذكره بالمعنى .

(٢) سورة طه الآية ٧ .

(٣) الظاهر أن المراد بالأعمى في هذه الآية عمى البصيرة ، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الحج الآية ٤٦ ﴿ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور ﴾ .

(٤) الإنتصاف مع الكشاف ٢ / ٦٨٣

(٥) سورة الإسراء الآية ٧١

(٦) القاضي البيضاوي فى أنوارة ، ٣ / ٢٠٨

قوله : ((لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى)) (١) ، النهاية (٢) في الحديث [أن وفد ثقيف اشترطوا أن لا يحسَرُوا ولا يعسَرُوا ولا يجبسوا اي لا يؤخذ عشر أموالهم . وقيل : أرادوا به الصدقة الواجبة وإنما فَسَحَ لهم في تركها ، لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم وإنما تجب بتمام الحول ، وسئل جابر عن اشتراط ثقيف أن لا صدقة عليهم ، ولا جهاد ، فقال : علم أنّهم سيتصدقون و يجاهدون إذا أسلموا] و قال : يجوز أن يسمّى آخذ ما يجب على المسلمين من ربع العشر عاشراً لإضافة ما يأخذه الى العشر ونصف العشر ، كيف وهو يأخذ العشر جميعه وهو زكاة ما سقته السماء ؟

قوله : ((ولا يحشُروا)) ، النهاية : [ولا يحسروا أي لا يندبون إلى المغازى ولا تضرب عليهم البعوث] .

قوله : ((ولايجبى)) ، النهاية (٣) : [أصل التّجْبِية أن يقوم الإنسان قيام الراكع ، وقيل : هو أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم ، وقيل : هو السجود ، والمراد لا يصلون، ولفظ الحديث يدّل على الركوع لقوله في جوابهم : لا خير في دين ليس فيه ركوع ، فيسمى الصلاة ركوعاً ، لأنه بعضها] .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ و إن كادوا ليفتنونك عن الذي أو حينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجدلك علينا نصيرا ﴾ الإسراء الآية ٧٣ – ٧٤ ، قال (ز) : روي أن ثقيفا قالت للنبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب (لا نعشر : و لا نحشر ، ولا نجبى فى صلاتنا إلخ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث ٣ / ٢٣٩ ، مادة (عشر) . و اختلفوا في سبب نزولها ، و ذكر هذا السبب البغوي ١٥ / ١١١ عن وفد ثقيف . وقال الحا فظ بن حجر فى الكاف الشا في على تخريج الكشاف (لم أجده) وذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند ، و الواحدي فى أسباب النزول ٣٣٥، وانظر الطبري ١٥ /٨٨ ، والقرطبي ١٠ / ٢٩٩ ، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢ / ٢٧٩ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢٣٨/١ .

قوله : ((لسنا نكلّم إيّاك)) (١) ، بالياء تحتها نقطتان ، ويروى أبَاكَ بالباء الموحدة أي لسنا نكلم أباك حتى تتعصّب له ، ولعل وجه فصل الضمير المنصوب للإبهام ، والتبيين تأكيداً ، ولذلك قالوا : إنما نكلم محمداً .

قوله : ((أي يخدعوك فاتنين)) (٢) ، إشارة إلى أن قوله ليفتنوك مضمن معنى الخداع ومعدي تعدية .

قوله : ((ما أداروه عليه))(٣) ، أي على الافتراء والتقوّل ، والضمير في (عليه) (ما) والمنصوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . و (ما) عبارة عن الافتراء والتقول ، أي أداروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الافتراء ، الأساس (٤) : [ومن المجاز أدرته على هذا الأمر ، حاولت منه أن يفعله ، وأدرته عنه حاولت منه أن يتركه] .

---

(١) يشير (ز) إلى قول عمر رضى الله عنه ، حينما قالت ثقيف إنهم لا يعشرون ولا يحشرون ، فقالوا ولا يجبون ، والكاتب ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام عمر رضى الله عنه فسلّ سيفه وقال : أسعرتم قلب نبينا ... فقالوا ((لسنا نكلم إياك ، إنما نكلم محمدا)) .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن كادوا ليفتنونك ﴾ ، قال (ز) : (إن) مخففة من الثقيلة ، والمعنى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك ((أى يخدعوك فاتنين

(٣) تفسير قوله : ﴿ تفترى ﴾ قال (ز) : لتقول علينا ما لم نقل ، يعني ((ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً)) إلخ ...

(٤) الأساس للزمخشري ١٩٨ ، مادة (دور) ، وقد حاول الكفار معه صلى الله عليه وسلم أن يتبعهم ، ويأتي بشيء من تلقاء نسفه ولكنه امتنع غاية الإمتناع . وقال : إنه لا يمكنه إلا اتباع ما أوحى الله إليه كما قال تعالى في سورة يونس الآية ١٥ : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم ﴾ فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يتقول على الله ولذا قال تعالى عنه في سورة سأل سائل الآية ٤٤-٤٧ : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذمنه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ الآية .

قوله : ((إذا)) (١) ، لو قاربت تركن إليهم أدنى رَكْنَةٍ (لأذقناك)) وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما همّ بإجابتهم مع قوة الدّاعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه .

قوله : ((ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا ، الفرق بين هذا الوجه والوجه الأول (٢) بعد إجراء الضعف على المضاعفة أن عذاب الممات في الأول عذاب القبر ، وعذاب الحياة في الآخرة ، وهنا المراد بعذاب الممات عذاب القبر ، وبعذاب الحياة، عذاب الحياة الدنيا)) ، قال القاضي (٣) : [أي عذّبناك ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذ الفعل غيرك ، لأن خطأ الخطير أخطر (٤) . وقيل : الضعف من أسماء العذاب] ، الراغب : [الضِّعْفُ من الألفاظ المتضايفة التي يقتضي وجودأحدهما وجود الآخر كالنصف والزوج ، وهو تركب زوجين متساويين ، ويختصّ بالعدد ، فإذا قيل : أضْعَفْتُ الشيء وضعّفته وضاعفته ضَمَمْتَ إليه مثله فصاعدا ، قال بعضهم : ضاعفت أبلغ من ضَعّفت ، ولهذا قرأ أكثرهم (يضاعف) وقال تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾(٥) فالمضاعفة على قضية هذا القول تَقْتَضي أن يكون عشر أمثالها . وقيل : ضَعَفْته بالتخفيف ضعفا فهو مضعوف ، فالضَّعف مصدر والضِّعْفُ اسم كالشيء والشيء فضعف الشيء هو الذي يثنيه ، ومتى أضيف إلى عدد اقتضى ذلك العدد ، ومثله ، نحو أن يقال : ضِعْفُ العشرة ، فذلك عشرون بلا خلاف ، وإذا قيل أعطه ضِعْفَيْ واحد ، فإن ذلك اقتضى الواحد ومثليه ، وذلك ثلاثة ، لأن معناه الواحد واللذان يَزَاوِجَانِه ، هذا إذا كان الضعف

---

(١) تفسيرقوله تعالى ﴿ لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذاً ﴾ .

(٢) الوجه الأول هو قوله : أذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين إلخ ....

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣/٢٠٨ .

(٤) مراده بالخطير : العظيم الشأن كالأنبياء والأمثل من الناس ، ويدل له قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٣٠ : ﴿ يا نساء النبي من يات منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ الآية ولقد أجاد من قال :

** وكبائر الرجل الصغير صغائر ** وصغائر الرجل الكبير كبائر **

(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٠ .

مضافاً فأمّا إذا لم يكن مضافاً ، فقلت الضعفين ، فإن ذلك يجـري مجـرى الزوجـين : أن كلاًّ منهما يزاوج الآخر فيقتضي ذلك اثنين لأن كُلاًّ منهما يضاعف الآخـر ، فـلا يخرجان عن الاثنين بخلاف ما إذا أضيـف الضعفـان إلى واحـد فيثلّثهمـا ، نحو ضِعْفَي الواحد قال تعالى : ﴿ أولئك لهم جزاء الضعف ﴾ (١)] .

قوله : ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها)) (٢) ، إلى قوله : ((دليل بيّن علـى أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ، ومن ثم استعظم مشائخ العـدل (٣) نسبة المجبرة القبائح إلى الله تعالى)) ، الانتصاف (٤) : [أمـا قليـل الكيـدودة فيحمـل علـى كون الله تعالى يعلم ما لم يكن لو كان كيـف يكـون ، فعلـم تعـالى أن الركـون الـذي كان يحصل لو كان قليلا فهو عظيم ، وهو خبر عن الواقع في علمه ، فـلا يليـق حمله على المبالغة فإنها لا تليق في الأخبار ، فإنه لوكان الواقع كَيْرُودَة رُكُون كثير ، كـان خلفه خلفا في الخير ، والذنب يعظم بحسب فاعله . وأما تعظيم مشائخ المعتزلـة نسبة القبائح إلى الله فقد استعظموا عظيما ، ولكن جهلوا في اعتقادهم القبح وصفـاً ذاتيـاً للقبيح ، وكلّ ما اسْتَقْبَحوه من العبد استقبحوه من الله تعالى ، والقبيح عندنا ما نهى الله عنه ، و لله عزّ وجلّ أن يفعله ، لا يسأل عمّا يفعل ، فالمَلِك يستقبح من عبده أن يجلس على كرسي المُلْك ، ولا يُقْبَح ذلك منه . و لقد كان لمشائخه شـغل بما لزمهـم من الإشراك عن هذا ، لكن زُيِّن لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسناً في أول كلامه نظروا في قول المصنف أعني ((وفي ذكر الكيـدودة وتقليلهـا إشـكال لأن ﴿ شـيئاً قليـلاً ﴾

---

(١) سورة سبأ الآية ٣٧ .

(٢) متعلق بتفسير قوله (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا) قال (ز) : ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين)) دليل بيّن على أن القبيح إلخ ....

(٣) مشائخ العدل يعني بهم المعتزلة ، ويريد بالمجبرة أهل السنة ، حيث قالوا : إن الخير والشر كليهما من عند الله بخلقه وإرادته ، ولو كان من فعل العبد ظاهراً .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٨٥/٢ ، وقد أجاد وأفاد في الردّ على الزمخشري وحزبه مما أغنـى عـن التعليق على الزمخشري .

مصدر (تركن) ظاهراً ، فيلزم التقليل فيه لا في الكيدودة)) ، ويمكن أن يقال : إن كاد لما كانت لمقاربة الخبر في الوجود فجعلت القلة التي في الخبر فيها مجازاً .

قوله : ((إلا زماناً (قليلاً))) (١) ، اعلم أن إخراج الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجوها من التأويل بحسب تفسير الأرض ، فإذا فُسّرت بأرض مكة فالتأويل على وجهين ، أحدهما : أن قليلا صفة موصوف محذوف ، فقد حصل الإخراج وعدم لُبْثهم وهلاكهم بعده حقيقة ، وهو المراد من قوله ((فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل)) ، وأن قليلا يعني العدم ، كقوله تعالى : ﴿ قليلا ما تؤمنون ﴾ (٢) وإليه الإشارة بقوله : ((لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم)) ، لكن لم يحصل الإخراج لاحقيقة ولا مجازاً ، فلم يحصل الاستئصال أيضاً ، وإذا فُسِّرت بأرض المدينة يعود معنى القليل على التقديرين .

قوله : ((لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم)) ، قال الميداني (٣) : [أصل المثل : (جاءوا على بكرة أبيهم) ، قال أبو عبيد : أي جاؤا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد ، وليس هناك بكرة في الحقيقة ، والبكرة تأنيث البَكْرِ ، وهو الفتى من الإبل ، وقيل : البكرة ههنا التي يستقى عليها ، أي جاؤا بعضهم على أثر بعض كدوران البَكْرَة على نسق واحد لم ينقطع . والبكرة إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد ، فشبّه اجتماع القوم في المجيء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم] .

قوله : ((أما الشائعة)) (٤) ، يعني القراءة المشهورة ، وهي ﴿ لا يلبثون ﴾ بإثبات النون مرفوع عطف على ﴿ ليستفزّونك ﴾ خبر كاد ، وهو مرفوع نحو ، كاد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن كادوا ليستفزّونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا * سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ الإسراء الآية ٧٦-٧٧ . قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ﴾ ، أي ((إلا زمانا قليلا)) .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٢ .

(٣) الميداني في مجمع الأمثال ٣١٤/١ ، برقم ٩٤١ .

(٤) القراءات في قوله تعالى ﴿ لا يلبثون ﴾ ، قال (ز) : وقريء ﴿ لا يلبثون ﴾ ،وفي قراءة أبَيّ : لا يلبثوا، على إعمال (إذا) ، فإن قلت : ما وجه القراءتين ؟ ، قلت : ((أما الشائعة)) إلخ .

زيد يخرج ، وفي المفصّل (١) : [خبرها (٢) مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعاً متأوّلا باسم الفاعل] . قال ابن الحاجب (٣) : [إنما شرط أن يكون فعلا مضارعا للتنبيه على أنه المقصود بالقرب] ، فعلى هذا (إذاً) واقعة في أثناء الكلام ، لا جواب لها ، لأن (إذاً) لا تعمل إذا كان مُعتَمِداً ما بعدها على ما قبلها ، قال أبو البقاء (٤) : [وإثبات النون إلغاء (إذاً) ، لأن الواو العاطفة تصير الجملة مُختَلِطَةً بما قبلها ، فتكون إذاً حَشْواً] .

قوله : ((الجملة برأسها إلى قوله عطف على جملة قوله ﴿ وإن كادوا ليستفزّونك ﴾)) (٥) ، قال نور الدين الحكيم (٦) : [فيه نظر ، لأنه على هذا التقدير لا يتحقّق معنى قول سيبويه (٧) : [إذاً جواب وجزاء] . قلت : لا يمكن أن يفهم كونه جواباً وجزاءً من حيث المعنى ، نحو وإذا كان كذلك إذاً لا يلبثوا .

قوله : ((وقريء خلافك)) (٨) ، قال القاضي (٩) : [قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة] .

---

(١) المفصّل للزمخشري في النحو والصرف ، وشرحه موفق الدين ابن يعيش النحوي في عشرة أجزاء في مجلدين كبيرين . وذكر الزمخشري في المفصّل هذا الكلام في جـ ١١٩/٧ .

(٢) في ب خبر (كاد) ، وفي المفصّل (خبرها) .

(٣) ابن الحاجب النحوي في كتابه الإيضاح في شرح المفصّل ٩١/٢ ، مطبعة العاني ببغداد ، تحقيق : د/موسى بناي العليلي .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٥/٢ .

(٥) وأما قراءة أبَيّ في قوله تعالى ﴿ وإذاً لا يلبثُوا ﴾ بإسقاط النون شاذة كما في شواذ القراءات لابن خالويه ٧٧ . قال (ز) : وأما قراءة أبَيّ ففيها ((الجملة برأسها التي هي ﴾ إذاً لا يلبثوا ﴾ عطف إلخ .

(٦) نور الدين الحكيم ، لم أقف له على ترجمة .

(٧) سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين ، أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب ، أصله من البيضاء من أرض فارس ، نشأ بالبصرة ، أخذ عن الخليل وغيره ، لم تطل حياته ، مات بالبصرة ، وقيل : بشيراز سنة ثمانين ومائة . المعارف لابن قتيبة ٥٤٤ ، وبغية الوعاة ، ٢٢٩/٢ .

(٨) قوله تعالى ﴿ وإذا لا يلبثون خلافك ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبوبكر عن عاصم ﴿ وإذا لا يلبثون خَلْفَكَ ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام.وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب ﴿خِلافَكَ﴾ بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألف . المبسوط لابن مهران ٢٣٠.

(٩) القاضي البيضاوي ٢٠٩/٣ .

قوله : ((** عَفَتِ الديارُ خِلافَهُم ** البيت)) (١) ، (عفت) : اندرست ، (خلافهم) : بَعْدهم ، (الشواطب) : النساء اللواتي يشتَقِقْن الجريد ليعمل منه الحُصُر و (الشطْب) : سعف النخل ، [الأخضر يصف دروس ديار الأحباب بعدهم ، وأنها غير منكوسة ، كأنما بُسِط فيها سعف النخل (٢)] .

قوله : ((دلكت الشمس : غربت)) (٣) ، الراغب (٤) : [دلوك الشمس ميلها للغروب ، وهو من قولهم : دَلَكْتُ الشمس : دفعتها بالراح ، ومنه : دلكْتُ الشيء في الراحة ، ودالكْتُ الرجل : إذا ماطلته ، والدلوك : ما دلكته من طيب ، والدليك : طعام يتّخذ من زبد وتمر] .

قوله : ((وهي حجّة على ابن علية (٥) والأصم (٦) أن القراءة ليست بركن في صلاة الفجر)) ، قال القاضي (٧) : [واستدلّ به على وجوب القراءة فيها ، ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوّز لكونها مندوبة فيها ، نعم لو فسّرنا بالقراءة في صلاة الفجر ، دلّ الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصّاً ، وفي غيرها قياساً ، والجواب عن الأول أنه لولم تكن ركناً لم يجز إطلاقه عليها كالركوع والسجود والقيام ، لأنه من

---

(١) تمامه :

** عَفَتِ الديارُ خِلافَهُم فَكأنّمَا ** بَسَطَ الشّواطِبُ بَيْنَهُنّ حَصيراً **

وهو للحارث بن خالد المخزومي . انظر مشاهد الانصاف٢/٦٨٦

(٢) ما بين القوسين س من ب .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * ومن الليل فتهجّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربّك مقاما محموداً ﴾ تفسير (ز) لقوله تعالى : ﴿ دلوك الشمس ﴾ .

(٤) الراغب في مفرداته ١٧١ ، مادة (دلك) .

(٥) (ابن علية) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الإمام الحافظ ، أبو بشر الأسدي مولاهم البصري الكوفي الأصل المشهور بابن علية ، وهي أمه ، ولد سنة مات الحسن البصري ١١٠ ، أخذ عنه حميد الطويل ، وعنه ابن جريج وغيره ، مات سنة ١٩٣ . سير أعلام النبلاء ١٠٧/٩ ، وتهذيب التهذيب ٢٧٥/١ .

(٦) (الأصم) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان ، الإمام المحدث مسند العصر أبو العباس النيسابوري ، سمع منه الآباء والأبناء والأحفاد ، من أكثر الناس رحلة في طلب العلم ، ولد سنة ٢٤٧ ، ومات سنة ٣٤٦ . سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٥ ، وتذكرة الحفاظ ٨٦٠/٣ .

(٧) القاضي البيضاوي ٢٠٩/٣ .

باب إطلاق معظم الشيء على كلّه ، والمندوب ليس كذلك . وقال أبو البقاء (١) : [وقرآن الفجر فيه وجهان ، أحدهما معطوف على الصلاة ، أي و أقم صلاة الفجر ، وعليه قوله : سميت صلاة الفجر قرآناً ، لأنها ركن . وثانيهما : هو على الإغراء ، أي عليك قرآن الفجر أو الزَمْ] ، وعليه قوله ((ويجوز أن يكون ﴿ وقرآن الفجر ﴾ حثّاً على طول القراءة في صلاة الفجر)) كأنه قيل : الزم قراءة القرآن في صلاة الفجر ، أي القرآن المنسوب إلى الفجر .

قوله :((فهو آخر ديوان الليل ، وأول ديوان النهار)) (٢) . روى الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده (٣) عن أبي هريرة في صلاة الفجر وصلاة العصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، فيصعد ملائكة النهار وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي ؟ ، فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون . وفي رواية البخاري ومسلم (٤) قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، ثم قال أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ .

قوله : ((مكثوراً عليها)) (٥) ، أي مغلوباً عليها بالكثرة . الجوهري (٦) : [عن ابن السكيت (٧) : فلان مكثور عليه : إذا نَفَد ما عنده وكثرت عليه الحقوق].

قوله : ((ونحوه التأثّم والتحرّج)) أي ترك الإثم والحرج .

---

(١) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ مشهوداً ﴾ ، قال (ز) : يشهده ملائكة الليل والنهار ، وينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء ((فهو في آخر ديوان الليل ، وأول ديوان النهار)) إلخ .

(٣) أحمد بن حنبل في مسنده ، ٢/٣٤٤ .

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٨/٣٩٩ كتاب التفسير ، باب إن قرآن الفجر كان مشهوداً ، ومسلم ١/٤٣٩ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، بدون ذكر الآية .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وقرآن الفجر ﴾ ، قال (ز) : حثاً على طول القراءة في صلاة الفجر ، لكونها ((مكثوراً عليها)) ليسمع الناس القرآن ، فيكثر الثواب .

(٦) الجوهري ٢/٨٠٣ ، مادة (كثر) .

(٧) ابن السكيت : يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت ، كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر راوية ، ثقة ، له تصانيف كثيرة في النحو وغيره . بغية الوعاة ٢/٣٤٩ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٨٩ .

قوله : ((وضع نافلة موضع تهجّد)) (١) ، أي نافلة مفعول مطلق ، من حيث المعنى ، وفائدة العدول ما ذُكِر أن التهجّد زيد لك على الصلاة المفروضة فريضة عليك خاصة .

قوله : ((فيقيمك مقاماً محموداً)) (٢) ، قال أبو البقاء (٣) : [هو على هذا نصب على المصدر] .

قوله : ((ليس أحد إلا تحت لوائك)) ، وفي حديث أبي سعيد عن الترمذي(٤) (وما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي) ، وأما الحديث بطوله فمشهور من رواية أهل هذه الصناعة (٥) .

قوله : ((مُدخل ومُخرج بالضمّ)) (٦) ، القراءة الشائعة ، والفتح شاذ . قال الزجّاج (٧) : [فمن قرأ بضمّ الميم فهو مصدر أدخلته مُدخَلاً ، ومن فتح ، فهو على أدْخَلْته فَدَخَل مَدْخَل صدق] ، وإنما ترك المصنف تقدير الضم لأنه ظاهر لا يحتاج إلى تقدير فعل مطابق للمصدر كما في الفتح .

قوله : ((إدخالا مرضيّاً على طهارة)) (٨)، معنى الإضافة في ﴿ مدخل صدق ومخرج صدق ﴾ نحو الإضافة في رجل صدق ورجل سوء ، والصدق إنما هو من

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ ، قال (ز) : عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ((وضع نافلة موضع تهجّد)) لأن التهجّد عبادة زائدة ، فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ مقاما محموداً ﴾ ، قال (ز) : نصب على الظرف ، أي عسى أن يبعثك يوم القيامة ((فيقيمك المقام المحمود)) أي المقام الذي يحمده القائم فيه .

(٣) أبو البقاء في إملائه ٢/ ٩٥ .

(٤) الترمذي ٥/٥٥٨ كتاب المناقب ، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم ٣٦١٥ .

(٥) أخرجه البخاري مع الفتح ١٣/٤٧٣ كتاب التوحيد ، باب كلام الربّ عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء ، ومسلم ١/١٨٣-١٨٤ كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً ﴾ الإسراء الآية ٨٠ ، قال (ز) : ((قريء مُدخل ومُخرج بالضمّ والفتح)) قراءة الفتح (مَدخل ومَخرج) شاذة ، وهي قراءة الحسن ، والضمّ قراءة العامة . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٦ .

(٧) الزجّاج ٣/٢٥٧ .

(٨) قال (ز) في تفسير ﴿ مدخل صدق ﴾ : أي أدخلني القبر مدخل صدق ((إدخالا مرضيا على طهارة)) وطيب من السيئات .

أوصاف ذوي العلم ، فإذا وصف غيره كان دالاً على أن ذلك الشيء مرضيّ محمود في بابه . قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم ﴾ (٢) : [وصف الزوج من النبات بالكرم ، والكرم صفة لكلّ ما يرضى ويحمد في بابه . ولمّا عقّب هذه الآية قوله ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ﴾ وجب ولا فخر ، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي ، وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر ، قال : فيَفْزَع الناس ثلاث فزعاتٍ ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربّك . فيقول : إني أذنبت ... وساق الحديث (٣) إلى قوله فأخرّ ساجداً فيُلْهِمُني ا لله من الثناء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسك ،وسل تعطه واشفع تشفّع وقل يُسمع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال ا لله عزّ وجلّ : ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ﴾ ، وأمّا المنقبة الدنيوية فَمُفْتَتحها الأمر بالهجرة إلى دار النصرة ، وقوله : ﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ﴾ إشارة إلى ذلك . و روينا في شرح السنة (٤) عن ابن عباس والحسن وقتادة : (أدخلني : كان النبي صلى ا لله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه ﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ﴾ . ألا ترى كيف ذَيَّلَ الإخراج والإدخال بما ينبيء عن استنزال النصر من الجناب الفردانية ، والحضرة الصمدانية من قوله : ﴿ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ ﴿ ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المشركون ﴾(٥). ومن ثَمّ قيل له : ﴿ قل جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ . وحين أراد ا لله أن يشرح غزارة علمه رمز إليه بقوله ﴿ وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ يعني أنه صلوات ا لله عليه يغترف علمه من البحر

(٢) سورة الشعراء الآية ٧ ، وذكر ذلك الزمخشري ٢٩٩/٣ .

(٣) أخرج هذا الحديث الترمذي ٢٨٨/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل ، رقم ٣١٤٨ ، وأحمد ٢٨١/١ .

(٤) وفي تفسير البغوي ١٢٢/٥ عن ابن عباس والحسن وقتادة ،وساقه . والترمذي ٢٨٤/٥ كتاب التفسير، باب ١٨ عن ابن عباس وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأسباب النزول للواحدي ٣٣٧ .

(٥) سورة الأنفال الآية ٨ .

الذي تَنْفد الأبحر السبعة دون نفاده (٢) ، ولما كـان السؤال عن الـروح امتحانـاً مـن المعاندين لعلمـه أورده في السـنن . ألا تـرى كيـف كـافحهم بـنزارة علمهـم بقولـه : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وبغزارة علمـه على سبيل النصفـة والاستدراج بقولـه : ﴿ ولئـن شئنا لنذهبنّ بـالذي أوحينا إليك ﴾ ، روينا عـن الإمـام أحمـد والترمذي (٣) عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنـه هـذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الـروح . فسألوه . فأنزل ا لله تعالى ﴿ ويسألونك عـن الروح ﴾ الآية . قال أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتـي خيراً كثيراً ، فأنزلت (٤) ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبـل أن تنفد كلمات ربّي ﴾ الآية ، فإن قلت : فمـا وجـه اتّصـال قولـه ﴿ وإذا أنعمنـا علـى الإنسان ﴾ الآيتين بالكلام ؟ ، قلت : هو اعـتراض لمعنـى الزيـادة والنقصـان . جـاء مستطردا في أثناء الكلام لأن السياق دلّ على كون القرآن رحمة وسبباً لمزيد المؤمنين ، وما ينالون به الاتصال والقرب والزلفى عند ا لله ، وخساراً وبُعداً للقـوم الظـالمين . وقد تقرّر أن ذلك السؤال كان امتحاناً من الظلمة وتضمّـن الإشـعار بـنزارة علمهـم وغزارة علمه صلوات ا لله عليه ، فلذلك كان مؤكداً للمعنيين وينصره قوله : ﴿ قـل كلّ يعمل على شاكلته ﴾ .

---

(٢) كما قال تعالى في سورة الكهف الآية ١٠٩ : ﴿ قل لو كـان البحر مـداداً لكلمـات ربّي لنفـد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنـا بمثلـه مـدداً ﴾، وقـال في سـورة لقمـان الآيـة ٢٧ : ﴿ ولـو أنمـا في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات ا لله ﴾ الآية .

(٣) أخرجـه الإمـام أحمـد في مسـنده بشـرح الفتـح الربـاني ١٩٦/١٨ ، والـترمذي ٢٨٤/٥ كتـاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣١٤١ ، وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٤٦ ، وانظر القرطبي ٦٨/١١ ، والبغـوي ٢١٢/٥ ، وزاد المسير ٢٠١/٥ .

قوله : ((فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى)) (١) ، الراغب : [إن الله تعالى جعل لنا طبَّيْن بَدَنِيّاً ودِينياً ، وكلّ منهما إمّا إعادة للصحّة أو حِفظ لها ، والطبّ البدني الذي تعاد به الصحّة ، العقاقير والأدوية الذي تحفظ به الصحّة الغذاء والأطعمة . و أمّا الطب الديني ، فالذي تعود به الصحّة صقل العقل واستعماله في تدبير الدلالات وتعرف المعجزات ومعرفة النبوّات ، والقرآن مَشْحونٌ به ، والذي تحفظ به الصحة تدبّر الكتاب المنزل وتتبّع سنن النبي المرسل والعمل بمقتضاهما ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خساراً ﴾ ، وقلت : لَمَح في قوله ((تعود به الصحّة)) إلى قوله صلوات الله عليه : (كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه ...) الحديث (٢) . وروينا عن الدارمي (٣) عن قتادة : (ما جالس القرآن أحد فقام إلاّ بزيادة أو نقصان) . ثمّ قرأ : ﴿ وننزّل من القرآن ﴾ الآية . وعن الدارمي أيضاً (٤) قال أبو موسى : (إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم ذكراً وكائن لكم نوراً وكائن عليكم وزراً اتّبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن ، فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة ومن أتبعه القرآن يُزَخُّ في قفاه فيقذفه في جهنم . يقال زخّه أى دفعه في وهْدَة (٥) ولمّا فرغ من بيان علمه شرع في بيان معجزته صلوات الله عليه ، وأنه مما لم يؤت أحد من الأنبياء قال ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾ الآية وجعل ما يتصل به من قوله . ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن ﴾ الآية تخلّصاً إلى

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ الآية ٨٢ من الإسراء ، قال (ز) : أي كلّ شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين ، يزدادون به إيماناً ويستصلحون به دينهم ((فموقعه منهم)) إلخ .

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٦/٣ كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، وأبو داود ٨٦/٥ كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين ، ومسند أحمد ٢٣٣/٢ ، والموطأ ٢٤١/١ كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز . وغيرهم . ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة فصّلت الآية ٤٤ : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ الآية .

(٣) الدارمي ٥٣٠/٢ كتاب فضائل القرآن ، باب في تعاهد القرآن عن قتادة قال : .. وساقه .

(٤) الدرامي ٥٢٦/٢ كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن عن أبي موسى وساقه .

(٥) (الوهدة) المنسفل من الأرض ، يقال : بتنا في وهدة ، وتوهّدَ تسفّل الأساس ٦٩١ .

ذكر حديث . قومه ، بقوله : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك ﴾ الآية ولهذا أخّره عن سائر أنواع الإفضال والإكرام والله أعلم . ولمّا احتوى القرآن علما ومعجزة قال صلى الله عليه وسلّم (ما من نبّي من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (١) .

قوله : ((من يتوكل علينا باسترداده)) (٢) ، أى يصير وكيلا علينا والتوكل والموكل بمعنى قوله ((ولكن رحمة من ربّك تركته غير مذهوب به)) يريد أنّ الاستثناء منقطع والمستدرك قوله ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا ﴾ وعلى الأول الاستثناء متصل والمستثنى منه (وكيلا) وقال أبو البقاء (٣) : [إلا رحمة . مفعول له أي حفظناه عليك للرحمة ، ويجوز أن يكون مصدرا أي لكن رحمناك رحمة] .

قوله : ((كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا ؟)) (٤) ، روينا عن الإمام أحمد ابن حنبل والترمذي وابن ماجه والدرامي عن زياد بن لبيد قال ذكر النبي صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٩/٣ / كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي وأول مانزل من حديث أبي هريرة ، ومسلم في صحيحه ١٣٤/١ كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربّك إن فضله كان عليك كبيرا ﴾ الإسراء الآية ٨٧ .

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ثم لاتجد لك بـه ﴾ : أي ((من يتوكل علينا باسترداده)) وإعادته محفوظاً .

(٣) أبو البقاء في إملائه ٩٦/٢ .

(٤) يشير إلى قول ابن مسعود : ((وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل ((كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا)) الخ .

أخرجه الترمذي ٣١/٥ كتاب العلم ، باب ما جاء في ذهاب العلم وأحمد في مسنده ، ٢١٩/٤ وابن ماجه ١٣٤٤/٢ كتاب الفتن ، باب ذهاب القرآن والعلم واللفظ لابن ماجه ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/١٠ إسناده صحيح ورجاله ثقات إلا أنه منقطع وأشار له الدرامي ٨٩/١ في المقدمه باب في ذهاب العلم من حديث عبد الرحمن بن يزيد عن أبى أمامة .

ولم أقف عليه في شرح السنه ، وفي الدر المنثور للسيوطي ٣٣٤/٥-٣٣٥ ما يقرب منه عن ابن مسعود وأخرجه البغوي في تفسيره ، ١٢٧/٥ وقال ابن حجر في الفتح ١٦/١٣ وعند الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ولينزعنّ القرآن من بين أظهركم يسرى عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال

وسلم شيئا فقال : ذلك عند أوان ذهاب العلم . فقلت : يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال : (ثكلتك أمك يازِيَاد : إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤن التوراة والإنجيل لا يعلمون بشيء مما فيهما ، وفي شرح السنة عن عبد الله بن عمرو : لاتقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دويّ حول العرش كدويّ النحل . يقول الرب : ما لك ، فيقول : يارب أتلي ولا يعمل بي . وفيه أيضاً عن ابن مسعود (لا تقوم الساعة حتّى يرفع القرآن ثم يفيضون في الشعر).

قوله : ((لأن الشرط وقع ما ضياً)) (١) ، تعليل لجواز وقوع لا يأتون جواباً للشرط ، يعني لو لم تكن اللام في (لئن) لجاز لا يأتون مع وجود النون أن تقع جوابا للشرط لأن قوله ﴿اجتمعت﴾ ماض فلمالم تعمل الأداة في الجزء الأول لا تعمل في الثاني.

قوله : ((** يقولُ لا غائب مالي ولا حَرِمُ **)) ، أوّله :

** وإن أتاه خليل يوم مسغبة **

المسغبة المجاعَة وروى مسئلة البيت لزهير (٢) يمدح هرم ابن سنان (٣) يقول : إذا أتاه فقير وقد رفع إليه حاجته ، لم يتشاغل بنوع تعلّل . وعَنَى بالمال الإبل .

فلا يبقى في الأرض منه شيء) ، وسنده صحيح ، لكنه موقوف على ابن مسعود إلا أنه يعارضه الحديث المتفق عليه (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا) .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ الإسراء الآية ٨٨ ، قال (ز) في قوله : ﴿ لا يأتون ﴾ جواب قسم محذوف. ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط ((لأن الشرط وقع ما ضيا)) أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لعجزوا . والبيت المذكور شاهد لكلامه .

(٢) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني بن مضر ، حكيم الشعراء في الجاهلية ، ومنهم من يفضله على كافة الشعراء ، نشأ في بيت شعر ، كان أبوه شاعرا وخاله شاعرا ، وأخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين . مات سنة ١٣ . الشعر والشعراء (٤٤) والأغاني ٣٢٤/١٠ .

(٣) هرم بن سنان بن أبي حارثة المرى ، من أجواد العرب في الجاهلية ، يضرب به المثل وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى ، اشتهر هو وابن عمه الحارث بن عوف أبي حارثه بدخولهما في الإصلاح بين عبس وذبيان فيما وقع بينهما من حرب . الأغاني ١٤١/٩-١٤٣ والأمثال للميداني ١٢٧/١ .

قوله : ((من النوابت)) (١) ، والنوائب الأحداث الأغمار . قال صاحب التقريب : [واستدلّ صاحب الكشاف بإعجازه على حدوثه ، ولو كان قديماً لم يكن مقدوراً ، فلا يكون معجزاً كالمحال ، وجوابه : منع الملازمة ، إذ مصحح المقدورية هو الامكان وهو حاصل لا الحدوث . وأيضاً المعجز لفظه ولا يقال بقدمه والقديم كلام النفس (٢) ، ولا يقال بإعجازه وأيضاً سلمنا أن القديم لا يقدر البشر على عينه لكن لم لا يقدر على مثله . قال صاحب الانتصاف : [القديم مدلول العبارات وهو صفة

---

(١) قال (ز) عند قوله ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ : وأنه معجز يعني القرآن ((والعجب من النوابت)) ، ومن زعمهم أن القرآن قديم ، مع اعترافهم أنه معجز ، وإنما يكون العجز ، حيث تكون القدرة .. إلخ .

(٢) حاصل ما ذكره الزمخشري ، وأحمد بن المنير ، وصاحب التقريب الذي ذكره الطيبي (أن القرآن هو مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن ، ويطلق أيضاً على أدلتها ، وهي هذه الكلمات الفصيحة والآي الكريمة قرآن ، وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول) .

ومذهب أهل السنة والجماعة هو : أن القرآن العظيم المكتوب في المصاحف الذي أوله سورة الفاتحة، وآخره سورة الناس هو كلام الله تعالى بألفاظه ومعانيه ، كما قال تعالى في سورة براءة الآية ٦ : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ فصرّح بأن هذا الذي يسمعه هذا المشرك المستجير هو كلام الله ، فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القارىء . فالحاصل أن القرآن المحفوظ في الصدور المقروء بالألسنة المكتوب في المصاحف هو كلام الله بألفاظه ومعانيه ، تكلّم به الله تعالى ، فسمعه جبريل منه ، وتكلّم به جبريل فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وتكلّم به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمعته منه أمته وحفظته عنه . ومن فرق بين لفظه ومعناه فقد أخطأ . وقد عرّفه علامة زمانه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي رحمه الله في كتابه مراقي السعود فقال :

** لفظ منزل على محمد ** لأجل الاعجاز وللتعبد **

فصرح بأن القرآن لفظ ، مشتمل على تلك المعاني العظيمة المعجزة ، لا مجرد المعنى القائم بالذات المجرد عن الألفاظ والحروف . انظر مذكرة أصول الفقه لشيخنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ٥٤-٥٥ ، وانظر الطحاوي ٩-١١ و ١٨٠ . وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ، ٧٧/٨ قال : قال العلماء في قوله تعالى ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ فيه دليل على أن كلام الله عزّ وجلّ مسموع عند قراءة القارىء ، قاله الشيخ أبو الحسن والقاضي أبو بكر وأبو العباس القلانسي وابن مجاهد وأبو إسحاق الإسفرائيني وغيرهم لقوله تعالى ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾، فنصّ على أن كلامه مسموع عند قراءة القارىء لكلامه . ويدلّ عليه إجماع المسلمين على أن القارىء إذا قرأ فاتحة الكتاب أو سورة قالوا : سمعنا كلام الله . انتهى منه بلفظه .

قديمة قائمة بذات الله تعالى ويسمى قرآنا وكلمات اختصاص الوصف بما يناسب المقام ، وكأن ما ذكره ، وإليه أشار بقوله : ((يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث)) [1] ، وعلى هذا يجري جميع الوجوه المذكورة من تقدير وصف الإدخال والإخراج في كلّ مقام بحسب ما يناسبه .

قوله : ((فأجيبت دعوته)) ، الفاء فصيحة يعني أمره الله تعالى بالدعاء فامتثل أمره ودعا فاستجيبت دعوته .

قوله : ((وقيل هو عام في كلّ ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان)) ، هذا أقرب لسياق الكلام وسياقه . أما السياق ، فكما قال : ((يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث)) ، وأما السياق ، فعطف ﴿ قلّ ربّ أدخلني ﴾ على ﴿ أقم الصلاة ﴾ وعطف ﴿ واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ على ﴿ أدخلني ﴾ ، وكلّ ذلك يقتضي غير واحدة من الحالات والأمكنة . [قوله ((فأجيبت دعوته)) [2] يعني أمره الله تعالى بالدعاء فامتثل أمره ودعا فأجيبت دعوته] [3] .

قوله : ((يَدُفُّون)) [4] ، الجوهري [5] : [الدفيف : الدبيب ، وهو السير اللّين].

---

(١) يعني (ز) في قوله تعالى ﴿ أخرجني مخرج صدق ﴾ أي عند البعث إخراجاً مرضياً ملقّىً بالكرامة آمناً من السخط ((يدلّ عليه ذكره على أثر البعث)) .

(٢) ما بين القوسين س من أ ، ت ، م .

(٣) تفسير قوله ﴿ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ الإسراء الآية ٨١ . قال (ز) : كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما ، صنم كلّ قوم بحياله . فشكا البيت إلى الله عزّ وجلّ ، فقال : أي ربّ حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك ؟ ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى البيت : إني سأحدث لك نوبة جديدة فأملأك خدوداً سُجّداً ((يدفون)) إليك دفيف النسور يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية .

(٥) الجوهري في صحاحه ١٣٦٠/٤ ، مادة (دفف) .

قوله : ((مختصرتك)) (١) ، الجوهري (٢) : [المِخْصَرَة كالسوط ، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها] ، روى الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي (٣) عن ابن مسعود . دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ . وفي مسند الإمام أحمد ابن حنبل (٤) عن علي رضي الله عنه قال : كان على الكعبة أصنام ، فذهبت لأحمل النبي صلى الله عليه وسلم فلم أستطع ، فحملني فجعلت أقطعها ، ولو شئت لنلت السماء .

قوله : ((كان مُضْمَحِلاً)) (٥) ، الراغب (٦) : [زهقت نفسه من الأسف على الشيء ، قال عزّ وجلّ : ﴿ وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ (٧)] .

قوله : ((وننزل)) (٨) قرأ بالتخفيف أبو عمرو .

---

(١) قال (ز) : ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح ، قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ ((مخصرتك)) ثم ألقها ، فجعل يأتي صنماً صنماً ، وهو ينكث المخصرة في عينيه ، ويقول : ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ .

(٢) الجوهري في صحاحه ٦٤٦/٢ ، مادة (خصر) .

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٠٠/٨ كتاب التفسير ، باب ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ رقم ٤٧٢٠ ، وكتاب المظالم رقم ٢٤٧٨ ، والمغازي ٤٢٨٧ . وأحمد في مسنده ، ٣٧٧/١ . ومسلم كتاب الجهاد والسير ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، رقم ١٧٨١ . والترمذي كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣١٣٨ .

(٤) مسند أحمد بشرح الفتح الرباني ، ٢٢٤/٢٠ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ كان زهوقاً ﴾ ، قال (ز) : ((كان مُضْمَحِلا)) غير ثابت في كل وقت .

(٦) الراغب في مفرداته ٢١٥ ، مادة (زهق) .

(٧) سورة التوبة الآية ٥٥ .

(٨) تفسير قوله تعالى ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاخسارا ﴾ الإسراء الآية ٨٢ قرأ (ننزل ، و (حتى ننزل) بالتخفيف فيهما أبو عمرو ويعقوب . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٦ .

قوله : ((من للتبين [1] كقوله ﴿ من الأوثـان ﴾ [2])) يعـني مـن القـرآن بيـان لمفعول ننزل ، وهو (ما هو شفاء) وحال منه ، كما أن ﴿ من الأوثـان ﴾ في قولـه : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ حال من الرجـس وبيانـه وعلـى أن يكـون تبعيضـاً يكون ﴿ من القرآن ﴾ مفعولابه و ﴿ ما هو شفاء ﴾ بدلا منه ، ولذلك قال : ((كلّ شيء نزل من القرآن فهو شفاء)) أى كل حِصّة ونصيب وبعض .

قوله : ((أوأراد الاستكبار)) [3] ، يريد قوله نأى بجانبه ، إما أن يكون كنايـة عن الإعراض لأن من يلوي عن الشيء عِطْفَه ويولّى ظهره فقد حاول الإعراض عنه، فيكون تأكيداً لمعنى (أعرض) ودخلت الواو بين المؤكد والمؤكـد ، و إما أن يكـون كناية عن الاستكبار لأن ذلك من عادة المتكبرين فيكون تكميلا لكـون مفهومـه غـير مفهوم الإعراض ، فقد جمعوا بين الهيئتين .

قوله : ((وقرى ونآء بجانبه)) [4] ، قرأها ابن ذكوان [5] ، الراغب [6] : [نآء بجانبه ينوء و يناء أي ينهض قال تعالى : ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ﴾ [7] و يقـال: ناء بجانبه ينأى نأياً ، مثل نعى أعرض . قال أبو عبيدة : تباعد ، وقريء ناءَ بجانبـه أي تباعد ، ومنه النؤي لحفيرة حول الخباء تُبَاعِد الماء عنه . و قيل نَأَيَ بجانبه مثل نَعَى أي أعرض ، و قال أبو عبيد : ناء بجانبه ، نهض به عبارة عن التّكبر كقولك : شمخ بأنفـه وازورّ بجانبـه ، و انتأيَ افتعل منه و المنتأيُ الموضع البعيد] .

---

(1) تفسير قوله ﴿ من القرآن ﴾ قال (ز) : ((من للتبين ، كقوله : ﴿ من الأوثان ﴾)) أو للتبعيض .

(2) سورة الحج الآية ٣٠ .

(3) تفسير قوله تعالى ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشر كان يؤسا قل كلّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ الآية ٨٣-٨٤،قال (ز):في تفسير﴿نأى بجانبه ﴾ والنأى بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ((وأراد الاستكبار)) لأن ذلك من عادة المستكبرين .

(4) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان (نآء) ممدودا مهموزا بوزن (جاء) ، وفي فصلت كذلك من نـاء ينـوء : نهض ، والباقون بتقديم الهمزة على حرف العلّة على وزن فَعَل ، من النأي وهو البعد . الإتحاف ٢٨٦ .

(5) ابن ذكوان عبد الله بن أحمد بشير بن ذكوان القرشي الفهري أبو عمرو ، من كبار القراء لم يكـن في عصره أقرأ منه . ولد سنة ١٧٣ ومات سنة ٢٤٢ بدمشق ، تهذيب التهذيب ١٤٠/٥ .

(6) الراغب في مفرداته ٥١٠ ، مادة (ناء) .

(7) سورة القصص الآية ٧٦

قوله : ((و طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة)) (١) ، إشارة إلى اتّصال هذه الآية بقوله : ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ ، الراغب (٢) : [على شاكلته ، أي سجيته التي قيّدته ، من شكلت الدّابة ، و ذلك أن سلطان السّجيّة على الإنسان قاهر حسبما بينت في (الذّريعة إلى مكارم الشريعة) (٣) وهذا كما قال صلّى ا لله عليه وسلم : [كلّ ميسر ((لما خلق له)) ، والأشكلة الحاجة التي تقيد الإنسان] ، وقلت : الحديث هو ما رويناه عن البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبي داود وابن ماجه (٤) عن علي رضي ا لله عنه أنه قال : قال رسول ا لله صلّى ا لله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة . قالوا يا رسول ا لله : أفلا نتّكل على كتابنا ؟ ، فقال : اعملوا فَكلّ ميسر لما خلق له . أما من كان من أُهل السعادة فسيصير لعمل السعادة و أما من كان من أهل الشقَاوة فسيصير لعمل الشقاء ثم قرأ ﴿ فأمّا من أعطى واتّقى ﴾ الآية .

قوله : ((من أمر ا لله)) (٥) ، أي مما استأثر بعمله يعني من أمر ربي لا من أمري فلا أقول لكم ماهي ؟ ، والأمر بمعنى الشأن ، أي معرفة الروح من شأن ا لله لا من شأن غيره ، ولذلك طابقه قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ . قال

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ كل يعمل على شاكلته ﴾ ، قال (ز) : أي على مذهبه ((و طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة)) ، من قولهم : طريق ذو شواكل .

(٢) الراغب في مفرداته ٢٦٦ ، (مادة (شكل) .

(٣) الذريعة إلى مكارم (الشريعة) طبع بمطبعة : الوطن بالقاهر سنة ١٨٨٩ م ، قيل : إن الغزالي كان يحمله دائما في رحلاته لما فيه من فوائد ، انظر المقدمة للراغب ص ٣ .

(٤) البخاري مع الفتح ٨ / ٧٠٨ كتاب التفسير ، باب فأما من أعطى واتقى ، وفي غير هذا المحل أيضا ، ومسلم برقم ٢٦٤٧ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه و أجله ورزقه ، وأبو داود ٥ /٣٤ كتاب السنة ، باب في القدر ، برقم ٤٦٩٤ ، وأحمد في مسندة ، ١٢٨/١ ، والترمذي ٤/ ٣٨٨ كتاب القدر ، باب ما جاء في الشقاء و السعادة ، برقم ٢١٣٦ ، والتفسير ، رقم ٣٣٤٤، وابن ماجة ٣٠/١ المقدمة ، باب في القدر ، رقم ٧٨ ، والنسائي في تفسيره ، ٢ / ٥٢٨ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ الآية ٨٥ ، قال (ز) : سألوه عن حقيقة الروح ، فأخبر أنه ((من أمر ا لله)) أي مما استأثر بعمله .

الإمام (١) : [المختار : أنهم سألوه عن الروح وأنه صلوات الله عليه أجاب عنه بأحسن الوجوه] بقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربّي ﴾ يعني أنه موجود محدث بأمر الله ، وتكوينه وتأثيره أفاده الحياة للجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه ، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة ، ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها ، ويؤيده قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ، وقال القاضي (٢) : [يجوز أن يكون السؤال عن قدمه وحدوثه] ، فأجيب : أنه وجد بأمره وحدث بتكوينه .

قوله : ﴿ وما أوتيتم ﴾ ، الخطاب عام . قال القاضي (٣) : [يعني قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ أنكم [ستُفيدونَه بتوسط حواسكم ، فإن اكتساب العقل للعلوم النظرية مستفاد من إحساس الجزئيات ، ولذلك قيل : من فقد حِسّاً فَقَد عِلْماً ، ولعلّ أكثر الأشياء لا يدركه الحِسّ ولا شيئاً من أحواله المُعَرِّفَة لذاته ، وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلاّ بعوارض تميّزه عمّا يلتبس به ، فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب ﴿ وما ربّ العالمين ﴾ (٤) بذكره بعض صفاته] تمّ كلامه . فإن قلت : ما موقع هذا السؤال في هذا المقام ؟ ، قلت والعلم عند الله : الروح والعلم تَوءَمان ومَوْهِبَتان عظيمتان لاسيما الوَحْي ، ولذلك قرن بقوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وعقبه بقوله : ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ﴾ وعقّب به ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ﴾ وقد تقدّم مراراً وأطواراً أن فواتح السُّوَر بمقتضى براعة الاستهلال مؤذنة باشتمال السور على ما تضمّنت الفاتحة من المعنى ، ولّما افتتحت هذه السورة الكريمة بالكرامة السَّنية والموهبة الرفيعة لسيدنا صلوات الله عليه وهي بيان مقام الدُّنوّ والزلفى واستجلب ذلك حديث الكليم عليه السلام وبني إسرائيل ،

---

(١) الإما افخر الرازي في تفسيره ٢١/٣٧ .

(٢) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣/٢١٠ .

(٣) القاضي البيضاوي ٣/٢١٠ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٣ .

ثم حديث الكفّار من هذه الأمة ، وأريد العود إلى البدء ، وتعداد كرائم وموانح أخرى ابتديء بما يناسب الإسراء من إقامة الصلوات مقرونة بذكر أوقاتها ، فقيل : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ إلى قوله : ﴿ ومن الليل فتهجّد به ﴾ ، ومن ثم قال صلوات الله عليه : (وجُعلت قرّة عيني في الصلاة) (١) ، وأخرى : (أن تعبد الله كأنك تراه) (٢) . وتارة : (أرحنا يا بلال) (٣) ، وجعل ذلك ذريعة إلى ذكر منقبتين جليلتين أخروية ، وهي مقام الشفاعة . وقيل : ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ﴾ ، روينا عن الترمذي (٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود ، فقال : هو الشفاعة . وعن الدارمي (٥) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل له : ما المقام المحمود ؟ ، قال : ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيّه ، ويجاء بكم حفاة عراة غُرْلا ، فيكون أول من يُكْسى إبراهيم ، فيؤتى برَيْطَتَيْن (٦) من رياط الجنة ، ثم أكسى على أثره ، ثم أقوم عن يمين الله مقاما يَغْبطُني الأولون والآخرون ، وعن الترمذي (٧) عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ١٣٨/٣، ١٩٩ ، ٢٨٥ ، والمستدرك ١٦٠/٢ ، والنسائي ٦١/٧ كتاب عشرة النساء ، باب حبّ النساء . وتلخيص الحبير ١١٦/٣ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ١١٤/١ كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان . ومسلم ٣٧/١ كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان إلخ .

(٣) أحمد في مسنده ، ٣٦٤/٥ ، ٣٧١ ، وأبو داود ٢٦٢/٥ كتاب الأدب ، باب في صلاة العتمة

(٤) والترمذي ٢٨٣/٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ .

(٥) أخرجه الدارمي ٤١٩/٢ كتاب الرقائق ، باب في شأن الساعة ونزول الربّ تعالى . وأحمد في مسنده، ٣٩٨/١ ، وفيه الصعق بن حَزَن : صدوق يهم ، وعثمان بن عمير : ضعيف ، واختلط في آخر عمره، وكان يدلّس ، وكان يغلو في التشيّع . انظر تهذيب التهذيب ١٤٥/٧ ، وتقريب التهذيب ١٣/٢ ، وميزان الاعتدال ٥٠/٣ .

(٦) الريطة : قيل : هي كلّ ملاءة ليست بِلِفْقين . وقيل : كلّ ثوب رقيق ليّن . النهاية ٢٨٩/٢ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل ، باب فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق . والترمذي ٢٨٨/٥ كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ ، برقم ٣١٤٨ ، ٣٦١٥ . وأحمد في مسنده ، ٢٨١/١ ، ٢٠٣ وشرح السنة ٢٠٤/١٣ .

بيدي لواء الحمد . أيضاً والمعجز الدليل لا المدلول ، لكن أهل السنة (1) يتحرَّزون من إطلاق المخلوق لوجهين : لإيهامه ، ولأن السلف الصالح كفّوا عنه ، وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية من إيهام غيره ، فلا يصحّ إلزام الزمخشري ، وقلت : الوجه الأخير لصاحب التقريب هو الوجه ، لِما قرّره المصنف في قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ ، فإن قلت : ما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل ؟ ، قلت : معناه بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلوّ الصفة في حسن النظم ومن ثم لم تكن سائر الكتب السماوية معجزة ، وإن كان مثل القرآن في ذلك المعنى .

قوله : ((وقرِيء تَفْجُرُ بالتخفيف)) (2) ، الكوفيّون بفتح التاء وضمّ الجيم مخفّفاً ، والباقون بضمّ التاء وكسر الجيم مشدّداً .

قوله : ((من شأنها أن تنبع بالماء لا يقطع)) ، القاضي (3) : [الينبوع عين لا ينضب ماؤها] كأن البناء دل على المبالغة .

قوله : ((عبّ الماء)) ، أي زَخَرَ من العباب . الجوهري (4) : [العباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه] .

قوله : ((كما زعمت)) ، يعنون قول الله تعالى ﴿ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ﴾ وكان ذلك عناداً وتمرّداً ، بدليل قوله :

---

(1) يعني بأهل السنة هنا الأشاعرة ، ومذهبهم في هذا يخالف مذهب أهل السنة والجماعة كما بينا آنفا، والعجب من قوله : (وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية من إيهام غيره) ! .

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي با لله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربّي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ الإسراء الآية ٩٠-٩٣ . قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والأعمش عن أبي بكر في رواية محمد بن غالب وحده : ﴿ حتى تُفَجِّرَ لنا ﴾ بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف : ﴿ حتى تَفْجُرَ ﴾ بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفةً . المبسوط لابن مهران ٢٣٠ .

(3) القاضي البيضاوي ٢١١/٣ .

(4) الجوهري في صحاحه ١٧٥ ، مادة (عبب) .

﴿ وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم ﴾ (١) ، قال : لو أسقطناه عليهم لقالوا : سحاب مركوم ، ولم يصدّقوا أنه كسف ساقط للعذاب .

قوله : ((قُرِيءَ ﴿ كِسْفاً ﴾)) (٢) بسكون السين نافع وعاصم . وابن عامر ﴿ كِسَفاً ﴾ بفتح السين ، والباقون بإسكانها .

قوله : ((أو مقابلاً)) (٣) ، عطف على قوله : كفيلا ، يعني إذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير : أو يأتي با لله قبيلا وبالملائكة قبيلا ، وإذا كان بمعنى مقابلا يعود المعنى تأتي با لله مقابلا وبالملائكة مقابلين واستشهد للأول بقوله : ﴿ أو نرى ربنا ﴾ بناء على مذهبه (٤) ، لأن النظر إلى الشيء يقتضي المقابلة ، وللثاني : ﴿ لو لا أنزل علينا الملائكة ﴾ ، وقوله : أو جماعة ، احتمال آخر بمعنى قوله : ﴿ والملائكة قبيلا ﴾ ، الجوهري (٥) : [القبيل : الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى] وعلى هذا يجوز أن يكون قبيلا حالا من ا لله والملائكة معا ، قال أبو البقاء (٦) : [قبيلا حال من الملائكة أو من ا لله والملائكة] .

قوله : ((﴿ من زخرف ﴾ ، من ذهب)) ، الراغب (٧) : [الزخرف الزينة المزوّقة ، ومنه قيل للذهب : زخرف ، وقال : ﴿ أخذت الأرض زخرفها ﴾ (٨) ،

---

(١) سورة الطور الآية ٤٤ .

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر : ﴿ كِسَفاً ﴾ بفتح السين وكذلك في الروم آية ٤٨ . وسائر القرآن ﴿ كِسْفاً ﴾ ساكنة السين . وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ها هنا وفي الروم : ﴿ كِسَفاً ﴾ بفتح السين فيهما . وسائر القرآن ﴿ كِسْفاً ﴾ ساكنة السين . المبسوط لابن مهران ٢٣٠ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قبيلا ﴾ ، قال (ز) : كفيلا بما تقول شاهدا بصحته .

(٤) يعني مذهب المعتزلة في منعهم رؤية ا لله يوم القيامة ، والسنة ثابتة بأن المؤمنين يرون ربهم لا يضامون في رؤيته في الحديث المتفق عليه : (إنكم سترون ربكم) ، والمعتزلة ينكرون ذلك .

(٥) الجوهري في صحاحه ١١٩٨/٣ ، مادة (جمع) ، ذكر ما يقرب منه .

(٦) أبو البقاء في إملائه ٢ / ٩٦ .

(٧) الراغب في مفرداته ٢١٢ .

(٨) سورة يونس الآية ٢٤ .

وقال تعالى : ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ ، أي ذهب مزوق . وقال تعالى : ﴿ زخرفاً من القول غرورا ﴾ (١) ، أي المزوّقات من الكلام] .

قوله : ((وقريء : ﴿ قال سبحان ربّي ﴾)) (٢) ، ابن كثير وابن عامر قال بالألف ، والباقون بغير ألف .

قوله : ((تتخيّرونها عليّ)) (٣) ، قيل : أي يتخيرون الرسل الماضية بأن يقولوا : إنهم رسل مع كونهم بشرا كأنهم مختارون عليّ بهذه الصفة . و قال القاضي (٤) : [قوله : ﴿ سبحان ربيّ ﴾ يجوز أن يكون تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكّم عليه] أحد ، أي هل كنت إلا بشراً رسولا كسائر الرسل ؟ ، وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره ا لله عليهم ، ولم يكن أمر الآيات إليهم أن يتحكّموا على ا لله حتي يتخيرونها ، على هذا هو الجواب المجمل . وأما التّفصيل : فقد ذكر في آيات أخرى ، كقوله : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ﴾ (٥) ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا ﴾ (٦) .

قوله : ((والمعنى له أجوب)) (٧) ، قال صاحب التقريب : [لإفادة الحال بالمنطوق ، ما هو المقصود أي بعث ا لله رسولا حال كونه بشراً لا مَلَكاً ، ولَننزّلنا عليهم رسولا حال كونه ملَكاً لا بشراً ، وهو عين المقصود ، ولو جعلنا (رسولا)

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٢ .

(٢) تفسير قوله : ﴿ قل سبحان ربيّ ﴾ ، قال (ز) : ((قريء قال سبحان ربيّ)) ، قرأ ابن كثير و ابن عامر (قال) بصيغة الماضي إخبارا عن الرسول صلّى ا لله عليه وسلم ، والبا قون (قل) بصيغة الأمر من ا لله لنبيه صلّى ا لله عليه وسلم . الاتحاف ٢٨٦ .

(٣) قال (ز) : ليس أمر الآيات إليّ ، إنما هو إلى ا لله تعالى ، فما با لكم ((تتخيّرونها عليّ)) .

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣ / ٢١١ .

(٥) سورة الأنعام الآية ٧ .

(٦) سورة الحجر الآية ١٤ .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاء هم الهدى إلا أن قالوا أبعث ا لله بشراً رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا ﴾ الآية ٩٥ ، قال (ز) : هل يجوز أن يكون (بشرا) (وملكا) منصوبين على الحال من (رسولا) ؟ ، قلت : وجه حسن ((والمعنى له أجوب)) .

صفة ، أفاد بالمفهوم ما ليس بمقصود ، بل ما ليس بمستقيم ، إذ يدلّ تقْييد الصفة بالمفهوم ، أبعث بشراً مرسلاً ؟ ، لا بشراً غير مرسلٍ ، ولَنزّلنا عليهم مَلَكاً مرسلا لا مَلَكاً غير مرسل ، وهما غير مقصودين ، بل غير مستقيمين] . وقلت : ويمكن أن يقال وا لله أعلم : إنّما كان المعنى له أجوبة ، لأنه إذا كان رسولا ذا حال يكون في التركيب تقديم وتأخير ، وإزالة عن الأصل فيجتمع النفي والإثبات في السؤال والجواب ، ويقع الكلام في ثبوت الحال ونفيها بعد تحقّق صاحبها ، فيكون المنكر في قولهم : ﴿ أبعث ا لله بشراً رسولاً ﴾ بعثة البشر للرسالة بعد إقرارهم أن الرسالة ثابتة ، كقولهم : ﴿ لو لا أنزل عليه ملك ﴾ (١) ﴿ لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ (٢) ، ويكون الجواب بقوله : ﴿ لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ ، كالقول بالموجَب (٣) ، أي : نعم إنما يجب إرسال الملَك دون البشر ، أي لو كان في الأرض ملائكة قارّين لأن الجنس إلى الجنس أميَل ، وهو به أنس ، ولذلك مَنّ عليهم بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ (٤) ، وفي قوله : ((ثم قرّر ذلك بأنه لوكان في الأرض ملائكة)) إلى آخره ، لمحة من القول الموجَب ، ولو كان رسولا وصفاً لبشر وللمَلك لكانا قارّين في مكانهما ، وما أفاد النفي والإثبات في السؤال والجواب ، ولم

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩ .

(٢) سورة فصلت الآية ١٤ .

(٣) وضابط القول بالموجَب بفتح الجيم : تسليم المعترض دليل الخصم مع بقاء النزاع في الحكم ، وذلك بجعل الدليل الذي سلّمه الخصم ليس هو محلّ النزاع ، كقوله تعالى : ﴿ ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ﴾ سورة المنافقين الآية ٨ ، فعبد ا لله بن أبَيّ في هذه الآية استدلّ على أنه يخرج الرسول صلى ا لله عليه وسلّم وأصحابه من المدينة ، بأن الأعزّ قادر على إخراج الأذلّ ، وا لله سلّم له هذا الدليل ، مبينا أنه لايجديه ، لأنه هو الأذلّ ، حيث قال تعالى : ﴿ و لله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ . انظر مذكرة شيخنا محمد الأمين ٣٠٨ ، قال السيد عبد ا لله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي في نظمه في البلاغة المسمى نور الأقاح معرفا القول بالموجب في علم البديع :

** ثم من البديع ما قد اشتهر ** بالقول بالموجب عند ذي النظر **
** وقوع وصف في كلام قد كنى ** به عن الذي له حكم بنى **
** فيثبت الوصف لغير ما ثبت ** له الذي عن شأن ذا الحكم سكت ** .

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

يحسن هذا الحسن ، ألا ترى إلى قول صاحب المفتاح (١) قال في سورة المؤمنين ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ﴾ (٢) : فذكر بعده المرفوع وما تبعه المنصوب ، وهو موضعه ، وقال في النمل ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ (٣) : فقدّم لكونه فيما أهمّ ، وإنما خالفنا المصنف في قولنا ، لأن الجنس إلى الجنس أميل لئلاّ يلزمنا الاعتزال الذي عناه بقوله : ((وأما الإنس فما هم بهذه المثابة)) (٤) ، ولذلك عدل القاضي(٥) إلى قوله : [﴿ لنزّلنا عليهم من السماء ملَكاً رسولاً ﴾ لتمكّنهم من الاجتماع به والتلقي منه ، والإنس عامتهم عُماةٌ عن إدراك الملَك والتلقّف منه ، فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس] .

قوله : ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم)) (٦) ، روينا عن الترمذي (٧) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ، صنفاً مشاةً ، وصنفاً ركباناً ، وصنفاً على وجوههم ، قيل : يا رسول الله وكيف يمشون ؟) الحديث .

---

(١) صاحب المفتاح محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ، شارح التلخيص ، تقدّمت ترجمته .

(٢) سورة المؤمنين الآية ٨٣ .

(٣) الآية ٦٨ من سورة النحل.

(٤) يشير الطيبي إلى اعتزال الزمخشري في تفضيله الملائكة على الآدميين مطلقاً ، قال (ز) : ((أما الإنس فما هم بهذه المثابة)) ، إنما يُرسل الملَك إلى مختار منهم للنبوّة ، فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١١/٣ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمّا مأواهم جهنّم كلّما خبت زدناهم سعيرا * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنّا عظاما ورفاتا أإنّا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ الإسراء الآية ٩٧-٩٨ . قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ : وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يحشرون على وجوههم ؟ ، قال : ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم)) قادر على أن يمشيهم على وجوههم .

(٧) أخرجه الترمذي ، ٢٨٥/٥ كتاب التفسير ، باب ١٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، برقم ٣١٤٢ . وأحمد في مسنده ، ٣٦٣/٢ ، وله شاهد في البخاري مع الفتح ، ٣٧٧/١١ كتاب الرقائق ، باب الحشر .

قوله : ((ويجوز أن يحشروا)) ، عطف من حيث المعنى على قوله : ((كما كانوا في الدنيا)) (١) ، فعلى عمياً وبكماً وصُمّاً على المجاز ، والحشر الثاني بمعنى الجمع والسوق ، كقوله تعالى : ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ (٢) ، والأول بمعنى البعث وحشر الناس يوم القيامة .

قوله : ((مؤفى الحواس)) (٣) ، الجوهري (٤) : [الآفة العاهة ، وقد أُيِفَ الزرع على ما لم يسمّ فاعله ، أي أصابته آفة ، فهو مؤوف مثل معوف] .

قوله : ((على قوله ﴿ أولم يروا ﴾)) (٥) ، أي وجعل لهم عطف على ﴿ أولم يروا ﴾ ، يعني لا يجوز أن يعطف على (خَلَقَ) ويدخل في حيّز صلة الموصول للفصل بخبر إنّ ، وهو ﴿ قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ولا ﴿ على أن يخلق ﴾ لفظاً ومعنى لأنه لا يحسن إيقاع القدرة على الآجل ، فينبغي أن يكون عطفاً على ﴿ أولم يروا ﴾ ، وأمّا قوله : ﴿ وجعل لهم أجلاً لاريب فيه ﴾ فليس تقديرا لتصحيح معنى العطف إذا لا يلتئم أن يقال : ﴿ أولم يروا ﴾ وجعل لهم ، بل هو ابتداء تفسير بشهادة قوله : ((وهو الموت أوالقيامة)) (٦) ، فإذا التقدير قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السماوات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم . كقوله تعالى : ﴿ أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي في الصغر والقمأة (٧) . وأن من جعل لهم أجلا لاريب فيه ، وهو القيامة ، لابدّ أن يأتي به ، كقوله

---

(١) تفسير قوله : ﴿ عميا وبكما وصمّا ﴾ ، قال (ز) : ((كما كانوا في الدنيا)) .

(٢) سورة طه الآية ٥٩ .

(٣) قال (ز) : ويجوز أن يحشروا ((مؤفى الحواس)) من الموقف إلى النار بعد الحساب .

(٤) الجوهري في صحاحه ١٣٣٣/٤ ، مادة (أوف) .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولم يروا أن ا لله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا ﴾ الإسراء الآية ٩٩ . قال (ز) : فإن قلت : علام عطف قوله ﴿ وجعل لهم أجلا ﴾ ؟ ، قلت : ((على قوله أولم يروا)) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعل لهم أجلا لاريب فيه ﴾ ، قال (ز) : ((وهو الموت أو القيامة)) ، فأبَوْا مع وضوح الدليل إلا جحودا .

(٧) (القمأة) في الصحاح للجوهري ٦٦/١ ، مادة (قمأ) ، قال : قَمُؤ الرجل بالضم قَمَاءً وقَمَاءَةً صار قميئاً ، وهو الصغير الذليل ، وأقمأته صغّرته وذلّلته ، فهو قميء .

تعالى: ﴿ إن الساعة آتية لاريب فيها ﴾ (١) . فظهر أن المراد بقوله عطف على قوله : ﴿ أو لم يروا ﴾ أنه عطف على التقدير ، وأن يضمر في الكلام ما يتمّ به المعنى ، ويؤيده قول الإمام (٢) : [لما بين الله تعالى بالدليل المذكور أن البعث والقيامة أمر يمكن الوجود في نفسه أردفه بأن لِوُقوعه ودُخوله في الوجود وقتاً عند الله تعالى] ، والنظم يساعد هذا التقدير الذي قدرناه وتخصيص ما خصّصناه من أن المراد بالأجل القيامة لاغير لورود الآية بعد إنكار ما أنكروه في قولهم : ﴿ وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ (٣) .

قوله : ((لو حقّها أن تدخل على الأفعال)) (٤) ، قال ابن الحاجب (٥) في الشرح : [لا بد أن يليها الفعل لأنها حرف شرط ، والشرط إنما يعقل بالفعل فالتزم وقوع الفعل لفظاً أو تقديراً] . قال صاحب المفتاح (٦) : [وأمّا كلمة (لو) فحين كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره ، على القطع امتنعت ، حملنا ها على الثبوت وَلَزِم أن يكونا فِعْلَتين والفعل ماض] .

قوله : ((فأما ما يقتضيه علم البيان فهو : (أنّ أنتم تملكون) ، فيه دلالة على الإختصاص)) . وقال صاحب الفرائد : لما كان التقدير ، لو كان تملكون يملكون وهذا لا يفيد الاختصاص ، وجب أن لا يفيده هذا أيضاً ، لأنه غير مخالف في تأدية المعنى لذلك ، لأن (أنتم) وضع موضع الضمير المتصل ، فالفعل مراد والتكرار حاصل على التقديرين ، نفى أن يقال : إن أنتم تملكون على صورة الجملة الاسمية

---

(١) سورة الحج الآية ٧ .

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ٦٢/٢١ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٩ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً ﴾ . الإسراء الآية ١٠٠ ، قال (ز) : في قوله تعالى ﴿ لَوْ ﴾ حقها أن تدخل على الأفعال ، دون الأسماء ، فلا بدّ من فعل بعدها في ﴿ لو أنتم تملكون ﴾ وتقديره ، لوتملكون ، تملكون .

(٥) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ٢٥٨/٢ .

(٦) محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ، تقدمت ترجمته . انظر مبحث (لو) في بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ١٩٧/١ ، وشرح التلخيص ٦٨/٢ .

بدون معناها ، فالاختصاص من لوازم معنى الاسمية لا من صورتها ، ويمكن أن يقال في الجواب : الأصل تملكون بدون التكرار ، فكرر ليفيد التأكيد ، فلما ترك الفعل الأول أوأُضمر إبقاء فاعله ، وهو في المعنى غير ضمير الثاني المتصّل ، علم بأن الاهتمام بذكر فاعل هذه الجملة أكثر من ذكر فعلها ، فكان تقديما للفاعل على الفعل من حيث المعنى والثاني بمنزلة المكرر للتأكيد فأفاد الاختصاص (١) . وقلت : نظر أصحاب المعاني في أمثال هذا التركيب إلى اللفظ ألا ترى إلى قول صاحب المفتاح : [ترك يودوا إلى الماضي المؤذن بالتحقيق نظرا إلى لفظه ، فكذا ههنا النظر إلى صورة ﴿ أنتم تملكون ﴾ لا إلى أصله ، وهو مثل : أنا سعيت في حاجتك ، في وجه إفادة الاختصاص وإلى هذا الإشارة بقوله : ((برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر)) .

قوله : ((لو ذات سوار لطمتني)) (٢) ، قال الميداني (٣) : [لو لطمتني ذات سوار ، لأن (لو) طالبة للفعل داخلة عليه ، والمعنى : لو ظلمني من كان كفوًا لي لهان عليّ ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وقيل : أراد لو لطمتني حرّة فجعل السوار علامة للحرية ، لأن العرب قلّما تُلبِس الإماء السوار فهو يقول : لو كانت اللاطمة حرة لكان أخفّ عليّ] .

قوله : ((** ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي **)) (٤) .

تمامه : ** جعلت لهم فوق العرانين ميسماً **

---

(١) حاصل هذه المسالة : أن المقرر في علم العربية أن (لو) لا تدخل إلا على الأفعال ، فيقدر لها في الآية فعل محذوف . والضمير المرفوع بعد (لو) أصله فاعل الفعل المحذوف ، فلما حذف الفعل فصل الضمير ، لأن الأصل ﴿ قل لو تملكون ﴾ ، فحذف الفعل فبقيت الواو فجعلت ضميرا منفصلا : هو (أنتم) . أنظر أضواء البيان ٣/٥٧٤ .

(٢) القائل حاتم . انظر الكشاف٢/٦٩٦.

(٣) ذكره الميداني في الباب الثالث والعشرون ٣/ ٨١ ، رقم ٣٢٢٧ .

(٤) البيت للمتلمس ، وبعده :

** ولَوْ غَيرُ أخوالي أرادوا نَقيصَتي ** جعَلْتُ لَهُم فوق العَرانين مَيْسَماً **

** وهل كنتُ إلاّ مثل قاطع كفّه ** بِكفٍّ له أخرى عليه تقدّماً ** .

العرانين : الأنوف . والميسم العلامة يقول : لو كان الظلم والنقيصة جاءتني من غير أخوالي لَوَسَمْتُهُمْ بسمة الذّلّ ليشتهروا بها ، ولم يمكنهم إخفاؤها .

قوله : ((قتورا) ضيقا بخيلا)) الراغب (١) : [القتر تقليل النفقه ، وهو بإزاء الإسراف ، وكلاهما مذمومان . قال تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ (٢) ، ورجل قتور وَمُقْتِر . وقوله تعالى : ﴿ وكان الإنسان قتوراً ﴾ تنبيه على ما جبل عليه الإنسان من البخل ، وقد قَتَرَت الشيء وأقترته وقَتّرته أي قلّلتُه ، ومقتر فقير ، قال تعالى : ﴿ وعلى المقتر قدره ﴾ (٣) ، وأصل ذلك من القُتَار والقَتَرِ ، وهو الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما ، فكأن المُقْتِر والمُقَتّر هو الذي يتناول من الشيء قَتارُه] .

قوله : ((لا . لأن معناه لبخلتم)) (٤) ، وفيه وجهان ، أحدهما أن يكون مضمّنا معنى البخل ، والبخل لا يتعدى بنفسه ، وثانيهما أن يجعل مفعوله منسيا كقولهم : فلان يعطي ويمنع ، فيكون كناية عن البخل ، ذكره صاحب الفرائد .

قوله : ((فذكر اللسان)) (٥) ، وهو انحلال العقدة والطّمس ، وهو قلب أموال القبط حجارة ، يعني كما أن الحسن ذكر مكان الحجر والبحر والطور فيما ذكره أولاً من الآيات التسع الطوفان والسنين ونقص الثمرات ، ووضع محمد مكان البحر والطور اللسان والطمس ، قال الواحدى (٦) : قال المفسرون : صارت أموالهم

---

(١) الراغب في مفرداته ٣٩٢ ، مادة (قتر) .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٦ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قتورا ﴾ ضيقا بخيلا ، فإن قلت : هل يقدّر (لأمسكتم) مفعول ؟ ، قلت : ((لا ، لأن معناه لبخلتم)) من قولك للبخيل : ممسك .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ﴾ الإسراء الآية ١٠١ ، قال (ز) : عن ابن عباس إن الآيات ، هي العصا ، واليد إلخ ... وعن محمد بن كعب لما سأله عمر بن عبد العزيز ((فذكر اللسان والطمس)) من الآيات .

(٦) الواحدي في الوسيط ١٣٠/٣ ، وانظر الطبري ١٧٠/١٥ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١٣٩/٣ ، والقرطبي ٢١٧/١٠ .

حجارة ، وقال القرطبي : جعل سكرهم حجارة . وقال قتادة : بلغنا أن حروثهم صارت حجارة ، ولمّا وافق هذا القول دون ما عند عمر بن عبد العزيز قال : كيف يكون الفقيه إلا هكذا إعجابا وتعجّبا ، ثم أمر بإخراج الجراب تصديقاً له .

قوله : ((وعن صفوان بن عسال الحديث أخرجه الترمذي والنسائي (١) عنه تفاوت يسير ، وفيه إشكال ، لأن المذكور عشرة والسؤال عن تسع ، وقد أجاب عنه التور بشتيبأجوبة ، والذي (٢) نقوله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اعلموا معاشر اليهود أن الآيات التي أوتي موسى ولم تنسخها شريعة ، نحن وأنتم فيها سواء هذه المذكورات ، لكن له آية أخرى تختص بكم ، وهي هذه ، وهذه الزيادة كالإيصال والتتميم ، يعني خذوا ما سألتموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم] .

قوله : ((أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف)) روي عن صاحب التهذيب للكشاف أنه قال : [رأيت في حاشية الكشاف دلالة الآية على تقدير (قلنا) من حيث إنه خبر كما أن ذاك خبر ، والأولى عندي أن يقال : إن دلالتها من حيث إنها تدل على أن السائل من بني اسرئيل هو موسى لا محمد صلوات الله عليهما ، وقلت : تحقيقه أن يفصّل ما أجمله المصنف ليظهر الحق ، فإنه ذكر في الآية وجوهاً كثيرة ، لكن يجمعها معنيان لأن السائل إما موسى عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن يكون السائل موسى ﴿ إذجاءهم ﴾ إما أن يتعلق بقلنا المحذوف أو بنفس السؤال ، والأول على وجهين : إحداهما المسؤل فرعون ، والمسؤل عنه إنقاذ بني إسرائيل منه ، المعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات ، وأرسلناه إلى فرعون وملائه وقلنا له : إذجاءهم سل بني إسرائيل من فرعون أي قل له أرسل معي بني إسرائيل وخلّهم وشأنهم ، لأنهم كانوا كالأسرى بيد فرعون .

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦/٥ كتاب التفسير ، باب ١٨ ، والاستئذان ٧٧/٥ ، وأحمد في مسنده ٢٣٩/٤ ، والنسائي في التفسير كما في تحفة الأشراف ١٩٢/٤ ، والمحاربة ، باب السحر ٤٠٨٣/١٦٤٢ ، وابن ماجه كتاب الأدب ، باب الرجل يقبل يد الرجل مختصرا ١٢٢١/٢ ، والحاكم في المستدرك ٩/١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) أنظر حاشية محي الدين شيخ زاد ٢٤٣/٣-٢٤٤ ، فذكر مثل هذا .

قال تعالى : ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ (١) ، فالسؤال بمعنى الطلب ، وثانيهما المسؤل بنو إسرائيل والمسؤل عنه سببان ، والمعنى على الأول قلنا لموسى : ﴿ سل بني إسرائيل إذ جاءهم ﴾ عن حال دينهم ، أنتم ثابتون على ملّة إبراهيم ؟ أم دخلتم في دين فرعون ؟ ، والمعنى على الثاني . قلنا له إذ جاءهم : سلهم أن يعاضدوك ، وتكون قلوبهم وأيديهم معك ، حتى يخلّصهم الله من الأسر ويورثهم أرض أعدائهم ، كما قال موسى لقومه : ﴿ استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ (٢) ، والثاني : وهو أن يتعلق بنفس السؤال على قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، يرتب عليه المعاني الثلاثة كلها ، وهذه القراءة ترجّح احتمال أن يكون المأمور بقوله : فسأل في القراءة المشهورة وهو موسى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الثاني وهو أن يكون السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتعلق] ﴿ إذ جاءهم ﴾ إمّا ﴿آتينا﴾ المذكور ، أي ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إذ جاء بني إسرائيل وفرعون وقلنا لك سل ذلك عن مسلمي أهل الكتاب يخبروك به كما أخبرت ، وهو من أسلوب قوله تعالى : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ (٣) ، وهو من باب التهييج والإلهاب تثبيتاً ومزيد طمأنينةٍ ، أو متعلقه محذوف ، وهو إما (اذكر) ، المعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات (٤) وأرسلناه إلى فرعون وملائه (اذكر) إذ جاءهم فقال فرعون ، فيكون قوله :

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٩ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .

(٣) سورة يونس الآية ٩٤ .

(٤) الآيات التسع ذكرها القرآن كلها ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فذكر عن العصا واليد قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٠٧ - ١٠٨ ﴿ فالقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ وقال في العصا أيضاً في سورة الشعراء الآية ٦٣ : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ ، وفي الباقيات من الآيات التسع قال تعالى في سورة الأعراف الآية ١٣٣ : ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ الآية . وجعل بعض العلماء الجبل بدل السنين ، وقال تعالى في الأعراف الآية ١٧١ : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ﴾ الآية .

﴿ فسأل بني إسرائيل ﴾ على الوجهين معترضا ، أو يخبروك على تقدير جواب الأمر المعنى (سل بني إسرائيل) عن حال الآيات التسع ، فإنهم يخبرونك القصّة بتمامها من لدن مجيء موسى من مَدْيَن (١) إلى مصر (٢) عند إيابهم ، وهم أسرى بيد فرعون وملائه يَسومونَهُم سوء العذاب ، ثم ذهابه إلى فرعون وطلبه منه إرسال بني إسرائيل معه وادعائه النبوة ، وإظهار تلك الآيات القاهرات بأسرها وظهور عجز فرعون وعناده ، وقوله : ﴿ إني لأظنّك يا موسى مسحوراً ﴾ فالفاء في قوله تعالى : ﴿ فقال له فرعون ﴾ فصيحة .

قوله : ((﴿ بصائر ﴾ بينات مكشوفات)) (٣) ، الأساس (٤) : [هذه الآية مبصرة ، وأبصر الطريق استبان ووضح] .

قوله : ((وقريء ﴿ علمتُ ﴾)) (٥) ، بالضمّ الكسائي ، والباقون بفتحها .

قوله : ((ثمّ قارع ظَنَّه بِظَنِّه)) (٦) ، الأساس (٧) : [قرعه بالرمح وقارعه وتقارعوا بالرماح ، وقارعته فقرعته] .

---

(١) (مَدْيَن) ، ويقال : أرض مدين ، بين تبوك والساحل على بعد ١٣٢ كيلو غرب تبوك وشرق رأس الشيخ ، عبيد على البحر بمسافة سبعين كيلا ، وهي في وادٍ بين الجبال ، وواديها يسمى عُفال ، وتشرف عليها من الغرب صفراء شعيب ، وتسمى مغائر شعيب ، ويقال : إن البئر التي استقى منها موسى كانت بهذا الموضع . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ٢٨٤ .

(٢) مصر معروفة ، وهي القاهرة ، وصارت تطلق على سائر البلاد المصرية .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربّ السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ﴾ الإسراء الآية ١٠٤ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ((﴿ بصائر ﴾ بينات مكشوفات)) ولكنك معاند مكابر .

(٤) الأساس للزمخشري ، قال : ومن المجاز هذه آية مُبْصِرَةٌ إلخ ، ٤٠ .

(٥) قرأ الكسائي : ﴿ لقد علمتُ ﴾ بضم التاء ، مسند الضمير موسى ، ووافقه الأعمش ، والباقون بالفتح على جعل الضمير للمخاطب ، وهو فرعون . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٧ .

(٦) قال (ز) عند قوله : ﴿ لقد علمتُ ﴾ على قراءة الضم ، وأن الضم راجع إلى موسى ، على معنى إني لست بمسحور ، كما وصفتني ، بل أنا عالم بصحة الأمر ، وأن هذه الآيات منزلها ربّ السماوات والأرض ((ثم قارع ظنه بظنه)) كأنه قال : إن ظننتني مسحوراً ، فأنا أظنك (مثبورا) .

(٧) الأساس ٣٠٥ ، مادة (قرع) .

قوله : ((إلا بالحقّ محفوظاً بالرصد)) (١) ، فسّر الحقّ تارة بالحكمة ، وأخرى بالثابت الذي يقابل الباطل ، فقوله : ((محفوظا بالرصد)) تفسير لمعنى الحق ، وتوضيح لمحلّه ، وأنه نصب على الحال ، يعني هو محفوظ بالرصد ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ (٢) ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه ﴾ ، قال المصنف : أنزله وهو رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة ، كما قال في آخر سورة الجنّ : ﴿ وأحاط بما لديهم ﴾ (٣) ، قال أبو البقاء (٤) : [﴿ بالحق أنزلناه ﴾ أي وبسبب إقامته الحق ﴿ أنزلناه ﴾ فتكون الباء متعلقة بأنزلناه ، ويجوز أن يكون حالاً ، أي أنزلناه ومعه الحقّ ، أو فيه الحقّ ، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل ، أي أنزلناه ومعنا الحقّ ، ﴿ وبالحق نزل ﴾ فيه الوجهان الأولان دون الثالث ، لأنه ليس فيه ضمير لغير القرآن] .

قوله : ((وما أرسلناك إلا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار)) ليس إليك وراء ذلك أي التركيب من القصر الإفرادي نزّل صلوات الله عليه لحرصه على إيمان قومه منزلة من يعتقد أنه مبشّر ونذير ومع ذلك مكره على الدين أيضاً فقصر على البشارة والنذارة ، وبقي كونه مكرها .

قوله : ((يعني أن (فَرَقَ) بالتّخفيف يدل على فَصْلٍ متقارب)) (٥) كأنه يردّ القراءة بالتخفيف ، فإنها تدل على خلاف الواقع ، وهو الفصل المتباعد . وقال ابن جني (٦) ويؤيده قوله : ﴿ على مكث ﴾ .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ الآية ١٠٥ ، قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ : أي وما نزل إلا متلبّساً بالحقّ والحكمة ، أو ما أنزلناه من السماء ((إلا بالحقّ محفوظا بالرصد)) من الملائكة .

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٣) الآية ٢٨ .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٧/٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث ونزّلناه تنزيلا ﴾ الآية ١٠٦ ، قال (ز) : قرأ أبيّ : ﴿ فرّقناه ﴾ بالتشديد ، أي جعلنا نزوله مفرّقا منجّما ، وعن ابن عباس أنه قرأ مشدّدا أيضا ((يعني أن (فَرَقَ) بالتخفيف)) ، يدل على فصل متقارب ، وليس كذلك فبين أوّله وآخره عشرين سنة .

(٦) قال ابن جني في المحتسب ٢٣/٢ : [وقرآنا فرّقناه] بالتشديد ، قال أبو الفتح (يعني نفسه) : تفسيره فصّلناه ، ونزّلناه شيئا بعد شيء ، ودليله قوله تعالى : ﴿ على مكث ﴾ .

قوله : ((وتؤدَةٍ)) (١) ، النهاية (٢) : [يقال : اتَّأد في فعله إذا تأني وتثبيت ، ولم يعجل] .

قوله : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ ، أمر بالإعراض عنهم ، يعني إنما يؤمن بهذا القول من إيس من إيمانه ولم يقتد بحالة ، فكأنه قال له : اتركهم ولا تبال بهم .

قوله : ((تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد)) (٣) ، لإنجازه عطف على (تعظيما) وهو مفعول له لقوله : ﴿ خرّوا ﴾ ، وإنما لم يأت باللام في الأول وأوتي بها في الثاني ، لأن الأول فعل لفاعل الفعل المعلّل ، والثاني ليس كذلك .

قوله : ((وعلى الأول إن لم تؤمنوا لقد آمن)) (٤) ، يعني على الوجه الثاني ﴿ إن الذين أوتوا العلم ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلزم منه توبيخ القوم وتقريعهم ، وعلى الوجه الأول بالعكس ، لأن التعليل على الأول مقول القول بخلاف الثاني . وقلت : الوجه أن يقصد التسلية ، ويكون التقريع مُفَرّعا عليها ، لأن في المعلّل إشعارا بأن الرسول قد قضى ما عليه من الإبلاغ وأن الحجة قد لزمتهم ، فعليه أن يتاركهم ويشتغل بمن يجدي فيهم الإنذار وينجع فيهم الوعظ ، وبخاصّة نفسه من عبادة ربه ، وإلى الأول الإشارة بقوله : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ وإلى الثاني بقوله : ﴿ إن الذين أتوا العلم من قبله ﴾ ومن ثَم قال : أمر

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ على مكث ﴾ قال (ز) : بالفتح والضم ، على مَهَلٍ ((وتُؤدَةٍ)) وتثبّتٍ .

(٢) النهاية ١/ ١٧٨ ، مادة (تئد) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ الإسراء ١٠٧ – ١٠٩ . قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿ إذا يتلى عليهم ﴾ خروا سجّدا وسبّحوا الله ((تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد)) في الكتب المنزلة ، وما بشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه .

(٤) قال (ز) : فإن قلت : (إن الذين أوتوا العلم من قبله) تعليل لماذا ؟ ، قلت : يجوز أن يكون تعليلا لقوله : ﴿ آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ ويجوز أن يكون تعليلا (لقل) على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه ، كأنه قيل : تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء ((وعلى الأول إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم)) ويعني على الوجه الثاني ﴿ إن الذين أوتوا العلم ﴾ .

بالإعراض عنهم وأن لا يكترث بإيمانهم فإن خيرا منهم وأفضل قد آمنوا ، وإلى الثالث لقوله : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله ﴾ وإنما استدعى المقام المتاركة والتسلية ، لأن الله تعالى لمّا عدّ مناقب حبيبه صلوات الله عليه في مفتتح السورة وختمها ببيان المعجزة ، وهي قوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن ﴾ فكانت متضمّنة لما يتخلّص منه إلى طعن القوم في القرآن ورسالته ومعاندتهم في دفع آيات الله البينات ، فذكر شيئا صالحا منه فأراد أن يُسلّيَ حبيبه ذكر حديث الكليم ومجيئه بالآيات البينات إلى قومه وتكذيبهم ، ثم إهلاكهم ، وكان الأمر بقوله : ﴿ فسل بني إسرائيل ﴾ تتميما لمعنى التسلية ، وذكر بعده هذا النوع من التسلية وختم السورة بها والله أعلم .

قوله : ((أوّل ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن)) (١) ، قال صاحب التقريب : [وفيه نظر لأن أول ما يلقى الأرض الجبهة أو الأنف] ، ووجهه أنه إذا ابتدأ الخرور ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض هو الذقن ، أو أراد مبالغة في الخضوع وهو تعفير اللحى على التراب ، والأذقان كناية عنها ، أو أنه ربّما خرّ على الذقن كالمغشيّ عليه لخشية الله تعالى ، وقوله :

** ((فخر صريعا لليدين وللفم)) **

أوله من رواية المطلع :

** دلَفْتُ له بالرّمْحِ من دون ثوبه **

الدليف (٢) المشي رويدا ، دلفت الكتيبة في الحرب أي قدمت . ويروى :

** أمْكَنَه بالرُّمحِ حُضْنَيْ قميصه **

الحضين (٣) ما دون الأبط إلى الكشح ، وحِضْنا الشّيء جانباه .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ و يخرّون للأذقان ﴾ قال (ز) : فإن قلت : ما معنى الخرور للذقن ؟ ، قلت : السقوط على الوجه ، وإنما ذكر الذقن ، وهو مجمع اللحيين ، لأن الساجد أول ما يلقي به الأرض من وجهه الذقن .

(٢) الصحاح للجوهري ١٣٦٠/٤ ، مادة (دلف) والبيت قيل : لشريح العبسى ، وقيل لزهير .

(٣) الصحاح للجوهري ٢١٠١/٥ ، مادة (حضن) .

قوله ((جعل ذقنه ووجهه للخرور)) [1] ، وقال صاحب الفرائد : [لمّا كان الذقن أبعد شيء من وجهه من الأرض في حال السجود وهي حال وضع الجبهة ، كان القصد بالخُرورِ إلى وصول الأذقان إلى الأرض أبلغ من القصد إلى وصول الجبهة إليها ، فكأنه قيل : الخرور لأجل وصول الأذقان إلى الأرض ، لأن الانحطاط أكثر في وصول الأذقان من وصول الجبهة إليها ، وحاصله أنهم يبالغون في الخرور ، ويُلْصَقُونَ بالأرض ما أمكن إلصاقه بها من الوجه] تم كلامه . فإن قلت : جعل ذقنه ووجهه للخرور اختصّه به ، مُخالف لظاهر الآية لأنه جعل الخرور مختصّاً بالذقن لقوله : ﴿ يخرّون للأذقان ﴾ ، قلت : إن الخرور إذا اختص بالذّقن اختصّ الذقن به ، وما عليه التلاوة أدلّ على خضوعهم وتواضعهم .

قوله : ((فمعنى ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ سمّوا بهذا الاسم أو بهذا)) [2] ، قال القاضي [3] : [المراد بالتسوية بين اللفظين ، هو أنهما يطلقان على ذات واحدة ، وإن اختلف اعتبار إطلاقهما ، والتوحيد إنّما هو للذات الذي هو المعبود] هذا إذا كان رَدّاً لقول المشركين [4] ، وعلى أن يكون ردّاً لليهود ، المعنى أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود ، وهو أجوب لقوله : ﴿ أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وقلت : الذي يقتضيه النظم أن يكون ردّاً للمشركين ،

---

(1) قال (ز) : إذا قلت : خرّ على وجهه وعلى ذقنه ، ما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه ؟ ، قلت : معناه ((جعل ذقنه ووجهه للخرور)) واختصه به ، لأن اللام للاختصاص .

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ الإسراء الآية (١١٠) .

(3) القاضي البيضاوي ٢١٣/٣ .

(4) يشير إلى أنهم اختلفوا في سبب نزول الآية هذه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت لما سمعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم يتهجّد ذات ليلة بمكة ، فجعل يقول في سجوده (يا رحمن يا رحيم) قال المشركون : كان محمد يدعو إلها واحدا ، فهو الآن يدعو إلهين اثنين (الله والرحمن) ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة . الواحدي في أسباب النزول ٣٤١ ، والطبري ١٨٢/٩ ، والقرطبي ٣٤٢/١٠ ، والبغوي١٣١/٥ ، والدرالمنثور ٣٤٨/٥ .

وقيل : إن اليهود قالوا : إنك لتقل ذكر الرحمن ، وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت . الكشاف ٧٠٠/٢ .

لأن قوله : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ مناسب لهم ، والظاهر ما ذكره المصنف أن قوله : ﴿ فله الأسماء الحسنى ﴾ وضع موضع فهو حسن .

قوله : ((يرفع صوته)) [١] بقراءته ، الحديث مع التفسير متفق عليه ، رواه البخاري ومسلم [٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله : ((روي أن أبابكر)) الحديث مختصر من رواية أبي داود والترمذي [٣] عن قتادة .

قوله : ((مَثَلٌ لانتحاء الوجه)) [٤] ، يعني شبّه من ينبغي أن يتوسّط في القراءة بمن يتوخّى بين السبيلين قَصْداً سويّاً .

قوله : ((أولم يُوالِ أحداً)) [٥] ، جعل وليّاً على الأول بمعنى الناصر وعلّق (من) به على تضمين معنى المنع ، المعنى : ليس له ذلّ ولا مانع من الذلّ يمنعه لاعتزازه بنفسه ، لأنه عزيز بذاته ، مانع لغيره منه ، وعلى الثاني : إجراؤه على

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ قال (ز) : روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ، ويقول : أناجي ربّي ، وقد علم حاجتي ، وكان عمر رضي الله عنه ((يرفع صوته)) بالقراءة ، ويقول : أزجر للشيطان وأيقظ للوسنان ، فأمر أبابكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا .

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٠٤/٨ كتاب التفسير ، باب ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ الآية ، قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، الحديث رقم ٤٧٢٢ ، ورقم ٧٤٩٠ ، ٧٥٢٥ ، ٧٥٤٧ . ومسلم ٣٢٩/١ كتاب الصلاة ، باب التوسط في القراءة في الصلاة ، رقم ٤٤٦ . والترمذي ، رقم ٣١٤٥ ، ٣١٤٦ ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل .

(٣) أخرجه أبو داود ، ٨١/٢ كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل رقم ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ . والترمذي ٣١٠/٢ كتاب الصلاة ، باب قراءة الوتر ، رقم ٤٤٧ ، وقال حديث غريب ، والحاكم في المستدرك ٣١٠/١ .

(٤) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ : وابتغاء السبيل مثل ((الانتحاء الوجه)) الوسط في القراءة .

(٥) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وليّ من الذُلّ ﴾ : ناصر من الذلّ ومانع له منه لاعتزازه به ((أولم يوال أحداً)) من أجل مذلّة به لدفعها بموالاته .

ظاهره ، وجعل (من) ابتدائية ، ومن ثم قال : ((ولم يوال أحداً)) من أجل مذلة ، وعلى التقديرين ، التركيب من باب قوله :

** على لاحبٍ لا يهتدي بمناره ** (١) .

قوله : ((لأن مَنْ هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة ، وذلك أن من اتخذ ولداً يحتاج إلى الإمساك لأجله ، ومن ثم قال صلوات الله عليه : (الولد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ) (٢) ، ومن كان له شريك في ما يتصرّفه ، فهو ممنوع من التصرف التام ، ومن احتاج إلى ناصر يدفع عنه الذلّ ، كيف يقدر على دفعه عن الغير ؟ ، والله سبحانه وتعالى منزَّه عن كلّ هذه الموانع ، فهو يقدر على إيلاء كلّ نعمة ، فلذلك يستحقّ كلّ الحمد ، وإنّما سلك هذا التأويل لأن الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها ، وعدم اتّخاذ الولد ونفي الشريك عنه ليس من الفضائل الاختيارية ظاهراً ، وقد رتب (عليه) (٣) الحمد ، [فعدل إلى لازم هذه المذكورات وهو القدرة على إيلاء كلّ نعمة ، ورتب عليها الحمد (٤)] . قال القاضي (٥) : [نفى أن يكون له ما يواليه ويشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختياراً واضطراراً ، وما يعاونه ويقوّيه ، ورتّب الحمد عليه للدلالة على أنه مستحقّ جنس الحمد ، لأنه كامل الذات المفرد بالإيجاد المنعم على الإطلاق ، وما عداه ناقص مملوك نعمةً أو مُنْعَمٌ عليه ، ولذلك عطف عليه قوله : ﴿ وكَبِّرْه تكبيراً ﴾] ، وقلت : والآية من باب التقسيم الحاضر ، لأن المانع من الإيتاء إمّا فوقه ، فهو القسم الثالث ،

---

(١) البيت لم أقف على قائله. واللحب الطريق الواسع الواضح . الجوهري ٢١٨/١ ، مادة (لحب).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٦٤/٣ كتاب معرفة الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وسكت عليه الذهبي بلفظ (إن الولد مَبْخَلَةٌ مجبنة مَحْزَنَةٌ) من حديث يعلى بن منبه الثقفي ، وأيضاً ٣٩٦/٣ من حديث محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه رضي الله عنه ، وزاد (مَجْهَلَةٌ) ، وفي المطالب العالية ٣٩/٣ ، برقم ٢٨٢٠ ، باب حبّ الولد ، بلفظ (الولد ثمرة القلب مجبنة مبخلة) من حديث أبي سعيد ، وفيه عطية العوف مكلّم فيه ، وانظر كشف الخفاء ٤٧٠/٢ .

(٣) (عليها بالحمد) في ب ، م .

(٤) مابين المعكوفين س من ب .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١٤/٣ .

أو دونه فهو القسم الأول ، أو مثله ، فهذا القسم الثاني ، ثم المناسب أن يجعل التعريف في الحمد للاستغراق لا للجنس ، كما قال ، لأن موجبه مستغرق للمراتب كلّها . وسورة الإخلاص واردة على هذا التقسيم فليحذ حذوها .

قوله : ((إذا أفصح الغلام)) (١) ، الأساس (٢) : [أفصح الصبيّ في منطقه : فُهِمَ ما يقول في أول ما يتكلّم ، يقال : أفصح فلان ثم فَصُحَ ، وأفصح العجمي : تكلّم بالعربية ، وفصُح : انطلق لسانه بها وخَلَصَت لغته من اللكنة] .

انتهت السورة .

---

(١) يشير إلى ما ذكره (ز) : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ((إذا أفصح الغلام)) من بني عبد المطلب علّمه هذه الآية ﴿ وقل الحمد لله ﴾ الآية .

والحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٣٤/٤ كتاب العقيقة ، باب ما يستحبّ للصبيّ أن يعلّم إذا تكلّم . وابن أبي شيبة في مصنفه ، ٥٥٦/١٠ كتاب فضائل القرآن ، في الصبيان متى يتعلمون القرآن . وابن السني في عمل اليوم والليلة ، ١٦٠ ، باب ما يلقّن الصبيّ إذا أفصح بالكلام .

(٢) الأساس للزمخشري ٤٧٤ ، مادة (فصح) ، مع تقديم وتأخير .